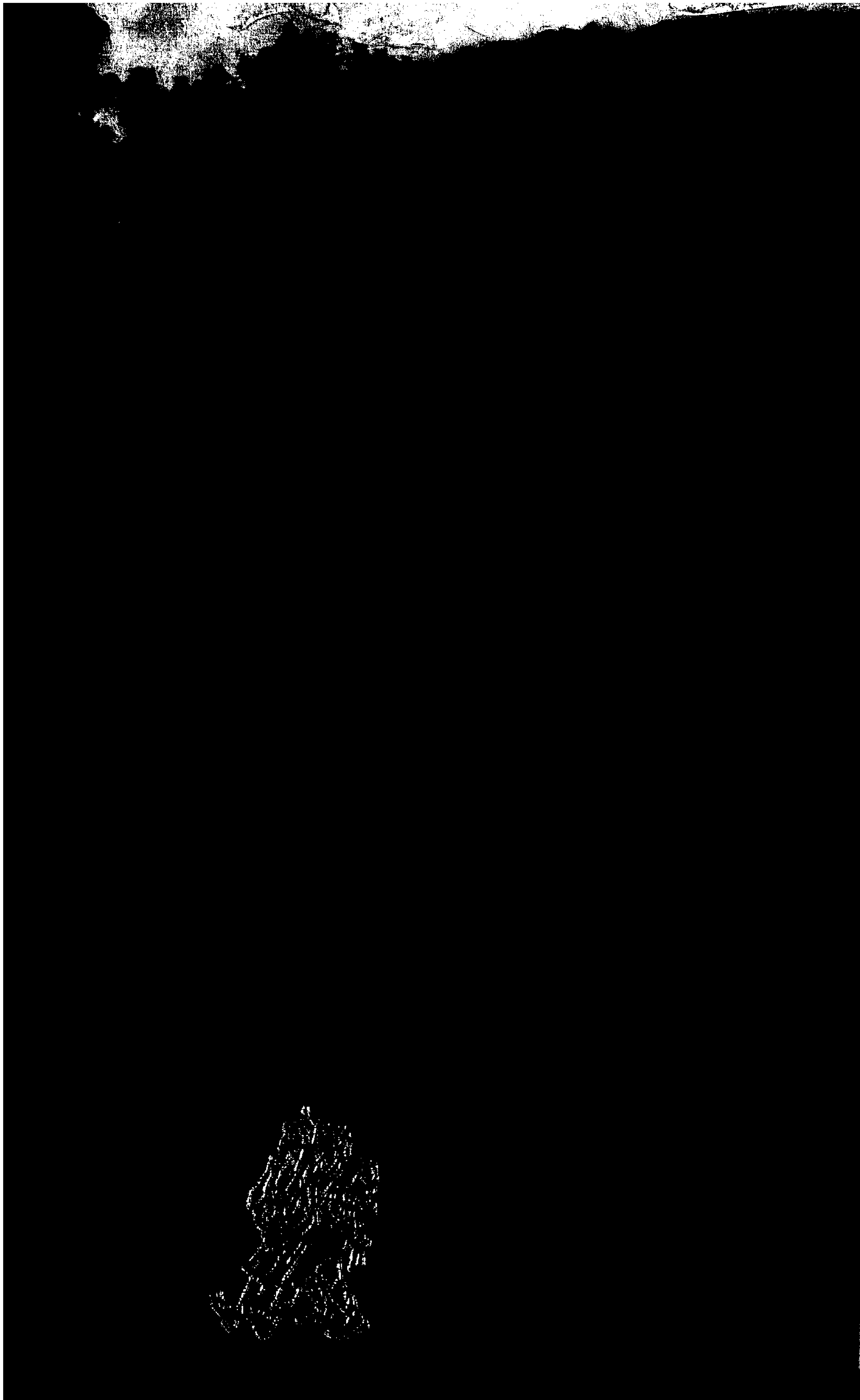






محمد محمد عبد الرحمن



أرض البطولات والأمجاد

الإهداء



.. وكلما استشهد منا بطل
وواريناه بطن الجبل
نبت مكانه ألف بطل
إن الشعلة ستظل فى أيدينا
يتسلمها بطل من يد بطل
وجيل من يد جيل..



مقدمة

يوم وطئت قدماى لأول مرة تراب اليمن ، انتابنى شعور غريب فقد خيل إلى أننى انتقلت فجأة من القرن العشرين الى عصور الجاهلية بل لقد خيل إلى أننى إنسان آخر ، يعيش حياتين . لقد كان من العسير على أن أصدق ما أرى ، وأن التى جانبا بكل ما قرأت عن هذه البلاد التى حكمتها الإمامة بعيداً عن أى مظهر من مظاهر الحياة ، وكأنه قطرة تافهة فى بحر متلاطم الأمواج .

كنت قد قرأت عن اليمن كثيرا ، وقد ذهبت اليها ، وأنا أتوقع أن أرى تخلفا ، وأن أصطدم بالخرافات والأساطير ، وتوقعت أن يحدثنى الناس عن الرؤوس التى قطعت ، أو عن السجون الرهيبة التى توارى المناضلون — وحتى الأبرياء — فيها .. لكن الصورة التى اصطدمت بها عيناى ، كانت تفوق كل ما قرأت .. فخلال أربع ساعات قضيتها فى الطائرة ، شعرت بأنى عدت مئات السنين الى الوراء ، بل شعرت بأن الزمن قـــد توقف ، وسكان الكهف قد خرجوا من كهفهم ، ليواجهوا دنيا لا تربطهم بها أية رابطة ، عدا رابطة الإنسانية .

لذلك أحسست منذ اللحظة الأولى ، أنني أواجه مهمة شاقة .. فأنا مهما كتبت ، لن أوفى الموضوع حقه .. ومهما رأيت ستبقى دائما أشياء يتعذر الوصول اليها ، إلا إذا بقيت فترة طويلة جدا فى هذه الأرض البكر ، التى لم يعرف سكانها من أسباب الحياة ،سوى أن يأكلوا فى حساب ، وأن يحملوا البنادق والخناجر ، ويبحثوا عن القات . ولذا كان أول ما يفكرون فيه هو الموت ، لأن الموت هو أسهل السبل التى يمكن أن يطرقوها ، بل إن الموت هو الراحة الحقيقية من الكد والعناء والسير المستمر فوق الأشواك ..

وقد يستعذب القارئ الطريقة التى اتبعتها فى تنسيق هذا الكتاب أو على الأقل فى تنسيق الجزء الأول منه . والواقع أن كلمة « تنسيق » ليست التعبير الذى أقصده ، لأنه أبعد مايكون عن مشاهداتى .. لكن التتابع الذى رأيت به الأشياء ، يحيل الفوضى إلى تنسيق حقيقى . ولقد تعمدت هذا النوع من التنسيق ، لأنه اذا ما حاول الكاتب أحيانا ترتيب بعض أنواع الفوضى ، فإنه يشوهها .. كالطبيعة التى تنبت العشب الى جانب الفطر على جذوع الأشجار الملتوية ..فإذا ماحاول أحد جـــز العشب وتقويم الأشجار . أفقد الطبيعة كثيرا من بهائها وجمالها بل أفقدها واقعيتها ، التى تصنع من فوضاها انسجاما مريحا ..

وهذا بالذات ماحملنى على أن أسجل مارأيت ، كما رأيته تماما ، دون تزويق أو تزيين .. فلا يستغربن أحد اذا مارآنى أتحدث عن الإمام السابق ، ثم أنتقل مباشرة إلى الحديث عن القات .. وإذا مارآنى أتحدث عن المتاجر فى أسواق صنعاء ،ثم أنتقل فجأة إلى الحديث عن قمة جبل . فقد كان هذا خط سيرى فى اليمن . وكانت هذه مشاهداتى وهى جزء من الحياة التى عشتها هناك ، والتى وجدت فى كل لحظة من لحظاتها ، ما يشدنى إلى سلاسل من المفاجآت الآسرة .

وقد جعلت من هذا الكتاب قسمين : قسما رويت فيه مشاهداتي واتصالاتي ، وما أثار استغرابي ودهشتي ، وأنا واثق من أنه سيثير استغراب ودهشة القراء ، حتى الذين زاروا اليمن .. لأن لكل زائر زاوية خاصة ، يرى منها الأشياء .. أو على الأصح ، أن لكل زائر ، حقلا خاصا يبحث عنه ، ويسعى إلى دراسته ..

والقسم الثانى ، هو القسم المنسق فعلا ، وأروى فيه جانبا من قصة الحرب المجيدة التى خاضتها القوات المسلحة العربية على أرض اليمن .

ولست أشك فى أن قسمي الكتاب مرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا لأن وقائع القسم الأول تفسر « المعركة الصعبة » التى خاضتها قواتنا ببسالة وجرأة ، وأبلت فيها بلاءاً رائعا ، كما سجلت فيها ، بطولات خالدات

وقد لاتكون هذه البطولات ، أقل أهمية من الخطة نفسها ، التى وضعت لحرب اليمن ، بحيث تمكنت قواتنا من الانتقال ، فى سرعة قياسية ، إلى ميدان القتال ، المجرد من سائر إمكانيات الحرب الحديثة ، كما تمكنت فى الوقت ذاته من صيانة خطوط تموينها على هذا البعد الشاسع من قاعدة العمليات . لكن مما لاريب فيه ، هو أن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، أثبتت فى هذه التجربة الفذة ، كفاءة نادرة وطاقة جبارة وقدرة على الحركة ، كانت كلها موضع إعجاب العالم ، وموضع تقديره واحترامه ... وعلى أية حال ، كان من البديهى أن أقول أيضا إن الكتاب — على كثرة عدد صفحاته — لم يستوعب كل شيء ... وقد كانت ثمة استحالة ، لجمع كل شيء بين صفحتيه الأولى والأخيرة ، وإلا لزاد حجمه أضعاف ما هو عليه ، إلا أن القارئ يستطيع — وهو يصافح بنظره آخر كلماته — أن يخرج بفكرة واضحة عن اليمن ، سواء فى المجال المدنى أو فى المجال العسكرى ، وأن يدرك أنه يوم



يكتب تاريخ الثورة اليمنية ، وتاريخ الحرب البطولية التى خاضها إخوتنا وأبناؤنا هناك ، سيكون هذا التاريخ أضخم قصة تروى لجيلنا الحاضر ولأجيالنا المقبلة ، عما يمكن أن تفعله الرجعية ، إذا ما أنشبت أظافرها فى بلد أوفى شعب ، وعما يمكن أن يرتكبه الحكام من جرائم إذا ما اعتبروا أنفسهم ، آلهة يتحكمون فى رقاب الناس : يمنحونهم الحياة البائسة بشق النفس ، أو يفرضون عليهم الموت الذليل الوحشى .

وإننى بهذه المناسبة ، يسعدنى أن أتقدم بالشكر الصادر من أعماق نفسى ، إلى كل الأبطال الذين ساهموا فى تحقيق ماورد فى هذا الكتاب من قصص واقعية ... أوجزتها قدر الإمكان ... لأن نشاط كل واحد منهم ، وتفانيه فى أداء واجبه ، كان يمكن أن يشتملا ، وحدهما ، قصة طويلة ، مفعمة بحوادث مثيرة ، وبشجاعة لامثيل لها

كذلك أتقدم بالشكر نفسه إلى الذين ساعدونى — بما يملكون من معلومات ، وبما رأوا طوال الفترة المظلمة التى عاشتها اليمن — على إيضاح جوانب كثيرة ، كان الغموض يحيط بها ، وكان يمكن أن تظل فى صدورهم ، لو أنهم أبوا التحدث عنها ، ولا أستثنى من هذا الشكر ، الابن غير الشرعى للإمام ، الذى كان ذات يوم ، الحاكم المطلق لليمن ، والذى يكفر اليوم عما دفعه أبوه إلى ارتكابه

وفى النهاية أرجو أن أكون قد وفقت إلى أداء جزء من واجبى كجندى ، وكمواطن ، وكإنسان رأى الدموع فى عيون الملايين من أبناء اليمن الشقيق ، فأراد أن يصوغها عقدا من الغار ، يكلل به هامات أولئك الذين جعلوا من الضعف قوة ، ومن الاضطهاد ثورة .. ومن الموت حيـــاة .

محمد محمد عبـد الرحمن



القسم الأول

مشاهدات في



- الرهائن ... ونظام الخطاط
- الحجاب والتنجيم ... وعراف الامام
- جولة فى ربوع اليمن
- حكايات الامام أحمد
- حاصلات اليمن
- ثورات فى اليمن
- قصة الثلاثين
- تقاليد الموت
- عقوبة الاعدام
- تقاليد الزواج
- سجن الامام
- ثورة الثلايا
- موقف الاستعمار من ثورة اليمن
- موقف اسرائيل من الثورة
- لماذا أرسلنا القوات الى اليمن
- القات ... سم اليمن

ارض الثورة



خرج أهـــل الكهف من كهوفهم يصنعون أصعب ثورة شهدها التاريخ الحديث .. كان هذا هو تقديرى لموقف الثورة اليمنية فى أيامها الأولى .

فبعد أن قطعت بى إحدى الطائرات الأنتينوف الجبارة ، الطريق من القاهرة إلى صنعاء ، فى أربع ساعات ، شعرت أنى انتقلت من القرن العشرين إلى القرن العاشر مباشرة ، وأرجو ألا أكون قد ظلمت القرن العاشر كثيرا .. فقد شعرت فى بعض أجزاء اليمن أننى أواجه فعلا البشرية وهى فى مهدها .. وأستطيع أن أقول إننى رأيت فى بعض الكهوف ، كيف ولدت البشرية .. وكيف ظهر الإنسان الأول .

وحينما نزلت بى الطائرة على ممر مطار صنعاء الترابى الذى رفض الأمام احمد تغطيته بطبقة من البازلت مجانا ، كان شعور بالسعادة يغمرنى ، لأننى سأرى ثورة عربية ، قامت على آخر أرض عربية يمكن أن يتصور أى إنسان أن هناك احتمالا لقيام ثورة فيها .. وكان المقدر والمتوقع بالنسبة للمراقبين السياسيين ، أن تقوم ثورات تحررية ، فى أجزاء عديدة من الأرض العربية .. وكان كثيرون ساعتها يتجهون بأنظارهم إلى بغداد.. حيث معقل عبد الكريم قاسم . وآخرون يرقبون الأحداث فى دمشق ، حيث يحكم بروتس العصر الحديث حكمه الانفصالى .. أماكن عديدة اتجهت إليها العيون .. والصحفيون من جميع أنحاء العالم ، يهرعون إلى عواصم عربية مختلفة فى المشرق العربى ، متوقعين انفجاراً قريباً فى أية عاصمة من العواصم التى توجهوا إليها أو قريباً منها ، بل إن بعض الزملاء من مجلة القوات المسلحة ، حضروا إلى فى ذلك الوقت ، يطلبون الذهاب إلى بيروت ، ليكونوا بالقرب من الحوادث المنتظرة فى الشرق العربى .. هكذا كانوا يشعرون بإحساسهم الصحفى .. ولعوامل أخرى عديدة .. لقد كانوا جميعا يؤكدون أن هناك ثورة على الأبواب ، وفى مكان ما .. لكننى قلت لهم .. إن رأيى شخصيا ، أن القاهرة كانت وستظل ، أقرب عاصمة عربية إلى مناطق الثورات التحررية .. فليس مهماً القرب من حيث المسافة من أرض الثورة .. ولكن المهم هو القرب من حيث الزمن .. وأنا دائما أتصور أن أية ثورة تحررية ، تقوم فى الأرض العربية ، ستؤدى إلى إغلاق جميع المطارات والمـــوانى والحدود .. ثم تصدر الأوامر بفتح أحد المطارات لطائرة واحدة

وستكون هذه الطائرة دائما، قادمة من القاهرة لأن القاهرة هى أقدر وأسرع عاصمة عربية على الاتصال بأية ثورة تحررية تقوم فى المنطقة .

ولم يمر زمان طويل .. لقد قامت ثورة فى اليمن .. ووصلت أول طائرة إلى اليمن وكانت طائرة عربية .. ولم يقدر لى أن اسافر عليها ، لقدكان فيها خمسة أفراد فقط ، بينهم المقاتل على عبد الخبير الذى قاد القوات العربية بعد ذلك .

لقد وصلت اليمن بعد أيام من بدء الثورة ، وكنت قد شحنت رأسى ببعض المعلومات عن اليمن قبل ثورتها وعن أسلوب حكم الأئمة ، ولكن فى اللحظة التى لمست فيها قدماى أرض مطار صنعاء ، فوجئت بأن كل المعلومات التى فى رأسى لا لا يمكن أن تنطبق على الواقع بأية حال ، لقد اصطحبت معى بعض الكتب خلال رحلتى ، وحاولت أن أقرأ كل ما صدر عن اليمن من كتب قبل سفرى إليها . ولكننى لم أستطع أن أتصور ما رأيت

كان همى ساعتها أن التقى مع قائد الثورة اليمنية ، عبد الله السلال ، ونظرت إلى قائد الطائرة الذى حمد الله على أن نزل سالما ، وعلى أننا نجونا جميعا من الموت الا أنه فى لحظة نزوله اعترضه جمل ، يعبر أرض المطار ، ولم يستطع تفاديه إلا بصعوبة بالغة ، وطبيعى أن منظر أرض المطار ، لم يمكن يوحى بوجـــود أى مطار على الاطلاق ولكنه هو ما يمكن أن يسمى بأرض نزول ، والجبال تحيط بالمطار من كل جانب ، والنزول مغامرة بهذه الطائرات الحديثة المحملة بأوزان ثقيلة ، وقد كان على هذه الطائرات الفخمة ، أن تتزود بالوقود الكافى لها للقيام بالرحلة ذهابا وإيابا إلى القاهرة ، ذلك لانه لم يكن فى اليمن وقود طائرات يكفى لعمليات نقل على هذا المستوى

وحاولت أن أجد وسيلة للوصول إلى البلدة،وأخيرا عدت على سيارة مكشوفة وكنت سعيدا بها ، لأنى سأستطيع رؤية الدنيا حولى ،ولكن لحظة تحرك السيارة فى طريق مكسو بالتراب الناعم ، شعرت بأن التراب بدأ يتخلى عن الأرض ، ليغلف أجسادنا .. ولحسن حظى كنت متعودا على العمل خلال هذه الظروف نتيجة خدمتى

بالقوات المسلحة وكانت أول ملاحظة لى هى أن السيارات هناك تسير على اليسار مثل النظام الإنجليزى ، و لما كنت أعلم أن الانجليز لم يحتلوا هذا الجزء من اليمن على الاطلاق ، فقد عجبت لاتباعهم نظام السير على اليسار ، بينما جميع عجلات القيادة على اليسار أيضا .. ولما سألتهم قالوا لى .. إن نافذة الحضارة هنا هى عدن .. وأنهم هناك يسيرون على اليسار ، ولذلك قلدوهم هنا . وعموما لم تكن ثمة مشكلة فى هذا الصدد ، فعدد العربات بسيط ، ومن النادر أن تقابل سيارة ، سيارة أخرى قادمة من الاتجاه المضاد .

ووصلت إلى مقر قيادة الزعيم السلال .. وكانت هذه هى رتبته العسكرية فى ذلك الوقت ... وبسرعة بدأت صعودى إلى الدور الثالث .. وهى مهمة شاقة فى اليمن لأن الدرجات هناك عالية جدا . ويوازى ارتفاع الدرجة الواحدة ، أكثر من ضعف درجتين ، من النوع الذى تعودنا عليه ، و البيوت مبنية كلها من الحجارة السميكة ، ويبلغ سمك الحائط مترين ، وهم لا يضعون أسمنت أو أية مادة لاصقة بين صفوف الحجارة إنهم يكتفون بوضع حجر فوق حجر ، والاحجار عادة ملساء ناعمة من جميع الجوانب ... وهكذا حتى يتم بناء طبقة ، ثم يتركونها إلى أن يسقط عليها المطر .. ثم يبنون الطبقة الثانية فى العام التالى وهكذا ... وتكاليف البناء مرتفعة للغاية لأنها بدائية ، ويصل ثمن الحجر الواحد ، إلى أكثر من نصف ريال .. والمنزل المكون من سبع طبقات ، يستغرق على الاقل سبع سنوات لإتمامه .

وقد حاولت صعود درج القصر بسرعة حتى أستريح فى النهاية .. واصطدمت أثناء صعودى بشخص ينزل ، فاعتذرت له .. ثم لاحظت أنه لا يلبس حذاء فى قدميه فوضعت يدى على كتفه زيادة فى الاعتذار ، لانى لم ألاحظ طريقى بالفعل .. وفوجئت ، حينما علمت من الأخ حمدى قنديل مذيع التليفزيون العربى الذى كان يتابع الأحداث هناك ، أن الذى اصطدمت به ، هو وزير المغتربين ... وكان سبب المفاجأة .. أن الفقر يحكم اليمن إلى هذا الحد .

وكان فى جيبى أكثر من ١٠٠ سؤال ، جهزتها أثناء وجودى فى القاهرة — وخلال الطريق إلى صنعاء — لألقيها على السلال زعيم الثورة .. لكننى فى هذه اللحظة قررت إلغاء بعض الأسئلة .

وبدون مشاكل وتعقيدات وجدت نفسى وجها لوجه مع زعيم الثورة الجديدة ... وأين ؟ فى حجرة نومه .. لأنه لم يغلق مقر قيادته طوال الأيام الأولى للثورة ساعة واحدة ، وفى الحقيقة لم تكن الحجرة له وحده ، لكن كان فيها ثلاثة أسرة .. واحد بجوار الحائط .. وكان ينام عليه الدكتور البيضانى ، وكانت حرارته مرتفعة ساعتها .. والأوسط ويستخدمه الزعيم السلال ، والمجاور للباب يستخدمه محمد قائد سيف .. وبجوار كل سرير رشاش .. وأذكر أيضا أنه كان فى الحجرة ساعتها الشيخ سنان أبو لحوم من مشايخ قبائل نهم ، وهو من المشايخ الذين زاروا بعض البلاد الأجنبية ، حينما هرب من حكم الإمام .

واستمعت إلى أول مناقشة على أرض اليمن ، وكان الدكتور البيضانى يقترح على الشيخ سنان أن يخلع الملابس اليمنية والخنجر ويلبس بذلة ، وكان الشيخ سنان يعترض بشدة ، وفعلا ضاعت حرارة المناقشة ، وسط أصوات ألوف من البشر .. من رجال القبائل أيضا ، الذين قدموا سيرا على الأقدام ، عبر مئات الأميال ليحيوا الثورة وقائدها .

وفتحت النافذة لأرى لأول مرة فى حياتى جمعا كبيرا من أهل اليمن ، كلهم يهتفون بحياة الثورة وبسقوط أسرة حميد الدين ، التى أذاقتهم الويل.. وكانت الجموع



من قبائل حاشد وقبائل بكيل التى كان يسميها الإمام « جناحى الإمامة » . نظرا لأهمية القبيلتين ،ولأن أفرادهما ، محاربون مهرة .. ونزلت إلى هؤلاء الذين ساروا مئات الاميال حفاة الاقدام عراة الأجسام ، لا يملكون إلا قليلا مما يستر أجسامهم النحيلة ، ولاحظت أن هناك رجالا لم يقصوا شعر رؤوسهم ولا مرة واحدة طوال عمرهم وكان منظر شعرهم أشبه بالأعشاب البرية الشائكة التى لم تجد من يهذبها ، إنهم يهتفون للثورة ... وهم فى حاجة فعلا للثورة ، وهذا واضح من شعورهم ، ومن أظافرهم كلهم ، التى لم يصل إليها مقص

وتكلم السلال فى الناس، وكان الناس ، ينظرون إليه على أنه نبى أتى بعد طول انتظار ، عيونهم تلمع كأنهم متجهون إلى الكعبة ، ونظرت إلى الاقدام المشققة التى سارت على الأرض الوعرة ، بعضم يلبس (مداسا) فى قدميه ، وبعضهم الآخر يلف قدميه بقطع من القماش ، لم يعد لها لون ، بل إن القماش كان يختفى تحت طبقة كثيفة من الرمال والتراب . وكانت ملابسهم ذات ألوان زاهية ورؤوسهم تغطيها قطع من القماش المختلف الألوان ، وكل واحد منهم يحمل خنجره فى وسطه ، والخنجر معقوف ومستقر فى غمده ، لكن الغمد يحوى أشياء كثيرة غير الخنجر ، إنه يحوى سكينا، وجميع الخطابات التى يتلقاها الانسان طوال حياته، وأوراقه المهمة، وأحيانا قلم حبر ، وأشياء أخرى عديدة، وبعضهم يتمنطق بحزام رصاص فيه خمسين طلقة وحــــول كتفه بندقية طويلة تكاد تكون أثرية ، وحينما تنظر الى أى شخص تستطيع ان تحدد مركزه الاجتماعى بنظرة سريعة الى الخنجر الذى يحمله ، فبعض الخناجر يصل ثمنها إلى ألف ريال ، وأرخص خنجر ثمنه حوالى ستة ريالات،والفارق فى سعر الخنجر يتمثل فى نوع المقبض ، فهو أحيانا من الخشب وأحيانا من عاج الفيل ومطعم بالأحجار الكريمة ، وهكذا فان مظاهر الثراء تكمن فى الخنجر الذى يحمله الإنسان

وسألت : أين أكل هؤلاء الناس طوال الطريق الشاق الذى قطعوه ؟ ، وكانت الإجابة : هى التعجب من السؤال ذاته ، وببساطة ليس هناك مشكلة فى الطعام ، حفنة من الدقيق ، سواء أكان دقيق القمح ، أو دقيق الذرة ، ومعها بعض حبات من الزبيب ، وانتهى طعام اليوم ، الفطور والغداء والعشاء ، ويتناول الرجل طعامه فى دقائق أثناء سيره ، والعملية بسيطه جدا ، كمية من الدقيق والزبيب فى راحة

يده ، يقذفها إلى فه ويبتلعها كما هى ، هكذا يعيشون ،ولو وضع أى شخص كمية من الدقيق فى شاله وحملها خلف ظهره ، فإنه بهذه الكمية ، يستطيع أن يعيش شهراً ، فهم لا يأكلون كثيرا

وتركت هذا المكان ، وقد تبخرت معظم الاسئلة التى كانت فى رأسى . . ومرة ثانية ، صعدت الدرج الى السلال .. وفى صنعاء يشعر الانسان بالتعب بسرعه،لأنها مرتفعة كثيرا عن البحر، فارتفاعها يبلغ ۷۲۰۰ قدم ،حيث يقل الضغط وتقل كمية الاوكسجين .. والإنسان الذى لم يعتد هذا الضغط المنخفض يشعر بالتعب بسرعه .. وأحيانا ينزف الدم من أنفه .. وقد حدث لى هذا فى أول رحلة الى اليمن .. ولكن فى الرحلات التالية ، كنت قد تعودت على الارتفاع ..

ذهبت الى السلال وكان يلبس ملابسه الرسمية . . . ويضـــع على لباس الرأس علامات الجمهورية العربية المتحدة .. لأنهم لم يكونوا قد صمموا بعد العلامات العسكرية بجمهورية اليمن.. ولأن السلال كان يرفض أن يضع على رأسه علامات عهد الامام .. وكان اللقاء عاطفيا ومثيرا .. وعلمت ، قبل أن أجلس معه ، أنه اشترك فى ثورة عبد الله بن الوزير ، وأنه سجن فى حجة ،وكان معه احمد الثلايا والجائفى..وقد كنت أول من علم أن السلال كان واحدا من الذين وضعوا التخطيط لقتل الامام احمد فى الحديدة ، لكن أحدا لم يعلم بذلك يومها...ولهذا لم يقتلوا السلال ... وكان يعمل أيامها بميناء الحديدة.. وانكمشت أسئلتى ،لأنى اقتنعت أنه يجب ألا أقدم سؤالا واحدا ، إلا بعد أن أعيش فى اليمن ، وأدرسها على الطبيعة ، وبعدها أكون قادرا على اختيار السؤال . .

وقررت أن يكون موضوعى مع المشير السلال ، حول الثورةوكيف قامت .. وكانت المفاجأة ، ان السلال يرفض رواية القصة ، ويرفض ذكر الأسماء.. ولم أعلم الا بعدزمن طويل،أن امتناع السلال عن الكلام، لم يكن إلا من باب الاحتياط،فقد عاش خمس ثورات ،كتب لها الفشل جميعها ، وهذه الثورة لم تمر عليها الا بضعة أيام .. والثورات الأخرى لم يقض عليها فى يوم وليلة .. إنما عاشت أياما طـــويلة .

وهكذا عرفت أن السلال يريد الاحتفاظ بالأسماء ... الأسماء النواة ... وكان هذا هو سره الذى لا يريد أن يفضى به لأحد . . . وكان معنى عدم حصولى على شىء ، هو شعورى بالفشل .. فأنا فى منطقة الأحداث،وأجلس مع زعيم ثورة،ولاأحصل على شىء ، وفجأة تبادر إلى ذهنى سؤال ،قلت للسلال : ألم تشعر أن الله كان معك خلال لحظات الثورة ، خلال الظلام والسواد وأنت قادم الى المجهول .. ولا تعلم هل يستقر رأسك على جسدك طويلا ؟.

قال لى الرجل ... لقد شعرت ان الله كان معنا جميعا أكثر من أى وقت مضى فمنذ اللحظة التى حررت فيها وصيتى فى حالة حدوث شىء لى ... أحسست بأن الله أمامى .. وسألته : وماذا كتبت فىوصيتك؟ قال لى كلها أشياء خاصة ،كان فيها لائحة بما على من ديون ، ورجاء لأولادى من بعدى أن يكونوا خداما أمناء للوطن ، وألا يصدقوا مايسمعونه عن أبيهم ، وأنى أموت من أجل الشعب . وقد عملت بالمثل القائل ، أطلب الموت ، توهب لك الحياة

وكانت أول مشكلة خطيرة تواجه الثورة ، هى انقطاع جميع وسائل المواصلات وتعطلها ، لذلك لم أستطع الاتصال بالضباط الاحرار وكان الطريق بينى وبين القيادة مقطوعا ، لكنى استطعت الاتصال بالرئيس حسين الدافعى وبالملازم الشهيد صالح الرحبي ووصلت مصفحة وفيها أربعة ضباط واستطعنا الوصول الى قيادتى ، وكانت كلمة سر الليل ،ثورة

وأسمح لنفسى الآن وبعد أن رسخت أقدام الثورة اليمنية أن أحكى اللحظات المثيرة الأولى التى عبرتها ثورة اليمن، فقد ساعد على تحديد يوم الثورة، عامل هام ،هو أن البدر أعطى أوامره بتجهيز ثلاث دبابات ، وتسليم كل دبابة ثلاث قنابل للقيام بحراسة صنعـــاء ،استعدادا لوصول عمه الحسن، الذى كان مبعدا فى أمريكا ويتطلع الى الإمامة

وكان الثوار قد أخذوا قرارهم ببدء الثورة ، وكان محددا لها أن تقوم قبل ذلك فى تعز ، حيث الامام احمد ، ولكن موت الامام فجأة ، أوقف جميع الترتيبات لأن الثورة الجديدة ، يجب أن تكون فى صنعاء وليس فى تعز ، فصنعاء هى العـــاصمة

الجديدة ،عاصمة البدر، وهذا الأمر لا يمكن أن يتم بسهولة...وفى اللحظة التى تسلم فيها الملازم على عبد المغنى القنابل الثلاث فكر فى الأمر ، واجتمع مع زميليه قائدى الدبابتين الآخريين وقال لهما : والله لن تتأتى لنا فرصة أخرى ، طول العمر كهذه الفرصة،إذ لا يستطيع أحد أن يتصور أن يسمح الامام فى أى ظرف آخر بوجود ثلاث دبابات،وفى كل دبابة ثلاث قنابل جاهزة للعمل ،ومن حسن الحظ كان الضابطان الآخران من الضباط الاحرار ، وقد اتفقوا جميعا على أن هذا هو الوقت المناسب للثورة ضد الامام ، وضد اسرة حميد الدين

واتصل على عبد المغنى بالسلال وشرح له الموقف .. وتقديره للظروف .. وقال له السلال .. هذه هى فرصة العمر .. تحرك الآن .. لا تضع وقتا ... وأثناء تحرك الدبابات الثلاث ، كان هناك ضابط رابع قد استمع لبداية قصة الثورة .. فقال لهم أنا معكم ، ودبابتى تستطيع السير ... حقيقة ليس معى ذخيرة . . ولا حتى ذخيرة لرشاش الدبابة .. ولكن منظر أربع دبابات يخيف أكثر من منظر ثلاث دبابات.. واكتشف على عبد المغنى أن الدبابات جميعا ليس بها أجهزة تصويب، الأمر الذى يصعب معه أن يكون الضرب دقيقا ... وفكر على عبد المغنى قليلا قبل أن يقول للجميع .. ولكن ثمة طريقة أخرى .. اذا نظرنا من خلال فوهة المدفع ووجدنا القصر أمامنا ،ثبتنا الفوهة بحيث لا تتحرك ،ثم وضعنا القنبلة وأطلقناها، إن القنبلة فى مثل هذه الحالة،لابد من أن تصيب الهدف ... وكانت هذه هى أعجب طريقة لإطلاق نيران الدبابات ... وزحفت الدبابات الثلاث لتطلق جميع نيرانها ... القنابل التسع على القصر .. قصر البشائر حيث يوجد البدر ..

وهنا تبدأ عوامل الإثارة .. كان الزحف قد بدأ مع الغـــروب . . . وكانت الذخيرة ضرورية .. فبدأ السلال يعمل للحصول على كمية من الذخيرة ، تكفى لتغطية الموقف المتأزم ... وكان السلال يعرف أن مستودع الذخيرة فى جبل نقم .. وكان يعرف أن الوصول اليه يحتاج الى ثلاث ساعات على الأقل،حتى يصعد الجمل الى هناك ومثلها فى العودة .. ولا يمكن لأية سيارة أن تسير على الطريق . . . هكذا كان

تخطيط الإمام حتى لاتقوم ثورة ضده ... ولم يكن ثمة بد مما ليس منه بد ، وانطلقت القوافل لتأتى بالذخيرة للثوار ..

ومرت ساعات رهيبة مضنيـــة .. وأرسل البدر رسالة للسلال يقول فيها : إنه يعفو عن جميع الضباط المشتركين.. ويوافق على جميع مطالبهم،ولكنه ليس على استعداد للتنازل عن الحكم .. وفى هذه اللحظة .. وكان الظلام مخيما ولا أحد يعلم على وجه التأكيد هل ستصل الذخيرة من الجبـــل أم لا ؟

اتخذ السلال قراره .. مزق رسالة البدر .. وقال .. إنها الثورة .. إن أرواحنا ملك الشعب .. وإن الله وحده هو الذى يحدد متى تنتهى حياة الإنسان ..



وشعر البـــدر أن الدنيا كلها ضده ، والمدينة كلها ثائرة .. أو على الأقـــل ، ان واحدا من الناس لا يريد أن يقف الى جواره ... فهرع الى خزانته وأخذ منها ملابس امرأة فارتداها ، ومن باب خلفى لقصر البشائر اختفى فى الظلام .. ومع بزوغ الفجر كانت الذخيرة قد وصلت ، وبدأت الثورة تشـــدد حراستها على مداخل صنعاء ... ولكن البدر كان قد ابتلعه الليل



وحاولت بعد ذلك أن أرى البطل اليمنى على عبد المغنى ، المقاتل الذى أطلق أول قنبلة على قصر البشائر ، ولكن إرادة الله كانت أسرع منى ، فنى اليوم الذى كنت أنتظر لقاءه فيه ، سمعت خبر استشهاده ، لقد استشهد أثناء القتال مع المتسللين ، ومات على عبد المغنى لكن الثورة عاشت

ومرة ثانية أعود الى حديث السلال عن لحظات الثورة الاولى

قال السلال :

وهناك شددنا الضرب ، وأصدرت تعليماتى بالقبض على المجرمين أعداء الشعب وكان أولهم رئيس الاستئناف يحي الشارى، وأمرت بإطلاق الرصاص عليه ، عقابا على ماعاث طوال حياته فى اليمن من طغيان وفساد ، وكانت الرصاصة التى سددت اليه أول رصاصة تطلق على مجرم لئيم ، وأعدم من سبق أن حكم عليهم الشعب بالإعدام أمثال حسن ابراهيم ، عميل الاستعمار ، وعبد الرحمن ابو طالب ويحي عبد القادر نائب الحديدة ، ومحمد عبد الملك نائب حجة ومحمود الوشلى نائب تعز ، فقد كان هؤلاء نواب الامام ، فى الاماكن الحساسة . وكانوا أيضا رؤوس الشر ، وفى الأيام الأخيرة كان

الى جانب البدر شخص لئيم مكروه ، اسمه العميد يحي حرزى ، وقد وصل لاجئا اسميا من لحج، وبمرور الايام تكشفت حقيقته ، اذ علمنا انه يعمل لصالح المخابرات البريطانيـــة ، وكان يحقـد على الاحرار ، ويشي بهم ، وكان دائما يشكك البدر فى نواياى، ويختلق الكثير مستعينا بمكره وخبثه ، وقد حاول الدفاع عن البدر . وفر معه ، ولكن أمكن تنفيذ حكم الاعدام فيه وهو فى حجة

وقال السلال أيضا ان السبب المباشر لقيام الثورة فجأة ، هو أنه ظهر ،ان لدى البدر مخططا ،للإطاحة بجميع الضباط الاحرار، ولهذا قررنا أن نضرب ضربتنا فورا

وقطع حديثى مع السلال شخص يحمل فى يده ورقة، وهم يكتبون على أوراق رفيعة جدا وطويلة جـدا ، ولذلك فسطور الكتابة دائمـا قصيرة ، وكان صاحب الطلب ، يرجو وساطة لتعيين أحد أقاربه فى مكان ما ... وسمعت السلال يقول له :

اسمـع نحن جئنا لنقضى على الوساطات والرشاوى التى كانت أسرة حميـد الدين تمـارسها ، اننا لسنا خلفاء حميد الدين

وشعرت أننا على أبواب ثورة حقيقية ، لهـا أهداف ولهـا مثل

وتركت الزعيم الذى وضعه الإمام احمد فى السجن سبع سنوات بعـد ثورة سنة ١٩٤٨ وأعنى سجن حجة الشهير، هذا عدا عامين قضاهما فى سجن صنعاء، وسأحاول أن أعطى القارىء فكرة عن سجن حجة ، أكثر السجون العـالم رهبة وقسوة ،

السجن

ولم يكن من عادة الإمام أن يحكم على أى شخص بالسجن لمدة معينة .. إنما كان يكتفى بالقول : « ضعوه فى السجن » ويدخل الرجل السجن .. ويبقى فيه إلى ماشاء الامام .. لأن خروجه منه متروك للظروف وللإمام .. فهو حينما يتذكره يفصل فى أمره .. وقد لايتذكره على الإطلاق حتى يموت .. وقد تكون الجريمة تافهة أو لاتكون ثمة جريمة على الإطلاق .. مجرد شبهة فقط !..

ولسجن حجة نظام غريب.. فلا حجرات فيه .. ولكن حفرة فى الأرض عميقة يبلغ عمقها أكثر من متر .. وفى طرف من هذه الحفرة يوجد وتد مدقوق فى الأرض، يشد إليه السجين بسلسلة من الحديد، تربط بقدميه.. يضاف اليها سلسلة أخرى ذات ثلاث حلقات مستطيلة .. وكلما ازداد العقاب نقص عدد الحلقات ، لكى يحد من حركة السجين، وفى هذه الحفرة يقضى الانسان حياته .. ويقضى أيضا حاجته .. وفيها يأكل.. وطعامه عبارة عن قطعة من الخبز، تلقى على طرف الحفرة من أعلى، ثم يأتى الحارس ويقذفها بقدمه قائلا : الطعام ..

ثم بعد ذلك على الانسان أن يأكل !! وإذا حاول السجين الحركة داخل قيوده وهو داخل الحفرة اللعينة تعذر عليه ذلك، لأن الحركة محددة بحدود الحفرة الضيقة من جهة ، وبالسلاسل ذات الحلقات من جهة أخرى .. ثم لاتلبث الأغلال ، أن تترك بصماتها على قدمى السجين .. هذا إذا لم يصب بجراح .. ولم تتقيح الجراح دون أن يتاح لها أى علاج .. وليس ثمة داع للسؤال عن صحة السجين ، فليس هناك من يهتم بمرضه ولا حتى بموته .. وهو إذا مات يحرم من الدفن إلا بأمر شخصى من الإمام وفى انتظار الأمر، لايهم أحد أن تنتفخ الجثة، وأن تنتشر رائحتها بين باقى المسجونين.

فى هذا الظلام .. وهذا العذاب ولد الثوار .. وفيه أيضا مات ثوار...دون أن يحس بهم أحد ، أو يشعر بهم أحد ..

الإعـــدام

وللعقوبة فى اليمن مظهران ، إما الإعدام بالسيف،أو السجن ، وقد عجبت عجبا شديدا ، حينما رأيت النـــاس يفضلون عقوبة الإعدام على السجن ، بل هم يعتبرون الإعدام شرفا وحظا يأتيهم من السماء .. أما السجن فإهانة وعذاب مقيم .

وقد رأيت أحد مناظر الإعدام بحد السيف.. وكنت أتصور أن المحكوم عليه بالإعدام سيأتى، والجنود حوله، يقدمونه إلى الجلاد .وهو يحاول التخلص ، لعله يطيل

عمره بعض الوقت.. لكن الأمر يختلف عن ذلك تمام الاختلاف .. كان تنفيذ الحكم فى ساحة..حتى يشهد الناس — كل الناس — كيف يتم الإعدام .. واجتمعت الجماهير حول الساحة .. ومن بين الجماهير ظهر المحكوم عليه بالإعدام.. وكان سبب الحكم جريمة خلقية ، كان المتهم يسير على قدميه ، دون أن يحاول أحد أن يمسك بذراعه وببساطة ،بكل بساطة، ركع على ركبتيه وخفض رأسه حتى يجعله فى الوضع المناسب للسياف ، وقد تفرست فى وجهه فهالنى ، أنه لم تظهر عليه علامة واحدة من علامات الجزع ، بل كان منظره أشبه بمنظر عريس فى ليلة عرسه ، وفى ثوان كان السيف فى طريقه إلى رقبة الرجل ، ففصل رأسه عن جسده !!، وتطلعت إلى وجوه الناس فما وجدتهم يبالون بشىء .. هكذا تعودوا .. وهم يعلمون جميعا،أن الموت بالسيف أشد رحمة ألف مرة من السجن .. وأصبحت هذه العقيدة إيمانا ، بعد ألوف الأمثلة التى رأوها فى السجون !!.

وحينما يقتل شخص يعلق رأسه على باب اليمن . ويأتى الناس لمشاهدته .. وقد يعلق جسده بالكامل .. والمنظر بهذا الوضع ، لايثير شيئا على الإطلاق .. بل قد يحضر أحد المتفرجين ليطفىء فى عين القتيل سيجارة .. ويظل هكذا عدة أيام.

ولكى يفرض الإمام الرعب ، على الناس، لم يكن يكتفى بذلك ، بل كان يأمر بإرسال الخيول لتدوس على جثة القتيل .. حول سور صنعاء .. وبالرغم من هذا كله ، كانت حياة السجن أشد هولا وقسوة من القتل بالسيف ..

الرهائن والخطـــاط

وبالإضافة إلى عقوبة السجن كانت هنالك أيضا عقوبة الرهينة ، فلم يكن الإمام يطمئن إلى أحد على الإطلاق ، ولكى يضمن ولاء القبائل له، كان يأخذ من كل قبيلة أقرب أقارب شيخها .. واحداً أو اثنين أو عشرة حسب عدد كل قبيلة .. ومن شروط الفتى الرهينة أن يكون صغير السن .. لأنه إذا كان رجلا سهل على أهله أن يعتبروه وكأنه قد مات فى الحرب والقتال .. ولكن الطفل الصغير ماذنبه ؟. أما

حينما يكبر الطفل ، فلا مانع لدى الامام من استبداله بآخر صغير السن .. وحينما يموت أيضا ، لا يمكن أن يسلم الامام جثمانه إلى أهله ، إلا إذا بعثوا اليه برهينة جديدة ولم يكن الإمام يهدف بأسلوب الرهائن إلى الضغط على القبائل ، وضمان عدم ثورتها فقط ، إنما كان يريد أن يتلف أخلاق أولئك الذين سيكونون يوما شيوخ قبائلهم ففي سجون الرهائن .. كانت تحدث أشياء كثيرة .. أشد هولا وقذارة من أن توصف ، ليضمن الإمام أن الأطفال قد انهارت شخصيتهم تماما ، وأنهم سيكونون شيوخا ضعافا لا يستطيع أحد منهم أن يرفع رأسه أمامه ..

وبالرغم من هذا ، لم يكن الإمام مسئولا عن إطعام الرهائن بل كان أهل كل طفل ، هم المسئولين عن اطعامه ، وإرسال المال والملابس له ..

وقد حدث أن وقف بعض القبائل ضد الإمام .. والذى حدث يومها أن الإمام قطع رؤوس جميع رهائنها .. أمام رهائن القبائل الأخرى ، حتى يخاف الأطفال ويخبروا أهلهم .. ثم أرسل الرؤوس إلى القبائل الثائرة .. ولكن هل ينتهى الأمر عند هذا الحد ؟ .. أبدا .. إن الإمام يطلب رهائن جديدة .. وبديهى أن يتساءل الإنسان ولكن لماذا يقدمون رهائن جديدة ؟ وهم يعلمون مصير رهائنهم ، لاسيما إذا كانوا فى حالة تمرد .. وقد فقدوا مالدى الامام من رهائن ؟ والجواب يكمن فى كلمة صغيرة .. « الخطاط » .. !! وهم يقولون إن الخطاط هو حق الإمام .. والإمام يقول إنه حق الله .. ولكن ماهو الخطاط ، أو التخطيط .. أو التخطية ؟ . القصـــة ببساطة : أن الامام من حقه — لأنه امام المسلمين ! ! — أن يبيح أرض قبيلة ما .. أو مدينة ما ، لقبيلة أخرى ، وبالطبع ليس فى الإسلام شىء من هذا ، بل إن هذا العمل يتعارض وتعاليم الاسلام ، ومعنى الاباحة هنا ، هو أن الامام يسمح للقبيلة بسلب ما تملكه القبيلة الأخرى ، وبعد هذا السماح أوهذا التصريح ، تجمع القبيلة المصرح لها بالخطاط مقاتليها وتتوجه لمهاجمة القبيلة المجاورة ، وتدخل ديارها وتسلب كل شىء يمكن أن يكون له ثمن ، وقد يكون هذا الشىء دجاجة أو حتى بيضة .. كل شىء يمكن أن يكون له ثمن مقبض باب أو وسادة ، أوجمل ، ويصل الخطاط إلى النساء والأطفال ، فهؤلاء يمكن سلبهم أيضا ، وبهذا تضرب الذلة على الذين تم الخطاط ضدهم .. ويسكن الغزاة

فى منازل القبيلة المغزوة . ويعيشون فى البيوت مع النساء ، ولا يسمحون لرجال المنزل- إذا ما بقى أحد منهم على قيد الحياة -بالصعود إلى بيته طوال وجودهم فيه . بل إن المهزوم يبدل وضع خنجره ، فبدلا من أن يضع الخنجر على بطنه يضعه خلف ظهره زيادة فى الإذلال ، ويقوم بالأعمال المنزلية مثل طحن القمح وعجين الدقيق وخبزه وتقديمه ساخنا للغزاة الجدد ..



وقد حدث فى إحدى مرات التخطية أن دخل أحد الغـزاة إلى منزل وكان فيه سيدة تلد .. وباعتبار الغزاة لايعرفون الانسانية ولا الرحمة .. لذلك نزع الغازى البساط من تحت جسدها .. باعتبار أن للبساط ثمناً .وأخـذه ومضى .. وليس فى وسع أى انسان أن يحتج ، فإن هذا هو حق الامام .. حق الله !!

ولـكن ألا يحدث أن تنتصر القبيلة التى تتعرض للهجوم أو الغزو ؟ الواقع أن هذا لم يحدث،فالإمام أشد دهاء من أن يترك الأمور رهن الظروف، والمفاجآت، فهو يختار دائماً قبيلة قوية ، بالإضافة إلى أن عنصر المفاجأة يكون فى جانب الغـزاة .. ويحدث أثناء الغزو ، أن يحاول بعض الناس الفرار إلى الجبال ، ومعهم ادخار عمرهم حتى يعود الغزاة إلى بلادهم فيضعف هذا من قوة القبيلة المغزوة . وهناك قبائل متخصصة فى الخطاط .. وهذه القبائل تفضل الخطاط على الحرب .. لأن أرباحه أكثر بكثير من أرباح الحرب .

وحدث مرة أن ذهب عامل الامام إلى مأرب يطلب الضريبة، وهى ما يسمونه : « العشور » ولـكن العشور كانت أيامها مرتفعة للغاية ، والامام يأخذ الضريبة على كل شىء ، حتى الدجاج والخراف ،إن أى منزل يملك عشر دجاجات يجب أن يدفع إلى

مندوب الامام دجاجة، أى عشر ما يملك، وكذلك فيما يتعلق بالبيض، أو أى شىء آخر. ويقوم بتقدير العشور مخمن .. وهو يخمن الضريبة بالنسبة لكل شخص. وفى التخمين دائماً مبالغة شديدة قد تصل أحياناً إلى أكثر من النصف. حتى أن بعض القبائل امتنع نهائياً عن زراعة الأرض حتى لا يدفع العشور .. فالمزارعون يعرفون أن زبانية الامام لا يكتفون بالعشور، بل إن تخمينهم يصل إلى حد الاستيلاء على إنتاج الأرض بكامله، فلا يبقى لهم شىء فلماذا إذن يزرعون ويحصدون ويتعبون .

أقول ذهب المخمن إلى مأرب، فواجه رفض الناس دفع العشور ! ولكن ماذا يفعل الامام لإخضاع المنطقة ؟ .. إنه لا يملك جيشاً نظامياً قادراً على التحرك إلى مأرب عبر طرق وعرة غير سالكة ... إذن الحل الوحيد فى مثل هذه الحالة هو الخطاط ..

وأحضر الإمام أحمد، أحد شيوخ القبائل .. وقال له: أريد أن أحكى لك قصة.. فأنت صديق عمرى .. والناس فى مأرب يغارون من علاقتى بك .. ومن حبى لك ولقبيلتك . لذلك رفضوا أن يدفعوا العشور هذا العام .. هل يرضيك هذا ياشيخ وبالطبع لم يرض هذا التصرف الشيخ العربى .. ذا الخلق العربى .. واستغل الامام



الفرصة، وقال: والله لن يجعلهم ينصاعون ويؤمنون بالله وبحكمته، إلا الخطاط.. وأنا من رأيى أن أبيع لك مأرب هذا العام .. وتحولت الجلسة إلى جلسة مساومة مثل المزاد .. ولكن المزايد طرف واحد .. وعرض الشيخ خمسة آلاف ريال ثمناً لمأرب، فرفض الامام. قائلا : حرام عليك ... مأرب جزء من بلدى.. جزء من قلبى أبيعها بخمسة آلاف ريال .. مأرب غنية .. فيها منازل كثيرة وعمارات ضخمة

وفيها أعظـم تجارة ملح ، ولدى سكانها جمال وخيول .. مأرب يارجل بخمسة آلاف ريال ؟! وكان أن ارتفع سعر مأرب التى هى قطعة من قلب الامام إلى عشرين ألف ريال .. على أن يـكون البيع لمدة عام واحد ، يبدأ من الهلال وينتهى معه فى الشهر نفسه من السنة المقبلة .

ولم تمر أيام حتى كانت جيوش الخطاط فى طـــريقها إلى مأرب ، والرصاص يتطاير فى الهواء .. والخناجر تلمع وأصوات الغزاة تغطى المدينة كلها . وفى يوم وليلة ، تحولت المدينة إلى خراب .. هيكل حجرى . فى وسط الصحراء يحدد موقع مدينة ، من أقدم مدن اليمن عاشت فى ظلال حضارة من أعظم حضارات التاريخ .. ظلال حضارة سبأ .. إن قصر سبأ ذاته نهبوه ، ولم يتركوا فيه بابا أو نافذة أما المنازل فلم يتركوا فيها قطعة خبز تقتات منها المدينة المسلوبة الجائعة .

وسقطت المدينة الجريحة .. تحت أقدام الغزاة .. ودماؤها تنزف .. ومات من مات ، أما الذين عاشوا .. فقد حاولوا أن يبنوا من جديد .. بعـد أن هجر الغزاة أطلال المدينة . إنهم لايحبون البقاء فى المدن.. إنهم يحبون حياةالجبال .ولا يريدون أيضا البقاء حتى لاتربطهـم أية عاطفة انسانية بأى منأهل المدينة .

ومر عام .. وكل من نهب له باب وضع آخر مكانه .. وكل من نهبت له وسادة أو فراش حاول تعويضها .. والبيض أصبح دجاجا .. والمدينة بدأت تبنى من جديد إنه اليومالأخير فى السنةالمنحوسة .. وفى نفس اليوم .. ومرة ثانية ... كانت المدينة عرضةللخطاط..إنه آخر يوم منحق الشيخ الذى اشترى مأرب.. ومرة ثانيةطافت الغربان تمتص جراح المدينة. ودماء الذين حاولوا الدفاع عنها، والتصدى لأمر الامام

ولم يمر زمان طويل ..

رسول الإمام قادم ..

يا أهل مأرب إن الامام يريد العشور .. وقد أرسـل المخمن .. هل تدفعـون العشور هذا العام ؟ ... ولم يقل الرجل وإلا.. إن الجمـــيع يعلمون .. ودفعت مأرب العشور .

إن القصة لم تنته ..

إن النهاية أكثر غرابة .. هل يترك الإمام الشيخ الذى اشترى مأرب ؟ لقد أغتنت قبيلته من الخطاط على المدينة وقويت، وزاد سلاحها، فمن يضمن ألا يستخدم هذا السلاح ضد الامام ولو بعد حين .. إن كل انسان يشعر بدرجة ولو يسيرة من القوة ، أو عزة النفس، لابد من أن يثور ضد الامام ، والنصر يزيد الشعور بالقوة وبعزة النفس .. والحل يعرفه الإمام .. إنه يعرفه منذ أن باع مأرب .. لقد استخدم الامام حقه .. حق الله .. وفى وسعه أن يستخدم هذا الحق مرة أخرى ! وكان أن باع الامام الشيخ الذى اشترى مأرب وقبيلته إلى قبيلة أخرى .. وهكذا كان الامام يحكم .. وكان على الجميع أن يرسلوا مرة ثانية مجموعة من الرهائن ؛ أما أين ذهبت المجموعة السابقة ؟. فهو حق الله ، كما يقول الامام !

القـــــــات

ولم يكن الإمام يحكم اليمن بهذه الأساليب فقط ، وإنما كانت له أساليب أخرى وعلى رأسها نبات القات ، وشجرة القات فى حجم شجرة الخوخ ، أو شجرة المشمش الصغيرة . والذى يستعمل منها هو الأوراق الصغيرة..وأوراق القات ، مثل أوراق الملوخية ، وهى لاتؤكل، بل يحتفظ بها فى الفم ، ويسمون هذه العملية ، التخزين .. أى أن الإنسان يضع القات فى فمه بين أسنانه وخده ، مدة من الزمن بعد مضغه حتى يسيح كل مافيه من سائل ،وينزل جوفه مع لعابه، ويبقى فى الفم هشيم الأوراق الجافة، فيبصقه فى مبصقة خاصة ، يضعها عادة إلى جواره .. وإلى جواره أيضا على الجانب الآخر،قدر فيه ماء ، لأن تخزين القات ، يرغم الانسان على شرب كمية كبيرة من المياه وللقات طعم مر نسبيا .. وتستطيع أن تتعرف على الانسان ، وهو فى حالة التخزين بسرعة ، لوجود بروز فى أحد خديه .. وبالطبع كل إنسان يخزن فى جانب واحد من فمه،ماعدا الامام أحمد، الذى كان يخزن القات فى الجانبين ،وهى كفاءة نادرة كما يبدو!! ويحتاج تخزين القات ،إلى وقت غير قصير، إذ تبدأ العملية من بعد الظهر حتى المساء

وتوجد عادة حلقات للقات فى المنازل ، ويتم ذلك عادة فى غرفة يسمونها المنظر وهى مثل « المقعد » عندنا .. وحجرة المنظر، هى أكثر الحجرات رفاهية ، فحول جدرانها من جميع الجوانب عدد كبير من الوسائد والطنافس للجلوس عليها ، وهى غالبا تطل على منظر جميل يكشف عن الجبل ، القابع أمام المنزل ، كما أن فيها حائطا كاملا ، من الزجاج الملون والمزخرف بأشكال جميلة ..

والذين يستعملون القات ، لا يأكلون كثيراً ، فهو يقلل إلى حد كبير من كمية الأكل اللازمة للانسان . وحزمة القات الصغيرة لاتزيد عن حجم نصف رطل من الملوخية، لكن سعرها يصل إلى ريال، وهذا يعنى أن اليمنى ، ينفق أكثر من نصف دخله على القات .. وهم هناك لايخزنون إلا الأوراق الصغيرة جدا ، فى مقدمة الفروع أما الأوراق الكبيرة الغليظة فيهملونها. الا إذا كانوا فقراء، وتستطيع أن تكتشف ثروة الرجل الذى يخزن القات ومقدار غناه من أسلوبه فى التخزين ..

إن الأغنياء يختارون ثلاث أو أربع ورقات من كل فرع من الفروع ، ويلقون بالباقى ، وكلما ازداد الرجل فقرا كلما ازداد استخدامه للأوراق السفلى ، وهكذا . وكنت أتصور أن كل إنسان فى اليمن يستعمل القات ، ولكن بعد عدة رحلات إلى أماكن عديدة، اكتشفت أن القات منتشر فى المدن أكثر منه بين القبائل، بل إن هناك قبائل كاملة لايستعمل واحد من أفرادها القات ، مثل قبائل خولان .. وقد حاولت أن أعرف تأثير القات على وجه الدقة منذ وصولى إلى اليمن ، فتبين لى أن تأثيره يتناول تخدير العضلات ، كما أنه يجعل الدورة الدموية بطيئة للغاية ، وبذلك تقل قدرة الانسان على العمل والحركة ، بينما يكون ذهنه أكثر قدرة على التخيل، مثل الانسان وهو تحت تأثير البنج .. وتبعا لتخدير العضلات فإن هناك حالة خاصة، تحدث للشباب الذين يبدأون التخزين، وهى حالة الانزال الجنسى،ولو أن الشخص، لايشعر بمتعة كاملة وكلما خزن ازدادت مظاهر هذه الحاله . ولما كان التخزين يتم يوميا ، فإن هذا يعنى أن هناك تأثيرا سيئا على الرجال، وأن كثيرين ممن يستعملون القات ، يفقدون رجولتهم بعد سن الثلاثين

وحينما كان الإمام يحكم اليمن كان يشجع زراعة القات واستعماله ، لذا فقد كانت أكثر معارك الثورة شدة ، هى الثورة ضد القات ، وكان يبدو فى أول أيام الثورة أن من العسير إلغاء القات لاسيما ، أن الإلغاء بقانون أمر صعب ، ولكن سأحاول إعطاء فكرة عن تطور التخزين بعد الثورة حتى الآن ، ففى بداية الثورة دارت مناقشات كثيرة حول هذا الموضوع ،وقد استمعت مرة إلى مناقشة بين جندى مصرى وشاب يمنى يخزن القات ، وقال الجندى : لماذا تخزنون ، وكان الرد: هذا عظيم ! هذا هو سعادة اليمن إنه أجمل شئ فى الدنيا ! وإن أحدا لايستطيع أن يعيش بدونه واعترض الجندى قائلا ، نحن نعيش بدون القات وكما ترى صحتنا جيدة قال الرجل السبب أنه ليس عندكم قات فى مصر ولو كان عندكم لخزنتم ، وبالمناسبة أسنان الرجل الذى يستعمل القات تتلف بسرعة ، ويتكون عليها ـ وحول فمه أثناء التخزين ـ طبقة خضراء شكلها منفر ، تبعث على التقزز

ومرت شهور وذهبت الى سوق القات لا لأشاهد حركة البيع والشراء وإنما لأرى مدى قدرة الناس على الابتعاد عن القات ، وبتغاب بالغ ، توجهت الى واحد من المشترين وقلت له ما هذا ؟ قال لى هذا هو القات ، وقلت : بكم هذه الحزمة قال ثمنها ريال ، هل هو جميل ؟؟ هذا سم اليمنى والله . هذا هو السم الذى سببه تأخرنا . قلت له لماذا تشتريه . قال لى : الله يخلصنا منه . وفى آخر مرة ذهبت فيها الى اليمن علمت أن كثيرين استطاعوا الاقلاع عن عادة التخزين لأول مرة فى حياتهم وقد قالوا لى :إنهم يشعرون الآن بصحة لم يشعروا بها من قبل . وفوجئت بأن هناك أناسا بدأوا التخلص من القات تدريجيا ، وأن هناك آخرين تركوه نهائيا ، لكنهم حتى الآن ليسو أغلبية . وعلى أى حال فقد بدأ الناس يسيرون فى الطريق ، وهذه بداية مشجعة

ومشكلة القات متعددة الجوانب، فهو أكثر المزروعات ربحا، بل إن ربح فدان القات يصل سنويا ، إلى أكثر من ألف جنيه . ويمكن الاستفادة من الأشجار بعد زراعتها بثلاث سنوات على الأكثر ،ولذلك فالذين يزرعون القات لا يمكن أن يقلعوا عن زراعته إلا إذا امتنع الناس عن شرائه ، وقد شجع الإمام زراعة القات ، ووجد

الناس أنه أكثر فائدة لهم، لأن انتاج الفدان منه يعادل انتاج خمسة أفدنة من البن، فى حين أن شجرة البن يلزمها خمس سنوات على الأقل لكى تثمر

وهناك مشكلة أخرى، وهى أن كل انتاج البن فى اليمن يصدر الى الخارج، الأمر الذى كان يجعل سعره تحت رحمة الإمام، فقد كان يحدد أسعارا رخيصة لشراء البن من المزارعين ثم يقبض هو الفرق ، وكان له شركاء مثل الجبلى ، وهو محتكر تصدير منتجات اليمن والجبلى هو الذى كان يحدد السعر فيعتمده الإمام ، ومن ثم يأخذ عمولته ، اما القات فيزرع محليا ، ولا تستطيع الحكومة التدخل فى تحديد السعر . وقد انتشر القات أيضا فى المحميات والحبشة ولا أحد يعلم على وجه التحديد متى ظهر هذا النبات ، إلا أن هناك قصة تقول: إن عنزة كانت تأكل من شجرة قات فظهرت عليها علامات الهدوء وراح صاحبها اليمنى يأكل من نفس الشجرة ، وعلى الأثر اتسع استعمال القات ، وهو يسبب الإمساك لجميع الناس . وبذلك لايخلو واحـــد من الذين يستعملونه من الأمراض المعوية

الحجاب

وكان الإمام يحكم اليمن أيضا (بالحجاب) ولا أقصد حجاب النساء ، وإنما هـو الحجاب المخطوط ، فقد كان الإمام يحمل دائما حجابا خاصا ، وقد عثرت على حجابه بين مخلفاته ، ولم أستطع أن أقاوم فضولى الصحفى ، ففتحت الحجاب العتيد ، وعثرت فى داخل الحجاب على قصة تستحق أن تروى

يسمى الإمام الحجاب « حرز الإحاطة » وهو ينفع ـ كما هو مكتوب فيه ـ فى زواج البنت البائر ، وتسهيل الولادة والمحبة والقبول وتسهيل الارتزاق ، والبيع وهو نافع فى لسع العقرب والثعبان ، وأنواع الهوام كافة، وفيه أيضا العهود السليمانية السبعة التى تحمى صاحبه ، فلا يغلبه غالب ولا يدركه طالب ، ووجدت أيضاً أن الإمام احمد كان يضع حول رقبته بعض قطع الصفيح ، مكتوب عليها ارقام لامعنى لها مثل ٨٢ و ٧٧ و ٨٣ و ٧٩

ولم يكن حجاب الإمام سرامن أسراره ، بل كان شهيرا فى اليمن كلها ، وكانت شهرته قائمةعلى أساس أنه يحميه من ضرب الرصاص ،وأن الرصاص لا يمكن أن يؤثر فيه ، وقد ازداد الناس إيمانا بهذا الموضوع ، بعد إطلاق الرصاص على الإمام فى الحديدة ، وإصابته وعدم وفاته

كل هذه الأمور جعلتنى أبحث حول الشخصية الهامة التى سيطرت على تفكير الإمام ، حتى توصلت اليها ، إنه أحمد حلبى ... منجم الإمام الخاص .. وكان فى تعز فسافرت اليه هناك ، وهو رجل مهيب الطلعة طويل الجسم ، يكاد يكون عملاقا ، وعيونه لها بريق خاص ،وشخصيته قوية وآسرة ، ولكنى معتاد على لقاء النصابين من أمثاله ، ومنذ اللحظة الأولى للقائنا ، حاول التغرير بى ، فقد بادرنى بالقول إنه لا يعلم شيئاً .. وأن الامام احمد رحمه الله كان رجلا عاقلا ... ولكن مستشاريه هم الذين أساءوا اليه .. ولم يكن هذا هو ما أريد أن أعرفه ... لكن لم يكن من السهل أيضاً ، أن أحمله على الكلام .. قلت له : إنى أعرف عنك أكثر مما تتصور .. وأنا أعرف قصة الثلاثين التى لا يعلم أحد عنها شيئاً .. وعندى الدليل ... ، وكان الرجل ذكياً ... فبدأ الكلام مباشرة وبدون توقف ، أو تردد ..

قصة الثلاثين

وقبل أن نستمع الى حديثه ، سأحكى ما هى قصة الثلاثين ؟ . ففى أحد الأيام .. أراد الامام أن يعرف موقف كوكبه منه ، فأرسل فى طلب منجمه الخاص ، احمد حلبى الذى لا يستدعيه عادة إلا فى الأمور الكبار ، وسأله عن حظه ، وعن كوكبه ، فطلب احمد حلبى مهلة أسبوع ، حتى يرى النجوم والطالع ، وهو أمر تعود عليه الإمام .. ولما مر الاسبوع .. ذهب احمد حلبى الى الامام مكفهر الوجه .. صلب القسمات بالغ الحزن ... كأن أمراً خطيراً على وشك الوقوع ... وركع تحت أقدام الامام قائلا .. يا مولاى الأمر خطير .. ان ساعتك قد اقتربت ! .. إنى أرى

النهاية .. وليس هناك غير حل واحد ... ان حياتك مرتبطة ببرج الميزان . وأنت إذا لم تقتل ثلاثين شخصا .. كل يوم تقتل واحداً .. حتى طلوع الهلال الجديد فستواجه أجلك مع بزوغ الهلال .. هكذا يقول الطالع يا مولاى .. كنت أرجو الا أبلغك الحقيقة ، لكنها يامولاى الأمانة التى عهدت الى بها .. ان الوقت ضيق ، ولا مجال لحساب الطالع مرة أخرى ..

ولم يكذب الإمام خبراً .. فقد راح فى كل يوم يخرج انسانا من السجن، ويقطع رأسه .. وظل على هذه الحال، طوال شهر كامل .. ولم يكن مهما، من هو الانسان ولا ما هى الجريمة التى ارتكبها ، بل المهم أن يقتل انسانا كل يوم .. ومر ثلاثون يوما ، وعاش الامام ...

وقال لى احمد حلبى، انه اخترع هذه الحكاية، حتى يستشيره الإمام دائماً، وليثبت له أنه أقدر المنجمين جميعاً .. ولأن الامام كان قد قضى وقتا طويلا ، لم يستشره خلاله.

واعترف لى احمد حلبى ، انه نصاب كبير .. نصب على الإمام أكثر من ثلاثين عاما متواصلة ، وكان الإمام يثق به ثقة عمياء .. وقال انه هو الذى أفتى للإمام بالوحدة ، فلما سأله الامام هل يحقق الاتحاد مع مصر ؟ ذهب واستشار النجوم وقرأ طالع الامام ، وعاد ليقول له : ان نجم عبد الناصر فى صعود .. وأن الوحدة آتية لا ريب فيها ... وقال لى أيضاً ان القصيدة التى هاجم الامام فيها الوحدة لم تكن من نظم الامام ، لأن شعرها ركيك، وقد كان الامام أشعر شعراء عصره، ثم إن الإمام ، دفع ثمنا لها ثلاثين ريالا ... واحمد حلبى هو الذى صنع حجاب الامام وكانت مفاجأة حينما فتحت الحجاب أمامه ورأى ، أنه لزواج البنت البائر ... ولم يكن يتصور يوما أن أحداً يمكن أن يفتح الحجاب، لأن من المشهور أن الحجاب إذا فتح بطل مفعوله ، ولكن من جهة أخرى، أشهد بأن احمد حلبى، قضى مدة طويلة فى رسم حجاب الامام احمد بالألوان المختلفة، وقضى وقتاً طويلا أيضاً، فى جعل كتابته وخطوطه صعبة الحل .. حتى إنى قضيت ليلة كاملة ، أحاول أن أفك أسرار ورموز بعض كلماته ...

وحكى لى أيضاً : أنه كان وسيلة .. مثل الأسد .. قلت له أوضح لى .. فقال : قصة الأسد مشهورة،لقد كان هناك أسد أليف عند الامام، وكان يتعمد عندما يدعو شيوخ القبائل لمقابلته ، أن يتركهم فترة غير قصيرة فى انتظاره وخلال فترة الانتظار يدخل الأسد على المشايخ ، فيصيبهم الهلع طبعاً .. لكن الامام يصل بعد لحظة ليأمر الأسد بالهدوء ، فيجلس مستكيناً تحت قدميه .. هكذا كان يحاول الرجل الذى روض الأسد ، أن يخيف به الناس ، وبذلك كان الامام يزداد رهبة فى نفوس الناس ، لأن الأسد يخاف منه .

وكان الإمام إذا ما أراد التخلص من واحد من شيوخ القبائل ، يدعوه لمقابلته ثم يطلق عليه النار .. ويتعمد أن يطلق رصاصة من بندقية الشيخ ، بعد مصرعه وحينما يحضر الناس ، يقص عليهم القصة ، بطريقة خاصة فيقول : هذا المجنون آمنته وأدخلته منزلى فأطلق على النار .. ألا يعلم أنى محجب ضد الرصاص .. ولذلك قتلته ، وأنا جالس لم أكلف نفسى مشقةالوقوف .. وكان الناس يصدقون ، ما عدا شخصاً واحداً .. هو احمد حلبى ، الرجل الذى صنع الحجاب ذاته ... وقال لى احمد حلبى : ان الامام لم يكن يقدم على أى عمل إلا بإذن منه... ويرددون فى اليمن قصة مشهورة ، ملخصها أن الصين الشعبية اقترحت على اليمن رصف الطريق من الحديدة إلى صنعاء مجانا .. وقد تم رصف الطريق بالفعل ، وبقى من المواد ما يكفى لرصف ٦٠ كيلو متراً أخرى .. فقد كانت التقديرات الأولية ، أكثر مما استهلك فعلا من المواد ، فعرضت البعثة على الإمام ، أن تقوم برصف المسافة الباقية فى شوارع صنعاء أو فى المطار،أو أى مكان يراه الإمام ، واستشار الامام أحمد كبير المستشارين الذى أفتى بالرفض ، وكان تعليله،أن الناس ، لو تعودوا على الحضارة،فانهذا سيشجعهم على الثورة ...

وسألت المنجم الخاص الذى حكم اليمن خلف اسم الامام ، قل لى ماذا تفهم عن الاشتراكية ؟ قال : اسألنى ماذا تفهم عن الإنسانية ، قلت : انا اعرف الجواب .. أجابنى : هل تريد ان اقرأ لك الطالع ... قلت... لست إماما !!

وتركت الرجل يمضي الى مصيره ، بين احتقار الناس وحقدهم ، ونعود الى الرجل الذى حكم اليمن — تحت تأثير القات وحقن المورفين — بيد من حديد ... لقد علمت انه لم يكن فى اليمن شاردة ولا واردة الا ويعلم بها .. حتى انه لم يكن يصرف لتر بنزين لسيارة حكومية . الا بعلم الامام ، ولو طلب واحد من نزلاء بيت الضيافة بطانية ، فإنها لاتصرف له الا بإذن الامام ... وانا لست مبالغا ، ولا مغاليا .

وأضيف انه لم يكن يسمح لاى انسان غير يمنى بالتجول فى المدينة ، الا بأمر الامام ،ولو ذهبت الى هناك،فستنزل فى قصر الضيافه، لانه المكان الوحيد للمبيت بسبب عدم وجود أى نوع من انواع الفنادق ، وهكذا فانت رغم انفك ضيف الامام ،وهذا يعنى، ألا تقضى اى امر او تقوم بأى اتصال، الا بعد مقابلة الامام ، الذى لا يقابلك . عادة ،إلا بعد مرور عدة اسابيع، والويل لك إذا سولت لك نفسك النزول إلى المدينة فإن هذا يعنى شيئا واحدا ، هو طردك من اليمن فى نفس اليوم ، وهناك طرائف كثيرة، حول هذا الموضوع، فقد حدث انجاء إلى اليمن وزير تجارة احدى الدول يحمل هدية شخصية للإمام ، وانتظر الرجل أياما ، لكن الإمام لم يقابله ، فلما عيل صبر الرجل أضرب عن الطعام ،وكذلك أفراد البعثة التى ترافقه،ولما قالوا للإمام أنه أشرف على الهلاك ، استقبلهم لمدة خمس دقائق ...

حــــكايات الإمام

وقد مارس الامام تشجيع التفرقة بين عناصر الشعب ، فهناك الشافعيـــون والزيديون والامام دائماً من الزيود ، وهناك عداوة تقليدية بين الطرفين ، رغم أن الشافعيين ، هم حفدة المطلب،وهو جد بنى هاشم ، جد الزيديين،وكلاهما إبنا عبد مناف

وللطائرات فى اليمن قصة خاصة ، فهى ملك الإمام ، ولا تنقـل إلا أفراد الأسرة المـالكة ، ولو سمح لأفراد الشعب بركوبها ، فبإذن خاص من الإمام شخصياً وبأجر لايقـدر عليه أحد ، والمواصلات سيئة ، إلى حد أن الخطاب من القاهرة إلى صنعاء يستغرق عشرين يوماً للوصول ، وهو عادة لايصل ، لأنه بعد وصوله تحمله دابة من



تعز ، إلى مكان المرسل إليه،وعلى مستلم الخطاب، أن يدفع أجراً لاستلامه ووصول الخطاب له ..

وكان الإمام من جهة أخرى عدو التنظيم ، فهو يفرض الضريبة كما يتراءى له . فمثلا البضائع القادمة من عدن — ومعظم بضائع اليمن تصل عن طريق عدن — يفرض عليها ضريبة، تبلغ قيمتها ٣٠ ٪ إذا وصلت بحراً و١٥ ٪ إذا وصلت براً . ويبدو أن الإمام لم يكن يحب الموانى فقد ترك ميناء الحديدة بدون إصلاح لكى ترسو السفن بعيداً عن الميناء ، فترسل لها الصنادل لنقل حمولتها ، ولما عاد الإمام من ايطاليا أقاموا له جسراً خشبياً تستطيع السفينة أن تقف عنده ثم انتقل بواسطته إلى البر ، لكنه بعد أن عبر الجسر إلى البر كان أول أمر أصدره . هو تدمير هذا الجسر فوراً، لأنه علامة من علامات الحضارة ..! وبالفعل تم تدمير الجسر

والواقع أن الإمام كان قذرا لايقبل الحضارة ... وقد رأيت أبناء اخوته حفاة ،يلبسون جلاليب قذرة وممزقة ، وقد فوجئت لمادخلت مقره الرسمي فى قصر صالة ، وهو القصر الذى كان يعيش فيه دائماً فى تعز .. فلم يكن فيه من القصـــور سوى الاسم ..

وقد كان فى كل حجرة من حجراته ، ثلاجة كهربائية ولكنها تالفة . وفى السقف تتدلى لمبة كهربائية من سلك عادى ، بل إن حجرة الإمام ذاتها ، عبارة عن حجرة قذرة فيها سرير ، وعلى أرضها وسائد كثيرة حول الحائط ... وسرير الإمام من النوع الهزاز ، وهو الذى كانت تقف حوله الجوارى ،يحملن المراوح لترطيب الجو له ، وهو مصنوع من الجريد ،وحمام الإمام كان ، أكثر قذارة من القذارة ذاتها .. ولم يكن هذا راجعاً لفقره أو لتواضعه ، وإنما لأنه كان راغباً، ألا تقع عين انسان على أى صورة من صور الحضارة حتى فى منزله ... فلو رأى الناس أولاد أسرته يلبسون ملابس نظيفة منسقة، فسيعرفون، أن الدنيا فى الخارج حلوة جميلة، وإذا رأوا فى منزله مظاهر المدنية،فقد يطالبون بمثلها،حتى الراديو حرمه على الناس،وكان هدفه أن يعلم الناس،أن هذه الحال،هى أجمل مافى الدنيا ... فلم يكن ثمة وسيلة لعزل اليمن عن العالم، إلا بوضعها خلف سور فولاذى ، ولذلك حينما يعود الطلبة من الدراسة كانوا يعودون إلى السجن مباشرة،دون المرور على منازلهم .. وقد حصل واحد من شباب اليمن على شهادة ربان أعالى البحار، وعاد إلى اليمن وهو يعلم القصة كلها .. وما ينتظر أن يحدث له . واستقبله الإمام ، والمفروض أن تتم التحية بتقبيل ركبتى الإمام وفعل ذلك ربان أعالى البحار ، وألقى كلمة يستدر بها عطفه فقال : يامولاى ، لقد حصلت على شهادة ربان أعالى البحار ... وفى كل يوم كنت أدعو لمولاى بالنصر والتأييد ،إن أملى يامولاى أن أعمل لك خادما مطيعا ومن أجل هذا ذاكرت ، ومن أجل هـذا حفظت دروسى عن ظهر قلب ، حتى أن ترتيبى كان الأول على طلبة من دول مختلفة فى العالم ، وأنا الآن ،أعرف أن كل ماوصلت إليه بفضل كرم مولاى أمير المؤمنين ..

ولكن هذا كله لم يكن يشفع له عند الامام، لذلك قال للشاب ... اسمع : ما فائدة شهادة ربان اعالى البحار ؟ . ورد الشـــاب ، انى استطيع أن أقود السفن الكبيرة

والصغيرة ، قال له اذهب الآن واترك البلاد ، لا مكان لك على سفنى ، واعمل علـى أى سفينة أخرى ، ولكن اياك أن تطأ قدماك ارض اليمن ، والا فسأقتلك وغادر الشاب البلاد ، وكلما مرت سفينة على ميناء الحديدة ، كان يتطلع الى أهله الواقفين على بعد ليراهم ويروه ... ولم يجسر على أن يلمس بقدميه أرض اليمن أبداً ... فهذا حق الامام ... حق الله !!

ومن أعاجيب الامام التى لاتصدق ، وكأنها من قصص ألف ليلة وليلة ... أنه وصلت له مرة صفقة اسلحة، كان قد تم الاتفاق عليها بين اليمن والاتحاد السوفيتى ... وأراد الامام أن يضعها فى المخازن... لكنه رأى أنه اذا علم الناس مكانها، فإن ذلك بالطبع يشجع على قيام انقلاب فوراً ... وراح يفكر حتى عثر على الحل ... ارسل الى اقرب ثلاثة اشخاص اليه، ممن لا يمكن أن يبوحوا بسر ، ممن طالت عشرته لهم عشرات السنين ، تحت ظروف مختلفة ، بعضها بالغ الصعوبة ... وقال لهم انى دائماً أئتمنكم على سرى ، وأنتم اخلص الناس الى ... لذلك سأكلفكم بمهمة سرية للغاية وهى أن تقوموا بأنفسكم ، بنقل الأسلحة إلى بعض المخازن وحددها لهم ... على شرط ألا يراكم أى انسان ، لأن معنى رؤية انسان لكم، هو أن السر سينتشر . انى اثق بكم ثقة عمياء ، وقد اخترتكم ولم اختر ولدى البدر ... ثم اعطاهم مفاتيح المخازن .. وفى سرية بالغة ، تمت عملية النقل وأغلقت المخازن ... وعاد الثلاثة الى الامام ، ومعهم المفاتيح .. فسألهم : هل رآكم احد ، ولما أجابوا جميعاً بالنفى ، قربهم الامام منه وقبلهم جميعاً ، ثم كانت المفاجأة الصاعقة ، هتف بأعلى صوته ، يا وشاح ، يا وشاح ، نفذ أمر الله ، ولم تمر دقائق ، حتى كانوا جميعاً قد قتلوا ، ويقول الامام : انه بكى عليهم بكاء حاراً . أليسوا أعز أصدقائه !!

ولم يكن هذا هو الاحتياط الوحيد الذى قام به الامام ، لحفظ اسلحة الجيش ، بل هناك احتياط آخر أشد غرابة ، فحينما تصل الأسلحة.. أى أسلحة إلى اليمن. فإنه يأمر

بتفتيت كل سلاح ووضع كل جزء منه فى بلدة بعيدة عن الاخرى ، فبينما جسم الطائرة ، يرقد فى مخزن مثل القبور فى صنعاء ، ومغلق عليها بمفتاح ، ولا اعرف كيف ادخلوا الطائرات إلى هذه المخازن ، فإن جناحى الطائرة، يكونان فى مخزن آخر فى تعز ، وبطارياتها فى الحديدة ، وذخيرتها هناك فوق قمة جبل نقم ، حيث لاتصل عربة ، والطريق الوحيد هو ممر صخرى ، لايستطيع أن تصعده إلا البغال والجمال وبمشقة كبيرة ، وقد كان منظراً مثيرا بالنسبة لى ، حينما رأيت قافلةمن الجمال ، تحمل صواريخ الطائرات ، وتنزل بها عبر ممرات الجبال ... لقد كان عند الامام صواريخ حديثة ... ودبابات كذلك ... وقد فضل أن يتركها فى صناديقها ، رغم أنها من احدث أنواع الدبابات ، وحينما طلبوا الى الامام ،أن يوافق على حضور بعض الخبراء لتعليم الجيش اليمنى ، كيف يمكن أن تستعمل هذه الاسلحة الحديثة ... رفض وأصر على الرفض ... قائلا : ان اليمنيين هم أساتذة القتال، المغاوير ، الذين فتحوا الدنيا . ولا يعقل أن يتعلموا اصول الحرب على يد أى انسان آخر ... وأضاف أنه هو نفسه الذى سيعلم رجاله فن القتال ... اليس هو أشجع الشجعان ... وأكثر الناس على سطح الأرض فهما لهذه الأمور ...

وقد حدث أن وقع اتفاقية ، مع شركة أمريكية لاستخراج البترول ... وحضر رجال الشركة ، ومعهم معداتهم الضخمة إلى الحديدة... وهناك كالعادة انتظروا أمر الإمام ليسمح لهم بالنزول ... ولكن الإمام أهملهم ٤٠ يوما ... وفى نهايتها ... أرسل إليهم رسولا يقول : إن الإمام نقب عن البترول وتأكد من عدم وجوده فى اليمن على الاطلاق، وأن أى بحث عنه، مضيعة للوقت، وهو أمر حرام ... ولذلك فإن الإمام يطلب منكم العودة ... وثار رجال الشركة ... وقالوا : لكن المعدات معنا ونعتقد أن هناك بترولا فى أرض اليمن ... فرد الرسول ... وهل تفهمون أكثر من الإمام؟ وسكت الجميع ...

وبمناسبة البترول فهناك شبه إجماع من خبراء كثيرين فى العالم، على أن اليمن كلها تقع فوق بحيرة بترول عظيمة ، ولكن الحقيقة أنه حتى الآن لم يكتشف البترول بصورة اقتصادية مؤكدة، فى أى جزء من أجزاء اليمن ... ولو أنهم يقولون : إن

رائحة البترول تفوح من جبال ظفار ... وقد حضرت قبل الشركة الأمريكية ، شركة أخرى ألمـــانية ، وقامت بالفعل بمسح جوى، ولكن الإمام أمر بإيقاف العمل ... وهكذا لا يستطيع أحـــد حتى الآن أن يجزم بوجود بترول فى اليمن ... قد يكون موجودا وقد يكون غير موجود ... شأن أى مكان آخر ...

وعلى كل حال فالأرض بكر ، ولايعلم أحد ماتخفى فى باطنها من ثروات ،لكن أعتقد، أن الله سيعوض أهل اليمن عما ذاقوه من إذلال وفقر ، فاليمن بشكلها الإمامى نقطة سوداء فى تاريخ البشرية ، وقد كنت سعيدا حينما استمعت إلى رالف بانش مساعد سكرتير عام الأمم المتحدة،وهو يقول لأهالى مأرب بعد أن رآهم : إن مهمة القوات المسلحة العربية هنا إنسانية قبل أن تكون عسكرية، واعلمو أن الامم المتحدة كلها تقف بجانبكم ، حتى تعيشوا حياة كريمة ، وكشف رالف بانش عن سر جديد فى تاريخ علاقته باليمن حينما قال : إنه يهتم بشئون اليمن منذ عام ٤٩ ،وإنه طلب وألح فى طلبه دخول اليمن عدة مرات لكن الامام كان يرفض دائما ، وسمعت الرجل الثانى ، الذى ذاق مرارة اضطهاد الملونين فى بلاده يقول (لقد رحل الإمام إلى غير رجعـــة)

وقد قسم الإمام، شعب اليمن تقسيما عجيبا ، فالأشراف فى القمة ، تليهم القبائل، ثم العمال ، ثم أصحاب الحرف الوضيعة ، وفى النهاية يأتى القرار ، والقرار مثل القاع وطبقة القاع تتألف من عبيد الارض،الذين يباعون ويشترون ، ومعظم المشترين من السعودية ، ومقر القرار أو مقر أغلبهم فى تهامة ،وهناك يباعون مع كل من يخطف وعملية الخطف والقتل فى اليمن، عملية بسيطة،ولا يمكن حصرها،لانه لاتوجد سجلات قيد للمواليد،أو للمتوفين .. كل إنسان يمكن أن يقتل،دون أن يعلم أحد،أو يولد دون أن يعلم أحد ، وليس للإنسان ثمن كبير، فإذا قتل واحد فى الجبل فإن القاتل يدفع الدية أو الفدية ، والغريب أنك اذا قتلت بقرة بسيارة فإنك تدفع فدية أيضاً ولكن فدية البقرة أكبر من فدية الانسان، هكذا كان يحكم الإمام.. لاقيمة للانسان على الإطلاق ..البقرة هى التى لها قيمة، فإذا كان الانسان يباع ويشترى فى طبقة القرار فهذا لايعنى شيئا ، لان البقرة تباع وتشترى أيضا

وبالرغم من ذلك أقول: إنه لولا الإسلام، لما بقى فى اليمن ظل للانسانية...ورغم استخدام الدين هذا الاستخدام السيء ، فإنه ستر للناس عوراتهم ، وحينما دخلت إلى الكهوف فى شرق اليمن، ورأيت الناس يعيشون كما يعيش الانسان فى بدء الخليقة لم أصدق عينى، فإنهم لايقصون شعر رؤوسهم ، ولايحلقون ذقونهم، ويتركون أظافرهم طويلة...وقد نحتوا كهوفهم داخل الجبال، بأساليب بدائية، وتوارثوا هذه الكهوف أبا عن جد ... وكل جيل عليه أن يحفر بيديه كهفا جديدا ... وقد رأيت الرجال والنساء ، يرتدون الملابس ، ويسترون عوراتهم

ولولا الإسلام لما كانوا كذلك .. فبفضل الدين لم يستطع الحكم الإمامى الرهيب إلغاء هذا المظهر، من مظاهر الانسانية ، الذى اكتسبته البشرية عبر ملايين السنين ...

هذا هو فضل من أفضال الإيمان على الشعب، الذى رفع راية الإســـلام عبر التاريخ الاسلامى كله ، قد كان أهل اليمن ، من أوائل من سارعوا إلى اعتناق الاسلام بمجرد وصول الدعوة إليهم ، فدخلوا فى دين الله أفواجا .. ويشهد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول (الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن ، هم أرق قلوبا وألين أفئدة ، الايمان يمان ، والحكمة يمانية) ..

وبعث الرسول بالإمام على كرم الله وجهه إلى صنعاء ، ليدعوا الناس إلى الإسلام فاستجابوا ، ووقفوا بجوار الرسول ... وحينما دعا أبو بكر الصديق المسلمين إلى الجهاد ، وصله فى يوم واحـــد من اليمن ، عشرون الف مقاتل ومعهم سلاحهم وذخيرتهم ومؤونتهم ، وقد بعث بهم أبو بكر إلى العراق والشام ، وعلى أكتاف اليمنيين وصلت الفتوحات الاسلامية حتى حدود الصين شرقا ، وحدود فرنسا غربا وهم الذين رفعوا راية الاسلام على الأندلس ، فقد كانت أول راية تنشر على قرطبة هى عمامة زعيم اليمنيين الخضراء ، أبو الصباح يحي الذى زحف اليها ، من أشبلية ولم يكن لجيشه راية ، ولازالت هناك قلعة همدان فى قرطبة ، وقلعة يحصب فى أشبيلية ، وقلعة خولان ، فى غرناطه ، وكلها أسماء قبائل يمنية ، مابرحت موجودة حتى الآن .

وكل واحد فى اليمن يعرف تاريخه ، وتاريخ قبيلته ، ويحفظ إسمه عن ظهر قلب حتى إن أى شاب يستطيع أن يعد لك ببساطة أسماء جدوده حتى الجد العاشر . وهم

يعرفون أيضاً أصول القبيلة ، وكيف تفرقت وأين باتت بطونها الآن، وقد عدّوا لى مثلا ، أكثر من عشر قبائل ،لها فروع فى مصر أذكر منها ... جهم ومقرها المنيا،وخزاعة فى الجيزة ، وزيد فى منفلوط ، وعامر فى بلبيس ، وعبس فى الفيوم .. واليمنيون جميعا مغرمون بالعدد ، فإذا ذهبت وحدة من الجنود إلى أى مكان ، راحوا يعدون أفرادها ، وإذا مر ببلدهم مسافر ، فإنهم يعدون عدد طلقات الرصاص المرصوصة فى الحزام حول وسطه . كما أنهم يعرفون نوع السلاح الذى يحمله ، وباختصار أنهم يعدون كل شىء .. وقبل أن نبتعد كثيرا عن الإمام،وحكايات الإمام،أعود إليه لأحكى جانبا آخر من حياته الجنونة فى القصر الذى مات فيه ، فقد كان خبيثا إلى أبعد حدود الخبث،حتى أنه كان يخفى أمواله فى حيطان القصر،ويغطيها بالأحجار،لكى لا يعلم أحد مكانها ، وكان مولعا بلعب الأطفال، لذا أفرد لها غرفة فسيحة بجوار حجرة نومه وكان يقضى معظم أوقاته فى هذه الحجرة ، وكان يهوى جمع العمامات ففى كل حجرة من حجرات نومه يوجد صندوق به حوالى ٥٠ عمامة وخمسين شالا ، مختلفة الألوان وكان يتولى بنفسه، لف شال العمامة ويترك عذبة العمامة مدلاة ، وهى جزء من الشال ولم يسمح لأحد غيره فى اليمن كلها بتقليد ربطة شاله ، والشىء الغريب فى غرفة نوم الإمام هو الوجوه التنكرية العديدة ، التى كان يحتفظ بها الإمام ، وهى متعددة الأشكال والأحجام ، وكان يخفيها فى خزانة خاصة ، بعضها ضاحك ، وبعضها عابس ، وبعضها قبيح ، والآخر جميل ، ولعله كان يلبسها فى مناسبات مختلفة ، وحسب دوره فى كل مناسبة ، وقبل وفاته ترك واحدا من هذه الوجوه معلقا فوق مجموعة من المسابح تحت صورة ابنه البدر ، التى ثبتت فى الحائط بمسمار كبير ، يكفى لحمل بغل ، ويحتفظ أيضا فى حجرته ، بأشياء غريبة مثل السيوف والخناجر والمسدسات والقنابل المسيلة للدموع وراديو ترانزستور ، ومروحـــة كهربائية وسوط ، وأغلب كتب الإمام تتحدث عن السحر والشعوذة، والوصفات البلدية .. وكان يستخدم صبغة الشعر ليصبغ بها شعر لحيته وشعر شاربه ، وكان يضع الكحل فى عينيه .. والمفتاح الذى يستعمله فى فتح الزجاجات عبارة عن تمثال لامرأة عارية . وهو من الذهب الخالص ، وعلى العموم ، لم يكن الحياء يصعد إلى وجه الرجل العجوز فقد تزوج قبل وفاته ببنت يبلغ عمرها ستة عشر عاما ، حتى يقال عنه إنه لا زال رجلا قويا قادرا .

ولاحظت في قصر الإمام وجود فراء من أغلى أنواع الفراء في العـــالم ومستحضرات التجميل ، من صنع ماكس فاكتور ... وملابس نسائية يصعب وجـــودها في باريس . . ولـكن هـــذه حق الشوايف ، أي ملك النساء ... ولاأحد يرى الحريم في اليمن ، ولا مانع إذن ، من أن يستعملن آخر مظاهر المدنية وقد رأيت حجرة خاصة ، لعرض الأفلام السينمائية ، لكن لم أجد الوقت لاعرف أنواع الافلام التي كان يحب أن يراها ، ومن السذاجة أن تتصور أن الـكلام المكتوب على العلب يمثل الحقيقة ، وخاصة بعد أن رأيت صناديق الخمور ، مكتوبا عليها عبارة (قرآن كريم) بالخط الثلث ...

وبمناسبة السينما ودور السينما ، أذكر أن الإمام منع إقامة أي دار ، لعرض الافلام في اليمن كلها ... وحدث أن تقدم اليه مواطن يطلب التصريح له بإنشاء دار للسينما ... وكان رد الإمام الموافقة ، ولـكن بثلاثة شروط ... وابتسم المواطن فرحا ... وأملى الإمام شروطه ... الشرط الاول : ألا تهاجم الافلام نظام الحكم ... وقال الرجل هذا طبيعي ... والشرط الثاني : ألا تظهر في الافلام امرأة واحدة ... وقال المواطن هـــذا صعب ، ولـكن على أي حال ، يمكن الحصول على افلام من هذا النوع ... والشرط الثالث : أن يكون دخول السينما مجانا ... وبالطبع خرج المواطن ولم يعد يفكر ، لاهو ولاغيره ، في إنشاء دار للسينما ، وقد كان الإمام يهدف من وراء ذلك طبعا إلى عدم اعطاء الناس فرصة ليروا الدنيا ... ويقارنوا ...

وقد رأيت أول عرض سينمائي في اليمن كلها ، يجري في الساحة ، التي سميت الآن ميدان التحرير ، في وسط صنعاء ... ولم يـكن في الميدان كله مكان لقدم ... بل كان الناس مبهورين بلا حدود ، بالحدث الضخم الذي وقع في صنعاء ... وقـــد افتتحت أول دار للسينما بعد الثورة واسمها سينما بلقيس ...

وكان الإمام يسمي نساءه بأسماء الرجال ، وكان لديه زوجة سورية ، أهديت اليه من السعودية ، أسماها محمد ... وفي اليمن حلاق تخرج من معاهد التجميل ، في باريس وقد خصص للأميرات فقط ... وحينما علم الإمام ثار ... لـكن سيدات أسرة حميد الدين ، قلن للإمام : إن هذا موضوع يخص الحريم . وأن أحدا لن يعلم ...

ولم يكن الإمام، يستطيع النصب على كل الناس ، بل إنه كان أحيانا هدفا لبعض النصابين المحترفين ، على مستوى الملوك ... فقد جاء مرة نصابان ، بقصد سلب بعض أمواله، وادعيا أمامه أنهما تاجران كبيران،يجوبان العالم، وأن اختصاصهما في تجارة القماش ، وكانا يحملان معهما نماذج أقمشة صينية ، قالا له: إنها برخص التراب ، وأنه يمكن أن تباع في اليمن بسعر مرتفع، ولذلك يحقق ثروة هائلة، وحسب الإمام، فوجد أن ربحه كبير وأن السلعة مضمونة ... وهنا طلب التاجران إعطاءهما ثمن الأقمشة ليذهبا ويشترياها باسمه ، وكذلك طلبا أجر سفينة خاصة ، لنقلها مباشرة، إلى ميناء الحديدة، وسلمهما الاموال، ثم خطرت له فكرة... إن التاجرين قد يذهبان بلاعودة لذلك من باب الاحتياط ، طلب أن يظل واحد منهما في اليمن ، وأن يسافر الثاني لإحضار الاقمشة، وحمل أحد النصابين الأموال وخرج... وأما الثاني، فقد بقي عند الإمام رهينة ... ومر زمان طويل ، ولم يعد النصاب ، ولكن ماذا يفعل الإمام بالرهينة، بعد أن ضاعت الاموال ؟

وواحد آخر ... من أمريكا ... إسمه وندل فيلبس ... ذهب إلى هناك ومعه يهودية حسناء ، سرعان ماتعلق البدر بها، في حين بدأ ويندل فيلبس جولته، للبحث عن الآثار في مأرب ... وفي ليلة... أدار ويندل فيلبس أجهزة السينما فتجمع الناس لمشاهدتها ، وفي هذه الأثناء، انصرف فيلبس إلى أمر آخر ، لقد نقل إلى مجموعة من السيارات ، كل ما اكتشفه ، وما استطاع الحصول عليه من آثار، يرجع تاريخها إلى عصر ملكة سبأ ، وتحركت السيارة عبر الصحراء إلى إمارة بيحان وهي محمية إنجليزية... واختفى عن الانظار... وحاول الإمام أن يبحث عنه ، فاتصل بالحكومة الامريكية ، التي قالت إنها لاتعلم عنه شيئا ... وأن الاتفاق بين ويندل فيلبس وبين الإمام، اتفاق شخصي ، لاعلاقة للحكومة الامريكية به ، وبالمناسبة ، فإن رأس أي تمثال في مأرب يمكن ان يشترى بريال واحد لأنها اصنام محرمة ... ومعظم التماثيل التي رأيتها هناك ،منزوعة الوجوه، وقد حمل ويندل فيلبس معه عددا كبيرا منها ... لان الإمام لايقدر قيمة التماثيل او الأصنام .

وقد أهدى الإمام احمد ،تاج ملكة سبأ ، الذي لايقدر بمال، نظرا لقيمته الاثرية

الهامة، إلى ملكة بريطانيا ، بدون مناسبة... وكان التاج موضوعا ، فى صندوق خشبى ردئ الصنع ، لايساوى شيئا... والآن فلنترك الإمام احمد، ولنذهب إلى مكان آخر

جولة فى اليمن

اليمن كبيرة ، وهى مثل شبكة الصياد ... ومن كل ثقب تستطيع ان ترى شيئا جديدا ، وغريبا... لنذهب أولا إلى سوق الملح فى صنعاء ، حيث يجتمع اهل اليمن الطيبون ... يشترون كل شئ ، ويبيعون كل شئ ... ان الباعة هنـــاك لا يؤمنون بالتخصص، فالمحل الذى يبيع العطور ، يبيع معها السجائر ، والشاى والفلفل، واقلام الرصاص ، وعلب الأناناس والقماش وحبة البركة ... والأحذية ولعب الأطفال ... وسوق الملح ، هو السوق الشعبى مثل سوق الموسكى فى القاهرة ، وسوق الحميدية فى دمشق أى أن فيه كل شئ عدا الملح ... وهناك نستطيع أن نسأل الناس وأن نعيش معهم حياتهم اليومية ،وهناك أيضا نرى سوق القات وسوق الخناجر... وكل هذا فى صنعاء ... وليس فى صنعاء مدينة قديمة وأخرى حديثة ... كلها قديمة ... حتى ان أول عمارة حديثة ، بنيت هناك على الطراز العصرى ،كانت ملفتة للأنظار ...

وهناك يظهر وجه اليمن الأصيل ... وفيها سمعت لأول مرة تعبير (انا فى وجهك) ... وهى تعنى انى فى حماك ... ومهما كانت حدة العداء بين الناس،فمن العيب الذى تتناقله الأجيال، ان يقتل أحد آخر ، بمجرد ان يقول له أنا فى وجهك ... وفى نفس الوقت، إذا أعطى شخص لشخص الأمان،وقال له انت فى وجهى، فهذا يعنى ان الأول مسئول عنه ، ويجب ان يدافع عن سلامته حتى الممات... وهذا هو مايسمى فى اليمن بالوجه ... وحينما يقول إنسان لآخر انت فى وجهى . فهناك ايضا اشارات لذلك، وهى ان يمر بسبابته على جانب من وجهه ... وهذا يعنى فى وجهى...ثم يمر بسبابته ايضا على رقبته، وهذا يعنى ان رقبتى ستكون فداك ... وإذا أسر انسان فى حرب . فإنه يقول أنا فى وجه فلان ، حتى يضمن حياته ... وهم يحترمون الشيخ احتراما كبيرا... وشيخ القبيلة هو الآمر الناهى فى القبيلة، ولا اعتراض على مايقول. فكلامه مقدس ...

ودكاكين سوق الملح ، لها أبواب صغيرة ،مثل الشبابيك، ومرتفعة عن الأرض بحوالى نصف متر ... ويجلس صاحب الدكان فى الباب ... ويقف الزبائن فى الشارع لينتقوا ويشتروا مايريدون...وبجوار كل باب يوجد، قدر صغير ملئ بالماء وهو يشبه (القلل القناوى) ويسمونه كعوة ... والخبز هناك جيد وكل واحد يطحن ويخبز فى منزله يوميا ... وفى المنازل الميسورة الحال تتم عملية الخبز ثلاث مرات يوميا،وهم يتناولون الخبز الساخن على الدوام ، والأكلة الشعبية فى اليمن هى الحلبة ... التى يحبونها حبا شديدا ... ومذاقها بالنسبة لنا مختلف عن مذاق اى نوع من الطعام تعودنا عليه، وهى تصنع بطريقة معقدة ، وشكلها اصفر، وعليها طبقة بيضاء ، وقد يضعون عليها البيض، او اللحوم المفرومة احيانا ... ولكن على اى حال هى الطعام الذى يتناوله جميع الناس ...



وتعتبر الأسواق عادة معرضا دائما للبنات الحسان ، هكذا فى كل بلد فى الدنيا لكن الوضع مختلف فى اليمن ، فالسيدة تحت الحجاب ، وملابسها عبارة عن سروال طويل أسود، ملتصق بالجسم والأرجل، وفوقه ثوب طويل، اسمه، رنه، وهو طويل الأكام ... وفوق كل ذلك العباءة بحيث لا يظهر من السيدة إلا عيناها ، وفى بعض الأحوال عين واحدة. وهى تتزين بمجموعة من العقود الكبيرة الحجم، وعادة يكون بينها واحد من الذهب واسمه القشيطة وهو الذى نسميه فى ريفنا الكردان، ولا يمكن للسيدة اليمنية، أن تظهر شعر رأسها لغريب أو قريب، بما فى ذلك زوجها، وهى تظل واضعة العصابة على رأسها ، حتى لو كانت مع زوجها فى حجرة النوم ..لأن فى رفع العصابة عن شعرها . عيبا كبيرا

وتوجد فى اليمن رقصات كثيرة. تتعلمها البنات بعضهن من بعض..وتؤدى الرقصات عادة ، أمام النساء فقط.. ونساء اليمن كلهن محجبات. لكن الحجاب فى المدن أشد منه فى الجبال والقرى. بين القبائل، ولذا فإن تسكع الرجاجيل فى الشوارع غير موجود وهم يسمون الرجال بالرجاجيل .. والعـــلاقة بين الرجل والسيدة ، محدودة تحديدا كبيرا . والسواد الاعظم من الرجال يتزوج قبل أن يرى زوجته، فهو لا يرى وجهها إلا ليلة « الدخلة » وتتزوج البنت فى سن صغيرة قد تكون الثانية عشرة ، وقد تصل أحيانا إلى الخامسة عشرة، ولا تسأل البنت إطلاقا عن رأيها فى الزوج، فهذه هى مهمة والدها ... وعلى العموم تكون الفرصة أكبر لدى البنت لرؤية زوجها قبل الزواج بينما تنعدم هذه الفرصة لدى الرجل، لأن البنت تستطيع أن تراه ، وهى خلف الحجاب بينما لا يستطيع الرجل ، أن يرى منها سوى عينيها .. أما فى القبائل فهناك سفور نسبى ويستطيع الرجل ، أن يرى زوجته عـــدة مرات ، قبل الزواج ، بل ويستطيع أن يتحدث معها ..

وهناك فى بعض القبائل تقاليد غريبة، فمثلا هناك قبائل، الكلمة الأولى فيها للمرأة فهى الآمرة الناهية ... وكلمتها هى المطاعة، وهى التى تزرع الأرض ... بل وتحارب أيضا ... وفى منطقة كفر وصاب تركب السيدات الخيول ... ويجدن الرماية ... واشتراكهن فى الحرب ، له فلسفة . فعار الهزيمة يلحق بالقبيلة كلها . وليس بالرجال

فقط... ولذلك فإن النساء يدافعن عن أرض القبيلة بالسلاح، حتى لا تدوسها اقدام الغزاة ..

وتأخذ السيدة بالثأر ، فى بعض الاماكن ، وقصة بنت شرفات مشهورة فى لواء أب ، فقد قتل أخوها ، وليس لها اشقاء غيره ، ولما عرضوا عليها الدية قبلتها ،وفى يوم السوق ذهبت ومعها البندقية،وقتلت القاتل .. وعلى جثته ألقت بالدية .. وقالت هذا هو ثمن القتيل .. والمرأة لا تتسامح مطلقا فى الثأر ، اما الرجل فقد يتسامح ..

وتتباهى السيدة بأولادها فتقول : (ولادى رجاجيل يسيروا بالليل ويقطعوا الرجل بحذائها) اى ان اولادها رجال يسيرون ليلا وان وجدوا اى غريب قطعوا قدمه كاملة ، والحذاء فيها ...

وقد حدث ان كنت فى اليمن مع بداية رمضان وهناك علمت ان الليلة الاخيرة فى شعبان يسمونها الليلة اليتيمة، ولها تقليد خاص ، ففى هذه الليله لابد أن يجامع كل رجل زوجته ...

وبمناسبة الحديث عن النساء. فإن الامام كان يحتقر النساء وحينما هاجم (الحرية) قال انها امرأة... وان الدستور زوجها ... بل انه بعد الثورة سار البدر على طريق ابيه ،وقال ان الجمهورية امرأة ... ولا يمكن أن نسير خلف امرأة ...

تقاليد الزواج

ونادرا ما تتعلم السيدة اليمنية ،لانها ،تتحجب وهى فتاة صغيرة، وقد رأيت بنات محجبات لا يزيد عمرهن عن ثمانى سنوات ... ولو أن هذا لا يمنع من ان ترتدى السيدة تحت الحجاب ـ فى بعض الاحيان ـ احدث انواع الملابس ، ويدفع الزوج المهر مقدما وهو يتراوح بين ١٥٠ ريالا و ٣٠٠ ريال،وهو على أى حال مرتبط بالمستوى الاجتماعى للعروسين ... وقد يؤجل جزء من المهر ... ووالد العروس هو الذى ينفق المهر، لأن الزوج مسئول ، عن شراء كل الجهاز ودفع ثمنه بالكامل ... وهذا بخلاف المهر ... ويشترى والد العروس لها من المهر، بعض قطع الحلى ... وهم

يسمون جهاز العروسة حق النار ... وهناك تقاليد فى الزواج،تقضى بأن يذهب أهل الزوج من النساء ، إلى منزل العروس فى يوم الحمام ، وهو يوم استحمام العروس ... ويسمى اليوم التالى ، يوم النقش... لانهم ينقشون العروسة ، أى يزينونها، وفى هذا اليوم ، تلقى المدائح فى ذكر الرسول عليه السلام ،وفى اليوم الثالث أى بعد مضى يومين على الاستحمام تتم الدخلة ويتناول العريس وأهله ليلتها العشاء فى بيت الزوجة ويجتمعون حول حلقات القات ...

وفى ليلة الدخلة يدفع العريس لزوجته مبلغا من المال،أو هـــدية قيمة بعد أن يتأكد من انها بنت عذراء ... ويسمى حق الصباح ... وفى يوم الصباحية يتناول أهل العروسة الغداء فى بيت الزوج وبعد مضى ثلاثة أيام على الزواج يقدم العريس هدية لحماته ،ويسمونها حق الثالث ... وفى اليوم السابع يقيم العريس أيضا احتفالا طويلا يبدأ من الظهر حتى منتصف الليل،فيتناول الناس العشاء ويغنون ويهزجون ويرقص الرجال رقصات الزامل المشهورة ،وهى عبارة عن رقصة شعبية يؤديها الرجال بالخناجر والبنادق ... ولها خطوات خاصة مثل الرقص الغربى، وإذا رأيت ٢٠ شخصا يزملون فى وقت واحد فتلاحظ أن أقدامهم تتحرك حركة واحدة ... وهم ينظمون وقع الأقدام بواسطة الدقات على طبلة كبيرة مصنوعة من النحاس ... وقد قال لى واحد من الذين يفهمون فى الرقص انها تشبه رقصة (الكاليبسو) ...

أما بعد مضى عشرين يوما على الزواج، فإن أهل الزوجة هم الذين يتولون هذه المرة إقامة وليمة لأهل الزوج ...

وتختلف تقاليد الزواج بين مكان وآخر ، ففى قبيلة الزرانيق وهى التى تسكن على الساحل ينظمون حلقة مستديرة من المدعوين ويصفقون تصفيقا رتيبا ، وعلى إيقاع التصفيق يرقصون رقصة خاصة ... إذ يقف الراقصون ثم يبدأون الجلوس بهدوء كبير . حتى أنه يكون من الصعب اكتشاف عملية ثنى ركبهم إلا بعد مدة ... ومع صفارة خفيفة يتداولونها يقفون بسرعة ... ثم يحضرون للمدعوين كميات كبيرة من لحم الخراف مع كميات من الخـــبز ... والخراف هناك صغيرة الحجم جدا

وبدون إلية وليس لها قرون ... وألذ جزء فى لحم الخراف هو شريط اللحم الرفيع المجاور للسلسلة ،الفقرية وذبح الخراف علامة من علامات اكرام الضيف وهم يقدمون أيضا أنواعا من الفطائر تسمى اللحوح تعمل من السمن - « ويسمونه السليط » - والبيض واللبن والحلبة ..

وقد كانت اليمن مصدرة للسمن ، أما الآن فهى مستوردة وذلك بسبب انقراض قطعان الماشية ،ومن عاداتهم اطلاق الاعيرة النارية ابتهاجا بالفرح ... ثم يزف العريس ويدخل على عروسه التى لم يرها ، ولم يرها المدعوون ...

وتتجمل العروس بنوع من الطلاء اسمه النيلة ولونه اسود تضعه على وجهها وذراعيها وقدميها ... وتلبس خواتم فى اصابع يديها وقدميها ، كما تضع طوقا من الفضة فى ذراعها واسمه الجليا ... ويختلف لبس السيدة او الرجل على الساحل... اى فى قبائل الزرانيق... اختلافا بينا عن باقى اليمن ،وذلك بسبب اختلاف الجو فى منطقة تهامة ... والحرارة هناك بالغة الارتفاع وليس هذا هو سبب الضيق الوحيد فإن الجو خانق ايضا ، نتيجة لارتفاع درجة الرطوبة ارتفاعا فظيعا، حتى ان تشبع الجو بالرطوبة يزيد عن ٩٠ ٪ فى احوال كثيرة ولأن هناك برودة فالحرارة تحكم المنطقة طوال العام ... ولذلك يغطى الناس هنـــاك رؤوسهم اثناء العمل بقبعات كبيرة مصنوعة من القش ... والمنازل مصنوعة من القش مثل منازل افريقيا...وسقوف المنازل ليست افقية ، وإنما هى مستديرة مثل سقوف الخيام ... وذلك حتى ينزلق المطر عليها وحتى تسهل التهوية ...

وفى قبائل الزرانيق يضع الرجل طوقا حديديا على رأسه . ويضع زهورا بين رأسه ،والطوق ،من بينها الريحان والنعناع ويشترونه من السوق ،والمجموعة ثمنها حوالى ٢٠ بكشه اى ٢٠ قرشا ،ومن نوع الزهور ومن كميتها وخضرتها تستطيع أن تحكم على المركز الاجتماعى لصاحبها ، فكلما كانت يانعة وكميتها كبيرة كان صاحبها رجلا مهما ووسطهم الأعلى عار تماما وبعضهم يلبسون على رؤوسهم طربوشا من الخوص الأصفر وهو غالى الثمن إذ يصل ثمن الواحد منه ٤٠ ريالا ... اى حوالى ١٦ جنيها

وللقبائل هناك مقاتلون ،ويمكن تمييز الضباط بالأقمشة البيضاء الملتفة حول أكتافهم أما السيدات فيلبسن ثوبا أسود على اللحم مباشرة مفتوحا من الجانبين وبذلك يكون الجانبان والكتفان عارية ، ومظهرهم هذا يدل على الفقر الشديد رغم ان تهامة من أشد الأراضي خصبا ...

ومرة اخرى نعود الى الأفراح ، ان تكاليف الزواج مرتفعة لأن احدا منهم لايتردد ابدا فى البحث عن قرينة له ... ومن الصعب ان يصل إنسان إلى سن العشرين بدون زواج ... والمشكلة على اى حال ليست فى الزواج ولكنها فى الولادة ... فالولادة مشكلة فعلا ، ليس لأنه لايوجد اطباء ولا قابلات، ولكن مهمة الولادة تقع على عاتق الأم ... فهى مسئولة عن حضور ولادة بنتها وتسهيل العملية ، أو تقع المهمة على عاتق الجارة ... ويجب ان تقام احتفالات عديدة وكثيرة التكاليف حتى لو ولد الطفل ميتا ... وهم يحبون الأولاد أكثر من البنات ... وعلى الزوج ان يزين منزله بمناسبة الحادث السعيد ، ويقيم احتفالات من اليوم السابع للولادة حتى اليوم الأربعين، يحضرها جميع الأهل والأصدقاء ،يحتسون فيها القهوة...وقد جرت العادة على أن تتناول كل سيدة عدة فناجيل من القهوة ... وهم لايشربون مغلى البن الذى نشربه نحن ، ولكنهم يشربون مغلى قشر البن فقط ... اما البن نفسه فهـــو للتصدير ... ويقدم الفطير للزوجة كل صباح كذلك اللسيس وهو اكلة يمنية من الأذرة المبلولة والفتة وتصنع من الخبز والعسل والرقاق واللبن ... وتقدم الفراخ الصغيرة طوال الأربعين يوما على الغداء والعشاء وليس هذ هو كل شئ فعادة، تخرج سيدة من المنزل الذى تمت فيه الولادة وعلى رأسها طبق وفوق الطبق قدر القهوة وفناجين ، وتطوف بمنازل جميع الأهل الأصدقاء لتوزيع القهوة والشربات ... ولذلك فهناك مثل مشهور فى اليمن ... عرسان ولا ولد واحد ...

وهم يحبون أطفالهم حبا جما، ويسمونهم البذورة ويسمون الشباب الجهال ... والأسرة فى اليمن لاتتكون من الرجل والزوجة واولادهما فقط، ولكنها قد تجمع العمة والخالة وأبناء الاخ الذى مات فى الحرب ، وقد رأيت رجلا فى احدى القبائل مسئولا عن أسرة قوامها ٢٧ فرداً، وعلمت أنه مسئول عن أولاد أخويه اللذين ماتا

فى الحرب ... والحروب فى اليمن كثيرة ... وأعتقد أنه يندر أن يمر عام بدون حرب سواء كانت حروبا ضد الاجانب أو بين القبائل ... ولذلك فان الاولاد الصغار من سن تسع سنوات ، يحملون البنادق ويخرجون للقتال ... والرجل مرغم على إخراج أولاده للقتال فى هذه السن لانه لو خرج وحده فلن يحصل إلا على نصيب مقاتل واحد من اسلاب الحرب ،ولكن إذا خرج ومعه ثلاثة من الجهال فسيحصل على أربعة انصبة، ولذلك فلا عجب إذا كان لدى بعض القبائل الكبرى مقاتلون يبلغ عددهم عشرات الالوف ...

ورغم خسائرهم البشرية الكبيرة أثناء الحروب المتوالية بين القبائل ، فانهم لا يتركون الحرب وخاصة فى الشمال ... لان الحرب قد تكون مورد الرزق الوحيد وإذا مات رجل أثناء القتال فمن النادر أن تترك جثته،فهم يهتمون دائما باعادة الجثث معهم ،بل إن هناك أناسا فى القبائل يشتركون فى الحروب ويرافقون المقاتلين ولا عمل لهم سوى سحب الجثث ... والعيب الكبير هو الذى ينصب على قائد القوة إذا ماترك جثث قتلاه لعدوه فى أرض المعركة ... وهم لا يبالون يدفن جثث أعدائهم .

تقاليد المـــوت

والموت هناك له تقاليد خاصة ، وهى أحسن التقاليد بالنسبة للموت فى جميع الدول العربية على حد علمى ... إذ لا يوجد عويل أو صراخ على الموتى ويكفن الميت تبعا للشريعة، ثم تقام جنازة تمضى به إلى حيث يدفنونه وبعدها يتقبل أهل الميت التعازى فى المقبرة ... وأثناء الطريق إلى المقبرة يردد أحد أقاربه (عشر الله خطاكم وأحسن اليكم . الدريس على الميت سيكون فى المسجد .) أى أن قراءة القرآن على الميت ستكون فى المسجد . وهذا هو كل شيء . فهم لا يزورون المقابر على الاطلاق إلا لدفن ميت جديد ، ومقابرهم متواضعة غاية التواضع .. إلا أن الامام احمد بنى لنفسه ضريحا فى قلب صنعاء وفى الشارع المسمى الآن باسم جمال عبدالناصر لكنه لم يدفن فى هذا الضريح ... ويوجد مثل يقول رحم الله قبرا لا يعرف ... ولكن من الضرورى أن تذبح ماعز على الاقل ، على روح المتوفى ، و هم لا يندبون

ولكن أحيانا تقول الام ... يا ولدى ياولداه ... كنت لى الحصن الحصين ... اليوم ضواعى ضياعاه ..



وبمناسبة الوفاة يعتبر شعب اليمن من الشعوب التى يتناقص عددها باستمرار فاليمن تعد الآن أقل من ٥ ملايين نسمة ، بينما تشير بعض المراجع القديمة إلى أن عدد سكانها كان يزيد عن ٢٠ مليونا ، ومعظم الوفيات ناتجة عن الامراض والمجاعات والحروب التى تقضى على أعداد هائلة من البشر وقد زاد المسألة صعوبة أن القبيلة الواحدة تعرف عدد الرجال فيها اما عدد النساء فشىء يكاد يكون مجهولا ...

والامراض فى اليمن منتشرة بكثرة ، حتى أنه لا يكاد يخلو أى فرد من مرض، بل أن هنـــاك اناسا يعانون من خمسة أمراض مستديمة فى وقت واحد ... والامراض السرية موجودة بكثرة أيضا ، وذلك بسبب فقـــدان الدواء وقد كان الامام يحتكر الادوية عنده ... كذلك بسبب عدم وجود الاطباء ... وكان كل اجنبى فى نظر الناس طبيبا يفهم فى الامراض ووسائل علاجها ... ولم يكن غريبا فى الايام الاولى للثورة،وانت تسير فى الشارع أن يطلب منك أى شخص إعطاءه دواء لمرضه ...

وكان الكشف الطبي على السيدات ممنوعا ... ولكن لما ذهب الاطباء المصريون فى أول الثورة بدأ الوضع يتغير ، وبدأ الناس يتوافدون على المستشفيات ، ومنهم السيدات والاطفال ... ولما كانت نسبة الوفيات فى الاطفال مرتفعة للغاية ، لذلك يندر أن تخلو أسرة من هذه الوفيات ...

ولكن الاطفال اليمنيين على درجة عالية من الذكاء وسرعة البديهة والقدرة الخارقة على التعليم والاستيعاب ، وهم يتحملون المسئولية مبكرين ... والصبيان مثل الرجال تماما ، لذا فان شخصيتهم تنمو بسرعة هائلة وهم هناك يثقون بالاطباء ويعتقدون بأن الطبيب يستطيع أن يعالج أى شخص أيا كان مرضه ... وقد كان منظرا انسانيا مؤثرا ، حينما وصلت قواتنا إلى بلدة المطمة وحضر رجل أعمى منذ سنين يطلب علاجا حتى يستطيع أن يرى الدنيا ... بل إن الاهلين كانوا يحضرون مرضاهم على الجمال عبر عشرات الاميال للعلاج ... وقد رأيت الاطباء المصريين يجرون عمليات جراحية كبرى فى أجزاء مختلفة من اليمن لم تجر فيها أية جراحة منذ عهود سحيقة وقد أبدى الناس انبهارهم لما علموا أن بطن واحد منهم فتحت وأخرج من كليته اكثر من عشرين حصوة ...



وقد كانت وسائل العلاج عندهم بدائية جدا ،كاستخدام أوراق بعض الاشجار في علاج الاسهال ، وأخرى فى علاج الامساك ...

وقـــد حاول الامام أن يبعدهم عن أية معرفة بالنسبة للعالم الخارجى حتى عند وصولى إلى مطار مأرب ،رأيت واحداً من قبيلة عبيده يقترب منى ثم يبدأ الحديث معى قائلا ... إن مطار مأرب مطار عظيم وهو مطار دولى لا ينقصه إلا بعض المبانى حتى يكون أحسن مطار فى العـالم ... ويومها كان مطار مأرب عبارة عن ممر ترابى غير صالح لاستقبال اكثر من طائرة فى اليوم الواحد ... إذ أن عجلات الطائرة التى نزلت بى إلى مأرب و،كان يقودها الشهيد عز الدين ناصر ،غرزت فى الممر واستهلكت عـدة ساعات حتى امكن تحريكها من جديد ... وقال لى الرجل أيضا ... قل لى بالله هل القاهرة جميلة ... مثل صنعـاء ... ولم استطع أن اقول للرجل شيئا ... قلت له إنها مثل صنعاء ...

لـكن الناس ـــ بإحساسهم ـــ ورغم عدم وجود أية وسيلة من وسائل الاعلام عدا ما يتناقلة الناس عبر الجبـال ، آمنوا بفـكرة القوميةالعربية، وقد تأكد عندى هذا الشعور حينما دخلت أحد الـكهوف التى يعيش فيها البشر ولم أجد مظهراً واحدا من مظاهر الحضارة ... ولـكن وجدت صورة صغيرة للرئيس جمال عبد الناصر... وهى من الصور القديمة الصغيرة الحجم التى طبعت منذ عشر سنوات ...

وفى بعض الاماكن فى اليمن يقولون للزائر بان جنود الاسلام الاوائل الذين خرجو من هـذه الارض كانوا اكثر حضارة ومدنية من الذين يعيشون عليها الآنفالزراعة فى اليمن متخلفة تخلفاشديداً وقدرأيت الناس يحرثونالارض بواسطة حمار يجر خلفه محراثا...والمحراث عندهم فىحجم الفأس لـكن يده اطولقليلا...بهذا الأسلوب يحرث الفلاح الارض وينتظر المطر... أما الآلات فتـكاد تـكون معدومة وللرى أيضا وسائل عجيبة ... فاذا كانت المنطقة ممطرة ... تكفلت الأمطار بمهمة الرى ... أما إذاكانت جافة، فقد وجبحفر الآبار...وتعتبروسيلة الشادوف البدائية اكثر تقدما من حيثفن الرى... فقد رأيت المزارعين يحضرون اناءا كبيراً مربوطا

إلى حبل والحبل ملفوف على بكرة ، ثم تأتى الأسرة كلها لتشد الحبل فيصعد المـاء ... أو يربط الحبل برقاب عدد من المواشى تتولى شده حتى يظهر فى النهاية إناء الماء على حافة البئر ، أما عـدد آلات رفع الماء فهو قليل ويسمونها البمبات وهو تعبير مأخوذ من الفرنسية ويعنى مضخات .

واليمن غزيرة الأمطـــار فى بعض أجزائها وخاصة فى الجنوب والساحل ، لذلك يسمى الجنوب سويسرا الجزيرة بينما تسمى تعز جنيف الجزيرة ، ويقال إن اليمن سميت اليمن السعيدة ، لانها اكثر بقاع الجزيرة القاحلة أمطاراً ، فمعدل الأمطار فى لواء أب يصل إلى مايزيد عن ١٢٠٠ مم فى العام ، بينما اللازم للزراعة هو ٢٥٠ مم فقط .

حاصلات اليمن

ولا توجد فى اليمن أنهار بالمعنى المفهوم ، لـكن فيها وديان ويسمونها غيول وهى موسمية المـاء ... أى أن مياه السيول تمر بها خلال مواسم معينة ، واهم الوديان هى وادى موروشوابه ورماع ... وهم هناك يزرعون القمح والذرة العويجة والقليل من القطن الذى يستعمل لحشو الوسائد ... وكان للامام عميل اسمه الجبلى يقوم بعمليات التسليف لزراعة القطن ، ثم يأخذ المحصول بسعر بخس ... وبالطبع كان هناك استغلال ولذا هرب الجبلى لمـا نشبت الثورة وتوقفت عمليات التسليف ، وبالتبعية قلت مساحة الأرض المزروعة قطنا ... واعتقد أن الثورة بعد أن انتهى القتـال المسعور الذى دار ضدها ، لابد أن تقيم نظاما يكفل مساعدة الزراع بلا استغلال ... فليس المهم الغـــاء الاستغلال ، إنما المهم اقامة نظام جديد يستأصل هذا الاستغلال ويحل محل النظام القديم .

وتعطى الذرة غلتين فى العام ، بينما يعطى القمح ثلاث غلات كل عام .. وقد كانت اليمن مشهورة بالبن ... وكان بن مخا ، نسبه إلى ميناء مخا ، اشهر بن فى اوربا طوال القرن الماضى ، لـكن تصدير اليمن للبن أخذ ينخفض عاما بعد عام ، لأن احدا لا يزرع اشجاره بل ان اشجار البن القديمة اقتلعت ليزرع القات بدلا منها ، وقد انخفض ما تصدره

اليمن من البن إلى عدن من ٨٥٠٠ طن سنويا إلى ٥٠٠٠ طن قبل ان تقوم الثورة . واشهر بن فى اليمن هو بن مناخه .. والبن اليمنى ثلاثة انواع .. حولى ويثمر طوال العام ... وسنوى ويثمر مرة واحدة كل عام أما النوع الثالث فيثمر مرة واحدة كل عامين ، وهذا النوع من البن هو اندر انواع البن قاطبه .

وفى اليمن ٢١ نوعا من العنب أهمها البياض ، وأصـــابع زينب ، وبيض الحمام والعذارى والقوارير والعيون ، والذبين وهو بدون بذور ، ومحصول العنب فى اليمن يستمر طوال العام ، وهم يعملون منه الزبيب ، وهناك انواع مختلفة من الفواكه مثل المشمش والتفاح الصغير الحجم ، ولـكنهم لا يزرعون البرتقال ، لذا يصل ثمن البرتقاله ٤ بـكشات أى أربعة قروش .

والملـكية هناك صغيرة عموما ، فقدكان الامام واسرته هم الصورة المجسدة للاقطاع ولـكن توجد ايضا ملـكيات كبيرة بين الاهالى ، إلا انهم لا يزرعونها فصاحب الأرض يزرع حسب قدرته على الزراعة التى قد لا تزيد عن ٢٠ فداناً ويترك باقى الأرض مهملا طوال العام لأنه لا يستطيع أن يربى عددا كبيرا من المواشى يساعده فى الزراعة ، والسبب فى ذلك انه خلال مواسم الجفاف لا يجد طعاما للمواشى ، وهذا فى سهل تهامة أما فى الجنوب فى اب وتعز فالارض كلها خضراء من قمة الجبل حتى السفح ، ولو كان هناك بعض الطرق لتحولت هذه المنطقة إلى قطعة من أوربا .. وعلى العموم فالجنوب اكثر ثقافة من الشمال لقربه من المحميات ، وأكثر ثروة .. وفى نفس الوقت أكثر رغبة فى الهدوء وعدم القتال ، وسكانه كرماء ، يكرمون الضيف إلى أقصى حـــد .

وليس فى اليمن مشروعات لتنظيم الرى ، فمنذ ان انهار سد مأرب منذ اكثر من ١٤٠٠ عام لم يقم على أرض اليمن مشروع آخر لتنظيم الرى .

ان الثورة الزراعية، هى الطريق المؤدى لثورات كثيرة بعدها ، لـكن يجب دائما ان تبدأ الثورة الزراعيه اولا .. وهى طريق لا يمـكن القفز فوقه ، انما يجب عبوره خطوة خطوة ، وهذه الثورة هى من اصعب الثورات ، لأن الفلاح هو ابطأ عامل

قادر على تبديل أسلوبه ، سواء فى العمل أو فى الحياة أو فى الزراعة ، ولا يكفى أن يقال له إن هذا الأسلوب فى الزراعة قديم ، بل يجب أن يرى بعينيه وأكثر من مرة ، نجاح الأسلوب الجديد ، وهذا ينطبق على أى فلاح فى الدنيا كلها .

والجو فى اليمن مختلف... فالحرارة شديدة فى الساحل،وكلما صعدت فى الجبال قلت درجة الحرارة ، حتى تقترب من الصفر فوق جبال شهارة ، ولهذا فجميع المحصولات تقريبا يمكن زراعتها فى اليمن ، هذا من حيث الجو ولكن يجب ان يتوافر الماء حتى يمكن زراعة بعض الأصناف التى تحتاج إلى كميات كبيرة من الماء المنظم وليس ماء المطر فحسب ، وقد رأيت الرمان والاناناس فى اليمن ، كما رأيت البلح والبطيخ ويسمونه حب حب... لكن حجمه ليس كبيرا ، وهناك الملوخية على الساحل وهم لا يأكلونها ، وعندما ذهبت قواتنا إلى هناك واكتشف الجنود الملوخية عمدوا فورا إلى طبخها . فاعجبت اليمنيين ، وقالوا هذا شىء ضخم يعنى عظيم ، وهناك ايضا الطماطم والخيار ، وانك لتشعر فى بعض اجزاء منطقة الساحل وكأنك فى قلب افريقيا ... فعلى الجبال نسانيس وقرود وغزلان ، ويباع الغزال الصغير ، ويسمى ظبى ، بمبلغ يتراوح بين ١٢ قرشا و ٢٠ قرشا .

وتوجد انواع اخرى مختلفة من الخضار ، مثل القرع والباذنجان والقثاء والكرنب.

ولمنطقة الساحل تاريخ عريق ، وقد وصل أهل الحبشة اليها خلال الغزوات المتعاقبة ضد اليمن ، والجدير بالذكر ان القوات الاجنبية الغازية لم تستطع دخول شمال اليمن على مر التاريخ .. فكل ما استطاعت ان تصل اليه هو الجزء الساحلى لأنه سهل خال من الجبال . أما المناطق الجبلية ، فقد كانت دائما العقبة الكأداء ضد الغزاة من جميع الاجناس ، وقد فشلت جميع المحاولات لاحتلالها ، ولم يستطع أى فاتح ان يستقر فى هذه المناطق الجبلية لكثرة ما كان يتكبد من خسائر ، حتى أن الاتراك استسلموا مرارا لليمنيين ... ويقال ان سبب اختلاف الساحل عن داخل اليمن فى المظهر والملبس والسكن وتشابهه كثيرا مع افريقيا ، هو احتلال الاحباش لهذه المناطق ، وحول هذا الموضوع قصة تقول ان آخر ملوك الدولة الحميرية واسمه ذو نواس تعصب ضد المسيحية واعلن اليهودية له دينا ، واستغل اليهود

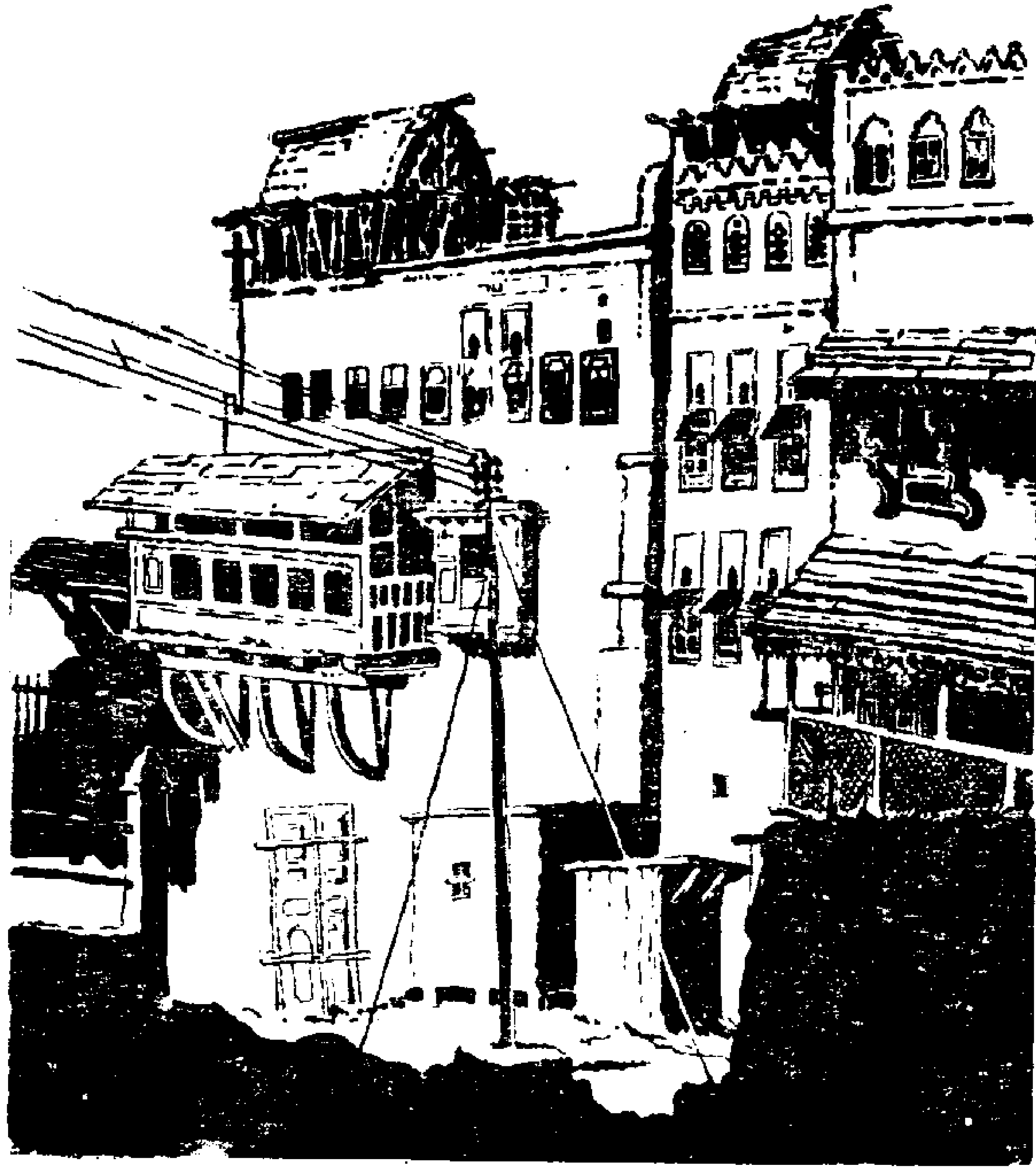
تعصبه فاوغروا صدره ضد المسيحية فما كان منه إلا أن حفر الأخدود وأوقد فيه النار والقى فيه بالنصارى وكتبهم ، ويقال انه حرق فى هذا الحادث ٢٠ الف مسيحى .. الامر الذى أثار المسيحيين ضد اليهود ، فارسل ملك الروم إلى النجاشى فى الحبشة ، يطلب منه ارسال جيش لتأديب ذى نواس ، وبالفعل ارسل نجاشى الحبشة جيشـــا قوامه ٣٠ الف مقاتل بقيادة ارناط ، فحاربه ذو نواس حتى اضطر للهرب ومات فى البحر ، ومن جنود هذا الجيش ابراهة الحبشى الذى هاجم الكعبة محاولا هدمها لكنه لم يستطع وهلك جيشه ، وكان اليهود قد اتوا إلى اليمن فرارا من الامبراطور الرومانى تيتوس فى عام ٧٠ من الميلاد ، وسيطروا على تجارة اليمن ، ونشروا الدين اليهودى ، وبهزيمة ذى نواس حاول الاحباش نشر المسيحية فى اليمن ولكنهم قوبلوا من أهلها بمقاومة عنيفة واستطاع سيف بن ذى يزن ، وهو من الاسرة الحميرية أن يطرد الاحباش من بلاده ، بعد احتلالهم للمنطقة الساحلية فترة من الزمن وصلت إلى ٧٤ عاما .

وقد بقيت فى اليمن اقلية يهودية تسكن المدن فى حى واحد وقد باشر اليهود الأعمال الدقيقة مثل الصياغة ، ويسمى حيهم ، قاع اليهود ، وقبل قيام اسرائيل كان فى اليمن حوالى ٧٠ الف يهودى ، وقد نزحوا جميعهم تقريبا إلى فلسطين المحتلة ، وهم يلاقون الآن اضطهادا عنصريا شديدا ، ويسمونهم اليهود الشرقيين ، وقد اصبح قاع اليهود الآن خالياً من اليهود .

وبظهور الإسلام اقبل اليمنيون على اعتناقه مختارين ، حتى لقد اقيم فى صنعاء وحدها اكثر من ١٣٠٠ جامع ، وصنعاء الحالية هى جزء من صنعاء القديمة ، لكن ليس فى صنعاء الجديدة الآن إلا خمسون جامعا ، اشهرها جامع صنعاء الكبير ، ومدينة صنعاء مبنية على الطراز العربى ... وفوق كل نافذة شباك من الزجاج الملون الجميل ، أو من الرخام الشفاف ... ويطوق سور صنعاء المدينة ، وقد بناه طغتكين اخو صلاح الدين الايوبى لما ذهب إلى اليمن ... وللسور عشرة ابواب اشهرها باب اليمن ، ويدخل منه الضيوف ... ويقولون ان الدخول منه فأل حسن وفى نفس الوقت يعلقون فوقه الرءوس ، وباب ستران وباب شعوب وباب الشقاديف ، وباب الروم ، وباب قاع اليهود ، وباب البلقة ، وباب خزيمة وباب شرارة وباب السبحة .

وكان الامام يغلق ابواب صنعاء بعد الغروب ، ولا يسمح لأحد ببناء المساكن خارج السور ... أما الآن فقد بدأت مساكن جديدة تظهر خارج سور صنعاء ، ومناخ صنعاء معتدل طوال العام عدا ديسمبر ويناير فهو بارد نسبيا ، وكان الامام أحمد يكره صنعاء لأن والده قتل فيها ، فلم يدخل اليها الا مرة واحدة خلال فترة حكمه اثناء زيارة الملك سعود لليمن سنة ١٩٥٤ وتستطيع الحكومة الاتصال بالناس عن طريق مشايخ الليل ، وهم مثل مشايخ الحارات عندنا . وصنعاء محوطة بالجبال ومن اشهرها جبل نقم شرقا ، والصافية جنوب ، وعصر غربا .

ومنازل اهل اليمن — بصورة عامة وليس فى صنعاء فقط — عبارة عن قلاع وحصون ، بعضها مستدير الشكل حتى يستطيع ان يكشف حوله اكبر مساحة ممكنة والطبقة الأولى خالية من النوافذ ، حتى لا يتسلقها احد ويدخل فيها ، وتظهر النوافذ ابتداء من الطبقة الثانية ، وهم عادة يفضلون ان تكون النوافذ جهة المداخل ، وليس جهة الخارج ، وهناك منازل كثيرة لا يظهر منها من الخارج إلا بعض (المزاغل) التى تستخدم فى اطلاق النار من خلفها ، والمزاغل عبارة عن ثغرات تمكن وضع فوهة البندقية خلفها والتصويب منها ، وبذلك يكون جسم المدافع غير مكشوف للمهاجم وهناك تصميمات عديدة للوقاية ، فالحوائط متينة ، وحول السلم تجد (مزاغل) اخرى تستخدم ايضا اذا ما استطاع المهاجم دخول المنزل ، وابواب المنازل فى بلاد القبائل منخفضة ولا بد من ان يحنى الانسان رأسه لكى يستطيع الدخول ، وقد صممت بهذا الشكل عن قصد حتى إذا كان الداخل عدوا امكن اطلاق النار عليه دون ان يجد الفرصة ليرى ما امامه ، ولا تعرف اليمن اسلوب تموين المدن بالماء ، وفى معظم المنازل توجد آبار يستخرج منها الماء بالدلاء ، وحجرات المنزل اليمنى ضيقة وغير صحية ، ويضطر الرجل إلى مغادرة بيته ، إذا ما جاءت نساء لزيارة زوجته ومجرد وصول النساء معناه جلاء الرجال عن المنزل ، وإذا دخل رجل غريب منزلا ، فإن اى واحد من اهل البيت يسبقه بعدة خطوات وهو ينادى بصوت عال ، الله ، الله ، الله ، وهذا لتنبيه النساء الى ضرورة الاختفاء عن الأنظار .



ولم يكن لليمن قانون ولا دستور ، وكان الامام يقول انه : يحكم بالقرآن ، لكن لم يتعد هذا القول حدود الكلام ، وقد طبق بعض احكام قطع الايدى والجلد ولكن على الفقراء فقط،ويعين الامام قضاة فى كل مكان،ويمكن ان تصدر احكام مختلفة فى القضية الواحدة تبعاً لمزاج كل قاض ، وتبعاً لشخصية مرتكب الجريمة ، بل ان القاضى الواحد ، قادر على اصدار احكام متناقضة فى قضية واحدة ، فقد تعرض على القاضى قضية ويحكم فيها ضد المتهم...وبعد الحكم يستطيع المتهم الاعتراض على الحكم، ويعطى القاضى عدداً من الريالات،فيعيد القاضى النظر فى حكمه ، ثم يصدر حكماً بالبراءة زاعماً ان حقائق جديدة قد تكشفت له ، وقد يحكم ضد الشاكى نفسه إذا كان مبلغ الرشوة كبيرا ، وكان الامام يعرف هذا ، لكنه كان يعرف من جهة اخرى انه لا يعطى للقضاة مرتبات ... فمن اين يأكلون ؟!

ولم يكن الامام مسيطرا فى اى وقت من اوقات حكمه على اليمن كلها، فهناك دائماً قبائل تشق عصا الطاعة عليه ، بل ان جنديا واحداً من جنود الامام لم يستطع ان يدخل وادى الجوف ، وكانت القبائل المجاورة لحدود السعودية ، تتلقى المرتبات والمعونات من الحكومة السعودية مباشرة ، لذلك كان ولاؤها للسعودية اكثر منه



للامام ، وكانت ثمة علاقات تجارية دائمة بين السعودية وهذه القبائل حتى تتهرب القبائل من دفع الضرائب ، كذلك كانت تجارة الجوارى من التجارات الرابحة ، وقد رأيت خطاباً مرسلا من الامير خالد السديرى الى الامام احمد ، يطلب منه السماح له — كالعادة — بشراء عدد من الجوارى من تهامة ، وخالد السديرى هو خال الملك سعود

لهذا قامت الثورة

وفى هذا الجو القاتم المظلم ، قامت ثورة السلال ، وقبلها فشلت اربع ثورات شعبية ضد الامام احمد ، وكان الأمل عند الثوار انفسهم ضعيفاً ، ولكنهم جميعاً كانوا يفضلون الموت على هذه الحياة ، من أجل هذا سميت ثورة السلال الثورة الصعبة ، فهى فى تقديرى أصعب ثورة ، شهدها التاريخ الحديث . والثورات التى سبقت ثورة السلال كانت تواجه نفس الصعوبة ، ولكن السلال تعلم من الثورات الفاشلة ، درس اسباب فشلها ، وحاول ان يتجنبها منذ اللحظات الأولى .. ثم إن هناك

عاملا هاما ، ساعد السلال على نجاح ثورته ، هو وجود الجمهورية العربية المتحدة .. وقد يقال إن اليمن بوضعها هذا ، لم تكن فى حاجة إلى ثورة، لكن الواقع أن الثورات فى اليمن ضد الفساد ، بدأت مع باكورة الثورات العربية . فهناك ثورات قامت قبل ثورة يوليو ٥٢ وهناك ثورات قامت قبل انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا .

ثورات فى اليمن

وقد تمت أول محاولة لاغتيال الإمام يحيى فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٨ ، فقد كان يحيى أكثر طغيانا من ابنه أحمد ، وكان راغبا على الدوام فى ابتزاز أمـــوال الناس والاحتفاظ بها فى خزانته، معارضا أشد المعارضة أية محاولة للتقدم .. وقد قام بعض الشبان بمحاولة لقتل الإمام ... لكن القدر تدخل فى اللحظة الأخيرة فاستطاع النجاة، ثم أقدم الثوار على محاولة أخرى .. وكان ذلك يوم ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨ فلحقوا به وكان متعودا أن يقوم كل يوم بجولة خارج صنعاء وانتظروا عودته .. وكانت جولته يومها إلى بلدة حزيز ، وهى بلدة تبعد عشرة كيلو مترات جنوب صنعاء .. فوضع الثوار احجارا كبيرة على الطريق ، حتى يضطروا سيارة الإمام للوقوف ، وكان ذلك فى أحد المنعطفات وهو كمين عادى من الكمائن التى تعود الناس عملها هناك ، ووقف حول الكمين على صالح القردعى ، ومحمد قائد الحسينى ، وعلى العتمى ومحمد ريحان حتى إذا وصلت سيارة الإمام اطلقوا عليها النار . فأصيب الإمام بالفعل .. وكان الثوار مصممين على القضاء عليه ، فنزل واحد منهم إلى سيارته للتأكد من مقتله .. وإذا به يجد أنه لم يمت بعد ، فأطلق عليه رصاصة أخرى انهت حياته بعد أن قضى ٤٠ عاما متوالية حاكما فردا ، ليس لأحد فيما عداه أية سلطة .. وكان عمر الإمام حينذاك ثمانين عاما ، وكان بعض الثوار ، يرون الانتظار حتى يموت، لكنه كان قد حصل على البيعة لابنه بالإمامة قبل عشر سنوات من مقتله . ثم إن ابنه كان مشهورا بالغلظة والعنف الزائد .

ولم تكن الثورة منفذة من قبل العسكريين وحدهم ، ولكن كان معهم كثيرون من أبناء الشعب ، فكانت ثورة شعبية حقيقية ... وكان حسين الكبسى والفضيل

الورتلانى وزيدالوشكى، يخططون للثورة منذ زمان بعيد ، كما كان هناك تخطيط آخر لاستكمال هذه العملية، هى قتل ولى عهده وابنه أحمد فى تعز، فى نفس يوم الثورة بواسطة جماعة يقودها الشيخ حسن الشائف... إلا أن أحمد استطاع الهرب فلم تنجح محاولة قتله . وتمت محاولة أخرى لقتل أحمد فى الحديدة... لكنها فشلت أيضا واستطاع الإمام أحمد، الوصول إلى حجة التى يسمونها معقل الأئمة ... ومن هناك بدأ العمل .

وفى الوقت الذى بدأ فيه العمل، كانت صنعاء الثائرة تحاول التخلص من انصار الإمام ، وظهر أن الرئيس جمال جميل، وهو عراقى الجنسية، كان واحداً من الذين اشتركوا فى الثورة .. وكان قد سبق لجمال جميل أن اشترك فى ثورة بكر صدقى فى العراق ، وأثبت باشتراكه فى الثورتين، أن الأمة العربية أمة واحدة ، وأن الكفاح لايتجزأ ... وأن الأرض العربية واحدة،وأن فى وسع المناضل أن يناهض الطغيان على أية أرض عربية ،وهو واثق من أنه يخدم بذلك أهله فى النهاية .

وقد قدر لى بعد ثورة السلال أن أرى أبناء جمال جميل،الذين ذهبوا لزيارة اليمن أثر تحررها ، وكان الناس يقابلونهم بشوق زائد ... واشترك فى الثورة أيضا محمد الزبيرى واحمد محمد النعمان... وقد ارتكبت الثورة خطأها القاتل حينما طالب الثوار عبد الله بن الوزير أن يقود الثورة .. أولا لأنه زيدى ، وثانيا لأن قيادته للثورة كانت على اساس ان يكون هو أيضا إماما..فقد اكتشف الناس أن من الصعب أن يزيلوا إماما،ليقوم إمام آخر مكانه،والا فلماذا هذا الكفاح الطويل؟ولذا بدأ الشعب ينفض من حوله ، وخاصة أن أحدا لايجهل أن عبد الله بن الوزير عضو مهم فى ديوان الإمام بالإضافة إلى أنه قائد جيش الإمام فى معارك تهامة لاجلاء الأدارسة، وقد عينه الإمام يحيى أميرا للواء الحديدة، بعد انتهاء الحرب مع الأدارسة وانتصاره عليهم ..ثم هو الذى قاد جيوش الإمام لفتح مأرب وبرط وحريب، وإخضاعها لحكم الإمام .

والغريب أن أخبار هذه الثورة بتفاصيلها ، تسربت للخارج قبل قيامها ، فقد نشرت جريدة صوت اليمن، التى تصدر فى عدن مقالا قالت فيه،إن ثورة مسلحة قامت فى صنعاء ، وقتل فيها الإمام يحيى وأن عبد الله بن الوزير بويع بالإمامة،وقد قرأ الإمام هذه الجريدة قبل مصرعه ، ولكن ابن الوزير أنكر عليه بأى شىء .

وكان أول عمل قام به عبد الله بن الوزير ، هو الانتقال إلى قصر صنعاء حيث توجد خزائن الدولة ، فوزع الأموال والسلاح، على المشايخ حتى يبايعوه بالإمامة، واستغل الناس الموقف ، فتدفقوا للحصول على أية كمية من المال أو السلاح .

وقد أرسل عبد الله بن الوزير وحدة من الجيش، بقيادة ابن عمه السيد محمد الوزير ، للقضاء على الإمام احمد، ولكن الإمام تمكن من تطويقها، وقد أسر قائدها، ومن ثم أرسل إلى القبائل المجاورة لحجة حتى صنعاء ،يستحثها على الحرب إلى جانبه على أساس أن صنعاء مباحة لها ، وأن من حق القبائل أن تقيم الخطاط عليها ، والجدير بالذكر ، أن ثمة عقدة دائمة بالنسبة للقبائل فيما يتعلق بصنعاء.فهى تنظر إلى المدينة على أساس أنها. رمز الإذلال، ولا يأتى منها إلا الضرر ، فمنها يأتى المخمن ... والیها تذهب العشور... وفيها تحبس الرهائن.. وتجارها يشترون المحاصيل بأسعار بخسة.

وفى نفس الوقت تدفقت الأموال من مخازن الإمام فى حجة .. وكان أن زحفت القبائل فى اتجاه صنعاء .. وحاصرتها ثلاثة أيام .. ثم اجتاحتها، ولم يكن هدفها قتل ابن الوزير أو مناصرة الإمام ، بل كان الهدف .. السطو على صنعاء ،وقد تسلمت القبائل من الإمام احمد ١٠٠ ألف ريال .

وانتصر رجال القبائل ، فاعتقلوا جميع الثوار ، وساقوهم إلى حجة، وعلى رأسهم ابن الوزير ، والرئيس جمال جميل ، والعنسى ،وحورش والكبسى.. وكان عدد الذين أعدمهم الإمام ٣٢ ثائرا بينهم أخوه ابراهيم..وزج بالكثيرين فى السجون .ومن بينهم الثلايا والسلال، وحمود الجائفى ،ومئات آخرون .. ومعظم أسماء الوزراء التى تتردد الآن فى اليمن ،هى أسماء الذين دخلوا سجون حجة بهذه المناسبة .

وبدأ الإمام احمد حكم الرعب والإرهاب . حتى إنى لما زرت اليمن لأول مرة بعد ثورة السلال، سألت الناس فى الشوارع .. لماذا ثرتم؟ . وكانت مفاجأة لى، حين وجدت إجماعا على القول.. بأن الرغبة فى التحرر من الخوف، هى التى حملتهم على الثورة .

فلقد فرض الخوف على كل إنسان .. ولم يعد هناك من وسيلة للتقرب للإمام إلا النفاق والدس .

وابتعد الإمام إلى تعز ، وجعلها عاصمة لملكه ... لعله يجد الأمان في المدينة الخضراء الهادئة .. ولكن الهدوء الذى كان يرفرف على تعز ، تحول إلى ثورة عنيفة فى عام ١٩٥٥ ... وفى يوم ٢٥ من مارس على وجه التحديد .. وكنت أريد معرفة تفاصيل الذى وقع ، فى ذلك اليوم المهم من تاريخ اليمن .. فوجدت أن للحقيقة وجوها عديدة ... ولكنى أخيرا عثرت على إنسان ، أعتقد أنه يمكن أن يكون مصدرا قيما ، وهو محمد محمود ، الابن غير الشرعى للإمام ... وهذا الفتى هو نتيجة علاقة قامت بين الإمام احمد ، وزوجة سايس الخيول فى قصره ... وكان الإمام يحب محمد حبا جما ، بل كان يفضله على البدر ... وكان البدر يعلم هذا ، فتأكل الغيرة قلبه دائما من محمد ، ولا يستريح له ... ومن اليوم الذى مات فيه الإمام احمد ، ترك محمد محمود القصر إلى غير رجعة ، لأنه يعلم موقف البدر منه ... وهو شاب وسيم ، ولكن فيه من الإمام احمد ، خبثه ، ودهاءه ، وقدرته الفائقة على المراوغة ... وشخصيته الآسرة .

قلت له أريد أن أعرف منك القصة كلها ... فلقد كنت فى قصر الإمام وسمعت كل شيء ، ورأيت كل شيء ... وتكلم محمد محمود .

ثورة الثلايا

تكلم والقيود فى قدميه ... لأنه هو أيضا كان طاغية ، وقد أخرجوه من السجن فقط ، لأتحدث معه ... وبين كل لحظة وأخرى ، كان يحاول أن يصحح وضع شعره الطويل الناعم المرسل ، حتى مؤخرة رأسه ... ويحاول أيضا أن يلفت الأنظار إليه لقد كان طفل الإمام المدلل ... وكان ضابطا فى الجيش ... أيضا ... تكلم محمد محمود ولديه ، بلا شك ، شعور بظلم الإمام ، فهو واحد من الذين قاسوا كثيرا من الإمام بالرغم من أنه أبوه :

قال لى .

لقد كنت صغيرا فى تلك الأيام ، ولكنى رأيت كل شيء ، ولا أستطيع أن أنسى تفاصيل تلك الثورة ... وما لم أعلمه عنها ... حكاه لى الإمام احمد ... وهى لم تكن

أول احتكاك بين الثلايا قائد الثورة،وبين الإمام احمـــد ... لقد سبق أن وضع فى السجن بعد ثورة سنة ٤٨،لأنه أيدها، وبعد فشل الثورة، استدعاه الإمام احمد إلى حجة بعد أن اعطاه الوجه والأمن والأمان... ثم ما لبث أن غدر به ، وأدخله السجن لمدة عامين ، ثم أفرج عنه، وحاول استرضاءه، فعينه مدربا عاما للجيش ... وكان رجلا صالحا ووطنيا، ومحبوبا من الجنود... وكان هناك أيضا، الأمير عبدالله وهو شقيق الإمام، وكان يعمل مع الثوار ، ويطمع فى الإمامة بعد أخيه احمد .

وقد بدأت الثورة بداية غريبة فقد ذهب أربعة من الجنود للصيد فى ضواحى تعز وبالذات فى بلدة أسمها «النجدة» من قرى الحوبان ... وحدث خلاف بين أهل القرية والجنود،فاطلق عامل القرية النار على الجنود،فقتل جنديا، وجرح آخرين ... وكان الإمام نائما وقت الحادث ، ولم يجرؤ أحد على ايقاظه وإبلاغه الخبر ... لذا لم يعرف الإمام بما حدث إلا فى المساء ... ولكن عواطف الجيش كانت مشتعلة والناس ثائرين .

وخرجت قوات الجيش، لتأديب القبائل، تحت رئاسة الثلاياوكان يتمتع باحترام خاص من الجنود... فاستطاع أن يجمع كلمتهم ويقنعهم بفسادالوضع كله، وضرورة تغييره وأن الإمام لاه عن الرعية ، لا هم له الا الجلوس على كرسى الإمامة ... واتفق الجيش على كلمة واحدة ،وقيادة واحدة... هى قيادة الثلايا... واتصل الأمير عبدالله بالثوار يعلن تأييده لهم . فى عزل الإمام...وفى نفس الوقت، كان الثوار يفكرون فى الأمير عبدالله على اعتبار انه واسع الأفق، وسبق له ان سافر الى الخارج عدة مرات ورأى الدنيا، وأنه لما عاد طالب بالاصلاح ... فتم الاتفاق على ان يطلب من الإمام التنازل عن العرش لأخيه عبد الله ... ومن الساعة الواحدة من صباح اليوم التالى كانت جميع اسلحة الجيش ، ومدافعه ، ورشاشاته ، تطلق النار على قصر الإمام ... وكنت مع الإمام ساعتها فى حجرة فى الطبقة العلوية ... وقد التجأ الإمام الى حجرة داخلية ، حتى لا تصيبه الطلقات التى تأتيه من الخارج ، وأخذنى معه .

واتصل الأمير عبد الله تليفونيا بالإمام ، ساعة إطلاق النيران على القصر ، وكان يسكن فى قصر مجاور ... وطلب اليه أن يسمح له بالخروج من القصر للنظر فى مطالب



الجيش ومحاولة تهدئة الموقف ، ولم يقل للامام شيئا عن علمه بمطلب الجيش ، اى بأن يحل محل الإمام أحمد فى الإمامة... ووافق الإمام احمد ... وخرج عبد الله، فاجتمع بالضباط فى الشكنات ... واستدعى الثلايا جميع رجال الدولة ... وهناك عرض عليهم إعطاء البيعة للأمير عبدالله ، لأن الإمام اصبح غير قادر على مواجهة اعباء الإمامة لمرضه ، وعجزه عن تسيير امور اليمن... فأعطاه القليل منهم البيعة ، بينما رفضت الأكثرية ، متعللين ان فى اعناقهم بيعة للامام، وانه يجب ان يتنازل الإمام عن الإمامة باختياره ورغبته .

وحدث خلاف بين المجتمعين ، واخيرا اتفقوا على إرسال وفد منهم لمقابلة الإمام وتقديم مطالب الجيش له بضرورة التنازل عن الإمامة ، وفى اللحظة التى كان الوفد يدق الباب، كان الإمام يصدر أوامره لخدم القصر بملء جميع البراميل بالماء ، كما جمع مفاتيح مخازن القصر ، وخزائنه، وأخفاها فى الحائط فى حجرة نومه ...

ودخل الوفد لمقابلة الإمام... ولم أحضر المقابلة... ولكنى استمعت اليها ، فقد كنت أقف قرب الباب . وقد أخذ الإمام ورقة وكتب عليها (تنازله عن الأعمال) ولم يذكر شيئا عن التنازل عن الإمامة ، وخرج الوفد من عند الإمام إلى معسكرات الجيش . .

وبعد فترة، عاد مرة أخرى، لأن الثوار لم يوافقوا على تنازل الإمام عن الأعمال فقط ... بل طلبوا التنازل الكامل عن الإمامة. وإلا فإن الجيش سينسف القصر بمن فيه ... ورضخ الإمام .. فأخذ ورقة أخرى، وكتب عليها تنازله الصريح الكامل عن الإمامة ، وحينما سلمهم الورقة ، لم يكن يبدو عليه شيء من التأثر أو الحزن ، بل قابل الأمر كله ببساطة... وقال لهم: من يدى اليمنى إلى يدى اليسرى... الحكم فى بيت حميد الدين ... وهو يقصد بذلك ، أنه لم يحدث تغيير فالذى حدث هو انتقال الحكم منه إلى أخيه ... ومادام الحكم فى بيت حميد الدين ، فليس ثمة تغيير ...

وطلب الإمام فى تنازله ، إلى كل من خرج لمناصرته ، أن يعود إلى بيته ...وخرج الإمام الجديد ، عبد الله إلى الجامع ، حيث صلى بالناس إماما ...وبدأ كل جانب يعمل فى نطاقه... فراحت الحكومة الجديدة، تعيد تنظيم الدولة، وتطلب المبايعة من انحاء

اليمن... فى حين انصرف الإمام احمد الى اخلاء القصر الذى يسكن فيه من النساء، وطلب ألا يبقى فيه غير الرجال ... ورغم الحراسة المشددة فقد استطاع أن يرسل المبعوثين إلى القبائل يطلب مساعدتها ، وأخرج الأموال من الخزائن لرشوة الناس وفى نفس الوقت ،طلب من ابنه البدر الانتقال الى حجة ، والاتصال فورا بابن سعود لطلب المعونة منه... وبالفعل جهز ابن سعود المقاتلين،والسلاح و الذخيرة والأموال من نجران ، كما حدث فى ثورة سنة ٤٨ حينما طلب أحمد المعونة أيضاً من ابن سعود الذى وافق بلا تردد ...

وأخذ الإمام يجمع كميات كبيرة من الذخيرة والسلاح فى داخل قصره ، معتمداً على خدمه الأوفياء ، الذين كانوا يتسلمون الأموال ، ويشترون بها السلاح ، ثم أشار عليهم الإمام بالذهاب إلى معسكرات الجيش ، وإغراء الجنـــود ببيع « ترابيس » المدافع والبنادق ... بأسعار خيالية .. واستطاعوا بذلك جمع معظم « ترابيس » المدافع والبنادق..وفى هذه الأثناء اكتشف الثلايا اللعبة ، وطلب قتل الإمام أحمد، ولكن أخاه عبد الله ، رفض بشدة ...

ولما تأكد الإمام من أنه استطاع شل حركة الجيش .. كما استطاع تجميع بعض أعوانه .. أرسل زيادة فى الحيطة، كميات كبيرة من النقود لرجال المدفعية الموجودين فى قلاع صبر ، وصالة ، وجحملة ، وطلب إليهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد لقصف معسكرات الجيش بالمدافع ، وقال لهم : إن إشارة البدء بالعمل ، هى إشعال النار..فإذا أشعل لهم النار ، بدأوا بإطلاق القنابل،وفى نفس الوقت، كان لدى الإمام أحمد خطة أخرى .. وهى إغلاق جميع أنابيب الماء التى تغذى معسكرات الجيش ،فقد كانت هذه الأنابيب تمر داخل قصره .. وقد أغلقها فعلا ، فانقطع الماء عن الجنود وما كادت النار تشتعل، حتى أطلقت المدافع والرشاشات قذائفها على معسكرات الجيش واستمر ذلك ٣٦ ساعة ،الأمر الذى أدى فى النهاية الى استسلام الأمير عبد الله ، ومن معه ، أما أحمد الثلايا فقد استطاع الفرار ...

حتى هذه اللحظة ، لم يكن الإمام قد خرج من باب القصر . لأنه لم يكن واثقا

من الأحداث ، وقد أعلن عن جائزة كبيرة ، لمن يقبض على الثلايا ، الذى سار إلى عبدان، وهناك استدرجه الشيخ بدر سيف، وأعطاه الأمن والأمان وقال له: إنك فى وجهى ياثلايا، وثورتك هى ثورة الشعب ، أنت ضيفى، ولن يمسك سوء ، أو أموت دونك، وأخفاه فى حجرة من بيته وأكرمه ، وقدم له الماء والطعام، وفى نفس الوقت أرسل الشيخ بدر سيف إلى الإمام أحمد يخبره أن الثلايا فى قبضته ، ويطلب منه إرسال الجنود ليستلموه ...

ولم يخرج الإمام أحمد من باب القصر، إلا بعد أن تأكد من القبض على أحمد الثلايا ، فأمر بإحضاره وهو مكبل بالحديد فى يديه وقدميه ، وكان فى قدميه ثلاثة قيود ، واجتمع الناس،ووقف الثلايا وسط حلقة من البشر، فى ميدان العرضى أمام قصر الإمام، فنزل الإمام أحمد،ووقف امام مدرعة كان قد أهداها له سيجر حاكم عدن الإنجليزى ، وراح ينفث حقده نحو الثلايا الذى كان يرتدى جلبابا أبيض ، ورأسه عار، وشعره قصير، ووجهه مكسو بالرمال.. لكنه كان شامخا معتزا ، وكأنه لايبالى بشىء ، بل كان مهيب الطلعة ، والتصميم ينفجر من عينيه .. فقد كان واثقا من الموت ومن أنهم سيقتلونه ..

وبدأ الإمام يتكلم « آه » هذا هو الثلايا .. الذى أحسنت إليه .. هـذا هو الثلايا الذى كان يرافقنى .. هذا هو الثلايا الذى أعطيته هـذا البيت ، وسمحت له بركوب الطائرات على حسابى .. هذا هو الثلايا الذى جازانى على إحسانى إليه بالغدر .. بماذا تحكمون عليه ؟ .. ورفع حراس الإمام ، والرجال الذين جاء بهم أصواتهم ... الإعدام .. الإعدام .. للخونة .. ؟

ولكن الثلايا بدأ يتكلم .. فما لبثت الدموع أن انهالت ، ورأيت أناسا من الذين يعيشون داخل القصر معى يبكون ... ولكننا لم نبلغ الإمام عنهم ..

قال الثلايا :

« أنا ثرت من أجلكم .. أنا قمت من أجل الشعب.. أريدكم ألا تأكلوا الكومة

(الخبز الجاف) وغيركم يأكل أحسن الطعام ... أريدكم أن تتحرروا من الجوع ومن الخوف ...

ولم يعطه الإمام فرصة لإتمام حديثه ... فصاح... ياوشاح... السياف ... أجز الأمر.. أجز أمر الله ، وقتل الثلايا ، وعلقت جثته على شجرة فى الميدان ، وعلق رأسه مع رأس الرئيس عبده باكر... وقطعت رؤوس كثيرة ،من جملتها رأســا أخويه عبد الله والعباس ... وفشلت الثورة ...

وكان من أهم أسباب فشلها ... أيضا ... هو إحلال إمام مكان إمام ،من نفس الأسرة الطاغية ... فأية ثورة ،لا يمكن أن تجمع الناس حـــولها ، إلا إذا شعروا بأن لها جذورا عميقة ... وأنها تواجه أعداء الشعب الحقيقيين ... وقد كان الإمام أحمد ذكيا حينما قال « من يدى اليمنى إلى يدى اليسرى الحكم فى بيت حميد الدين » فقد كان يعرف أن الناس لن يجنوا شيئا ،من استبدال إمام بإمام ،وأن الشعب يحس بأن لا فائدة من تغيير الوجوه ...

ومرت الأيام ...!!

واستفاد الناس من الثورات الفاشلة ، ودرسوا أسباب فشلها ، وفى سنة ٥٩ ذهب الإمام أحمد إلى روما للعلاج ، وبدأ حديث الناس عن وفاته ، واستعد البدر وكذلك الحسن ... كل منهما يريد أن يكون إماما ، وبدأ كل واحد منهما يجمع أنصارا إلى جانبه ... ولكن الناس كانوا قد سئموا الجميع ، وبدأت أول محاولة للإطاحة برؤوس الإمامة كلها ... وإعلان الجمهورية ، ولكن الخطة كانت ضعيفة ، ولما عاد الامام بطش بالثوار بوحشية ... ولحقت هذه الثورة ،بالمحاولة التى قام بها سعيد حسن ، لقتل الامام ... وكانت خطته أن يقتله بقنبلة يدوية،ولكن أحد خدم الامام وشى به ... بعد أن كان مع الثوار ، وقبل دخول سعيد حسن إلى حجرة الامام تم القبض عليه ، وقتل فى ميدان عام ...

ولم تكن الثورات قاصرة على المدن فقط ، فقد قامت قبيلة حاشد أيضا ،بثورة ضد الامام ، ولكنه استطاع إخمادها أيضا ، وقتل الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وابنه حميد ...

وعندما قامت ثورة السلال التقيت بعبد الله الأحمر وهو شقيق حميد .. وقال لى عبد الله: إن الذى فعله حكم الأئمة فينا، لا يمكن أن ننساه .. وهذه الثورة هى قدرنا،وسنظل جميعا جنودا لها، وعلمت أن البدر أرسل إليه يستعطفه، ويطلب منه نسيان الماضى، إلا أنه رد على البدر بخطاب، استهله بالعبارة التالية : « إلى البدر المغرور » ويمكن أن يكون الخطاب وثيقة على فساد أسرة حميد الدين وظلمها ..

إن الناس لم يرهبوا منظر الدم الذى كان يجرى كل يوم .. لقد كانوا يريدون التحرر من الخوف ، بأى ثمن ، وقد قرر ثلاثة من الضباط،مواجهة الخوف فى عام ١٩٦١ ..وكان ذلك فى الحديدة،فقد اتفق محمد العلفى ضابط مستشفى الحديدة، والملازم عبد الله اللقية،والملازم محسن الهنداوية على قتل الإمام أحمد عند وصوله إلى المستشفى فى المساء ، وكانت الخطة موضوعة على أساس أن يتظاهر العلفى بالمرض ، ويقوم اللقية باطفاء الأنوار .. ثم يطلقون النار على الإمام .. ومن باب الاحتياط، قاموا باغلاق أبواب المستشفى بمجرد دخول الإمام، وبالفعل أصدر العلفى إشارته بقطع الأنوار ، وتولى اللقية قطعها .

لكن الإمام بدأ يتنبه إلى مايدور حوله فصاح : من الذى فعل هذا ؟! فرد العلفى : انا ، وقال الإمام ... ومن أنت ؟!! وجاءه الرد سريعا ... أنا الشعب ... ولم تمض إلا لحظات حتى كان الجميع قد اطلقوا النار على الإمام ، وقد أطلق الثلاثة ٢٠ طلقة ... أصابت منها الإمام ١٢ طلقة، ولكنها لم تكن مميتة ، وبدأ الإمام أحمد يمثل دوره باتقان، فاستلقى على الأرض، وادعى الموت، فتركوه... وتفرقوا لإعلان الثورة ، ولكن رجال الحرس راحوا يتعقبونهم ، ولما عرف العلفى أن الامام لم يمت أطلق على نفسه النار ،أما الآخران... فقد قبض عليهما ، وبدآ يواجهان سلسلة من التعذيب المتصل، بغية الحصول منهما على أسماء أعضاء باقى المنظمة، التى اشتركت معها فى وضع الخطة، ولكنهما استطاعا كتمان السر ، وتركا البذور والرؤوس لكى تعمل مرة أخرى ...

وفى صباح اليوم المحدد لاعدامهما ... ذهب اليهما رسول يقول : إن الامام يعدهما بألا يقدما إلى السياف ، إذا اعترفا بأسماء الجماعة التى تعمل معهما ، وأنه

يعطيهما الوجه ، ولكن كان لهما من التجربة مايجعلهما على ثقة من نوايا الإمام ... فاستمرا على موقفهما،وأعدما ذبحا بالسيف ، وهما يحملان فى صدريهما السر الخطير ، ولم يستطع أحد معرفة أسماء أفراد الشبكات التى كانوا يعملون معها ، إلا بعد نجاح ثورة السلال ، وبينهم الدعينى ، والمقدمى ، وكثيرون من المدنيين والعسكريين...

ويومها نقل الامام إلى قصر البونى حيث عولج عدة شهور ، ولكن أغلب الظن أنه مات متأثرا بجراحه، بعد عام ونصف العام...

وقد كان لهذه الثورة بالرغم من أنها لم تحقق أهدافها المباشرة، أثرها على مجرى الأحداث فى اليمن ، فقد ازداد الناس إيمانا بأن حكم أسرة حميد الدين قد انتهى ... وأن البدر لن يعلن إماما ... كما أن الشجاعة التى تمت بها مواجهة الإمام ، جعلت الناس يثقون فى الثوار ... وشعب اليمن من أكثر شعوب الدنيا ، إعجابا بالشجاعة وتقديرا لها ...

وثمة أمر آخر،وهو أن الامام اضطر للاختفاء عن الانظار ،حتى وفاته ،الأمر الذى اعطى الفرصة للتدبير ...وفى نفس الوقت توقفت جميع أمور الدولة ... لأن كل صغيرة وكبيرة تحتاج إلى توقيع الامام ، ولما كان الامام متأثرا « مريضا » باستمرار فقد توقفت الحياة... وكان خبرا مثيرا لدى المعلقين السياسيين، حينما قامت مظاهرات من الطلبة فى صنعاء، حملت صور عبد الناصر ، وهتفت بسقوط الملكية ، وتوجهت الانظار إلى صنعاء،لأول مرة منذ زمان طويل ... لأن الثورة، وصلت الشارع ... واستطاعت قبائل الاهنوم أن تقمع الثورة، ولم يسكت الثوار،فكان فى خطتهم قتل الامام أحمد فى تعز ...ولكن يد الله ... كانت اقرب من أيديهم اليه ...

ومات الامام أحمد... بينما هدف الثورة، لم يكن الامام أحمد... انما كان الهدف انهاء الفساد ذاته ... ولهذا قامت الثورة بعد مرور بضعة أيام على وفاته ... فقد كان الثوار يعرفون كثيرا عن البدر... ولم تستطع كلماته البراقة عن الاصلاح ،أن تجد أى صدى لأن أحمد اباه ، ويحى جده، سبق ان قالا للناس نفس الكلام ... ورددا نفس الألفاظ ... اذن فهى حلقة مفرغة لانهاية لها .

وقامت ثورة السلال ... الثورة الصعبة ... ولكن لم يكن معقولا أن تنتهى الأمور بهذه السهولة ... وبمجرد فرار البدر ... لأن معنى قيام ثورة فى اليمن ، له أهمية كبرى ،عند جهات كثيرة ... ليس فى داخل اليمن فقط ... ولكن فى خارجها أيضاً ... فالإنجليز مقيمون فى عدن والمحميات ... ومن غير المعقول ،قيام حركة لها صفات الثورة ومقوماتها الاساسية ،ولا تطالب بالجلاء ... ثم ان وصول المد الثورى إلى أهم قواعدهم فى هذه المنطقة ،يعنى أن الأرض الهادئة ستتحول هى أيضا الى الثورة وان الاتفاقات والمعاهدات الواهية التى أقيمت بينهم وبين الشيوخ فى ظروف غريبة ،لن تعيش طويلا .. بل إن بعض هذه المعاهدات ،يدعو إلى الضحك والاستغراب وعلى سبيل المثال اذكر معاهدة عقدت بينهم وبين شيخ حدره ،على أساس أن يدفعوا له ٥٠ ريالا شهريا ، فى مقابل قبول حماية الانجليز لبلاده إلى الابد ... وكان شيخ عرقه أكثر منه فهما فقبل ٨٠ ريالا شهريا فى مقابل الموافقة على الاستعمار البريطانى ... وهناك معاهدة مذلة ،وقعت بين والى عدن الانجليزى ،وبين الشيخ محمد بن على ، ونصها كما يلى :

« يدفع والى عدن دائما إلى الشيخ محمد على من لطف الحكومة وكرمها سبعة ريالات فى الشهر اعترافا بصداقته وبالخدمات الجليلة التى أداها للحكومة وبالاخص للجنة الحدود ، ويوافق الشيخ المذكور على التمسك دائما بصداقة وطاعة الحكومة البريطانية ومساعدة ضباطها ، وملاحظة أعمـــدة الخطوط الموضوعة داخل بلاده والاعتناء بها واصلاحها ،إذا طرأ عليها أى عطل » .

إلى هنا وانتهت أغرب اتفاقية يمكن أن تحدث ،أو يتصور حدوثها ،والتى من أجلها باع الرجل بلاده ... ولم يكن بالطبع يعلم ، لأن معظم هذه الاتفاقيات كانت تحمل بصمات المشايخ، دون أن يعرفوا شيئا من النص ،فسلطان العوالق العليا ،صالح عبد الله عوض، سلم بلاده مقابل ١٠٠ ريال و ٦ بنادق ، بينما ذهب شريف بيحان أحمد بن محسن بنفسه إلى عدن سنة ١٨٨٢ ليوقع معاهدة مع بريطانيا فى مقابل ٣٠ ريالا و ٦ بنادق ... على أن العملية لم تكن بالسهولة التى تتصورها .. فإن بريطانيا استخدمت كل ما عندها من خبث للوصول الى هذه الاتفاقات ... وبالنسبة لبعض الذين وقعوا الاتفاقات ... قيل لهم ساعتها ،إنهم يبصمون على الهدايا التى تسلموها

من حكومة بريطانيا ... وإذا رفض السلطان التوقيع ، فانهم يشترون البلاد من أى شخص آخر ، اقل من السلطان ، وبالسعر الذى يحددونه هم ...

وقد حاولوا نزع السلاح من الاهالى، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، فوزعوا السلاح على أصدقائهم ... وقامت حروب كثيرة لهذا السبب ... وقد طبق الانجليز، سياسة فرق تسد ، خير تطبيق، ووضعوا بجوار كل سلطان ، مستشارا بريطانيا، هو الآمر الناهى ... وفى نفس الوقت عينوا لكل سلطان نائبا ... وزرعوا بذور خلافات عديدة ، بين السلطان ونائبه، حتى يضمنوا بقاءهم ... لكن هذا كله لم يكن كافيا ... فبالعدوان المسلح... احتلوا المحميات التى رفضت الانصياع لأمرهم، حتى انهم ضربوا تعز ذاتها بالطائرات، وتسبب ذلك فى خسائر، تزيد على ٣ آلاف شخص، بين قتيل وجريح ... حتى يشعروا أهالى المحميات ، بأن اليمن « الأم » ضعيفة ذليلة ...

وقصة احتلالهم عدن ذاتها غريبة فقد تم احتلالها سنة ١٨٣٩ على أثر تمثيلية قام الانجليز بها ... فقد عمدوا إلى اغراق سفينة صغيرة بالقرب من شاطىء عدن ، وشجعوا الاهالى على سلب حمولتها ، على اعتبار انها غارقة لامحالة ... ثم ارغموا السلطان على دفع نصف ماطلبوه ثمنا للبضائع المنهوبة ، وحصلوا على وعد بدفع النصف الآخر فى العام التالى... لكن الانجليز ما لبثوا أن طلبوا استلام عدن كلها ، فى مقابل ٨٠٠٠ ريال ، فرفض السلطان ... فهاجمها الانجليز ، واحتلوها بالقوة... وقد حاول السلطان، أكثر من مرة، طرد المعتدين ولكنه فشل... ومن ثم أصبح لبريطانيا موطىء قدم فى الجزيرة العربية ... ورأس جسر، توسعت منه إلى باقى المحميات، بالأسلوب الذى سبق ذكره ...

موقف الاستعمار من ثورة اليمن

والآن بعد أن قامت ثورة فى الوطن الأم ... هل تتصور بريطانيا ، أن تسكت اليمن على هذا العدوان ... ؟ بالطبع بريطانيا لا تتصور هذا ... والذى توقعته هو بداية المشاكل ... لذا سعت الى ضرب الثورة اليمنية أولا ... وقبل أن تبدأ المشاكل، وخاصة ، أن الثورة اليمنية، اعلنت فى أول بياناتها، ايمانها بالقومية العربية بقيادة عبدالناصر... الرجل الذى تلقت منه بريطانيا ، ضربة لاتنساها فى قناة السويس

وضربة اخرى ، بتحطيم نفوذهـــا فى الشرق الاوسط ... والعراق ... ولا زالت تنتظر ضربات وضربات ، حتى يزول استعمارها من الوطن العربى ... وها هى الآن تواجه ثورة قاعدتها الرئيسية فى باب المندب ... مدخل البحر الاحمر ... وعنق الزجاجة الخطير ... آخر المعاقل البريطانية ... هل تتنازل عنه بريطانيا بهذه السهولة؟ ... ان بريطانيا ، تقاتل آخر معاركها ... وآخر المعارك ، دائما ، أشد المعارك ضراوة وقسوة وعنفا ...

ولهذا وقفت بريطانيا ، ومعها عملاؤها ضد الثورة منذ أيامها الأولى ... وفوضت بريطانيا شريف بيحان للقيام بالواجب بدلا منها ، وقد وقع اول عدوان من اراضى شريف بيحان على مأرب ، بعد قيام ثورة اليمن بثلاثة عشر يوما ، بل ان بيحان بدأت تأخذ دور القاعدة ، التى يتدفق منها السلاح ، والذخيرة ، والمتسللون ، إلى داخل اليمن ... كما استخدمت بريطانيا ايضا اسلوبها المألوف ... وهو تأليب القبائل وإغراؤها ... فكما سبق لها ان ألبت قبائل الزرانيق ضد الامام ، حتى يوافق على تسليم بريطانيا جزءا من بلاده ، لجأت إلى نفس المحاولة ، بعد ثورة اليمن ، فراحت تشجع القبائل بالمال والسلاح ، على رفع السلاح فى وجه حكومة الثوار ... وفى الأيام الاولى كان النفوذ البريطانى يحاول الاختفاء حول وجوه عربية ... ولما فشل هـذا الأسلوب ، اظهر الاستعمار وجهه عاريا ... فأرسلت بريطانيا قـــوات نظامية بريطانية ، لتحارب بجوار القبائل ... وقد أبلغ بعض شيوخ القبائل عن وجود هذه القوات ... وقتل بعض افرادها أثناء القتال ... وامكن التعرف عليهم بسهولة رغم أنهم يرتدون الملابس اليمنية ، ولم يكن ذلك عسيرا ... فقد كانت اجسادهم بيضاء على بياض مشرب باحمرار ، وكانت عيونهم زرقاء وذقونهم حليقة ، واقدامهم ناعمة ، وقمصانهم ذات أكمام رفيعة ... ومظاهر اخرى كثيرة ...

كان هذا هو موقف بريطانيا ... باختصار ... أما موقف الرجعية فتلخص فى ان قلعة من أعتى قلاعها ، أعلنت الثورة فجأة ، وأقامت الجمهورية ، وأين ؟ . خلف ظهر السعودية ، لذا تكاتفت كل قوى الرجعية ، منذ اللحظات الأولى لإسقاط الوضع الجديد فى اليمن ، رغم ان السلال اعلن فى بياناته الأولى ، انه يسعى إلى الصداقة مع جيرانه ...

وقد كانت السعودية على الدوام تنظر إلى حكم أسرة حميد الدين، على أنه إمتداد لحكم أسرة سعود ... فهم الذين وقفوا مع الإمام احمد، عقب مصرع والده يحيى. وهم الذين وقفوا معه فى ثورة الثلايا... ثم هم الذين يقفون الآن مع البدر ... وقد تخلت أسرة حميد الدين عن جزء من اليمن، للمملكة السعودية ثمنا لهذه الصداقة بعد الغزو السعودى ... الذى قام به فيصل ... واستطاع بواسطته أن يصل بقواته فاتحا، حتى الحديدة.

ثم إن نجاح الثورة فى اليمن، يعنى احتمالات شديدة، لثورة فى السعودية...وكان السعوديون يعتقدون أن القوات المصرية، لابد من أن تزحف إلى السعودية بعد اليمن ... والواقع أن الجمهورية العربية، لم ولن، تفرض مبادئها بقوة السلاح ... فالشعوب دائما، هى التى تفرض المبادئ ... لكن الحكام السعوديين لم يستطيعوا أن يتصوروا أن السعودية من القاهرة.، أكثر قربا من السعودية عبر صنعاء ... والسعودية لها وزن. فى مثل هذه المعركة ... أولا، بسبب حدودها المتسعة المتاخمة لليمن ... وثانيا لأنه يوجد فى السعودية ٨٠ ألف يمنى، يعملون هناك. وقد بدأت بالفعل فى تجنيدهم وإمدادهم بالسلاح ... وتشكيل جيش منهم ... ثم سمحت بأن تكون أرضها، قاعدة للعدوان..

وكان واضحا أن الحسن الذى اندفع من نيويورك إلى الرياض، لا يريد أن يحارب، وأنه فى كل ليلة يحاول استشارة النجوم، ورؤية الطالع، وقد مرت أيام والطالع لا يوافقه، حتى أن خالد السديرى خال الملك سعود، أرسل يقول للملك: «إن هذا الإمام ... غير مقدام ... لن يجسر على التوغل داخل اليمن، بل كان كل همه، أن يدخل ولو شبرا واحدا من أرض اليمن ليقول: إنه دخلها»..

وللحرب دائما عملاء ووسطاء ومستفيدون... وخاصة إذا كان المحارب جاهلا.. وهكذا، ظهر مئات الوسطاء لبيع الأسلحة الخردة والقديمة إلى السعودية ... بل لقد بيعت صناديق الأحجار على أنها أسلحة ... وبدأ البدر نفسه يكتشف قدرته على الاغتراف من بئر الذهب، فهو كلما حصل على مبلغ من المال للمجاهدين المناضلين!! أخذ نصفه، ونقله إلى حساباته السرية فى الخارج، لأنه يعلم ألا امل له فى العودة إلى

اليمن ... وقد أخبرنى بعض مرافقى الإمام أحمد ، أنه كان يقول دائما « حمى الله فاروق » — يقصد الملك السابق فاروق — لأنه علمنا الطريق ... والطريق الذى يعنيه ، هو طريق تهريب المال باسمه و باسم إبنه البدر إلى الخارج . وقد بدأ الإمام أحمد،فى تهريب الأموال منذ عام١٩٥٢ واستطاع تهريب نحو عشرة ملايين جنيه إلى سويسرا و إيطاليا ... وكان وسيطه فى عمليات التهريب ، هو الجبلى ، شريكه فى تجارته ...

وانضمت إلى السعودية ... حكومة الأردن السابقة ... ولم تكتف حكومة الأردن، رغم ضعفها بالكلام، بل ارسلت الجنود والسلاح ... وكان لحكومة الأردن هدفان : الأول القضاء على الثورة التحررية،حتى لا تصل إلى الأردن ذاتها ... والثانى ابتزاز جزء من اموال السعودية ،وهكذا كان ... ولكن الشباب العربى من ضباط الجيش السعودى والأردنى، كشف المؤامرة فى ايامها الأولى،وذلك حين لجأ الطيارون السعوديون والأردنيون ، إلى القاهرة ورفضوا الاشتراك فى ضرب الثورة العربية ثم ان للسعودية اطماعا فى جزء من اليمن وهو الجزء المجاور للربع الخالى لاحتمال وجود البترول فيه ...

موقف إسرائيل من الثورة

أما من جهة إسرائيل ، فكان الموقف مختلفا ... لأن إسرائيل تتبنى الأنظمة الرجعية فى الدول العربية ، فتحول النظام فى الدول العربية إلى نظام تقدمى ، يقلق إسرائيل أعظم القلق ... لأن هذا يعنى وجود جيش قادر على العمل على طول الحدود العربية الإسرائيلية. الأمر الذى لاتستطيع إسرائيل مواجهته على الاطلاق بالاضافة إلى أن نجاح ثورة تقدمية قومية ، يضيف إلى قوة مصر قوة أدبية وعسكرية وهذا بالذات مايرهب إسرائيل ، وهى لاتتصور ، فى الوقت الذى تحاول جاهدة تأليب كل القوى ، ضد عبد الناصر ونظامه ، أن يزداد هذا النظام قوة بل ... وأن



تنضم إليه دولة جديدة ... ولو أن الثورة لم تكن فى اليمن، لما اهتمت اسرائيل كثيرا ... لأن قيام ثورة قومية هناك ،يعنى احتمال قيام ثورة فى أية دولة عربية ... بل إن الثورة اليمنية، تشجع الثوارالعرب،على الظهور بثوراتهم إلى حيز الوجود ... ولعل جملة واحدة تكفى لتسهيل الأمور، أمام الثوار فى كل مكان ... هذه الجملة هى تلكالتى يمكن أن يرددها كل ثائر : لقد قامت ثورة فى اليمن ونجحت، فما بالنا نحن !!؟

وشىء آخر أزعج إسرائيل بشدة ... هـــو أن تكون مصر قادرة على القيام بعمليات عسكرية عنيفة ، على هذا البعد الهائل من أرضها والذى يزيد على ٢٠٠٠ ميل ... إن هذا يعنى انهيار الروح العدوانية فى الجيش الاسرائيلى...فهو لايستطيع نفسيا مواجهة القوات المصرية فى أية حرب قادمة ... لثقته بأن القوات المصرية قوةضاربة كبرى، استطاعتأن تقوم بعمليات عسكرية ،لا تقدرعليها إلاالدول العظمى ويستطيع العسكريون معرفةذلك بسهولة..على أن المشكلة الحقيقيةالتى تواجهها إسرائيل.. هىأن انتصار القوات المصرية فىاليمن ،معناه أن ميزان القوى سيتغير،ولا يمكن إعادته إلى ماكان عليه،وذلك لأن قادة الجيش الإسرائيلى، يعلمون أن الجندى المصرىمدرب على مستوى عال من التدريب ... وفى نفس الوقت ،مسلح بأسلحة حديثة... ولدى مصر قوة بشرية هائلة،قادرة على تجنيد أكثر من مليون مقاتل، إذا مادعت الحاجة... لكن كان هناك عنصر هام فى نظرهم، لم يستكمله الجيش المصرى، وهو الاحتكاك الفعلى فى

القتال ... ولو قدر لهذا الجيش أن ينتصر فى حرب ، فإن جنوده سيتحولون إلى مقاتلين من الطراز الأول، لأنهم سيكسبون ثقة هائلة، تشحن نفوسهم بقوة جبارة ، وبطاقة كبرى على تحقيق النصر، لاسبيل إلى إضعافها، الأمر الذى يخيف، إسرائيل لأنها تعلم، أن هناك معركة لابد من ان تدور على أرضها ... ثم أن مصر قد احتفظت على أرضها طوال حرب اليمن، بقوات ضاربة كبيرة وكافية لضرب إسرائيل داخل أرضها لو هى حاولت القيام بأى عدوان، طوال إشتراك القوات المصرية فى العمليات الحربية فى اليمن ... إن إسرائيل تعلم هذا ... لذا كان أملها الكبير ، هو أن تهزم القوات المصرية فى اليمن .. ولم يكن هذا الأمل يراود، إسرائيل وحدها ، بل كان يراود جميع القوى المعاديه التى وقفت ضد الثورة فى اليمن ، منذ يومها الأول ، وكان معنى هزيمة القوات المصرية ...هو انتهاء القومية العربية بصورة نهائية ، مما يجعل الرجعية قادرة على تطويق القومية العربية فى قلعتها الوحيدة ... القاهرة ... ثم إن مثل هذه الهزيمة من شأنه أن يرفع الروح المعنوية للقوات الإسرائيلية ... الأمر الذى لايستبعد معه ، أن تنتهز الفرصة للقيام بمغامرة مثل عدوان السويس سنة ١٩٥٦ ...

وقد كان لدى جميع أطراف العدوان ، من المعلومات ، مايؤكد لهم أن احتمالات النصر بالنسبة للقوات المصرية قليلة جدا ... بل لقد اعتقدوا أن عملية على مثل هذا البعد من القاعدة ، مستحيلة النجاح ... فلا طرق صالحة للحملات الحديثة ولا مطارات للطائرات ، ولاموانى صالحة لخدمة النقل فى حرب كبيرة ... ثم إن الجبال يلزمها تدريب خاص، وأسلحة خاصة ، ومعدات خاصة ، وهو مالم يتصوروا توافره ... ولو أن حكومة إسرائيل فكرت قليلا لعلمت ، أن هناك أراضى جبلية داخل المنطقة المحتلة من فلسطين ... هذا بالإضافة الى عوامل أخرى كثيرة مثل : دراستهم الدقيقة ، لأحوال القبائل، ووجود خلافات دائمة بينهم ، وإمكان الاستفادة من هذه الخلافات ، بالإضافه إلى أن القبائل فقيرة إلى الحد الذى يصبح المال معه قادرا على إغرائها بمؤازرة العدوان ... وكذلك السلاح ، له إغراء شديد لدى رجال القبائل ... واعتمادا على معرفتهم بأن رجال القبائل غير مثقفين ويمكن استثارتهم بسهولة

قالوا لهم : إن الجنود المصريين يلبسون القبعة ، حتى لا يروا الله ... وأن اشتراكيتهم التى يدعون اليها، تعنى المشاركة فى الحريم ... وأنهم يأخذون الأطفال منكم ليقتلوهم فى القاهرة، لاليعلموهم ... بالإضافة إلى تمثيليات الامام البارعة ، حينما كان يطلى نفسه بالفسفور ، ويصعد إلى أعلى الجبل خلال الظلام ، فيشع ، فتنطلق الأفواه ، هذاهوالإمام المضيء.. وفى بعض الأحيان ،كان الإمام يضحك على السذج من الناس ، فيكتب لهم قيراطين فى الجنة . أو حجابا يمنع عن حامله وعن بيته ، قنابل الطائرات... لكن الكذب ضعيف الأساس..دائما...فلم يستطع الناس، نسيان تجارب الأئمة السابقة فى الخطاط ، وفى إباحة المدن ... كما لم يستطع ، احد أن ينسى الطريقة التى استطاع بها الامام أحمد دخول صنعاء .

والخلاصة .. لقد جربوا جميع أسلحتهم .. لكن الثورة استمرت .. وكانت هى نفسها الثورة الصعبة .. وبعدها بدأت الحرب الجيدة ...

لماذا أرسلنا القوات إلى اليمن ؟

وقد كان لزاما علينا أن نرسل قواتنا إلى اليمن، طالما أن لنا مبادىء ،وأننا مؤمنون بها ،تجاه الامة العربية ، والتحرر العربى .. وقد كانت عملية اليمن بالذات بعدا آخر لاختبار مدى الايمان بمثلنا العليا .. فالمبادىء ليست تجارة بالكلام...ولو أن هذه الثورة قامت فى أية بقعة اخرى ، لأمكن القول أن لمصر هدفا استغلاليا ، وأن هناك احتمالا للاستفادة من الثورة ، ومن إرسال قوات إلى أرض الثورة ...ولكن إرسال قوات مسلحة، إلى أرض اليمن بالذات، أثبت أن مصر جادة فى أقوالها ...وأنها قادرة على تطبيق مبادئها فى أى مكان، وأن لاعلاقة للمبادىء ،باحتمالات الاستفادة فى المستقبل لأن العملية فى اليمن، عملية عطاء مستمر ، وليست عملية أخذ على الاطلاق.

ولم يكن هناك سوى الجمهورية العربية المتحدة ،قادرة على تقديم المساعدة السريعة العاجلة لثورة اليمن ، فيوم قامت الثورة، لم تكن اليمن لتستطيع أن تطلب المعونة من أحد ... هل تطلب المعونة من السعودية ؟ ... هل تطلب المساعدة من سوريا ؟ .. وجيش سوريا مزقه الانفصال، وأصبح غير قادر على الحركة... ثم هل يستطيع أحد

أن يتصور أن زعماء الانفصال ، يمكن ان يقبلوا مساعدة ثورة قامت وهدفها الدعوة للوحدة والقومية ؟ .. هل تطلب من الاردن ؟ .. ووضع الاردن لا يختلف فى كثير أو قليل عن وضع السعودية . هل تطلب من العراق حيث عبد الكريم قاسم الدكتاتور الذى سحل الاحرار ... كل هذا كان غير معقول من ناحية المبادئ كما ان الجزائر لم تكن قد استقلت إلا منذ أيام ،وهى تواجه مشاكل البناء ومن غير المعقول أن يطلب من دولة حديثة الاستقلال مثل هذه المعاونة .. من الناحية العملية ، وباختصار ، لم يكن هناك دولة عربية واحدة قادرة عمليا أو عقائديا على خوض غمار حرب ضروس على هذا البعد ، إلا الجمهورية العربية .

ولم يبق هناك أحد يمكن طلب المعونة منه إلا بريطانيا .. فهل هذا معقول !؟؟

إذن كانت مساندتنا لثورة اليمن،ضرورة حتمية،فرضتها طبيعة النضال العربى فى مرحلة معينة من مراحل النضال الصعبة...وكان هذا الطلب اختبارا قويا،لإرادتنا ... وقد ثبت أنه كان لدى المسئولين عن جيش الجمهورية العربية المتحدة ، بعد نظر سمح لهم بالرؤية، إلى مسافات بعيدة...فلم يتم تجهيز الجيش المصرى،على أساس محلى فقط بل جهز على أساس حماية المنطقة العربية كلها ،وعلى أساس أن يكون قادراً على الحركة السريعة عبر الوطن العربى ... وهكذا لم يكن هدف هذا الجيش الوحيـــد ، هو إسرائيل .. لأننا نعلم أن ، أعداءنا أكبر كثيراً من إسرائيل .. وأبعد من حدود إسرائيل ...

وفى الوقت الذى تصورت فيه الرجعية، والاستعمار،والرأسمالية انهم استطاعوا أن يعزلوا مصرا، وأن يرغموها على التقوقع داخل حدودها ،كانت قواتنا تتحرك لتقوم بأكبر عملية جوية فى التاريخ العربى الحديث .. وكان الجيش الذى اجتمعت ضده جيوش فرنسا ، وبريطانيا ، وإسرائيل منذ ست سنوات ، فى محاولة واسعة لتدميره، يتحرك ليواجه الاستعمار فى آخر قواعده ، وليتنصر عليه،وأثبت بذلك أن مصر هى الوحيدة فى المنطقة ،القادرة على القيام بدور قيادى...فهى شعب واحد متكامل

ولديها إمكانيات اقتصادية كبيرة ، وقدرة بشرية ضخمة ، ومصر متحررة ، من أى ضغط أو نفوذ أجنبي ... ولذلك فالشعب عندنا صالح لهذا الدور القيادى ...

ثم كان من الواجب علينا ، أن نقيم تكتلا عربيا ، ضد إسرائيل لصالح قضية فلسطين العادلة ... وقد يقال : ولماذا تتصدى للرجعية والاستعمار ، ولا نعمل داخل بلدنا فقط ؟ إن ذلك أقرب للامان ... ولكن مادامت هذه هى مبادؤنا ، حتى لو لم نناد بها جهرا ولا سرا ... فلابد أن تلقى مصر نفس المقاومة من جانب الصهيونية ومن جانب الاستعمار والرجعية ، لأن نظامنا ثورى تقدمى ، متحرر ... والطبقة الحاكمة، تخشى على مصالحها فى الدول الأخرى ، ولا يغيظها منا الكلام ، بقدر مايغيظها تقدمنا السريع ، لأن ذلك يفتح عيون الشعوب ، على حقائق كانت تجهلها ... لذلك كان لزاما علينا أن نأخذ جانبا إيجابيا ، بالمحافظة على القوى المتحررة فى الشعوب العربية ومساندتها ،وهذا قدفرض علينا — بالتبعية — ضرورة اتخاذ الموقف الهجومى ،لأنه موقف حتمى ، وهناك مبدأ عسكرى يؤكد ، أن الهجوم هو خير وسائل الدفاع ...

وإن طلب منا أن ندعم أية دولة متحررة فلا بد من أن نقدم العون بسرعة مادمنا قادرين عليه ... ثم إن الأعمال الهامة على هذا المستوى يلزمها على الدوام طليعة تؤمن بها ... وجيشنا جيش ثورى ، ومن الطبيعى أن يحمل مسئوليات الثـــورة ...

وقد يقال إننا نساعد الناس ، ثم ينقلبون علينا ... وقد يحدث هذا بالفعل ، ولكن الذين ينقلبون ،هم الأفراد ،وليست الشعوب ، والأفراد لا يعيشون إلى الأبد إنهم يزولون ، وتبقى الشعوب ... والشعوب لاتنسى الذين يساعدونها فى الشدائد وعلى المدى الطويل ،فإن الشعوب تسير فى التيار العربى ، رغم الأفراد ... ورغم الرجعية . وقد ثبت هذا فى العراق ،فيما بعد ...

إن الشعوب العربية جميعا تقدر ماقام به شعبنا من تضحيات ، فى سبيل مبادئ الأمة العربية ... وفى اليوم الذى نجد فيه مبادئنا ، فى حاجة إلى من يدافع عنها ،أو أنها تتعرض للعدوان ، فالمؤكد أن كل هذه الشعوب ستقف إلى جانبنا ...

من أجل هذا كله ، تحركنا بسرعة إلى اليمن ...

القسم الثاني

فى الحرب





الدراما الإنسانية الهائلة

● أقرب الناس الى الخطر

الحرب هى الدراما الانسانية الهائلة ... والناس الذين يعيشون هذه الدراما يكتسبون دائماً صفات، لم تكن موجودة فيهم ، أو هى موجودة، ولكن التجربة الحية لم تصقلها .. وإذا كنت تعرف أى رجل .. ثم قدر لهذا الرجل أن يشترك فى حرب .. فحينما تراه بعد عودته منها ستشعر مباشرة، بأن اشياء كثيرة فيه، قد تغيرت .. إن قيامه بدوره فى هذه الدراما الهائلة ، يكسبه خواصاً جديدة .

وقد كان بعض ما اهتممت به خلال حضورى عمليات عسكرية حية ، انى كنت أحاول الوصول إلى أعماق المقاتلين ، لأعرف كيف يفكرون .. وما الذى يشغل أذهانهم حينما تمر طلقات الرصاص بالقرب من رؤوسهم .. كنت أتصور أن كل مقاتل ، لايفكر إلا فى شىء واحد ... وهو ،هل سيظل حيا بعد انتهاء المعركة...؟ وما الذى سيحدث له ؟ .. وكنت أتصور أن هذا ما يشغل تفكيرهم .

إن رابطة الإنسان بالحياة ،قوية ،ولا يمكن نكرانها .. وفى نفس الوقت مادام المقاتل قد دخل إلى أرض العمليات ، واشتبك فعلا فى المعركة، فليس هناك أى ضمان مهما وضع من الضمانات ، بأنه سيعيش ، أو أنه لن يصاب خلال المعركة ... ان الحرب، وهى «الدراما» الفعلية، تحدث فيها دائما مفاجآت..اقرب الناس إلى الخطر . قد يكون، هو ابعدهم عن الموت .. وفى نفس الوقت أبعد الناس عن الخطر قد يكون أقربهم إلى الموت .

وقـــد يكون أبعـدهم عن الموت...

وكما قلت : ليس هناك إنسان واحد، يستطيع أن يؤكد قبل الحرب لأى مقاتل.. انه سيعيش بعد المعركة، مهما كانت المعركة بسيطة، ومهما كانت العملية سهلة.. رصاصة صغيرة، لا تساوى أكثر من قرش ... وقد تكون منطلقة بدون تصويب وبدون اتجاه معين .. قد تكون من نصيبه ..

قبل أن أحضر العمليات الفعلية، تعمدت أن أسأل المقاتلين .. فوجدت اشياء غريبة .. مقاتل من الصعيد قال لى : « يا افندم، الطلقة قبل ماتخرج، مكتوب عليها اسم الذى سيموت بها .. ولن يصيب أحدا شىء، إلا إذا كان مكتوبا له .. وعمره خلص عند هذا الحد ». والتقط الخيط جندى آخر، قال لى .. لقد حدثت هنا امامنا قصص أغرب من الخيال ... لقد رأيت جنديا زميلا لى، كان بجوارى، رأيت طلقة قد دخلت فى صدره، وخرجت من الناحية الأخرى من ظهره .. تصور .. لقد أكدت من انه لا بد ان يموت بعد دقائق .. حملناه إلى الطبيب .. كل الذى حدث ان الطبيب كشف عليه، ثم وضع رباطا صغيرا من الشاش على فتحة الطلقة من صدره، وأمام قلبه مباشرة، والرباط الثانى وضعه على ظهره، وقال له اسمع، يا ابنى... أنت ستحارب مرة ثانية، بعد يومين أو ثلاثة .. ولم نصدق جميعا، ولكن الطبيب شرح لنا الذى حدث، وقال : ان الطلقة التى دخلت صدره وجدت امامها احد الضلوع. فلفت دورة كاملة حول الضلع وتحت الجلد، وخرجت من الجانب الآخر، وفى طريق سفرها هذا، لم تلمس أى شىء له قيمة .. وقال لى الجندى : ان زميله الآن يحارب إلى جوارهم ... ولم أصدق .. اعلنت صراحة أنى لا أصدق ... فاذا بالجندى الى جوارى يصرخ باعلى صوته .. ياعبد الفتاح .. ياعبد الفتاح ... وجاء عبد الفتاح، وكشف عن صدره ورأيت كل شىء .. وذهبت إلى الطبيب فأكد لى ان القصة كلها حقيقية وانها نادرا ماتحدث .. ولكنها حدثت ... ووجدت الجندى الذى يحدثنى .. يضرب

بيده على كتف زميله .. ويقول : (أعمار .. مكتوب لك عمر ياعبد الفتاح انهم يقولون :ان عمره لم ينته .. ولو ان عمره انتهى ، لمات من زمان)

الشهيـــد الحى

ومقاتل آخر،حكى لى قصة غريبة... قال : قامت دورية قتال، لاستكشاف قوات العدو الموجوة على جبل كبير جدا ، فى منطقة تسمى مجز . وصعود الجبل — مجرد الصعود — يلزمه ثمانى ساعات .. وقامت الدورية بمهمتها .. وهناك حدث اشتباك مع العدو ، وأصيب أحد الجنود فى قدمه بشكل لم يعد معه قادرا على مواصلة السير، وكان على الدورية ،ان تنسحب بعد الاشتباك بسرعة .. حتى لا تترك فرصة للعدو لكى يتجمع ، وتدخل معه معركة غير متكافئة .. لقد كانت قوات العدو كبيرة بالنسبة للدورية . وقرر قائد الدورية ، واسمه عمر ،أن يترك المقاتل المصاب فوق الجبل ، ويعود ببقية أفراد الدورية ، وعادت الدورية فعلا .. ولكن اثناء عودتها طلب قائدها من المدفعية ، والهاونات ،والصواريخ، ان تضرب الجبل ،حتى تقضى على التجمعات . ولم يكن بإمكان الذين يصوبون الأسلحة الثقيلة ، ان يتفادوا المقاتل واسمه محمد ..الموجود على قمة الجبل ، واستمر الضرب .. وبعد وصول الدورية .. إلى المقر الرئيسى لقواتنا .. فكر القائد ، فى ان يحاول العودة مرة ثانية إلى الجبل لإنقاذ المقاتل محمد .. وبالفعل صعد إلى قمة الجبل مختفيا وراء الصخور ...ووصل إلى المكان الذى ترك فيه محمد ،فلم يجده ...وقال ... انه لابد قد مات ... وعادحزينا لقد فقدنا شهيدا ... ومع خيوط الصباح، كان على قواتنا ان تحتل الجبل كله ... ووضعت الخطة لتدمير قوة العدو على قمته ... وجاء الطيران ،وأطلق عشرات من القنابل والصواريخ على كل مكان يمكن ان يختبئ به العدو ... وفى نفس الوقت اطلقت مئات من قنابل الدبابات والمدافع ،والهاونات ،والرشاشات ...وقام رجال المدفعية بتوزيع قنابلهم بشكل يحقق مسحا كاملا للجبل ... وتقدمت القوات ...

كل العيون كانت متجهة إلى مكان معين ... مكان المقاتل محمد ... ولم يعثر عليه وبين طلقات الرصاص ... صدر صوت ... لاتطلقوا الرصاص على الكهف ... انا محمد ... انا محمد ... ودخلوا جميعا ، واستقبلوه بالأحضان ... انه لايزال حيا رغم كل ما حدث فوق رأسه ... والغريب أنه فى هذه العملية ، تمت إبادة كاملة لقوات العدو ، إنها لم تستطع الفرار ... انهم يحكون هذه القصص ، ويتداولونها ... وجميع المقاتلين هنا ، يؤمنون بشيء واحد ... ان العمر بيد الله ... وان أحدا لن يعيش ثانية واحدة ، تزيد عن العمر المكتوب له .

محاولة هروب

وقد استمعت هنا ، إلى قصة أخرى فى غاية الإثارة ... رواها لى أحد الضباط قال : ان القصة لم تحدث فى اليمن ، ولكنها حدثت فى سوريا ، مع زميل طيار ... كان اليوم التالى موعد العطلة الاسبوعية عند الزميل الطيار ... وله اخت فى حلب ... وذهب الطيار إلى منزله ، وهناك رأى والدته ، فقال لها : ارجوك ياامى ، أن توقظينى فور قيامك لصلاة الفجر ، لأنى اريد أن اسافر غداً ، إلى اختى فى حلب ، على طائرة تسافر فى الصباح المبكر إلى هناك ... وقالت له الأم « يا ابنى يعنى لازم طيران ... انا قلبى واجعنى من حكاية الطيران » وطلب منها الطيار ألا تتكلم فى هذا الموضوع ، وقال لها : ان الطيران هو عمله ... ولماذا هذا اليوم بالذات ، تقول هذا الكلام ؟! وتركته على ان توقظه عند صلاة الفجر ... واستيقظت الأم ، وصلت الفجر ... ولكنها تركته نائما ... وتمددت هى ، ثم مدت يدها لتفتح الراديو ، فسمعت الخبر لقد سقطت الطائرة ... وانتابت الأم عوامل عدة اهمها الفرح ... لقد نجا ابنها ... وحيدها ... وذهبت إلى حجرته ، فوجدته فى سريره ... ولم تستطع ان تكبت عواطفها فأطلقت من فمها زغرودة ، واخذت تهز ابنها ... وكانت المفاجأة ...

لقد مات ... لم يتحرك الابن ... مات بالسكتة القلبية ... وقال لى محدثى ... لقد انتهى عمره عند هذا الحد ... كان من الممكن ان يموت فى الطائرة ... ونجا منها ، ولكنه لم ينج من الموت .

أصدقاء مجهولون

انهم هنا لايفكرون على الإطلاق ، فى هذا الموضوع ... الحرب دائرة ... والطلقات فوق الرؤوس ... والدخان يتصاعد ، وأصوات القنابل تدوى فى كل جانب وفى نفس الوقت ... الجو المرح ... الضحكات ترن فى اذنك ... ولا مانع من أن تسمع قفشة ، صغيرة والجنود يتقدمون نحو الهدف ... ولا مانع من أن تسمع ... الجندى الذى يشحن المدفع يقول لزميله (نشن مليح ... فى نص رقبته ضبط ...)

وكل مقاتل هنا يشعر بأن زميله ... أكثر من شقيق ... إن اخوة السلاح أكثر صلابة من الأخوة الفعلية ... انهم هنا يعرفون بعضهم جميعا ... وكل واحد يعرف أسرة صديقه من خلال الخطابات ... وحينما يأتى خطاب المقاتل فإنهم .. يقرأونه معا ... وأحيانا تصل إلى مقاتل ، عن طريق زميل قادم من القاهرة ، هدية من الفطير مثلا ، أو من كعك العيد ... وبسرعة تجد المقاتلين ، قد اجتمعوا حولها ... إن الهدية لهم جميعا ... وبالتساوى ... وقد شعرت بأن الصداقات بين المقاتلين من النوع الذى يدوم إلى الأبد ، لأنهم يرتبطون ببعضهم ، برباط أقوى من أى رباط آخر وهناك صداقات تنشأ عن طريق اللاسلكى ، أو عن طريق التليفون ... مثلا حدث مرة فى إحدى العمليات ، أن سمعت الرقيب (الشاويش) عبد الجليل يتكلم فى لاسلكى متصل بالطائرات المقاتلة ... وكان ينقل إلى الطائرة رسالة : (القوات الأرضية تشكر القوات الجوية ... الضرب دقيق ... لسنا فى حاجة إلى أية معاونة اخرى ...) ثم أضاف (مع السلامة ياحضرة الضابط ممدوح ...) وعجبت كيف علم اسم الطيار ... لكنه قال لى : إن هذا الطيار يمر بى فى كل طلعة ، يكون فيها بالقرب منى ، ويسألنى عن اية مساعدة أطلبها ... وأحيانا يقول لى : إنه ذاهب إلى (مأمورية) اخرى ، وأنه لدى عودته سيضرب لى (الغرض) الذى أطلبه إذا لم

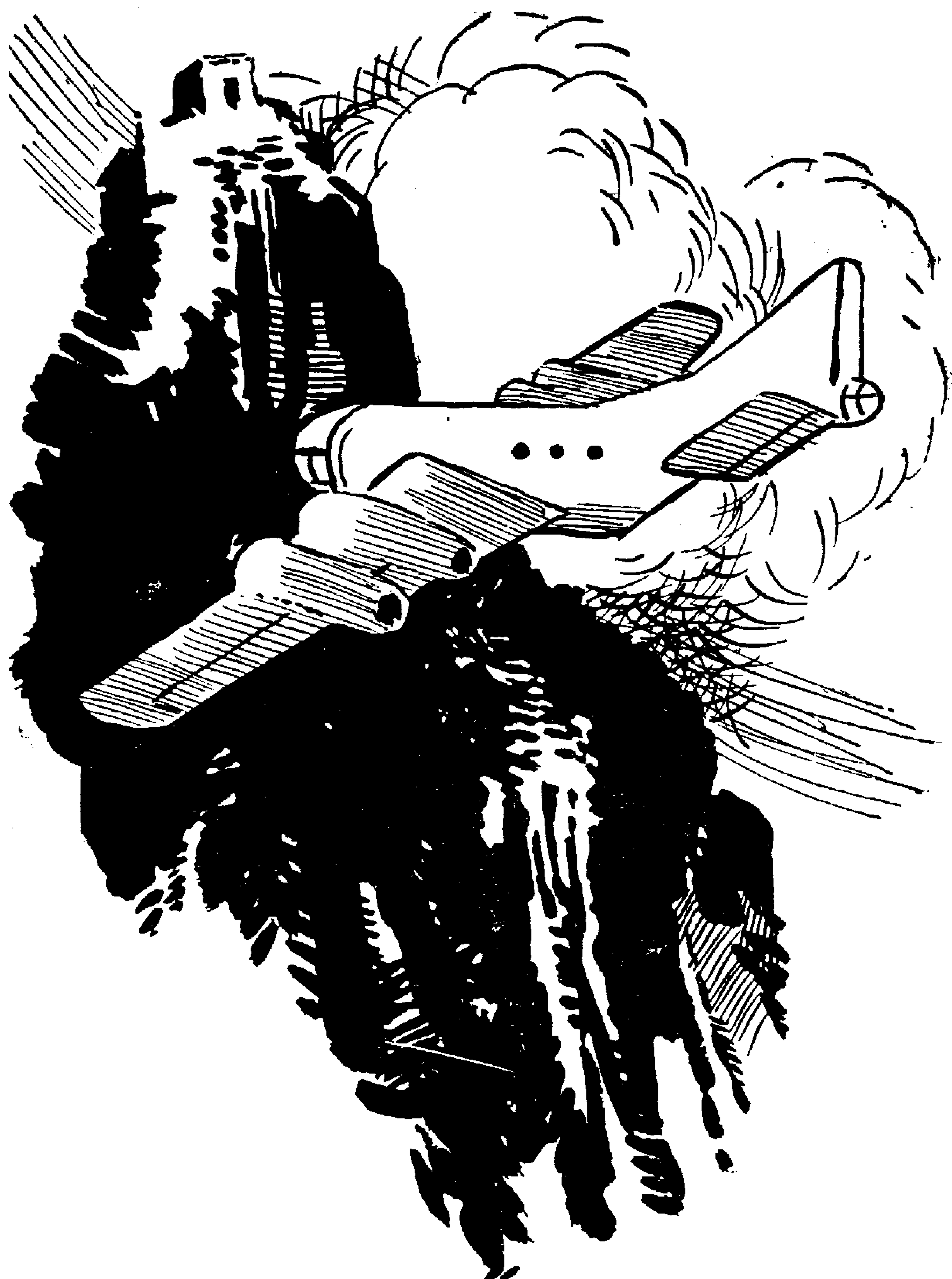
أكن مستعجلا وهكذا ... وفجأة تبادر إلى ذهنى أنه يعرفه ... وسألته (هل تعرفه شخصياً) ... قال لى ... (أبداً والله عمرى ما رأيته ... ولكن نفسى أشوفه .. إنه دائما يسألنى ... عاوز حاجة ياعبد الجليل) وهكذا تنشأ الصداقات .

وفى نفس الوقت ، احترام الرجال العظام ... إن البطولات هنا تنتشر بسرعة ورتبة الذى قام بالبطولة ليست مهمة ... فهما كانت رتبة البطل ، فإن الناس جميعا ومن مختلف الرتب ، ينظرون اليه باحترام ... وقد سمعت قصة مقاتل اسمه فوزى، وعمله سائق دبابة ... حدث مرة أن كان يقود دبابته ، ليصل إلى منطقة معينة ... ولم يكن مكلفا بأى واجب يخص العمليات ... وفى الطريق ، وجد مجموعة كبيرة من المتسللين تحاول احتلال أحد الجبال ، وتضع عليه بعض المتاريس ، فاتصل فوزى باللاسلكى بالقيادة فى صنعاء ... وحدد الهدف ، ومكانه وتقديره لقوات العدو ... وبعد أقل من خمس دقائق ، كان الطيران يقذف الهدف بالرشاشات والصواريخ ... الذى حدث أن قيادة العمليات ، تلقت الإشارة ، واتصلت مباشرة بالمجهود الجوى ، الذى وجه الطائرات القريبة من أرض العملية نحو الغرض ... وقد تم بالفعل تدمير ، الغرض إنه يذكر هذه القصة بفخر ، لأن المعاونة الجوية ، وصلت بأسرع مما يتصور ... قال لى إنه التقط رقم الطائرة ، وحينما يعود سيبحث عن الطيار ليشكره ...

والواقع أننا اذ نلقى نظرة عامة ، إلى أرض العمليات ، نجد أن أشياء كثيرة قد تغيرت ... نظرة الرئاسات الى المقاتلين ... فالذين حضروا حرب ٤٨ وحرب اليمن يقولون: ... إن المقارنة مستحيلة ... لقد تغير كل شيء ... وجميع الرئاسات الآن وجميع القيادات تعمل فى خدمة المقاتلين ، بل إن القيادات تشعر بمشاكل المقاتلين خارج مسرح العمليات، قبل أن يشعروا هم بها ... مثلا المقاتلون المجندون، والذين سيتم تسريحهم من الجيش ، ويريدون الالتحاق بعمل ... الذى يحدث فى مثل هذه الحال عادة ، أن المقاتل وخاصة صاحب المؤهلات، يتقدم بطلب توظف أثناء وجوده فى الخدمة ... ثم يتم امتحانه ، وهو لايزال فى الخدمة ، وعند خروجه يتسلم وظيفته ولكن حالة العمليات ، تمنع تنفيذ هذا الأسلوب، وتبعا للقوانين ستكون النتيجة، أن

مئات من المقاتلين، سيعودون ليبحثوا عن عمل ... وليقفوا أمام الأبواب ... بل، الذين لم يكن لهم شرف القتال ، والدفاع عن الأمة ، ستكون لديهم فرصة أكثر من الذين قاتلوا ، وأظهروا بطولات ... وظهر الحل قبل أن تظهر المشكلة نفسها ... كـان الحل، فى صورة قرار جمهورى ،يعطى الحق فى التوظف للمقاتل بمجرد عودته من القتال ، وبدون امتحان ... مادام مستوفيا لشروط التعيين ... لأنه قد اجتاز الامتحان الشاق ... الحرب ...

وطبعا هذا القرار ، يوضح الصورة التى أصبحت عليها الدولة ، ومدى تقديرها لأبطالها ... إن الصورة جديدة ... وقدأصبح لدينا قوات مسلحة تدعو للفخر ...



الجسر الجوى العظيم

ان المسافة من القاهرة الى صنعاء.. تزيد عن المسافة من قواعدنا الجوية الى تل ابيب باكثر من عشرة اضعاف .. وهذا يعنى الكثير ..

قبل أن ندخل إلى قلب المعركة ،لا بد من وقفة عندهذا العمل الضخم،فى تاريخ الحروب الحديثة ... عند هذا الجسر الجوى العظيم ، ولعل أهم ما يثير الانتباه فى عمليات اليمن العسكرية ،هو هذا الجسر الجوى الهائل ،الذى أقيم بين القاهرةوصنعاء وكان الهدف من إقامته ، هو نقل الرجال ، والعتاد ، والذخيرة ، والمعدات ، عبر هذه المسافـــة الهائلة جوا ... ولم يكن هذا هو الجسر الوحيد ... لقد أقيم جسر جوى آخر...ولعل أحدا لم يشعر بإقامته،وهو الجسر الخاص بالطيران الاستراتيجى المشكل من أعداد ضخمة ، من قاذفات القنابل بعيدة المدى ... وهناك مجموعة من الجسور الصغيرة ، تفرعت من صنعاء إلى كل مكان فى اليمن ... إلى صعدة ،وصرواح ومأرب ، والمطمة ، والحديدة ، وتعز ... ثم كانت هنـــاك ،أسراب المقاتلات التكتيكية ، التى تعمل داخل اليمن ... ولكن ما هو الفارق بين العمل الاستراتيجى والعمل التكتيكى ؟ ؟

وحتى يكون الحديث واضحا ... أقول إن العمل الاستراتيجى: هو كل ما يختص بنقل الأفراد والعتاد ، والذخيرة ، والمهمات ، خارج مسرح العمليات،أى أن جميع التحركات، بين قاعدة العمليات ومسرح العمليات ،وداخل هذه القاعدة،يطلق عليها اسم العمليات الاستراتيجية ... أما العمليات التى تدخل داخل نطاق مسرح العمليات فهى عمليات تكتيكية...وهكذا، حينما نقول الطيران الاستراتيجى ، فنحن نقصد بذلك ،أنواع الطائرات التى تعمل من القاعدة إلى مسرح العمليات ... كذلك فإن جميع التحركات والعمليات، أيا كان نوعها، داخل مسرح العمليات، تسمى عمليات تكتيكية بينما تسمى التحركات خارج مسرح العمليات ،تحركات استراتيجية... وقد كان الدور الذى قام به الطيران الاستراتيجى،هاما وضروريا وفتاكا... فلم يكن أحد من جميع

أعداءنا يتصور، أننا سنكون قادرين ، على إتمام هذا الدور كما أتممناه ... فليس مهماً أن تقوم طائرة واحدة من القاهرة إلى صنعاء ... ولكن المهم أن تقوم مئات الطائرات .

وعملية خلق هذا الجسر الهائل ، اضطر المعلقين العسكريين ، في جهات متعددة من العالم، أن يعيدوا تقييم القوى العسكرية،وخاصة القوى الجوية للجمهورية العربية المتحدة ... فقد استطاع الطيران الاستراتيجي للجمهورية العربية ، أن ينقل أعداداً هائلة من الجنود ، والمعدات، والطائرات المقاتلة التكتيكية، إلى أرض العمليات وكان منظرا مثيرا، حينما رأيت الطائرات الاستراتيجية، وهي تبتلع في بطنها الطائرات التكتيكية ، لتطير بها عبر المسافة البالغة أكثر من ألفي ميل ،إلى صنعاء ... وكان الهدف من طائرات النقل الاستراتيجية ،هو أن تقوم بنقل أعداد كافية من المقاتلين ومن معدات القتال بسرعة، حتى يكونوا قادرين على الدفاع عن أرض اليمن، ضد جميع القوى التي بدأت تعمل ضد ثورة اليمن، سواء أكانت هذه القوى رجعية ، أم استعمارية .

ولقد أثبت الطيران الاستراتيجي قدرته على العمل،واستطاع المقاتلون الوصول إلى مسارح العمليات المتعددة، قبل أن تكون القواعد المعادية قادرة على إتمام حشد قواتها ... وعلى هذا البعد الهائل من القاعدة أمكن ، حماية الجسر الجوي العظيم حتى تصل الطائرات سالمة إلى أرض العمليات ... ولم يكن هذا هو كل شيء ... لقد كانت قاذفات القنابل الاستراتيجية، مسئولة عن حمل عبء جزء من القصف الجوي على مناطق تجمع العدو ، ومناطق حشوده ... وقامت هذه الاسراب ،بطلعات عديدة من أرض قاعدتها ، لتضرب الأغراض ، والاهداف المحددة لها ، عبر هذه المسافة كلها وتعود مرة ثانية، إلى أرض القاعدة ،دون أن تتزود بوقود إضافي ... وكانت أول طلعات هذه الطائرات ، هو الدليل الحي، على حقيقة كبرى وردت في نص الميثاق ... وهو أن تكون القوات العربية قادرة على العمل السريع عبر المنطقة العربية كلها . وقد استطاع هذا النوع من الطائرات ، أن يخفف العبء الملقى على عاتق الطيران التكتيكي .

ولم يكن أحد يتصور فى أيام الثورة الأولى، أن تستطيع مطارات اليمن، تحمل أعباء عمليات عسكرية ... فقد ترك الإمام ، جميع مطارات اليمن، وليس فيها مطار واحد، مهد ممره بالأسفلت ... كان هذا يعنى ،أن الطائرات المقاتلةالحديثة، لن تكون قادرة على العمل ، من هذه الممرات... وأنواع كثيرة من الطائرات الحديثة، لاتتطلب فقط ، أن تكون الممرات مغطاة بطبقة من الأسفلت ، ولكنها تتطلب أن تكون هذه الممرات مغطاة بطبقة من الأسمنت المسلح ... حتى إن المطارات خلال الأيام الأولى للعمليات ، لم يكن لها سور، يمنع الحيوانات من الاقتراب من ممرات الطائرات خلال نزول هذه الطائرات ، أو صعودها من المطارات ... بل لم يكن هناك أجهزة لا سلكى على الإطلاق ، لمساعدة الطائرات فى الصعود والهبوط ... والأكثر من ذلك إثارة ... هو أن اليمن كلها ،لم يكن لها خرائط دقيقة على الإطلاق، تستطيع أن تساعد الطيارين ،على تحديد أماكن العدو ... وقد كانت مشقةهائلة، بالنسبة للطيار أن يكتشف مكان العدو ، ويحدده ،بل إن ارتفاعات الجبال المختلفة ،لم تكن معروفة على وجه التحديد ... وكان على بعض الطيارين فى أحيان كثيرة ، أن يطيروا خلال السحاب ... ومن يدرى ، لعل السحاب يخفى خلفه الجبال ... إن الطيارين الأوائل الذين حملوا على أكتافهم عبء القتال فى اليمن، يستحق كل منهم تقدير الأمة ، ويستحق صفة البطولة ... وخلال تلك الأيام سألت واحداً من الثوار اليمنيين ، عن الطرق الموجودة فى المحور الشرقى للعمليات ... فلاحظت الألم على وجه الرجل ،حينماقال لى: الحقيقة أننا لانعلم عنها شيئا،لأن الإمام لم يكن يسمح بتدريس أى شىء عن جغرافية اليمن، وكل الذى تعلمناه فى المدارس، هو تاريخ أكثر من ستين إماما ،حكموا اليمن... أما الطرق فلا ... ولعل أكثر الناس معرفة بالطرق فى اليمن هم أدلاء قوافل الجمال

وبعد أيام ،كان الطيارون قد غطوا اليمن كله ، شبرا ، شبرا ... بل هم استطاعوا اكتشاف أماكن مجهولة ... فعرفوا مثلا،أن هناك أخطاء فظيعة،فى مواقع مدن كثيرة على خريطة اليمن...والآن يستطيع أى طيـــار، أن يعرف كل شبر فى أرض اليمن بل إنهم يطيرون الآن ،بدون خرائط، لأنهم حفظوا الأرض، وكما تقود سيارتك فى شوارع القاهرة، بدون خرائط، أصبح الطيار ،يقود طائرته فى سماء اليمن، بدون خرائط

وقد كان العبء الذى حمله الطيارون التكتيكيون ... قادة القاذفات والمقاتلات ، فى أيام القتال الأولى، أكبر من أن يحمله بشر ... فالمسئوليات وطلبات العمليات كثيرة ولم تكن المطارات ذاتها ، قادرة على استيعاب أعباء إضافية ... ورأيت الجنود وهم يحملون صفائح الماء ، ليرشوا ممر المطار ، حتى يستطيع تحمل حركة صعود الطائرات وهبوطها ...

فى هذا الجو ،استطاعت القوات الجوية ، أن تحمل الى قواتنا فى كل مكان ، جميع احتياجاتها ... وأن تحقق جميع الواجبات الجوية المطلوبة منها ، ولم يشعر أبطال صرواح، التى كان يحيط بها العدو من كل جانب، بنقص فى الذخيرة أو العتاد، فى أى وقت من الأوقات ، وقد رأيت كيف يتقاطر الطيارون للذهاب إلى صرواح ، بالرغم من أنهم جميعا يعلمون ، أن العدو سيطلق على طائراتهم النيران ، خلال استعدادها للنزول إلى الأرض ...

ومن أشد الأمور تأثيرا على إسرائيل، هو الجسر الجوى العظيم ... لأنها تعلم أن المسافة من القاهرة إلى صنعاء ، تزيد عن المسافة، من قواعدنا الجوية، إلى تل أبيب بنحو عشرة أضعاف. .وقد لا يعنى هذا شيئا بالنسبة للقارئ العادى .. ولكنه شديد الأهمية بالنسبة للخبراء العسكريين ... لأن الطائرة التى تقوم بطلعة عمليات واحدة إلى اليمن ، تستطيع أن تقوم بعشر طلعات ، للعمليات هناك . أى أن طنا واحداً من القنابل ، إذا ألقى على جموع المتسللين فى اليمن، فإن نفس الطائرة قادرة على القاء عشرة أطنان فى نفس الزمن هناك ..

وإذا أمكن نقل جندى واحد جوا، إلى اليمن ، فإنه يمكن نقل عشرة جنود إلى هناك ... وهذا ينطبق على كل شىء من معدات القتال .. بل إنه لم يعد سرا، أن الجمهورية العربية، احتفظت على أرضها، وفى قواعدها الجوية، بجميع طائراتها الحديثة القادرة على رد العدوان ، وضرب اسرائيل قاعدة العدوان .. والعمل على أرضها ، وأن هذا الجسر كله ، لا يشكل إلا جزءا ، من قدرة الجمهورية العربية الجوية .

في قلب المعركة

الضوء هنا قليل .. شعاع
صغير من الضوء يدخل من
فتحة بالدبابة .. الضـوء
لا يقع الا على عينى فوزى..
انهمـا تزدادان لمعـــانا ..
وتزدادان اتســـاعا ....



[redacted] أبحث عن عنوان لهذا الموضوع... ولكنى لا أجد...لا أجد العنوان الذى يعبر عن الساعات التى قضيتها مع رجالنا،أثناء الاشتباك الفعلى فى العمليات ... إن أى شىء أقوله : لا يمكن أن يعبر عن الحقيقة...حقيقة ما أشعر به ... ولكن لماذا العنوان ؟ ... إنه ليس مهما ... لأكتب ماأراه أمامى وما أسمعه، لعلى أستطيع أن أنقل صورة لما أراه ...

إنى أجلس الآن فى دبابة ... وأضع على أذنى سماعات أجهزة اللاسلكى ... لأعرف مايدور حولى ، ولأسمع تطورات الموقف ودقائقه .. إنى من هنا ، أستطيع أن اسمع المكالمات التى تدور بين قائد العملية ، وقواد الوحدات ، وقادة الأسلحة المعاونة ...انى من هنا ، من هذه الدبابة أستطيع، أن اتصل بقادة الطائرات فوق... بل وأستطيع أن اتصل بأى شخص أطلبه ...

اسمع معى ماذا يدور :

— « هالو » قدرى ، أفد عن إشاراتى ... قدرى حول ...وفى اللحظة التى كان قدرى يرد فيها على الإشارات ، وجدت نفسى أرفع السماعات من على أذنى ... إننى أريد أن أعرف أولا ، ماذا يدور داخل الدبابة ،التى أجلس فيها ... إننىاشعر بحركة

غير عادية ... سائق الدبابة ... اسمه فوزى ... عينا فوزى تلمعان ... فى الواقع أنا لا أرى شيئاً من فوزى إلا عينيه ... الضوء هنا قليل ... شعاع صغير من الضوء يدخل من فتحة بالدبابة... الضوء لا يقع إلا على عينى فوزى...انهما تزدادان لمعانا وتزدادان اتساعا .

لقد بدأ محمد حسنين يتكلم... إنه حكمدار الدبابة ،وهو من المنيا ... من قلوصنة، لقد بدأ يتكلم ... وكلام محمد حسنين مهم ... لقد رأى غرضا... إنه يصرخ بأعلى صوته ... إننى لا أراه ... هو يقف خلفى وأعلى منى ... صرخته قطيفة : « عمر .. عمر » ... وبدأت أسمع أصواتا أخرى ... إنه يقول : « داير يمين »... إن مدفع الدبابة يتحرك »

أنا لا أرى المدفع ... لكنى أرى البرج يتحرك ... ثم يقول محمد حسنين « ابطىء... غرض ... » ويبطىء فوزى أيوب وهو المعمر ... إنه من منقباد ...

... فوزى يقول : «حاضر ...» ويبدأ الرامى احمد محجوب يضرب على الغرض ثم ينطلق صوت من آخر الدبابة ... الصوت يقول : « نشن مليح يا أحمد ... فى نص رقبته ضبط... الرامى يجيب : « جاهز ... » وضحكة قصيرة ترن فى الدبابة... أنا لا أعرف من الذى أطلقها ...

ثم ينطلق صوت محمد حسنين مرة أخرى ... إنه سيد الموقف هنا : « اضرب» وأردت أن أضع يدى على أذنى ... لكنى وجدتهم جميعا ، لا يضعون أيديهم على آذانهم وقررت أن افعل مثلهم...وقبل مرور ثوان،انطلق صوت المدفع... إن الدبابة لم تهتز ... إنها كتلة من الفولاذ ... اهتزازها بسيط ... غاية البساطة ... ليس كما اتصور ... إنى أنظر الآن ... أين دانة الدبابة ؟

أين انطلقت القنبلة ؟ ... فوزى سائق الدبابة يشير لى ... إننى اجلس بجواره وهناك ... على البعد انفجار كبير .

وأشار لى فوزى ، ان انظر إلى أجهزة الرؤية ... ان الغرض ينفجر .

لقد بدأت أفواج المتسللين تهرب من فنابل الدبابة ... الرشاشات تلاحقهم تحصدهم ... الدبابات الأخرى تضرب .

إننى أرى رجال المشاة إلى جوار الدبابة ... انهم يتقدمون تحت ساتر من نيران الدبابات .. ان القنابل تنفجر أمامهم .. دانات هاونات .. ان الدانات تبتعدعنهم كلما تقدموا نحو الغرض ،أو بمعنى اصح ،ان الدانات تسير امامهم، وبنفس سرعتهم.. إنهم يتكلمون باللاسلكى .. انهم يحددون الأغراض التى أمامهم، إلى اسلحة أخرى خلفهم .. على بعد عدة كيلومترات .. ان هذه الاسلحة تضرب بدقة ،الأغراض التى يحددونها امامهم .

لقد بدأت قوات المشاة تدخل جدود الغرض .. ان رجال المشاة يتسلقون الجبال الآن ... أراهم أمامى .. إن العدو يطلق عليهم الرصاص الآن ... طلقات الرصاص بجوارهم تصطدم بالصخور .

ووضعت السماعات على أذنى .. ماذا يدور حولى ؟

— « هالو » كسار ، قوات المشاة دخلت القرية الآن ... حول .

— « هالو » تاج مبروك حول .

ان هذه الاسماء التى يستخدمونها، أسماء رمزية « نحاس ينادى على حديد، وحديد ينادى على موز ، وموز ينادى على بطاطس ... إلى آخره » . أسماء تتغير باستمرار لكنى اعلم من هو موز ، ومن هو حديد . إنى ارى المقاتل فاروق راتب ، يصعد الآن ، الجبل على رأس قواته .. لقد سموا هذا الجبل .. جبل راتب .. هذا الجبل لم يكن له اسم

وسألت : « هل انتهت العملية ؟ » قالوا لى : لا ... هذه مرحلة من مراحلها

لكن هذه الدبابة ستظل واقفة هنا ... إلى أن يطلب منها عمل آخر ... لا أريد الاستمرار فى الوقوف ... أريد الذهاب إلى الغرض ... اريد ان اترك الدبابة .

وطلبت من فوزى أن يفتح لى برجها ... انى اريد الخروج ... قالوا لى: «انتظر ...» لكنى اريد الخروج ، وفتحوا لى باباً صغيرا ، وقالوا لى : ستخرج من هنا ... زاحفاً ... لكن قبل ان تخرج لابد ان نقدم لك شيئاً ، وفوجئت : « تقدمون لى ماذا ؟ .. هل عندكم إلا الرصاص ؟ »

قالوا لى : « نعم، سنقدم لك كوكا كولا .. » لابد إنهم يضحكون على .. بيد انى فوجئت بكوب من الصفيح ، وفوزى يفرغ لى بعض الماء من « الزمزمية » .. واحضر محمد حسنين قرصاً صغيرا ، وضعه فى الكوب .. ان القرص يفور .. لقد ذاب الآن .. وتلون الماء بلون الكوكا كولا ، وشربت. حقا إنها كوكا كولا .

قالوا لى : « ان كل شيء هنا فى أقراص .. » عندهم أقراص ليمون ، وأقراص كوكا كولا ، وأقراص شربات، وعندهم أيضاً أقراص «سبرتو» لعمل الشاى !

كل شيء هنا تحول إلى أقراص ... وأثناء شرب الكوكا كولا ، بدأت أتحدث معهم .. إنى اريد ان أعرف شيئاً عن هؤلاء الأبطال ... من هو فوزى سائق الدبابة ؟ ... الرجل الذى لم أر إلا عينيه، خلال لحظات القتال الحاسمة ... قال لى : إنه كان الثالث على الاعدادية فى الجمهورية ... ولكنه فضل الجيش ... واضاف فوزى ايوب : « سلم لى على امى بمناسبة عيد الام » ... قلت له : « كل ام ؟ » ... « قال لى » : لا ... أمى أنا ... امى باعت حلقها علشان اتعلم وادخل الجيش » ...

بجوار السحاب

ونزلت من الدبابة زاحفا ... ووجدت نفسى فى الطريق إلى القمة ... إلى قمة الجبل ... إن جنود المشاة يصعدون الجبال فى خفة الغزلان ... بعض الطلقات الفردية ، لا زالت توجه ضدنا ... اننى الآن إلى جوار الرقيب عبد الجليل ... انه

يتقدم ، ويعطى الأوامر لرجاله بالتقدم . إنه يحدد أماكن الجنود ... انه الآن يطلق نيرانه ،فى اتجاه العدو ... إن وجوه المقاتلين منحوتة ، كقطع من الصخر والفولاذ لقد وصلت إلى قمة التبة ... إلى جوار العسكرى محمود على عبد الحى ... لقد جلس فى موقعه بجوار السحاب ... وجلست بجواره ... وقال لى محمود : إنه يحارب هنا دفاعا عن بلده ، وعن المبادئ التى أعطته أربعة افدنة ونصف الفدان. فى درين ... محمود استفاد من الإصلاح الزراعى .

ان العملية لم تتم حتى الآن .. لازال العدو يحتل بعض الجبال المشرفة على موقعنا .. انها جبال النهدين ، والتبة السوداء .. ولكن هناك عند السحاب ، جبلا عالياً .. ان عليه قوات جمهورية .. القوات اليمنية تساعد قواتنا .. انها تطلق النيران على العدو .. جنودنا يهاجمون الآن جبال النهدين .

... أصوات ترتفع الآن .. جندى اسمه عبد الصبور يصفق .

... لقد وصلوا إلى قمم جبال النهدين .. قواتنا سيطرت على الجبل .. لم يبق إلا التبة السوداء .. الشمس توشك على الغروب .. الرقيب عبد الجليل ، يتحرك تحت ساتر من النيران .. العدو يحاول الهرب .. قواتنا تطلق نيرانها على العدو الهارب .. عبد الجليل يتقدم .. الطائرات الآن فوقنا، إنها تستكشف الهدف.. وجد الطيران هدفا . .سيارات العدو ، تحاول الفرار خلف الجبل.. الطائرات تمطرها برصاص الرشاشات ،وبالصواريخ .

صوت الصواريخ يدوى فى الجبال .. الدنيا تهتز .. عيناى لم تتحولا عن عبد الجليل .. وإذا نقلت نظرى عنه فلا بد ان أعود اليه .. إن قلبى معه .

مـــبروك

حقق عبد الجليل الغرض .. اظلمت الدنيا .. عبد العال سليمان عامل اللاسلكى يقول: إن اشارة وصلته من عبد الجليل .. لقد وصل إلى أعـــلى التبة .. الجنود

يتبادلون القبلات .. الضباط يرسلون برقيات إلى عبد الجليل .. ألف مبروك .. عبد الجليل يطلب ذخيرة .. الرقيب سعودى ،صمم على أن يقوم ،بتوصيل الذخيرة إلى عبد الجليل .. سعودى حمل صندق الذخيرة على كتفه ،ليصعد به الجبل.. الصندوق ثقيل ، لكن سعودى يصمم على حمله . . طلقة فى الهواء تمر فوق رأسى... الجندى الموجود بجوارى يدقق النظر .. الطلقة من هنا ... الرشاش يطلق دفعات متتالية... العدو الذى اطلق الطلقة ، صرعته طلقات المدفع الرشاش ... الموقع هادىء الآن... طلقات الرصاص توقفت .

انتهى المعركة ... برقية من المشير عامر ، تحمل كلمة واحدة : « مبروك » .

حرب الجبال

حرب الجبال هى ذلك النوع من الحروب الذى يسمونه الحرب الشاقة .. أو الحرب الصعبة .. انها الحرب بين القرن العشرين والقرن العاشر ..



حرب الجبال ،هى ذلك النوع من الحرب، الذى يصفونه بأنه شـــاق وصعب وقواتنا التى وصلت إلى اليمن لتحمى الحرية المهددة هناك ، لم تثبت جدارتها، فى حرب الجبال فحسب ، إنما أثبتت ،ماهو أكثر أهمية ... أثبتت ،قدرتها على العمل السريع عبر المنطقة العربية كلها ... وهذا يعنى أن المهمة التى أسندها الشعب إلى قواته المسلحة وحددها فى الميثاق ، قد تحققت على أكمل وجه ...

لقد نجحت القوات المسلحة ،فى تجسيد إرادة الشعب ،بسرعة ،لم تكن لتخطر على بال ...

* * *

يوم أن اتخذت الجمهورية العربية المتحدة قرارها ، بمساندة ثورة اليمن ... ويوم أن بدأت طلائع القوات العربية تتحرك ، مستخدمة الجسر الجوى الهائل ، الذى أقيم بين القاهرة وصنعاء ... وفى الوقت الذى تحركت فيه سفن الأسطول العربى ، تحمل المعدات والرجال ...

فى هذا الوقت .. عقدت مؤتمرات كثيرة ،فى عواصم متعددة من العالم، وكانت كل عاصمة تنظر للعملية من وجهة نظرها ، وتفكر فى الأسلوب المضاد الذى ستعمل

به ... بل وأكثر من هذا ، تفكر فى طريقة التدخل فى المعركة ، لمنع العمل الذى يتم لأول مرة فى تاريخنا المعاصر ... ففى تل أبيب ، أو فيما يسمونه ، رئاسة جيش الدفاع ، عقدت اجتماعات متعددة ، كانت نتيجتها ، أولا ... أن الجمهورية العربية المتحدة ، لم ولن تخلى الجبهة المواجهة لإسرائيل ، من القوات الضاربة .. وانها دائما ، ستحتفظ بقـــوة ضاربة كبرى ، قادرة على رد الضربة فى أى وقت ، بل قادرة على العمل السريع الحاسم ، داخل إسرائيل نفسها ... وإذا أضيف للقوات التقليدية ، عامل حيوى آخر ... وهو القوة الصاروخية ، التى تملكها الجمهورية العربية المتحدة ... والتى صنعت بأيدى أبنائها ... فإن عملية التدخل المباشر من جانب إسرائيل ، تعنى أنها لن تصل إلى نتيجة .. بل لاأحد يعلم ،الى أى مدى يمكن أن تنتهى .. وقد تتورط إسرائيل فى معركة من شأنها ... أن تجمع القوى العربية التى كانت مبعثرة فى هذا الوقت ، نتيجة الانفصال فى سوريا ... والجنون فى بغداد وقد تساعد الشعوب على إزالة الرجعية المتصابية ، والرجعية العاتية ...

وهكذا لم يكن هناك مفر ،أمام اسرائيل، من استبعاد العمل العسكرى المباشر وفى نفس الوقت ، التدخل فى المعركة بأسلوب آخر ... هو أسلوب محاولة توسيع الثغرات بين الدول العربية ، وترك الجمهورية العربية لتتورط فى أرض مجهولة ، تستنزف بعض قواتها ... وفى السعودية ... كان القرار النهائى... هو مساندة الرجعية اليمنية بأقصى قوةمادية وعسكرية ، متعاونةفىذلك مع فلول الرجعيةفى البلاد العربية ..

يبقى جانب آخر فى المسألة ... وهو جانب الاستعمار ... لقـــد درست أيضا العملية فى كبرى العواصم الاستعمارية ، ونوقشت الخطة ... وكانت هناك عوامل تحكم المناقشة ، أهمها ، هو العدوان الاستعمارى الغاشم ، على بلادنا سنة ١٩٥٦ ...إن ذلك العدوان ، لم يصل إلى نتيجة إيجابية ، ولكن نتيجته كانت تقوية موقف القاهرة محليا ودوليا ... وإن إعادة تجربة عدوان ١٩٥٦ ، لايعلم أحد مداها ... وخاصة

أن الرجال الذين كانوا يقودون الشعب العربى فى سنة ١٩٥٦ ، هم أنفسهم ، الذين يقودونه فى هذه الأيام ... ولهم نفس التصميم ونفس العزيمة ... بل إنهم ازدادوا قوة ، واكسبتهم الأيام صلابة على صلابة ... ولم تعد تنفع معهم ، أساليب التهديد السابقة ...

ولكن كل هذا ، لايعنى عدم التدخل فى المعركة ... فقط يعنى تغيير أسلوب هذا التدخل ... إنما المبدأ ذاته متفق عليه ... وهو عدم السماح ، بأى شكل من الأشكال ، وتحت أية صورة من الصور ، بنجاح الثورة العربية فى اليمن ... لأن نجاحها يعنى، أمورا كثيرة ، بالنسبة لجميع الأطراف... وهكذا اتخذوا موقفهم .

أولا : أن يساعد الاستعمار ، بالمال والسلاح ... والرجال الفنيين أيضا ...

ثانيا : تتدخل السعودية تدخلا سافرا بجنود نظاميين ... ولا مانع أن يلبسوا ملابس رجال القبائل ...

ثالثا : تفتح السعودية خزانتها أمام أعـــوان الإمامة المطرودة ... حتى يجهزوا جيشا مرتزقا ، يواجه الجيش العربى ...

وكان تقديرهم ، أن الجمهورية العربية ، لن تكون قادرة على إرسال قوة ضاربة كبرى فى مدة قصيرة ، وأن كل الذى ستكون قادرة عليه ، هو إرسال قوة رمزية ... لتقاتل هناك ... وكان تقديرهم أيضا ، هو أن هذه القوة، لن تكون مدربة على حرب الجبال ، فهى معدة للحرب التقليدية ... الحرب الحديثة ... وهكذا يمكن إبادتها ... وفى هذه الحالة ... تكون الجمهورية العربية ، قد تلقت طعنة نجلاء ، لها، ولمبادئها ، ولقيادتها ، لدعوة القومية العربية ... بل للقومية العربية ذاتها ... لأن جيوشها ستكون قد هزمت ، وضربت ضربة قاضية ... وأين ؟ ... فى اليمن ... ويومها ... طبعا ... لن يعرف العالم . أن جيوشنا ، كانت تواجه قوى كبرى ... استعمارية ورجعية ... ولكن سيبدو للوهلة الأولى ، أن القـــوات العربية ذات الصيت العالى ... والتى يقال عنها إنها أكبر قوة ضاربة فى الشرق الاوسط ، قد ضربت فى جبال اليمن ... وأمام من ؟ ... أمام جيوش الامام ... وهذا يعنى أشياء كثيرة ، من ناحية معنويات الشعب العربى، المتطلع الى الوحدة ...

وهكذا يضمنون جميعا، تحقيق آمالهم ...

ولا أريد أيضا، أن انسى موقف البدر ... الإمام المخلوع ... لقد وافق على هذه الخطة ... ولعله وحده ... هو الذى كان يعلم علم اليقين، أن هذه الخطة، غير قابلة للتنفيذ العملى . لأن شعب اليمن نفسه يكرهه ... ويكره اسلوب حكمه ... ولكن كان له هدف آخر، هو محاولة، احتجاز نسبة معينة من الاموال، التى تصرف اليه من مختلف الجهات، وتحويلها باسمه الى بنوك سويسرا ... إضافة الى المبلغ، الذى حوله أبوه ... الإمام أحمد الى هناك ... والذى يبلغ عشرة ملايين جنيه استرلينى .

ولهذا كان البدر مترددا فى دخول اليمن، بعد أن فر الى السعودية، واستمر تردده ١٥ يوما كاملة ... وكل ليلة ينظر الى النجوم، ويقول لتركى السديرى : إن النجم غير ملائم لدخول اليمن ... حتى إن تركى السديرى، أرسل الى سعود يقول : إن هذا الإمام غير شجاع ... وفى تلك الايام، لم تكن هناك أية قوة عربية، تواجه البدر ... كلها كانت قوات عربية يمنية ثورية، ورغم هذا رفض البدر، أن يخطو خطوة واحدة، إلا تحت حماية القوات السعودية النظامية ... وهكذا كان لكل غرضه، وإن كان هناك اتحاد فى الأسلوب، بالنسبة للجميع ... وهو ضرب القوة العربية الرمزية، ضربة قاضية فى أولى عملياتها ... لتتردد القاهرة، فى إرسال قوات جديدة، وفى نفس الوقت يتحقق الغرض ... ليس فقط فى عودة البدر المخلوع، ولكن أيضا فى ضرب المبادئ العربية فى القاهرة ... هكذا كانت الخطة ... ترك القوة العربية تتورط فى حرب الجبال، ثم إبادتها ابادة كاملة ...

وقد تكون الفروق الجوهرية بين حرب الجبال، وبين الحرب التقليدية، غير واضحة لكثيرين ... بالإضافة الى ظروف الامكانيات العسكرية، التى خلفها نظام الامامة على أرض اليمن . لذا أريد أن أذكر بعض هذه الفروق، وليس كلها ...

فمثلا هناك تحديد هائل، فى استخدام الإمكانيات العسكرية الحديثة ... مثل المدرعات ... فهى غير قادرة على الحركة، فى المناطق الخالية من الطرق، عبر الجبال.

واذا حدث وتحركت فى هذه المناطق . فان هناك عاملا حاسما ... هو سرعة استهلاك المدرعات ... هذا بالطبع ، ينطبق على أنواع الحملة المختلفة ، مثل السيارات ، وباقى أنواع المدرعات ... بالإضافة الى بطء القدرة على الحركة ذاتها ... فاذا كانت أية عربةقادرة على التحرك هنا فى مصر بسرعة تبلغ ٨٠ كيلو مترا فى الساعة ، فإن نفس العربة ، قد تكون عاجزة فى الطرق غير الممهدة ، عن الحركة بسرعة تزيد عن خمسة أو سبعة كيلومترات ... بل إنه قد لا تكون هناك طرق على الإطلاق ... أضف إلى هذا ، المضايق الخطيرة ، التى تعبرها هذه الانواع من وسائل النقل ، أثناء القتال والتى تجعلها معرضة لهجمات العدو ...وخاصةأن هناك مضايق كثيرة ، لاتسمح بمرور أكثر من سيارة واحدة ، وفى اتجاه واحد ... بل ان السيارة ذاتها ، لاتستطيع تغيير اتجاهها والعودة إلى الاتجاه المضاد ، لأن الطرق ضيقة .. بالإضافة إلى الجروف الخطيرة ، التى تجعل مهمة القيادة صعبة جدا ... وهكذا تجد القوات النظامية نفسها ، مضطرة فى أحوال كثيرة ، إلى استخدام الدواب ، مثل البغال والحمير فى نقل مهماتها ... وصعود الجبال ... أو أن يقوم المقاتلون أنفسهم، بحمل صناديق الذخيرة، ومعدات القتال على أكتافهم .

وبالنسبة للمدرعات أيضاً ، وللمدفعية الحديثة ، فإن الجبال تكون حائلا أمام استخدام المدى الكبير للضرب المكشوف المباشر على العدو.

قسوة الطبيعـــة

وإذا أضفنا الى هذا ، أن حرب الجبال ، تحتاج قدرة جسمانية هائلة ... نظرا لاختلاف الضغط ... وكمثال على هذا ، فان المقاتل الذى يستطيع الجرى لمسافة ٢٠ كيلو مترا ، فى القاهرة ، قد لا يستطيع الجرى هناك لمسافة خمسة كيلو مترات فقط لان التعب يحل به بسرعة ... بالإضافة الى أن بعض الناس ينزفون من أنوفهم ، فى المرتفعات ، حيث يخف الضغط الجوى ... ولكن بمضىالزمن يتأقلمون ... والمناخ فى الأراضى الجبلية مختلف ، فبينما الحديدة ، شديدة الحرارة ... بل حرارتها مثل

حرارة أسوان ، مضافا اليها الرطوبة العالية ... فإن قمم الجبال قد تكون باردة غاية البرودة ... وهذا العامل رغم أنه يبدو تافها على الورق ، الا أنه فى الطبيعة له شأن كبير ، ولا يمكن أن ننسى ، أن قوات كبرى ، مثل قوات نابليون ، أو قوات المانيا ، فى الحرب العالمية الثانية ، قد هزمتها البرودة ... والثلوج .

وهنـــاك عامل آخر ، هو عامل السيول ... ففى موسم السيول تتعطل معظم الطرق ... أوما يمكن أن نطلق عليه ،جوازا اسم الطرق ... وبذلك تكون القوات منعزلة فى أماكنها ، وقد حاول أنصار الرجعية والاستعمار ، استخدام هذا العامل والاستفادة منه ، خلال شهر مارس ... شهر السيول ... ولكن القيادة العربية كانت قد وضعته فى اعتبارها ، ولم يستطع العدو ،أن يحقق أى نجاح ... بل إنه تلقى ضربات قوية ، فى هذه المحاولات .

وعملية تسلق الجبال ذاتها ، ليست عملية سهلة ، إذ يلزمها تدريب خاص .. وأدوات خاصة ... حبال مثلا ،وخطاطيف، وأنواع من الأحذية...وأنواع من الأسلحة ... فغير معقول على الأقل ، فى المراحل الأولى لأية عملية حربية ، أن أعطى أحد المقاتلين مدفعا ثقيلا ، وأقول له تسلق هذا الجبل .

وفى حرب الجبال تكون هناك فرصة لدى العدو للاختفاء فى الكهوف ، وخلف الصخور ، فلا يظهر إلا فى الوقت الذى يناسبه .

وهناك عشرات أخرى من العوامل ... بالإضافة الى ما خلفه نظام الإمامة ... من حيث التأخر الهائل ، الذى بليت به اليمن ... فلم يكن هناك خريطة دقيقة واحدة لليمن كلها...وكل قبيلة منعزلة عن الأخرى، انعزالا يكاد يكون تاما ... والمطارات لم يكن بها متر واحد من الأسفلت .. وهذا يعنى أشياء كثيرة ... إنه يحدد نوع

الطائرات التي يجب استخدامها ... كما يحدد عدد الطائرات ، التي يمكنها أن تهبط وتصعد في يوم واحد .. وكل هذه العوامل، تعتبر تحديدا فظيعا لامكانيات الجيوش الحديثة في الحركة ... والعمل السريع .

كانت كل هذه الأشياء ... وعشرات أخرى غيرها ، قد وضعت في دراسة الأطراف المعادية ... للثورة اليمنية ... بل هم وضعوا في اعتبارهم ، عاملا آخر ... وهو أن الجندي العربي ، لم يقاتل مرة واحدة في حياته ، في الاراضي الجبلية ... وأن معداته وأفكاره ، غير مصممة لهذا النوع من العمليات ، وهكذا قد تكون الجبال وحدها ، قادرة على هزيمته ... الطبيعة ذاتها ، ستقف أمامه حائلا قويا ... أما إذا أضيفت اليها العوامل الأخرى ... فأنه لا محالة مهزوم ... وخاصة أنه سيكون مضطرا للتخلي عن جزء كبير من اسلحته الحديثة ... كما أن هذه الأسلحة ، التي لن تعمل بكفاءة ... ستكون عبئا على القوات .

هذا هو التقدير الذي وضعوه للموقف ... ولكن نقطة صغيرة فاتتهم ... نقطة صغيرة ... قد لا تبدو مهمة ، بيد أنها كانت كل شيء ... إنها صلابة المقاتل العربي وقدرته الخارقة، على مواجهة جميع الظروف ، واحتماله الهائل، غير العادي ،للظروف غير العادية ... وقد رأيت بنفسي في أحد المواقع ، كيف حمل الرقيب محمد سعودي على كتفه صندوق ذخيرة ، ونيران العدو تنهال عليه من كل جانب ، ليوصله إلى الرقيب عبد الجليل ، الذي يقاتل فوق القمة .

ورأيت كيف استطاع الرجال ، أن يتأقلموا ، بسرعة فائقة مع الجبال ... بل وأن يدخلوا ، تجديدات كثيرة ، على فن الحرب في الجبال .

ورأيت كيف استطاع الطيارون ، أن يلبوا جميع احتياجات المقاتلين ، رغم ظروف الأرض ... حتى إن عز الدين ناصر ، استطاع أن يضع قنبلة طائرته في باب

الـكهف ، وحينما تجمعت كل قوى العدو ، لتهـزم قوات الصاعقة ، فى أولى عملياتها وكان ذلك فى المحور الشرقى ... لم تستطع أن تحقق أى نصر ... بل أصيبت بالهزيمة .

إن الانتصار فى حرب الجبال ، بطولة كبيرة ... بطولة جماعيـة ... وقد كان بطلها ... كل مقاتل ، وضع قدمه على أرض اليمن ... ليحمى الحرية هناك .

وملاحظة أخرى صغيرة ... هى أن قواتنا ، استفادت خبرة من الحرب فى الجبال وفى نفس الوقت ... اكتشفت نفسها ... وأنها قادرة ، دواما على الانتصار ... مهما كان العدو ، لأننا قد ازددنا ثقة بأنفسنا ، وازددنا قوة .

صــــرواح
الخــالدة

وطلعت الشمس من جديد
عـــلى أرض صرواح ..
والهضـــبة كلها حمراء ..
صخورها ورمالها مصبوغة
باللون الاحمر ..انه الدم..



حينما يستمع الإنسان إلى قصة بطولة ، فإنه يشعر بمزيج من العواطف، تجاه البطل ، ولـكن قصة البطولة فى صرواح ، ليست قصة شخص بعينه .. إنهـا قصة بطولات عديدة ... أبطال عديدين ... بل إن كل انسان حارب فى صرواح ... بطل ... إنهـا البطولة الجماعية . مجموعة من المقاتلين ،كانت قلوبهم جميعا تنبض بإحساس واحد ، ... قاتلوا جنبا إلى جنب ... رفعوا جميعا ، أعلام الحرية ، فوق قمم الجبال ... إن كل قدم سارت على أرض صرواح ، لها نصيب مجيد ، فى البطولة الـكبيرة ... لقد عشت أحلى أيام عمرى فى صرواح ... وشهدت مجد أمتى ... وعظمة جيشها .

* * *

قبل أن اذهب إلى صرواح سمعت كثيرا عن أبطالها ... قالوا لى أشياء كثيرة كان بعضها اكثر من خيالى...وفوق تصورى ، وحينما وصلت إلى صرواح،وعشت بين المقاتلين ، شعرت بأن كل ما سمعته ، ليس إلا قطرة صغيرة . ، فى بحر البطولات الـكبير ... مهما كتبت عن صرواح ، فإننى ، مقدما ... أعتذر ... لأنى لن استطيع أن أقول الحقيقة كلها ... إن كل الناس هنا على أرض البطولات والأمجاد يتكلمون عن صرواح بمنتهى الاحترام ... وقد شعرت بذلك . حينما ذهبت إلى المطار الحربى ، لأستقل طائرة هليوكبتر إلى صرواح ... أكثر من طيار ،كان يريد الذهاب اليها ... كلهم يريدون الذهاب ... إن الطيارين جميعا أصدقاء للمقاتلين فى صرواح ...

وضعت قدمى فى الطائرة ، وجلست بين الطيار ومساعده .. فقال لى الطيار:، بعد ٤٥ دقيقة ، سنكون هناك فى صرواح .. وسأدور دورة كاملة فوق جبالها ... حتى تستطيع أن تراها من الجو ، وحينما وصلنا فوق صرواح ... كنت أريد أن أرى الجبال التى سمعت عنها ... إن الجبال هنا ، مثل أقاع السكر ، وهى تبدو من السماء ، كأنها أسنة الرماح ... جميعها متجهة إلى أعلى ... وفى الوسط قطعة صغيرة من الأرض الخضراء ... الجروف الموجودة فى الجبال ... من السهل تمييزها من الطائرة ، إنها اشبه بالجدران المرتفعة ... أوكأنها أسوار مدن قديمة عالية ... وعلى جانب الممر الصغير ... وجدت ... قائد صرواح ، ينتظر الطائرة ... وكانت المرة الأولى ، التى أراه فيها ... وقد رأيته يستقبل قائد الطائرة ، بالأحضان ... إنه تاريخ كفاح مشترك طويل ... ومن المطار ، ركبت سيارة حمراء ، عليها أرقام سعودية ، لكن السيارة ، فقدت زجاجها ... وقال لى أحمد قائد صرواح : لقد أحضرنا لك السيارة الوجيهة ، لكى تركبها ... إن اسمها سيارة هيكل ، وسألت لماذا حملت هذا الاسم ؟ قال : لان هيكل ، هو الذى احضرها فى إحدى دورياته ، وذهبنا معا إلى المقر الشتوى لملكة سبأ ، هذا المقر يحكى قصة حضارة عظيمة ، كانت هنا على هذه الأرض ... بعض الأعمدة لازالت قائمة ، منذ أيام الملكة بلقيس ، وقصرها الشتوى لايزال سليما ، وقال لى احمد : لقد تعمدنا ألا نضرب المنطقة الأثرية بالقنابل حتى نحافظ عليها ... وبالرغم من أن القوات النظامية السعودية ، كانت هنا بقيادة العقيد السعودى عبد الله بن الحسين ، الا أننا قررنا المحافظة عليها ، وعلى الباب الخارجى ، استمعت إلى ضحكات عالية ... إنها ضحكات المقاتلين ، كانوا يجلسون فى حجرة فى الدور الثانى ... والطريق الى الحجرة ، مظلم ، وغريب ... إن السلالم عالية ... ولابد بعدصعود عدة سلالم ، أن تخفض رأسك ، إيذانا بوجود (مزغل) كان يختفى العدو خلفه ، حتى يعاجل المهاجم ، برصاصة فى رأسه ... وعلى جانبى السلم ، فتحات كثيرة ، ... كلها كانت تغص بالبنادق ، لاصطياد أى متقدم ، والمتقدم لا يستطيع إصابة الجالس خلف هذه الفتحات ... فلا شىء ، يظهر منها ، الا فوهات البنادق ... وقد صممت هذه (المزاغل) جميعا ، بحيث تكون فى مناطق مظلمة ، حتى لا يراها القادم من الخارج .

المهم أنى وصلت إلى الحجرة العليا ، . ووجدت مجموعة من المقاتلين ، يلعبون الشطرنج ... إن الشطرنج عندهم ليس مثل الشطرنج عندنا ... أحجار الشطرنج هناك من الرصاص ... الملك مثلا ، رصاصة كبيرة كاملة ... والوزير رصاصة سبق أن أطلقت ... والعسكرى رصاصة صغيرة ، وهكذا ...وحول لاعبي الشطرنج ، يلتف الجميع ، لتقديم النصائح ...معظمهم هنـــا ، يفضلون إطلاق شعر ذقونهم ... أنهم يفضلون شرب الماء، على حلاقة الذقون... المرح يحكم كل شيء ... أن لهم أغانى خاصة وهم يطلقون النكات بمعدل نكتة كل دقيقة ... وفى هذا الجو المرح ... كان رستم يشد الرباط الطويل لحذائه الغريب ... إنه ذاهب فى مهمة ... دورية قتال ...

وبدأت النكات والضحكات ، تتحول إلى رستم ... أقلها (الشهيد رستم رايح على فين ... إوعى تتأخر على (الراندى فو) ما تنساش تجيب لنا راسين عجالى ، ويضحك رستم ، ويقول « أقل من ٢٠ راس وشرفك لا يمكن » ويرد هيكل .والنبى ابق هات لك عربية .. (لان بعد النهاردة مش هركبك عربيتى ... وإذا ما جيبتش عربية ، ها تمشى على رجليك) ...

وسألت عن المهمة ... قالوا لى إنها دورية قصيرة المدى ، لمدة يومين ...إنه ذاهب لاصطياد قوات العدو ... لقد اخترنا له نقطة على الطريق ... هناك سيعد كمينه ، وهناك ، سيعتمد على نفسه ، سيكون على بعد ٢٠ كيلو مترا من الموقع ... سيخرج رستم فى الظلام ، ليصل فى الظلام أيضا ، حتى لا يكتشفه أحد ... وذهب رستم إلى رجاله ... وكانوا جميعا يضحكون ، أما أنا فلم أضحك ... قلبى كان معهم .

وقالوا لى :إن رستم الآن خارج إلى رحلة صيد صغيرة ، إذا قورنت بالعمليات الكبيرة ، التى قام بها ... وكانت بداية الحديث، لكى استمع إلى ما دار فى صرواح

بدأت قصة صرواح ... بقفزة مظلات خطيرة ... كانت القفزة الأولى على أرض اليمن ... كانت الظروف كلها ، لا تساعد على إتمام العملية ... وكانت كلها صعوبات تواجه أول قوة تقفز بالمظلات ... الأرض واسعة وكلها جبال عالية ... والعدو يحتل تقاطع الطرق ، وآبار المياه ... والريح عاتية ... وقفزت أول قوة من القوات وفى الهواء فتحت المظلة الأولى ... والثانية ... والثالثة ... تتابع فتح المظلات ، وبدأت أصوات الرصاص، تنطلق من الأرض ، لاصطياد الهابطين ... وفى الوقت نفسه ، كانت تمرق فى الجو ، الطائرات المقاتلة ، لحماية القوة الهابطة .. ولتمكينها من الوصول إلى الأرض ، بأقل خسائر ..واللحظة التى وصلت فيها أول قدم إلى الأرض كانت هى اللحظة الحاسمة .. القتال العنيف ، إما التشبث بالأرض .. والسيطرة عليها أو الفناء .. ولا احتمال آخر ... انها الحرب ... ودار القتال على قمم الجبال ، وبين الصخور .. وفى الكهوف ... واستطاع الهابطون التجمع ... ليعلنوا .. أن أول قوة مظلات، تهبط على أرض اليمن ، قد استطاعت ان تسيطر على الأرض ، وأن تحمى نفسها .

وهكذا تمت إقامة رأس جسر ، يتدفق عليه الامداد القادم من الجو ... ولم ينقطع أزيز الطائرات فى السماء ، وبدأت مظلات أخرى كثيرة ، تفتح فى الهواء ... لتهبط حاملة معها الذخيرة والسلاح والمهمات ... وسيطرت القوة الهابطة ، على تقاطع الطرق ، وعلى بئر المياه ... وهكذا حققت غرضها الأول ... ولم تكن العملية التالية عملية سهلة ... انهم هناك دائما يقولون : « ليس المهم أن تحقق الغرض ولكن المهم أن تحتفظ به » وكانت عملية الاحتفاظ بالغرض أشد ضراوة وقسوة من الحصول على الغرض نفسه .. وقد رأيت هناك مئات من الجثث المتناثرة ، على سفوح الجبال ، تعلن ضراوة المعارك التى دارت ... ومـــــدى ما تكبده العدو من خسائر ...

التبـــة السوداء

... لقد بدأت القوة الصغيرة تتلفت حولها ... لتحدد من أين يجيء احتمال الخطر ... ودارت العيون حول الموقع كله دورة كاملة ، وكادت تتركز جميعها ... على نقطة واحدة،التبة السوداء وعلى وجه التحديد رأس التبة السوداء .إنها التبة المشرفة على موقع قواتنا ، وذهب أحمد « قائد صرواح » ليستكشف الموقع ذا الاهمية البالغة ... وكان معه الرقيب محمد عبد الرحمن ، والرقيب بيومى ... ثم قرر احتلال التبة ، وقد تمت عملية الاحتلال ذاتها بسهولة ويسر .. لقد انسحب العدو ... دون ان يطلق طلقة واحدة .. وهكذا وجدت قواتنا ، نفسها ، وهى تركب قمة الجبل ... كان ذلك فى الساعة الثانية بعد الظهر ... وبدأ المقاتلون يحفرون الخنادق فى الشعاب انتظارا للاحداث ، التى لا بد انها مقبلة...ومع ضربة أول (أزمة) على وجه الصخور كانت أول طلقة من العدو تصفر ، لتمنع اتمام عملية الحفر ... لكن عملية الحفر تمت فعلا ، تحت النيران ، فى الساعة الرابعة والنصف ... وطول هذه الفترة ، كانت الرشاشات الخفيفة ، تحاول إسكات أسلحة العدو ، حتى لا تكون مؤثرة على قواتنا، المهم أن المقاتلين استطاعوا ان يجلسوا فى الحفر ، وان يحموا أنفسهم من نيران العدو .. وأصبح أمامهم ميدار جيد ، لضرب النار .. وكان كل منهم يقول فى نفسه : آه لو تقدم العدو من هنا ، وبدأ الظلام يرخى سدوله ، دون ان يحمل الأمل فى الراحة ، بعد يوم طويل شاق ، استهلكت خلاله السواعد القوية ، جزءا كبيرا من حيويتها ، فى القتال ، مع الصخور والطبيعة ... لقد بدأت اصوات مثل اصوات الهنود الحمر ، تسمع من بعيد .. وصراخ .. (يا أحمد.. يا أحمد ... ى .. يايايايا) وزغاريد مختلطة بهذه النداءات ، واستمرت هذه الاصوات طوال الليل ... احيانا تعلو ...وأحيانا تخفت ... لكنها لا تنقطع ... ان غرض العدو، من هذه الاصوات هو ... أولا ... أن تطلق مواقعنا عليهم النيران ... وبذلك يكتشفون أنواع الأسلحة وموقع كل سلاح .. وثانيا .. إزعاج قواتنا .. حتى لا ينام الجنود طوال الليل ، حتى إذا ما بدأت المعركة .. دارت ضد جنود منهكين من السهر والتعب ..

والشيء الثالث هو ضمان عنصر المفاجأة لقواتنا . حتى تتعود القوات على هذه الأصوات . وفى الوقت المحدد للعملية .. تكون هذه الأصوات شيئاً عاديا ... وهكذا لم تستمر الاصوات ليلة واحدة ، ولكن أربع ليال كاملة .. وبدأ العدو هجومه ، ولم يكن هجومه عملية مفاجأة ، بالنسبة لقواتنا ، فقد لاحظت قواتنا ، من قمة الهضبة ، تدفق السيارات خلال الليل ، قادمة عبر الوديان من السعودية .. وكانت السيارات تحمل ، مئات الجنود النظاميين السعوديين ... والذخيرة والمال . والسلاح .. والأردنيين ايضا .. وكان عددهم جميعاً اكثر من ١٢٠٠ شخص — وقد عرفت هذه الرقم بعد انتهاء العمليات من احد الشيوخ — بينهم اكثر من ٤٠٠ سعودى .. برئاسة عبد الله بن الحسين ، وهو عقيد سعودى .. وكان غرض العدو ، من عملية الهجوم هذه . هو إبادة كل قواتنا فى صرواح .. حتى يمكن أن يقولوا : ان قواتنا قد منيت بهزيمة فعلية ، وانهم استطاعوا التغلب على قوات الصاعقة ، التى تفخر بها مصر .. وهكذا يستطيعون أن يجمعوا الأنصار ، على اعتبار أن المعركة أصبحت فى أيديهم .. وان اشد القوات ضراوة وعنفا ، ركعت على أقدامها .. كان هذا هو غرض سعود .. ولهذا وضع العقيد عبد الله بن الحسين وهو من رئاسة الاركان السعودية ، الخطة على أساس التفوق الساحق فى الرجال .. فصمم على أن يكون عدد المهاجمين ، أكثر من ٧٠ ضعفا بالنسبة لعدد المدافعين ، عن التبة السوداء .. وبهذا يفتح الطريق إلى صرواح ويدوس مواقعها .. الموقع تلو الآخر وبدأت اشباح تظهر من بعيد خلال الظلام .. انها كتل من قوات العدو .. وبدأت حراب البنادق تلمع ، وبدأت الأصوات تعلو .. سلموا .. ارفعوا ايديكم .. الامام سيصلى الجمعة فى المسجد الكبير ، وتركوهم يتقدمون .. اختفى رجالنا خلف الصخور حتى لقد بدأ الموقع ، كانه خال من الحياة .. وظل العدو فى تقدمه ، إلى أن وصل إلى الانحدار الامامى للتبة .. وبدأ أول فرد من العدو ، يضع قدمه على التبة نفسها ، محاولا الصعود .. وكانت هذه إشارة البدء .. كانت الأصابع كلها تنتظر هذه اللحظة ، لتضغط على أسلحتها .. وخرجت الطلقة الأولى ، ليتبعها الوف الطلقات ، من مختلف أنواع الأسلحة .. وتحول الليل إلى نهار .. والطلقات المضيئة .. ارتفعت

فى السماء ، كأنها الشمس تنير الأرض ، التى يتقدم عليها العدو .. واستمرت المعركة ثلاث دقائق فقط .. وبلا ترتيب أصبحت قوات العدو كلها فى حالة ذعر غريب .. ومع خيوط الصباح الأولى، كنت تجد جثثاً متناثرة على الأرض ، وخطوطاً طويلة على الرمال واضحا ، أنها من آثار سحب جثث القتلى على الأرض .. لقد كان هذا هو أول نصر ، فى حرب فعلية ، لقوات صرواح .

ولكن العدو لم يهدأ ... حاول أن يهاجم مرة أخرى ، إلا أنه فى هذه المحاولة غير طريق الهجوم... لأن رءوساً كثيرة ، تحطمت على الميول الأمامية،للتبةالسوداء وكان للعدو حرية الاختيار ... واختار أضعف التباب ، إنها التبة الحمراء ، ويمكن اعتبارهاقزما بجوارالتبة السوداء، كان عليهافى هذا الوقت ستة أفرادفقط،وكان يرأسهم رقيب (شاويش) إسمه يحيي راضى ... ومعه العريف مصطفى درويش ...وفى هدوء تجمعت قوات العدو ، بنفس الضخامة السابقة ، لتهاجم التبة الحمراء ... على أمل اختراق الموقع ، من أضعف نقطة فيه ، ثم الاندفاع لمهاجمة التبة السوداء من الخلف ومهاجمة باقى القوات، من مكان لاتتصور هذه القوات أن تهاجم منه...من ظهرها.. كان جنود العدو يتحسسون الأرض،وهم يتقدمون حتى لايلفتوا إليهم الأنظار، تقدموا إلى أقرب ما يمكن من التبة ، مستخدمين الصخور فى الاختفاء ، عن أعين قواتنا ... وليلتها كان الظلام دامسا ... ورفع الرقيب يحيي راضى ، سماعة التليفون اللاسلكى ، وأبلغ قائد قوات صرواح بالموقف ... وبتقديره لقوة العدو ، وكان قائد صرواح قد رسم فى ذهنه ، أن هذا هو ماسيحاول العدو أن يفعله ... بل إنه كان قد وضع خطته ، لمواجهة هجوم العدو ... وأصدر أحمد تعليماته للرقيب يحيي: إثبت فى مركزك ولاتتحرك عنه خطوة واحدة ... ودافع عن التبة ، وأطلق النيران ، فى الوقت الذى تراه مناسبا ... باقى أسلحة الموقع، ستساعدك بنيرانها ... سأحضر إليك فى موقعك وعلى الفور كانت أول طلقة . قد خرجت فى اتجاه العدو ...

وبدأ العدو يظهر بمجموعاته كلها، مهاجما التبة الحمراء ، وصمدالجنود فى مواقعهم وهم يطلقون النار ... طلقة من العدو، أصابت أحد المقاتلين فى صدره ... لم يصرخ

إنما طلب من زملائه الاستمرار فى القتال، ووضع يده على صدره ،يحاول أن يوقف الدم ، الذى ينزف منه ... لقد أصبحوا خمسة ... فى هذا الوقت ،كان أحمد قد ركب مدرعة ، ومعه جماعة من الجنود ، ووصل إلى الانحدار الخلفى للتبة ، واختار موقعا للرشاشات على أحد جوانبها ، ووزع جنوده بالشكل الذى يعطى أكبر تأثير لنيرانه، ونادى أحمد بأعلى صوته ... (يا يحيى ... يا يحيى كم ياردة بينك وبين العدو ؟) أجاب يحيى: (إن العدو ،على بعد حوالى ٨٠ ياردة الآن) فقال له : (حينما يصبح العدو على بعد ٥٠ ياردة انسحب من الموقع واتركه ... وانضم إلى قواتى ... ولم يصدق يحيى ... لم يتصور أنه يمكن أن ينسحب ، أو أن يترك موقعه ، إنه يريد أن يستمر فى الدفاع ... إنه مصمم على النصر ... ولم تمر ثوان ،أحمد يقول : (الأوامر للتنفيذ) وبدأ العدو يتقدم خطوة ... خطوة ... ومع كل خطوة يتساقط منه بعض الأفراد وعلى مسافة الخمسين ياردة ... كانت قواتنا تنسحب بسرعة عجيبة ، لتنضم إلى قوات قائد موقع صرواح ... وبدأ الهاون يضرب على رأس التبة الحمراء ... نفس المكان الذى كانت فيه قواتنا منذ لحظات... وشعرت قوات العدو . أنها قد حققت النصر ... فبدأ الصراخ . . يا ... يا يا ... وعلت الزغاريد ... واندفعت قوات العدو كلها بسرعة هائلة ... فى أعقاب قوات التبة الحمراء ، لم تكتشف أنها وقعت فى الفخ ... إلا فى اللحظة التى انطلقت فيها الرشاشات من الجنب ... وقنابل مدفع الدبابة تحصد جموع العدو ... وتساقط كثيرون ، وتحولت الزغاريد إلى صرخات، وذعر ،وعويل وتناثرت أشلاء كثيرة ... وسالت دماء غزيرة فوق التبة الحمراء ، ومن بقى من قوات العدو ... حاول الفرار ... والعودة إلى الخلف .. فلم يعجب أحمد، أن تفلت بعض قوات العدو من الفخ الذى نصبه ، كانت هناك دوريات قتال لنا فى الوديان المؤدية إلى صرواح .. فصرخ أحمد فى سماعة التليفون اللاسلكى (هالو ، جميع محطات صرواح ،أحمد ينادى.. أفد عن إشاراتى .. حول) ،وترد محطة تلو الأخرى على النداء .. واتصل أحمد بجميع الدوريات ، وحدد لها الاتجاه ، الذى هرب فيه العدو .. إنها فرصة اللقاء .. وكان أول اصطدام مع دورية المقاتل ، صالح عبـــد المعطى ، وكان فى نفس الدورية أيضاً المقاتل مجدى الفرماوى ..

وسامى عقيل ... وفى اللحظة التى كان قائد الدورية يعيد فيها سماعة اللاسلكى إلى مكانها ... كان أحد كبار قادة العدو واسمه سالم، يدخل إلى أحد الكهوف ليهاجم المقاتل سامى الذى تصرف بسرعة ، فوضع قنبلة يدوية على الأرض . وخرج من مدخل آخر ... وفى اللحظة التى وضع قدمه فيها خارج باب الكهف ... سمع انفجار القنبلة ... وصرخة لم يقدر لها أن تستمر لقد تطاير العدو إلى أشلاء ... وحدث أن اشتبكت دورية عادل أيضا ، فكبدته خسائر كبيرة ، لكن عدد خسائر العدو المرتفعة ، لم يعرف على وجه الدقة ، فقد سحب كثيرا من قتلاه إلى خارج أرض صرواح ...

وطلعت الشمس من جديد ، على أرض صرواح ... والتبة الحمراء كلها ... صخورها ورمالها ، مصبوغة باللون الأحمر ... ولهذا سموها التبة الحمراء ... اسمها الأول كان التبة رقم ٣ .

ومضى النهار ، وخلال الظلام ... كان أبطال صرواح ، يرون أنوار سيارات كثيرة ، قادمة عبر الوديان ، من بيحان والسعودية ... لنجدة القوات المهزومة وفكر المقاتلون فى صرواح : لماذا لا نهاجمهم ؟ ونمنع وصول الإمدادات لهم ، قبل أن يقوموا هم بالهجوم ، وكانت فرصة ، إن رجال الصاعقة ، ، يفضلون الهجوم دائما وخرجت دورية بقيادة المقاتل هيكل ، ومعه عصام ... وقرروا وضع الألغام فى طريق قوات العدو ... والاختباء فى أحد الكهوف ، انتظارا لمرور السيارات التى تقل جنوده... وبمجرد تعطل السيارة الأولى، يقومون بمهاجمة المجموعة كلها، وإبادتها ومرت الساعات بطيئة ثقيلة ... الهدوء يسيطر على الوادى كله ... ولا شىء إلا صوت الريح تداعب الرمال ... وعلى البعد ، ظهر ضوء سيارة ... سيارة واحدة وقالوا ... لا بد أن سيارات أخرى ستتبعها ... وكتموا جميعا أنفاسهم ... بعضهم كان يدعو أن يكون خلفها المزيد من السيارات ... ولكن لم يظهر إلا ضوء هذه السيارة ... وبدأت السيارة ، تقترب من الألغام ... وسمع صوت انفجار لغم وانقلبت السيارة .. ولكن يظهر أن الذين كانوا فيها ظلوا أحياء ، وسمع سائق



السيارة يقول بلهجته السعودية .. هذا من فعل العدو . . وظهرستة آخرون، راحوا يقتربون تجاه الدورية ... وفجأة انطلقت ست رصاصات ، لتقتل الستة مرة واحدة لقد صوب كل فرد من الدورية ، على واحد ، وعلى واجهة السيارة المقلوبة ... وعلى وجوه، القتلى وضعت أوراق مكتوب عليها (الصاعقة فى كل مكان ... الصاعقة لكم بالمرصاد ، الصاعقة وراءكم أينما كنتم) .

وعادت الدورية حزينة إلى صرواح، فلم يكن الصيد سمينا ... والسيارة نفسها لم يمكن سحبها وإصلاحها ، كانوا يريدون العودة فى السيارة ... وهكذا كانت كل ليالى صرواح ... ولكن هل فقد العدو الأمل ؟ لقد كانت الرجعية تحاول أن تكسب نصر على أرض صرواح ، مهما كان ثمن النصر .

المعركة الكبيرة

ولكن لماذا كان العدو مهتما بصرواح كل هذا الاهتمام؟ ... والجواب، لقد كان الموقف ساعتها على أرض العمليات خطيراً ، فلم يستطع العدو أن يحرز نجاحا فى الشمال فى اتجاه صعدة ، وحول كل قواته إلى المحور الشرقى ... إلى صرواح ... حتى إذا استطاع الانتصار فى صرواح ، اندفع إلى رأس العرقوب ،ومنها إلى صنعاء ذاتها ليدق أبوابها بعنف ... كانت هذه هى خطة العدو ... ولهذا حشد كل قواته المدربة لهذا اليوم . وفى نفس الوقت ،كان موقف قواتنا غريباً .. فقوات الصاعقة صغيرة الحجم ... ورغم صغر حجمها ، فقد كانت ملزمة بالدفاع عن هيئات كبيرة الحجم ، تستلزم أضعاف هذه القوات ... بالإضافة إلى العمليات الهجومية ،التى كانت تقوم بها هذه القوات ، وتستنفد عددا من قواها البشرية ، وقدرتها من النيران ... وزيادة على هذا ،فقد قرر قائد قوات الصاعقةفى صرواح ،أن يضع ثلث قواته حول البئر ... وهو مصدر المياه الوحيد فى المنطقة ، حتى يضمن دوام سيطرته عليه، لأنه إذا حدث ان قام العدو بتهديد هذا البئر، فان قواته تصبح فى موقف خطير، ويكون على القوات الجوية ان تنقل اليه المياه جوا ، وهو أمر صعب ... أويموت عطشا هو وقواته ... وهو أمر اكثر صعوبة ...

ولقد كانت القوات الجوية تعمل بنشاط ، فى خدمة صرواح ، خلال هذه الفترة الزمنية.. وكان كل نشاطها مركزا على نقل الذخيرة والعتاد، إلى صرواح، لأن استهلاك الذخيرة كان مستديما ، نظرا للمعارك الكبيرة والصغيرة التى كانت تدور كل يوم، حتى إنه خلال إحدى المراحل، كان هدف العدو ان يستنفد الموقع ذخيرته ،ثم يهاجمه وهـــو خال من الذخيرة ... وقد صدرت الأوامر نتيجة لهذا التحديد الشديد فى استخدام الذخيرة، بعدم إطلاق طلقة واحدة ، إلا إذا كانت تقتل عدوا بالفعل... بل إنه فى بعض الأحيان ، اضطر المقاتلون إلى عدم إطلاق النيران على العدو رغم رؤيتهم له ، لأن قتل العدو لم يكن مؤكدا ... لبعد المسافة أو لأى سبب آخر ... كما أن قوات الموقع ، لم تقبل استدراج العدو لها ، حتى لا تستهلك ذخيرتها التى يجب المحافظة عليها ... وكان رجال صرواح يعلمون أن القوات الجوية مسئولة عن مواقع أخرى كثيرة ... وكان عليهم دائماً أن تكون طلباتهم فى أضيق الحـــدود ... وخاصة ان مطار الهليوكوبتر ذاته كان مهددا بنيران العدو ،وكانوا دائما يحاولون تأمين أرض المطار ، لو مؤقتاً عند نزول الطائرات ...

كان هذا هو موقفنا ، أما موقف العدو ،فقد كان أكثر قوة ، لأن الذخيرة دائما تصلهم بكميات وفيرة ، من بيحان بالعربات ، أو على ظهور الجمال ... كما أن الذين كانوا يعملون خلف هاونات العدو ، إنجليز على مستوى جيد من التدريب ، ومعهم بعض أطقم البدو المدربين فى بيحان ... وقد اضطر الانجليز ، للانسحاب تاركين أطقم البدو، بعد إصابتهم بخسائر شديدة ... وقد كان لهم أسلوب فى العمل... هو وضع الهاون داخل مغارة ، ثم إخراجه وقت الضرب فقط، ثم إعادته، وهكذا كانت إصابتنا لأطقم هاوناتهم صعبة ... بالإضافة إلى أن فرصتهم لإصابة قواتنا كانت أكبر ... لأن قواتنا فى مكان واحد محدد ، ومعروف لديهم ، أما قواتهم ففى أرض واسعة، وهم على الدوام يقومون بتغيير مواقع أسلحتهم ... وبالرغم من هذا فقد أمكن تدمير بعض هاوناتهم ، كما أمكن لدوريات القتال الحصول على مدافعهم سليمة أو نسفها ...

أما من ناحية القدرة البشرية فقد كان التفوق الساحق ،في جانب العدو ... هناك قوات قادمة من نجران ، وأخرى من بيحـــان ، وقوات أخرى من القبائل التى استطاعوا أن يغلقوا عيونها بالمال ، وبسحر السلاح ... بالإضافة إلى القوات البريطانية والمغامرين المأجورين من كل مكان فى الدنيا ... وعلى رأس هذه التشكيلة العجيبة الحسن عم البدر ذاته .. ومعه ابنه عبد الله .

وفى اليوم السابق للعملية الكبيرة ، استطاع المراقبون أن يكتشفوا تحرك ست عشرة سيارة عسكرية محملة، قادمة من اتجاه بيحان، إلى منطقة العدو ... وقد اتضح فيما بعد أنها خمس وعشرون سيارة ... كان الظلام ساعتها يسيطر على كل شيء ... ولكن أنوار السيارات بدت من بعيد للرجال فى موقعنا ... وكان أحمد عبد الله ساعتها يجلس فى حفرة فى التبة السوداء ... وقال أحمد عبد الله فى نفسه ، إن العدو لابد أن يقوم بهجوم كاسح ... الليلة القادمة ... أو الليلة التالية لها ... وبنى قراره هذا على عدة عوامل ... أهمها ان هذه السيارات ، لابد أنها تحمل ذخيرة وأموالا ... وأن حشد العدو لابد أنه قد تم الآن ... ولا يمكن لقوات كبيرة من العدو ، أن تستمر مدة طويلة فى هذه المنطقة لصعوبة تموينها ولخوفهم من البقاء مجتمعين مدة طويلة. حتى لا يصطادهم الطيران، وشيء آخر.فطالما ان السيارات وصلت فلابد أن بها الأموال ... والأموال لابد ان توزع الليلة على المقاتلين ، حتى يقبلوا القتال فور استلام الأموال،لأنه لا يمكن ان يقبلوا القتال لو طلب اليهم ذلك ،بعد عدة أيام من استلامهم الأموال ... ولا بد ان يطالبوا بأموال جديدة

كان هذا هو تقدير قائد قوات صرواح ، ووضع أحمد عبد الله خطته فى مواجهة العدو ... إنه يعلم تماما ان قوات العدو تزيد عن ٧٠ ضعف عدد قواته ، وكان أول أمر أصدره .. لا يتزحزح واحد من الرجال عن مكانه . والأمر الثانى ... إخراج عدة دوريات لوضع حقول الغام فى الأماكن المحتمل ان يتقدم العدو منها ... على أن تقوم هـــذه الدوريات بعمل كمين لعربات العدو ، لو كان هناك امداد اضافى قادم إلى منطقة حشد العدو ... واتخذ قرارا غريباً فى نفس

اللحظة ... هو مهاجمة العدو فى الجبل الأخضر ، واحتلاله ، حتى يمكن ضمان سلامة الدوريات ، بالإضافة إلى منع العدو من الضرب على البئر ... وحتى لا يمكن تهديد الموقع منه تهديداً خطيراً ، خلال المعركة الكبيرة التى لابد أنها قادمة ... ولم يكن الخوف ساعتها من مقاومة العدو ، أو من احتمال الخسائر ، ولكن الخوف الشديد كان ناتجا من الخوف من بعثرة القوات ، فقواته صغيرة بالفعل بالنسبة للهيئات الكبيرة التى تسيطر عليها ، فما بالك لو اتسعت هذه الأرض ، ولكن أحمد عبد الله رأى ان الجبل الاخضر حيوى جدا بالنسبة للموقع كله ... وهكذا كان ... تمت السيطرة على الجبل الاخضر ...

ولنترك رجال الصاعقة يزيدون موقعهم صلابة ، ويضعون الخطط لمواجهة العدو المتربص ... فى انتظار الهجوم القادم ، والذى اعلنت اذاعة البدر نتيجته وهى أن صرواح ، قد سقطت فى أيدى اعوان البدر ... وسمع رجال صرواح إعلان سقوطها .

لنترك كل هذا ، لنرى ماذا يدور فى الجانب الآخر ... لقد كان هناك واحد من المشايخ ، حكى لى كل مادار هناك ... قال لى : ان الأمير الحسن نفسه ذهب إلى منطقة الحشد ، ويسمونها المحطة ، ووزع الأموال الذهبية ، لتشجيع الناس على القتال ولما كانوا يطلبون منه المزيد من السلاح كان يقول لهم : « اللى عاوز بندقية يشلها من صرواح »

ولنعبر بسرعة هذه الأشياء الجانبية ، لنرى خطة العدو ... لقد تركزت على الهجوم الرئيسى ، على صرواح من أربعة اتجاهات رئيسية ... كل منها بقوات ضخمة ، على أن يقوم بالهجوم الخداعى من الخلف ، وقد بنيت الخطة على أساس ، أن الأرض تسمح بهذا التركيز الكبير من القوات ، وبهذه الاتجاهات العديدة للهجوم ومع أشعة الصباح الأولى ... وأضواء الشمس التى بدأت تمزق الظلام ... قطع السكون ، أول انفجار من قنابل هاونات العدو ، فى وسط الموقع ... لقد بدأ العدو تمهيده للهجوم ... والواقع ان قواتنا قد تعودت على قنابل هاونات العدو ، سواء كان هناك هجوم ... أو لم يكن هناك هجوم ... ولكن التركيز الهائل من نيران

العدو ، أكد أن المعركة الكبيرة على الأبواب ، واستمر قصف العدو للموقع بالنيران حتى الساعة السابعة والنصف مساء ، أى ما يزيد عن أربع عشرة ساعة من القذف المتواصل ، وكان هدف العدو وهو تدمير الموقع تدميرا كاملا ، قبل البدء فى العملية الكبيرة ، ولم تكن قواتنا ساكتة تتلقى الضربات ، ولكنها كانت ترد بكل قواها ... وفى وسط النهار — وانفجارات القنابل تتناثر فى كل اتجاه — ظهرت فى السماء طائرة هليوكوبتر ... إنها تحمل هاون بعيد المدى ... واتصل قائد الطائرة بقائد صرواح وأفهم قائد صرواح الموقف لقائد الطائرة ، وأن الهبوط مستحيل ... ولكن قائد الطائرة قال ... سأهبط على مسئوليتى ... وحاولوا مساعدتى بقدر إمكانكم ... إنه قرار شجاع بلا شك ... ووسط انفجارات القنابل بدأ الطيار فى الهبوط ... وركز العدو كل نيرانه على الطائرة التى تتحدى النيران ... واخترقت عدة رصاصات أجناب الطائرة ... ولكنها استطاعت الوصول إلى الأرض ... وعند ظهور فوهة الهاون من باب الطائرة ، كان هناك ابتسامات كثيرة ، تداعب الوجوه الصارمة ... ومرة ثانية عادت الطائرة إلى صنعاء .

وفى خلال هذه اللحظات ، حاول العدو استدراج إحدى الدبابات ، وأظهر على بعد ٦٠٠ متر من الموقع أحد الهاونات ... وأخذ يطلق نيرانه على الموقع ... والتصرف الطبيعى ، هو أن تخرج إحدى الدبابات لاصطياده ... ولكن قائد صرواح توقع أن العملية مجرد استدراج ، لأنه بعد مدة من محاولة ملاحظة الأرض جيدا ، اتضح أن هناك مدفعا صاروخيا معدا لتدمير الدبابة ، لو حاولت مهاجمة الهاون ... وبهذا يكسب العدو ... لأن خسارة دبابة أكبر بكثير ، من خسارة هاون صغير ... ورفض أحمد عبد الله الاستدراج ... وقال ... لنؤجل العمليات الصغيرة ... حتى تتم العملية الكبيرة .

وأطلق الهاون الثقيل ، أولى قنابله فى اتجاه هاون العدو ... وتوجهت عيون كثيرة إلى الموقع المفروض أن تسقط عليه القنبلة ... وكان منظرا مثيرا ، حينما انفجر هاون العدو ... إن القنبلة مباشرة ... ولكن هذا لا ينهى القتـــال ... لقد ركز العدو مدافعه ، ومدفعيته الصاروخية ، وهاوناته ، على جميع تباب صرواح ... التبة الحمراء

والسوداء والخضراء والبيرد ، والتبة رقم خمسة ... بغرض شغل الموقع كله ، وحتى لا تتمكن أى تبة من مساعدة التبة الموجودة إلى جوارها ... وهكذا تشغل كل تبة بالقوات التي أمامها ، ولا تستطيع جميعها أن تقيم حائطا من النيران حول صرواح .

ولكن قوات صرواح ، كانت قد انتهت بالفعل من زرع الغام كثيرة ، فى مداخل الكهوف ، حتى تنفجر ، إذا ماداس عليها أى فرد ، يريد ان يحتمى بالكهوف وبالمناسبة ، أنا نفسى كنت على وشك ان أدوس على أحد هذه الألغام ... كنت قد ذهبت لأشاهد نتيجة إحدى المعارك ... وسمعت فجأة صراخا حادا ... اوعى تتحرك ... بجوارك لغم ... فوقفت مكانى وأشار المقاتل الذى حذرنى من وجود اللغم ... إنه على بعد عشرة سنتيمترات على الأكثر منى ... ولكن الله سلم .

أقول وضعت الألغام على ابواب الكهوف ، فى انتظار اليوم الموعود . وكان أحد المقاتلين ،قد جلس فى كهف حصين ، حتى اذا استطاع أحد أن يفلت من الألغام وقع فى قبضة يده ... وقد اختار هذا الكهف بالذات ، لأن الذين حاولوا القيام بالهجوم السابق ، وضعوا رئاسة القوات بجوار هذا الكهف ... وكان المقاتل موفقا فى اختياره ... وبالفعل جاءت قيادة العدو للجلوس ، فى نفس المكان ... وانفجر لغم وتطايرت جثث ... واحد منهم لم يصبه سوء... ولكن الذى أصابه هو الذعر فأخذ يصيح ، ويظهر أنه تصور ان السعوديين هم الذين يضربونه . فصاح مذعورا والرشاش فى يده ... انا عبد الله ... انا عبد الله ... ولم يستطع المقاتل أن يصبر طويلا ... وقال فى نفسه « تعال ياعبد الله انا بادور عليك » وعاجله برصاصة .

ولم يكتشف أحد إلا فى الصباح ،ان الذى قتل هو عبد الله بن الحسن ... عقيد برئاسة الأركان السعودية ، وقائد العمليات كلها ... هكذا بدأت العملية، بنصر مباشر فى لحظتها الأولى .

وبدأ الهجوم الشامل على التبة الخضراء ، والتبة رقم ٥ ، والمبانى الأثرية واستطاعت التبة الخضراء، إنهاء الهجوم بسرعة، وذلك بضرب تجمعهم، الذى اكتشفه

رجال الهاون ،بشدة ، وكذلك مدافع الماكينة ، وتفرق العدو بعد إصاباته الكثيرة، وأخذ يتصايح فقط ... دون محاولة الهجوم ...

أما فى المبانى الأثرية ، فكان فيها عشرون جنديا يمنيا ، من الحرس الجمهورى مسلحين بالبنادق فقط ... وقد استطاع هؤلاء الأفراد إيقاف العدو .. تحت نيران الأسلحة الصغيرة .. وكذلك فتحت مؤخرة الموقع النيران على العدو ، فقتل سبعة ، وأصيب آخرون .. ولكن العدو استطاع دخول المبانى الأثرية .. وعلى الفور تحركت دبابة إلى مكان العدو .. وكان لمجرد ظهور الدبابة أثر كبير .. فقد قرروا سرعة الهرب ، لأنهم اعتقدوا أننا ستهدم المبانى على من فيها .

ولنذهب الآن إلى التبة رقم خمسة ...وهى تبة عادل خيرى .. وقرر المقاتلون إمساك نيرانهم ، وعدم إطلاقها ، إلا فى الوقت المناسب، حتى وصل العدو إلى أسفل التبة ... وفى هذه اللحظة فتحوا نيرانهم ، وانطلقت مئات القنابل اليدوية مما اضطر العدو للدخول فى المغارات الموجودة فى باطن التبة ، فانفجرت فيهم الألغام المضادة للأفراد .. فاصابتهم بخسائر فادحة ، وقد قتل فى هذا المكان، ستون من جنود العدو علاوة على الجرحى ... وتركوا جثث قتلاهم لأول مرة ، وكذلك تم أسر بعض الأفراد .

واستمر العدو يتصايح ، مطالبا بتسليم الموقع ، ولكن لاتجيبه إلا النيران .. والأماكن التى لم تكن تهاجم مباشرة، استطاعت أن تقدم معونتها بالنيران إلى المواقع المهاجمـــة .

ولكن أين الهجوم الخداعى ... فى المؤخرة ؟؟

لقد قوبل بنيران شديدة من قواتنا .. ومن مدافع الماكينة ، فارتد إلى الخلف وقبل تباشير الصباح ، كان العدو يحاول الانسحاب ... انسحابا شاملا ... وجر

قتلاه .. ولكنه فشل فى ذلك .. لقد تحركت بسرعه مجموعات من الرجال ، خلفه بهدف المطاردة .. وإحداث أكبر خسائر به .

واسمحوا لى الآن ، أن أنقل هذه الجملة بالحرف الواحد من يوميات الحرب ، وهى المستند الرسمى للقتال فى جميع الجيوش النظامية، والتى تذكر فيها جميع الحقائق مهما كانت ... الجملة التى اريد أن انقلها ...

«انتهت المعركة بنصر كامل لقواتنا، دون أن يصاب جندى واحد بجروح بسيطة»

وبعدها لم يجرؤ العدو على القيام بهجوم واحد على جبال صرواح ، آسف .. أقصد أبطال صرواح .

لقاء مع
صخرة
صرواح

المهمة صعبة .. لانها يجبه
أن تتم من هذا الطـــريق
بالذات .. والعدو يعلم ذلك
.. وقد ركز عـلى الطريق
كل قـــــواته . . .



لم يكن اللقاء بينى وبين (صخرة صرواح) ، ولـكن اللقاء كان بين (صخرة صرواح) وبين العدو ... و (صخرة صرواح) هو الاسم الذى يطلقونه على أحمد عبد الله ...

ولم يـكن أحمد عبد الله وحده ... كان معه أبطال صرواح ... كان معه هيكل ورستم ... وصادق ، وبكير ، وفريد ... وكان معهم أيضاً هناك مقاتلون كثيرون ولـكن أرض اللقاء هذه المرة ، لم تـكن صرواح ... كانت أرض اللقاء هناك فى الطريق المؤدى إلى بلدة كحلان ...

كانت المهمة ببساطة ، هى فتح الطريق إلى كحلان .. والطريق طوله ٣٣ كيلومتراً كاملة ... والذى حدث ، هو أن العدو استطاع أن يتسلل إلى هذا الطريق ، ويقطعه من أماكن عديدة ... وأن يحتل المرتفعات الحاكمة على الطريق ، بحيث إذا مرت أى عربة على الطريق ، يتم تدميرها بسهولة ...

والطريق ضيق جداً ، لايسمح إلا بمرور عربة واحدة ... وهو مبنى كأنه على جسر عال ، وجنبات الطريق ، عبارة عن قطع هائل ، وإذا حدث وخرجت عربة عن الطريق فى أماكن عديدة ، فلا بد أنها تتدحرج لتصل إلى الأرض ، التى تبعد حوالى ألف متر عن الطريق ... والطريق فى حالة صعود ، والواقع أننا نطلق عليه

جوازا اسم طريق... إنه أبعدشيء عن أن يسمى طريقا ، لسبب بسيط هو أنه كله عبارة عن سلالم من الصخور ، كل واحدة من هذه السلالم أعلى من الأخرى ... وقد حدث أن ركبت سيارة فى هذا الطريق ، ولم يكن هناك عدو ... فشعرت بمقعد السيارة وكأنه مثبت فى رفاص كثير الاهتزاز ، والذى اخترع السيارة حتى السيارات العسكرية — لم يكن يتصور يوما ، أن تسير على طرق بهذه الوعورة ...

كان هذا هو الطريق الذى يجب أن تسير عليه قوات الصاعقة ... قوات صرواح ولم يكن هذا كافيا ... كان العدو أيضاً هناك ... وكان من الضرورى بالطبع الاشتباك مع العدو خلال المسير على هذا الطريق ... ولم يكن هذا بالطبع هو كل شىء ... فالعدو كان مصمما على الاحتفاظ بالسيطرة الكاملة على الطريق ... وذلك لسببين . السبب الأول ، هو أنه لو عزز مراكزه فى هذا الطريق ، لاستطاع تهديد خطوط مواصلاتنا إلى صعدة تهديداخطيرا ، وهذا بالطبع أمر هام ... من الناحية العسكرية ... وكان هناك سبب آخر لايقل عن هذا السبب أهمية ، هو أن لنا حامية صغيرة موجودة فى كحلان ... والطريق مقطوع عليها ... وأمل العدو هو فى إبادة هذه الحامية ، وبذلك يستطيع أن يشيع فى طول البـــلاد وعرضها ، أن (المصاروة هزموا) وخاصة أنه لم يحدث أن حققت القوات الملكية أى نصر ، طوال الحرب كلها ...

كانت العمليات عبـــارة ، عن هزائم متوالية لأنصار البدر ... ومن وجهة نظرهم ، فإن أى نصر قد يثبت صفوفهم التى بدأت تتداعى ...

لهذين السببين ... كانت العملية مهمة للغاية ... مهمة من وجهة نظر العدو ... وفى نفس الوقت مهمة من وجهة نظرنا ...

والمهمة صعبة ، لأنها لابد أن تتم عن هذا الطريق بالذات ... وليس هناك طريق خلافه ... والعدو يعلم ذلك ... وقد ركز على الطريق كل قواته ...

وفى اللحظة التى وصلت فيها الأوامر إلى (صخرة صرواح) بالتحرك لحسم الموقف ... كان المقاتلون قد التفوا حوله ، ينتظرون الأوامر ...

وبدأ أحمد يتكلم ... قال : هذه العملية ، يجب أن تتم كعملية نموذجية ، من عمليات الصاعقة... وحينما أقول: عملية نموذجية ، فإنى أقصد، أن تتم بسرعة،ومهارة وبلا خسائر ... لأنى بالإضافة إلى مسئوليتى الكاملة عن تحقيق الغرض ، فإنى مسئول عن أرواح المقاتلين ... إننا سنعمل كرأس حربة لقواتنا التى بدأ تحركها فعلا على الطريق الى كحلان ، وقطعت من الطريق مسافة تسعة كيلومترات ... بل إن قوات المشاة سيطرت على بلدة بيت بادى ، وطردت العدو من الجبال المحيطة بها ... ومن خلال المشاة سنتقدم نحن بسرعة ، لنقوم بعملية صاعقة مثالية ... (وبجوار صخرة صرواح) كان يقف هيكل بلحيته الطويلة ، التى أطلقها منذ الأيام الأولى لثورة اليمن فحولت وجهه إلى كتلة سوداء لايظهر منها إلا عيناه ... ومن أجل هذه الكتلة السوداء كان الملك سعود على استعداد وقتها لأن يدفع لمن يحمل اليه رأسه.مبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني ... إنه هو الذى قتل فى إحدى دورياته ، العقيد السعودى عبد الله بن الحسن من القيادة العامة السعودية ... وكان العقيد يومها ، يقود هجوما مركزا على صرواح ... وكان تحت قيادته قوات أجنبية ، وسعودية،وأردنية ...

ولم تضع قوات الصاعقة وقتا منذ لحظة وصولها ... لقد بدأت عملية (جس) العدو ... وتم استطلاع مسلح على جبل الجنات ، وتعبير استطلاع مسلح الذى يستعمله العسكريون ، يعنى أن قوات مقاتلة ، تقوم بالتحرك إلى مسافة قريبة جدا من أرض العدو ، بغرض الحصول على معلومات وافية عنه ...وتقوم أيضاً ، بتبادل النيران معه ، أى أن العملية، مثل اللكمة الأولى، التى يوجهها الملاكم لخصمه...وكانت نتيجة الاستطلاع، هو مقتل أربعة جنود من العدو... بل وحدث اشتباك كان نتيجته تخلى العدو عن جبل الجنات بكامله ... وجبل الجنات هذا ، ارتفاعه ألف وخمسمائة متر ... وفى هذه اللحظة كان العدو يحاول مهاجمة بيت بادى ، وهو المكان الذى وصلت اليه قوات المشاة ، فى اليوم السابق ... وكان العدو يحتل التبة الصفراء المجاورة لبيت بادى ... وقد ركز نيرانه على قواتنا ...

ولم يضع (صخرة صرواح) وقتا طويلا ، لوضع خطته فى مواجهة العدو ...

وفى هذه الأثناء ،كانت هناك قوة صغيرة ، قد تحركت بقيادة من يسمونه (الشهيد رستم) لطرد العدو من التبة الصفراء ...

وفى اللحظة التى كان رستم يرسل إشارته ، بتحقيق الغرض ، وبأنه طرد العدو من التبة الصفراء . . كان (صخرة صرواح) قد انتهى من وضع خطته للسيطرة على الطريق ..، وبناء على الاستطلاع الذى قام به ،كان واضحا أن تحقيق الغرض خلال هذا الطريق ، عملية بالغةالصعوبة ... وأنه لابد أن تحدث خسائر فىقواته ... حقيقة أنه يمكن تحقيقالغرض .ولكن لابد أن يكون هناكخسائر،قد تكون عالية... الطريق مملوء بالأحجار ... وزن الحجر الواحد أكثر من ١٥ طنا ، وضعها العدو على مهل . . وفى زمن طويل ... ومهمة رفع هذه الأحجار ، عملية شاقة ، لابد أن تتم تحت نيران العدو المختفى فى الكهوف ، وخلف الصخور ..

واختار صخرة صرواح الطريق الأكثر صعوبة ، أى الابتعاد عن الطريق العادى ، والالتفاف حوله من الجهة اليسرى ، ليصل إلى قلب العدو ... وقلب العدو كان فى منتصف الطريق، فى جبل اسمه رأس جعدر ، هذا الجبل ، ركز العدو قواته الرئيسية عليه ...

إن النجاح فى السيطرة على رأس جعدر ، يعنى أن العدو أصبح محصورا بين قواتنا ، التى استطاعت الوصول إلى رأس جعدر ، وقواتنا الموجودة على أول الطريق فى بيت بادى ، وهذا أمر هام ... أى أن قوات العدو قد قسمت نصفين متساويين، بالإضافة إلى شىء هام آخر ،هو أن العدو سيهاجم من الخلف... أى من المكان الذى لايتصوره، وليس من الأمام... وبذلك يرزح تحت عنصر المفاجأة... وكانت الخطة أيضاً ، أن تتحرك القوات ليلا لتصل إلى رأس جعدر ، دون أن يكتشف العدو أن الصاعقة فىالطريق اليه،حتى يغير مراكز قواته،لتواجه الصاعقة، التى وجهت ضرباتها إلى القلب مباشرة ... هكذا كانت الخطة ... أو بتعبير أدق ، كان هذا هو الهيكل العام للخطة ...

وكانت ضربة رستم فى التبة الصفراء ، وسيطرة قبائل الجائفة الموالية للجمهورية على جبل الجنات ، كافية لإبعاد العدو ٩ كيلومترات أمام بيت بادى ، وبذلك كانت مقدمة العدو فى منطقة اسمها درحان ...

وتقدمت قوات الصاعقة والمشاة هذه المسافة أيضا ... وتقرر أن تقوم الصاعقة بعملية الالتفاف من درحان لتصل إلى رأس جعدر ... وقامت وحدة صغيرة من وحدات المشاة تعاونها وحدة صغيرة من الصاعقة، بتأمين الطريق فى درحان ... على أن تقوم أيضاً بدور القاعدة التى تنطلق منها قوات الصاعقة لتحقق هدفها ...

وبعد الغروب .. وكانت الساعة الثامنة مساء وخلال الظلام .. وفى هدوء ... بدأت قوات الصاعقه تشق الطريق الصعب المملوء بالأحجار .. الى رأس جعدر .. وفى هذه اللحظة ، تشبث مقاتل يمنى ، اسمه ، عسكر ، بقوات الصاعقة .. وقال لهم : انا ذاهب معكم .. لا أترككم .. وأمام إصرار عسكر .. أخذه هيكل معه ، وفى الطريق الشاق كان رجال القبائل الذين غلبوا على أمرهم ، واضطروا للرضوخ أمام المتسللين ، يطلبون الانضمام لقوات الصاعقة ... وخرج كثيرون من قرية الأشمور .. وقالوا نحن معكم .. على الأقل نحن رفاق الطريق الصعب ، الى رأس جعدر ... وفى منتصف الليل ، كان الرجال قد وصلوا الى رأس جعدر ... أقصد الى الميل الخلفى لجبل رأس جعدر .. وكان العدو فى هذه اللحظة ، قد بدأ يفكر فى دفع بعض عناصره ، من الميل الأمامى لرأس جعدر ، الى الميل الخلفى ، حتى لا يفاجأ بعملية تطويق .. مر بهدوء ... وبدون صوت ، كان رجال الصاعقة ، يتحسسون موضع أقدامهم ... وفوق القمة ... حدث اللقاء المفاجىء ... إن هناك أشباحا تتحرك ... لابد أنهم من العدو ... إنهم قادمون فى اتجاه قواتنا ... السكون يلف الجبل كله .. هيكل يأمر بعدم اطلاق النار ، ويتركهم الى أن يقتربوا جـــدا ... أصبحوا على مسافة (٥٠ مترا) .. (٤٠ مترا) ... (٣٠ مترا) ... (٢٠ مترا) ... كل فرد من رجال الصاعقة ، فى يده قنبلة يدوية ، معدة للقذف ... مقاتل يجلس خلف الرشاش ، يستعد للحصد ... اقتربوا خطوات أخرى ...

ومزق السكون ، دوى انفجار عدة قنابل يدوية ، وراح الرشاش يعمل ... جثث ملقاة على الأرض ... جرحى يصرخون ... أقدام تحاول الفرار ... الذعر يسيطر على الجبل كله ... كيف استطاعت قواتنا الوصول ؟ ... ماهو حجمها ؟ ... أين هى ؟ ... إنها المفاجأة ... ولم يضع هيكل وقتا طويلا للاستفادة الكاملة من عنصر المفاجأة ، فأعطى أوامره بسرعة .. لاقتحام الجبل كله ، مستغلا المفاجأة... والظلام .. وعدم قدرة العدو على تحديد عدد قواته ... ولم يمر وقت طويل ، حتى كان جبل رأس جعدر كله فى أيدينا ... لقد سقط قلب العدو .. واخترقته رأس الحربة مباشرة .. وبدأ القلب ينزف ،كان النزيف على شكل طلقات كثيرة متوالية غير مسددة تسديدا دقيقا ، على جبل رأس جعدر كله .. إنه الغيظ الذى تملك العدو وبدأت خيوط الصباح الأولى تظهر .. وأشرقت الشمس ، لتشهد ان قوات الصاعقة تسيطر على الجبل الكبير .. وبدأت الطائرات تظهر فى السماء .. وتتصل (بصخرة صرواح) .

(هل أنت فى حاجة الى معونة جوية؟) .. وكان الجواب :(شكرا ، لسنا فى حاجة إلى معونة)، وانخفض الطيار فوق جبل رأس جعدر .. ولم يجد عنده ما يقدمه إلى قوات الصاعقة إلا التحية .. فهز أجنحة الطائرة ،علامة التحية للقوات المنتصرة ،ثم اختفى فى الأفق .

وبدأت الشمس ترسل أشعتها مرة أخرى ... واكتشف رجال الصاعقة ، أن قمة جبل رأس جعدر ، تشرف على مسافة طويلة من الطريق تبلغ خمسة كيلومترات فى قلب العدو ... إن العدو تحت نيران أسلحتنا ... وبدأت الأسلحة طويلة المدى (تقزقز) كما يقولون ، على العدو ، الذى اضطر لأن يخلى هذه المسافة أيضاً ... وكان العدو ذكيا ... خلال الليل ... وبعد وصول رأس الحربة فى قلبه ، أخلى الطريق كله منذ بدايته ، إلى مسافة خمسة كيلومترات ، أمام جبل رأس جعدر ، وهكذا أمكن تطهير مسافة كبيرة من الطريق ، تزيد على ثلثى الطريق الوعر ... لقد حققت الصاعقة جزءا كبيرا من الغرض ، ولكن الغرض كله لم يتحقق .

واكتشف رجالنا أيضاً ، ان العدو كان قد وضع ستة عشر مانعا من الأحجار الكبيرة فى الطريق... وحجم أصغر الاحجار، مثل حجم أحجار الهرم... وهكذا بقى الجزء الاخير من الطريق ... أقصد الجزء الأكثر قسوة ... الذى يعتبر أسوأ طريق فى اليمن كله ... بعد مضيق الغولة ...

تبـــة الحصـــن

وبدأ العدو يعيد تجميع قواته لمواجهة الموقف الجديد فى منطقة اسمها الدروب، ووصلت قوات الصاعقة ، إلى قرب منطقة تجمع العدو الجديد ... ولم يعد يفصل بينهما إلا كيلومتران ، من الطريق الوعر .

وبدا واضحا أن المدرعات ذاتها ، غير قادرة على العمل ، فى هذه المنطقة الوعرة وأنه من الأفضل ، أن يترك الناس المدرعات ، ليسيروا على الاقدام .

وكان العدو ساعتها يحكم الطريق من خلال تبتين تشرفان إشرافا كاملا على الطريق هما التبة المستطيلة ، والتبة المستديرة . . وقسمت القوات الى مجموعتين . . كانت المجموعة الاولى ، بقيادة المقاتل توفيق ، هدفها التبة المستطيلة .. والمجموعة الثانية بقيادة المقاتل هيكل ، هدفها التبة المستديرة ، وكان هناك ثلاثة من اليمنيين الشجعان مع هيكل ، صمموا على أن تكون أقدامهم هى أول اقدام تصل الى التبة ، وبعملية سريعة كانت التبة فى أيدينا...

ولكن كانت هناك مفاجأة.. العدو يسيطر على التبتين بنيرانه، من تبة ثالثة ،هى تبة الحصن ،.. ولم يكن هناك أى داع لإعطاء العدو هذه الفرصة .. فبدأت الدبابات توجه نيران مدافعها الى تبة الحصن...والحقيقة أن اسم التبة.. اسم على مسمى.. فهى حصن فعلا .. وحولها مانع قوى من الصخور . يعوق أى حركة... أى أن هذه التبة كان عبارة عن تبة حاكمة ..

وبدأ المقاتل فريد ، يتصرف بسرعة ، وتوجه الى تبة الحصن ، وقام بزرع الألغام فى المانع الحجرى ونسفه ، ليفتح الطريق لقواتنا من بعده .. ومن صخرة

الى صخرة .. بدأ الرجال يتقدمون الى الحصن .. وأمام تصميم الرجال الابطال انهار الحصن .. ولم تعد هناك مقاومة .. إنهم الآن على مشارف كحلان .. لم يبق من الطريق الا مسافة بسيطة ولكنها خطيرة . هناك التبة السوداء .. آخر حصون العدو.. والعدو يدافع عنها باستماتة بالغة.. ويطلق نيرانه بغزارة .. وبدأت هاونا تنا هى أيضا ، تطلق نيرانها على التبة السوداء .. لترغم العدو على خفض رأسه .. ووصل فريد وقواته ،تحت ستار النيران إلى قرب التبة السوداء .. وهناك كانت مفاجأة .. الطريق مقطوع (ومرت لحظات قاسية) ووصل (صخرة صرواح) فى اللحظات القاسية .. وكان قراره .. الاندفاع بسرعة ، حتى لا نعطى العدو فرصة تثبيت أقدامه .

واندفعت قوة صغيرة بقيادة المقاتل سمير فهمى ، واستطاعت ضرب أفراد العدو وهناك حدث اللقاء غير المتوقع .. المقاتل سمير من جانب ، وقائد قوات العدو من الجانب الآخر ، وكان اسمه (محمد قائد).. المسافة لاتزيد عن أمتار ... إنه القتال الرهيب بالايدى والخناجر ... لا أحد من الجانبين قادر على إطلاق النار ... فلا أحد متأكد ... اين تستقر طلقته ... واستمر القتال الرهيب لحظات ... استطاع سمير خلالها أن يقتل قائد قوات العدو ... وبقتل قائد المفسدين ، لم تعد ثمة مقاومة فى الطريق إلى كحلان ... وهناك تم اللقاء بالعناق ، مع الحامية الصغيرة ... التى كان هدف العدو سحقها ...

وهكذا انتهت عملية من عمليات أبطال صرواح ... وكانت العملية نموذجية ، كما أراد لها صخرة صرواح ... ومع نهايتها كانت هناك إشارة إلى صنعاء ... حققنا الغرض ... لم نخسر مقاتلا واحداً .

ومن عندى أقول ... إن هناك مقاتلا أصيب برصاصة لمست ساقه ... ولكنه استمر فى القتال

سـنـد

وكلما استشهد منا بطـــل
وواريناه بطن الجبـل نبت
مكانه ألف بطـــل .. ان
الشعلة ستظل فى أيدينـــا
يتسلمها بطل من يدبطل..
وجيل من يد جيـــل ...



آلاف من رجال الصاعقة وقفوا على الأرض الصحراوية الواسعة يصغون إلى صوت يعلن لهم جميعـــاً نتيجة فرقة الصاعقة ، ويذكر اسم الأول فى الفرقة : عبد المنعم سند .

وبالخطوة السريعة ، تقدم شاب أسمر ، نحيل العود ، ليتسلم الجائزة ، وليحمل مدى الحياة لقب أول فرقته فى الصاعقة .

وحينما يتكلم رجال الصاعقة فى أى مكان ، عبر السنين ... سيقول بعضهم مفاخرا معتزا : أنا من دفعة سند .

هكذا بدأت حياة سند فى الصاعقة ، تصفيق له دوى حماسى .

ولم تكن المهمة أمام أول دفعة الصاعقة سهلة .

تخرجه كان البداية فقط ... وكان عليه أن يخرج مقاتلين أشداء لهم صفاته نفسها ... صفات الأول فى فرقته .

وكان سند، بارا بالعمل الذى تولاه... لقد خلق جيلا من رجال الصاعقة ... كل منهم جدير بحمل اسمها .

كان سند مهتما على الدوام ، بان يجعل رجاله قادرين على العمل فى مختلف أنواع الأجواء ، ومختلف أنواع الأراضى ... وأذكر أنه خلال عام ١٩٥٦ مرت على الجمهورية العربية موجة عالية من الحرارة ... فقد وصلت إلى ٤٤ درجة مئوية ، فكانت الفرصة المناسبة لسند ... لكى يدرب رجاله على العمل فى هذا الظرف القاسى ، من ظروف القتال ... وأخذهم سند ، إلى جبل عتاقة سيرا على الأقدام ... تحت تحديد كبير لموارد المياه ، ولاستهلاكها ... وبعد فترة من الزمن ، انتهت المياه من الداورية نتيجة الحرارة العالية ... ووصل الموقف إلى حالة خطيرة ... قوات فى الجبل ... فى حرارة الشمس الشديدة ... ولا تملك قطرة ماء واحدة ... والشمس وحدها قادرة على إصابة أى فرد من رجال الصاعقة « بضربة » قد تودى بحياته ... العودة فى حد ذاتها مجازفة خطيرة ... لأن أحدا لن يكون قادراً عليها ... إنهم جميعاً لم يضعوا على أكتافهم شارة الصاعقة بعد ... والتقدم ... أمر مستحيل ... لا موارد ماء أمامهم ، على الإطلاق ... والاتصال اللاسلكى مفقود ... شخص واحد ، هو الذى كان قادرا على إنقاذ الموقف ... الشخص الذى يضع على ذراعه علامة الصاعقة ... سند ... ولم يكن هناك حل ... عاد سند من نفس الطريق الوعر ، رغم الشمس الحارقة ... سيرا على الأقدام ... هناك ... إلى نقطة البداية ... وأحضر معه الماء إلى الداورية ... وهكذا أنقذ رجاله جميعاً من الهلاك ...

وحينما وصل ومعه الماء ... لم يكن وصوله إيذانا بانتهاء الداورية ... انما كان ايذانا ببدايتها ... لقد صمم سند مرة ثانية على أن تحقق الداورية غرضها ... دورية طويلة الأجل لمدة عشرة أيام فى الصحراء ... تقطع المجموعة خلالها أكثر من ٩٠ كيلو مترا بالخطوة السريعة ... كانت هذه مرحلة صغيرة من مراحل متعددة ... يجب أن يمر بها المقاتل ، حتى يعمل مع سند ... وحتى يوافق سند على ان يحمل على ذراعه — يوما — علامة الصاعقة .

مرحلة أخرى هامة ، درب عليها سند رجاله ... هى حرب الجبال ... واختار سند منطقة جبلية وعرة ، لتكون مسرحا لتدريب رجاله ... لأن هدفه الأول ... أن يكون رجل الصاعقة قادرا على العمل فى كل مكان ... كان سند يخرج مع رجاله

من القاهرة سيرا على الاقدام ، لمدد تبلغ الثلاثين يوما لأغراض التدريب ... وكان دائما يقول لرجاله : ليس أمام الصاعقة مستحيل .

كثير من الذين تتلمذوا على يد سند ... وعبروا معه السدود، والعقبات التي وضعها أمامهم ، حتى يحملوا على سواعدهم علامات الصاعقة ... ذهبوا معه فى مهمة فعلية... المهمة هى حرب اليمن ... أقوى الرجال شكيمة ... سافروا معه فى الدفعة الأولى... وكانت الظروف غريبة ... كان قائد الوحدة ، يرقد فى المستشفى بعد إجراء عملية جراحية له ... وحينما صـــدرت التعليمات لهذه الوحدة بالسفر إلى اليمن ، وجد سند نفسه ... أقدم الضباط ... إنه الآن قائد الوحدة ... وعليه قيادة قواته فى ميدان العمليات الفعلية إلى النصر .

وهناك على أرض البطولات والأمجاد ... بدأت قصة من أروع قصص البطولة .

بعد أيام من وصول سند إلى صنعاء ... بدأت أولى العمليات ، فقد صدرت الأوامر بالفعل لقائد قوات الصاعقة باليمن بالتحرك مع جزء من قواته ، فى اتجاه المحور الشرقى إلى مأرب ... ولم تكن وحدة سند من ضمن الوحدات المفروض اشتراكها فى القوات المتحركة...ولم يكن سند راضياً ، فذهب إلى قائدقوات الصاعقة، وقال له : « الآن أنت ذاهب إلى القتال ... لماذا أبقى أنا هنا فى صنعاء؟ ماذا أعمل ؟ » وشد قائد الصاعقة على يد سند وقال له : « لا تستعجل ... إن دورك لابد آت .. » ومرت لحظة هدوء، قال بعدها سند : « على كل حال ، سأجلس على جهاز اللاسلكى المتصل بك ... لأكون على الدوام تحت أمرك ... وأنا جاهز للحركة فوراً ... وفى أية لحظة » .

وتحركت قوات الصاعقة وبقى سند ... يتابعها ببصره ، إلى أن اختفت فى وسط الجبال ... ووصلت مقدمة قوات الصاعقة إلى أعلى العرقوب ... وفى الجانب الآخر أقصد جانب العدو ، لم تكن الأمور هادئة ... لقد كانت المعركة الاولى لقوات الصاعقة ... وكان غرض العدو ... هو ضرب قوات الصاعقة ضربة قاضية فى أولى عملياتها الفعلية فى الجبال ..

كانت هذه هى باكورة العمليات ... وقدم آلاف من المتسللين ... ومئات من الجنود النظاميين فى الجيش الأردنى ، والجيش السعودى ... واختاروا مسافة على الطريق طولها ٢٥ كيلومترا ... ووضعوا على جوانب الطريق، ولمسافة الخمسة والعشرين كيلو متراكمينا واحدا متصلا .. جندى بجوار جندى ... طوال هذه المسافة ، لاصطياد قوات الصاعقة ... واختاروا هذه المسافة ، فى مضيق من الطريق ... لا يسمح بمرور أكثر من سيارة واحدة ... وفى نفس الوقت لا تستطيع أية سيارة أن تستدير لتعود من نفس الطريق الذى أتت منه ... وبكلمة بسيطة ، إن مجرد تعطل سيارة واحدة على الطريق الطويل ... أمر كاف لتعطيل المجموعة كلها عن الاستمرار فى الحركة ... الأمر الذى يضعها فى نطاق النيران المباشرة لقوات العدو ... وكانت الأوامر عند قوات العدو ... هى ضرب إطارات السيارات ... وبذلك تتعطل السيارات فى المرحلة الأولى ... ثم اصطياد القوات ، وهى فى حالة ثبات تام ... ثم النزول من قمم الجبال ، لتدمير جميع قوات الصاعقة تدميرا تاما ... وبهذا تنكسر الشوكة القوية للقوات العربية ... وبتعبير آخر ... تتحول أرض الكمين إلى مقبرة لقوات الصاعقة ... هكذا رسمت الخطة ، وأضيف اليها فى اللحظة الأخيرة ، تدبير قام به المهندسون التابعون للجيش الاردنى ... إذ قاموا بنسف الطريق نسفاً كاملا فى ثلاثة أماكن ، على شكل قواطع ، كل قاطع بعرض نصف الطريق ، وبطول ١٥ مترا ... حتى يتأكدوا من نجاح خطتهم .

وقد وضع فى الاعتبار فى هذه الخطة ، ما سمعوه عن قوات الصاعقة ، وقدرتها الهائلة على العمل ، وتحت هذه الظروف بدأت المعركة ... وانطلقت أول مجموعة من الطلقات من جانب العدو ... لتعلن بدء المعركة الأولى فى العمليات فى اليمن ... وفى نفس الوقت ، لتعطى الإنذار المبكر للكمين الكبير ، على المسافة الهائلة البالغة خمسة وعشرين كيلومترا .

وبسرعة ، تقابلت وحدة الاستطلاع ، مع الكمين ، وتمكنت من إسكاتها والقضاء عليها ... ولم يكن هذا هو كل شىء ، فلا زالت قوات الكمين أمام القوات العربية ..

وفكر قائد الصاعقة ... لابد أن يتخذ قرارا عاجلا ... هل يعود أم يستمر فى التقدم ؟ ... ولم يكن لديه وقت للتفكير ... النيران تنطلق على قواته ...والعودة أولا : عملية صعبة ... لأن الطريق ضيق ، ويعرض قواته لخطر بالغ ... ثانيا :وهو الأكثر خطورة،إنه لا يريد لقواته ، أن تتحاشى مواجهة العدو فى أول عملية .. واتخذ قائد الصاعقة قراره .. أن تمر قواته وسط الكمين .. مثل السيف .. وأن تدمر أية قوة تتصدى له على هذه المسافة الطويلة ... أليس اسمهم ... رجال الصاعقة ؟! وكانت العقبة الكبرى أمامهم ... هى الطبيعة ... الطريق ... يجب قهر الطريق ... وتقدمت مجموعة الاستطلاع ، لتقهر الطريق ... لتزيل الموانع الثلاثة ، ولتصلح الطريق المنسوف ... ولم تكن العملية مجرد إزالة الموانع الثلاثة ... إنما يجب أن تتم هذه العملية بسرعة هائلة ... حتى لا تقف القافلة الطويلة فى مكانها ، وتكون معرضه لنيران العدو ... مدة طويلة ... وفى نفس الوقت ، تتم عملية إزالة هذه الموانع ، تحت نيران العدو ... ومطلوب أيضا أن تتم بأبسط الخسائر ... حتى لا تفقد قوات الاستطلاع فى العملية... وأثبتت قوات الصاعقة، أنها قادرة على العمل السريع ، فى مختلف أنواع الظروف ، وبالفعل أمكن لقوات الاستطلاع أن تزيل جميع العقبات فى الطريق، ولم تتوقف سيارة واحدة من سيارات القافلة ، فى انتظار تطهير الطريق ...

واستمرت القافلة فى اندفاعها ، مشتبكة بالنيران مع قوات العدو ، عبر الطريق الطويل ... المحفوف بالجبال ، والأخطار من كل جانب ... وأصدر قائد الصاعقة تعليماته بزيادة سرعة التقدم ، مع فتح النيران ... ودخل الليل، والقوات فى منتصف المضيق ... أقصد منتصف الكمين ... وكان العمل ليلا ، أسهل منه نهارا ... فكل ومضة ضوء تلمع عقب طلقة يطلقها العدو ، تكون إيذانا ، بتوجيه مواسير بنادق كثيرة، إلى نفس مكان الضوء...ومن نفس النقطة... لا يمكن أن يلمع ضوء جديد... لقد دمر العدو... وهكذا ... إلىأن وصلت قواتنا، إلى آخر نقطة فى الكمين وعبرت بعدهاخمسة كيلو مترات ، بدون تبادل نيران...وجمع قائد الصاعقة قواته ... وأحصى الخسائر ... ضابط واحد وأربعة جنود من مجموعة الاستطلاع ... ولم يكن عبور

الكمين عملية هامة ، من وجهة نظر قائد الصاعقة ... إنما المهم هو تدمير العدو وليس المهم هو اكتساب الأرض... إنما المهم هو تأمين الطريق ... وهزيمة العدو هزيمة كاملة ، لاتسمح له مرة أخرى باعتراض طريق قواتنا ... لأن مجرد مرور القافلة من وجهة النظر العسكرية ، لايعني شيئا ، طالما أن كل قافلة ستمر بعد ذلك ، ستلاقي نفس الكمين ... بالإضافة إلى أن تقدمها إلى مسافة أطول ، وظهرها غير مؤمن تأمينا كاملا ، لايعد من وجهة نظره نصرا كافيا ...

واتخذ قائد الصاعقة قراره ... العبور من نفس المضيق ، مرة ثانية ، وفي نفس الليلة ... وفي الاتجاه المضاد ... وبذلك يكسب شيئا هاما ... وهو مفاجأة العدو... وفي وقت غير متوقع ... إذ من غير المنتظر أن تعود القوات للدخول في كمين خرجت منه ...

وبعد منتصف نفس الليلة بنصف ساعة ،كانت قوات الصاعقة ،قد بدأت التحرك في الاتجاه المضاد ، على أساس قطع المضيق كله في الليل ، وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة ... ولكن في هذه المرة، حدث تغيير بسيط ... في الوقت الذي كانت فيه السيارات والمدرعات تشق طريقها عبر الممر الوعر ... كان رجال الصاعقة قدركبوا الجبال خلال الظلام ، وفاجأوا العدو من الأمام ومن الخلف .

وحدثت المجزرة ... وتحول المضيق إلى مقبرة للمتسللين ... وقال أحدالأسرى يومها ... « والله أخذتوا منا الكثير » ... بيد أن الرقم الحقيقي لخسائرهم ، لم يعرف إلا بعد أن انتهت العمليات ... كانت خسائر المتسللين أكثر من ٣٠٠ قتيل .

وفي اللحظة التي كان فيها قائد الصاعقة ، يشق طريقه عبر الكمين ،كان سند ، قد تسلم أوامره من القيادة بصنعاء ، بأن يتوجه بقواته وينضم إلى قوات الصاعقة التي تحركت ... ومع خيوط الفجر الأولى ، تم لقاء سند مع قائد الصاعقة ... وكان لقاء مثيرا ...

وصدرت الأوامر لقوات الصاعقة بالتحرك إلى جيحانة، والعمل منها ، كقاعدة لشن الغارات على جموع العدو ... من المتسللين والرجعيين ... وقد تمت بالفعل

السيطرة على جيحانة ... وأمكن لأول داورية تخرج من جيحانة، الاتصال بالبطل اليمنى عبد الخالق الطلوع على مسافة ٢٩ كيلومترا ... وكان قائد الداورية سند ... ومنذ تلك اللحظة ، نشأت صداقة متينة بين الطلوع وسند .

ومرة ثانية ، كان لابد لهذه القوات أن تتحرك إلى الأمام ، بعد أن أنهت كل مقاومة فى المنطقة ، فتقدمت إلى رأس العرقوب ، وقطعت المسافة كلها فى ثلاث ساعات ... فقد ذاع اسم الصاعقة ، وأصبح مجرد ذكره كافيا لهروب قوات العدو .

ومن رأس العرقوب ، بدأت عمليات الإغارة على العدو ... لأن العدو كان أجبن من أن يقوم بهجوم ... وتولى سند الاشراف والاشتراك فى عمليات الإغارة وقام وحده بقيادة أكثر من ٣ غارات على العدو... فى بنى طوق والقصفة والهندية وبنى صليح ... والحريف .

وذاع صيت سند عند المتسللين، وخاصة بعد عملية غريبة قام بها ...هو وجندى واحد ... هو الجندى البطل فهمى أبو المجد ... فقد تصادف أثناء ذهابه إلى بنى صليح ... أن أطلقت عليه قوات العدو النيران من تبتين حاكمتين ... ، ولم يكن أمامه أى حل ، إلا العودة ، ولكنه صمم على احتلال التبتين وكان ساعتها يركب مدرعة ، وفهمى يركب مدرعة أخرى ... وأصدر تعليماته إلى فهمى باحتلال التبة اليسرى .

وفى نفس الوقت ،قام هو بمهاجمة التبة اليمنى وكان هو بنفسه يقود مدرعته ... لأنه أصلا ضابط مدرعات ... الغريب ... أو البطولة الكبيرة ، أنه تمكن مع فهمى من احتلال التبتين وطرد العدو منهما ... وعلم الناس القصة كاملة ... ومن ساعتها ... بدأت إذاعات الاستعمار والرجعية تعطى لسند لقبا جديدا ... هو سند الرجعية ... وذكرت اسمه عشرات المرات ... بل أكثر من ذلك حددت ثمنا لرأس سند عشرة آلاف ريال من الذهب... لقد قالوا عنه: إنه قادر على صنع المعجزات... ألم يستطع هو وفهمى ، أن يقهرا وحدهما... قوة كاملة للعدو ... وأن يرغما هذه القوة على الفرار؟!... وبعد هذه العملية ... بدأ مشايخ القبائل يحضرون إلى سند...



ويقدرون بطولته ... قالوا له : لقد كنا مخدوعين فيكم ... لقد خدعنا البدر، وقال عنكم أشياء كثيرة ...

وحينما وقف سند ليصلى ... تجمعوا خلفه للصلاة... وقالوا : إن ابن الحسن قال لهم : إن القوات العربية من الكفرة ... وقامت صداقة متينة بين الشيخ الدبة وبين سند ...

وقد سمعت عن لقاء، تم بين سند، وبعض المشايخ... فقد قاموا أمامه بعمل يثبت قدرتهم الفائقة على ضرب النار والإصابة الجيدة ، إذ وقف سبعة منهم أمام شجرة ، وأطلقوا على التوالى ، كل فرد طلقة واحدة على الشجرة ، لتصنع الطلقات جميعا ، خطا واحدا مستقيما ... بفاصل ثابت ، بين كل طلقة والأخرى ، وهذا يعنى أن الجميع قادرون على التصويب الممتاز ... فلو أخطأت طلقة واحدة طريقها ... لكانت الفواصل غير متساوية ... والخط غير مستقيم ... وقال واحد من المشايخ نريد من الخبراء ، أن يفعلوا شيئا مثل ذلك ... وهم هناك يطلقون على الجنود اسم الخبراء ...

وكان لابد لسند، أن يفعل شيئا أكثر روعة ... وأكثر إثارة ... فوضع يده فى جيبه ... وأخرج قرشا ... وأخذ يلقيه فى الهواء ، ثم يلتقطه ... وأحضر عصا صغيرة ، وثبت القرش فى العصا ... ثم غرز العصا فى الرمال ... إلى هنا ... والقصة بسيطة ... ولكنه فتح رجليه ووقف والعصا بين رجليه ... وأشار إلى أقرب جندى اليه... إنه البطل فهمى أبو المجد... ولم يكن هناك فرصة أمام فهمى للتردد ... أشار سند بيده لفهمى وقال له ... قف هناك واضرب القرش ... بطلقة واحدة ... وأريد أن تكون الطلقة، فى منتصف القرش تماما ...

وتحرك فهمى عشر خطوات ... ثم حول اتجاهه إلى سند ... ومن هذه المسافة أراد أن يطلق طلقته على القرش ... لكن سند لم يرض ... وأصدر تعليماته له بأن يواصل تقهقره ... ورجع الجندى ...وزادت المسافة ... وتكررت أوامر التقهقر

إلى أن وصلت المسافة إلى ٣٠ ياردة ... ٣٠ ياردة بالتمام والكمال ... ومفروض أن يطلق فهمى الطلقة ... لتستقر فى القرش ... إن خطأ بسيطا ... رعشة صغيرة لهيبة الموقف ... أخذ نفس بسيط ... معناه ، شىء واحد ... أن تستقر الطلقة فى ساق سند .

وجوه كثيرة طفرت عليها قطرات من العرق ... فى انتظار الطلقة الخطيرة ... وجه واحد ، كان يضحك ، هو وجه سند ... السكون شمل كل شىء ... حتى الرياح ساعتها كانت ساكنة ... ومرت لحظات بطيئة ... باردة ... فهمى يضع البندقية فى كتفه ... إنه يثبتها تماما ... أغلق عينه اليسرى ... إنه الآن مستعد للضرب ... كل العيون ، كانت متجهة الى فوهة الماسورة ... هل هى تتحرك ... ولو حركة بسيطة ... ان الحركة البسيطة معناها ، أن الطلقة ان تستقر فى القرش ... وانطلقت الرصاصة ، ومع صوتها تحولت العيون الى وجه سند ... والى القرش... سند نفسه لازالت الابتسامة على وجهه ... إذن لم يصب ... وبحثوا عن القرش الذى طار ... ووجدوا ثقب الطلقه ، فى منتصف القرش تماما ...

وتعالت أصوات الشيوخ ... والله أبطال ... والله شجعان ...

وفى الوديان والجبال والسهول ... ترددت هذه القصة ، أسرع من أى شى آخر .

إنه سند الذى (يجرح) على رأس الصاعقة ... أى سند الذى يقود وحده الصاعقة ... ومن يومها أصبح سند شيئا مهما فى القبائل ... فإذا حدثت منازعات فى القبيلة الواحدة كان سند يذهب وحده اليها ... ليحل مشاكلها ، وليقوم بدور الحكم، فى أى خلاف ... وكانوا دائما يحترمون رأيه ...

ومرة علم سند عن وصول قوات للمتسللين ، الى بلدة اسمها بنى دبيرة ... ومعهم المال والسلاح ... فقرر الذهاب إلى هناك ، الاجتماع بالمشايخ ... وقاد مدرعته ... وعند دخوله ، أطلق . عليه المتسللون النار ... وبدأ سند العمل ... لقد احتل

وحده ، قرية بنى هبيرة ... ورفع عليها علم الجمهورية ، وأرغم المفسدين — هكذا يسمونهم هناك — على الفرار ...

وفى مرة ثانية ... كان يسير بسيارته ... وهناك فى الطريق ، انفجر لغم فى المدرعة ... ولنترك سند نفسه يحكى القصة من مذكراته ... إنها سطور من مذكرات بطل الصاعقة ...

« تناولت طعام إفطارى فى الصباح الباكر كالعادة ... وكان معى الوزير المدفعى ... وذهبت الى بنى صليح ... ثم مشارف ... وبيت الفنجرى ... ونزلت من السيارة الجيب ... وسرت على قدمى ... كان يسير معى الشيخ على ناصر الدبة وابنه ، حتى وصلنا قرب بيت الفنجرى ... ذهب الشيخ الدبة ليحضر لنا المشايخ ، وجلسنا معهم مدة ... عدت الى سيارتى ، وكنت أقودها بنفسى ، وعندما اقتربنا من منية القمح ... انفجر لغم مضاد للدبابات فى سيارتى ... أصبت فى رأسى إصابة خفيفة ، وسال الدم على وجهى ... وردمنى التراب ، لكننى أصلحت سيارتى ... وعدت لقيادتها » وختم هذه السطور بكلمة . « ولو ... نحن ماضون فى طريقنا دون توقف » .

رســـالة

وما دمنا قد نقلنا هذه السطور من مذكرات سند ... فهناك سطور أخرى ... هى فى الواقع رسالة كان سند قد أرسلها الى قائد وحدته ، الذى لحق بها فى اليمن ، بعد نجاح العملية الجراحية ، التى كان قد أجراها فى القاهرة قبل بدء العمليات الحربية فى اليمن ... تقول الرسالة ... وهذه هى ألفاظها بالنص .

« الروح المعنوية مرتفعة جدا لجميع الأفراد ... والجميع يتخانقون على النزول فى دوريات خاصة ... وطبعا أنا مش ملاحق عليهم ... فلو وافقتهم سأبقى وحدى فى الموقع ... لأن الكل عاوز ينزل دورية ... وعموما أنا نفسى لم أنزل للأسف سوى دوريتين فى اليوم الواحد ... أرجو أن تزيدوا لى عدد الدوريات ... وقد كان

اليوم مشرفا لقواتنا ، وقد أرسلت رسولا ليخبرني عن عدد أفراد القتلى من العدو.. فعلمت أنهم ٨٠ فقط... قامت دباباتنا بعمل رائع ... لقد أنزلت خسائر فادحة في صفوف المتسللين ... والله معنا ... والنصر لنا »

مرحلة جديدة

والنترك مذكرات سند الآن الى المرحلة القادمة ، من مراحل العمليات العسكرية... لقد شمل الأمن هذه المنطقة ، وتخلى عنها أفراد العدو ... وكان على قوات الصاعقة ، أن تتجه الى الوتدة ، والمنطقة عبارة عن أربعة جبال مرتفعة ، يمر بينها الطريق مرتفعا ارتفاعا كبيرا ، إلى أعلى الوتدة ، ثم ينخفض انخفاضا مفاجئا مرة أخرى ... وتجمعت جموع المتسللين والمفسدين مرة أخرى ، فوق هذه المنطقة الحاكمة... وعملوا ثلاثة قواطع في « مطلع » الطريق ، وقاطعا في « المنزل » ، والقاطع عبارة عن نسف كامل ، قامت به قوة من المتسللين ،وأضافت الى النسف مجموعات من الألغام ، حتى تدمر أية سيارة تمر ... وبذلك يكون الأفراد هدفا رائعا من فوق الجبل...وقامت قواتنا،



خـــلال الظلام باحتلال ثلاثة جبال من الأربعة ، التى تشكل الوتدة ... وكان لزاما عليها ، احتلال الجبل الرابع ، حتى يمكن إصلاح الطريق ، ومواصلة التقدم .. وكانت إحدى القبائل الموالية ، وهى قبيـــلة بنى ظبيان ، تشاركنا فى احتلال التبة اليمنى ... وكانت الخطة هى تدعيم القوة الموجودة فى التبة الأمامية اليمنى ...ثم الاندفاع بها الى اليسار ، فى اتجاه الجبل الوحيد الذى لا يزال فى يد العدو ... ووجد قائد القوة الصغيرة الموجودة فى التبة الأمامية العليا — الموقف ، مناسبا لاحتلال التبة اليسرى بالقوات الموجودة تحت يده ... فاندفع اليها ...وترك ثلاثة جنود ، ليكونوا بمثابة أدلة للقوة التى ستأتى لتعزيزه ...

إنها الخيـــانة

وفى هذه اللحظة كان سند يتحرك الى أعلى التبة ...فى الأرض الأمينة ... وبعيدا عن العدو ، وعن قرب أطلقت عليه رصاصة ... لقد اخترقت رأس سند ... إنها الخيانة ...واستشهد سند ... وهرب الذى قتل سند ، الى خارج الحدود ، ليتقاضى الثمن ... ولم يعد ... إن قبيلته نفسها تبحث عنه الآن أكثر من أى شخص آخر... إنه العار ... عار الخيانة ...

وحول الجسد الطاهر ، اجتمع المئات من الشيوخ ... ومن الرجال العظام ... وأقسموا جميعا مرة ثانية ، القسم الذى علمه لهم سند فى حياته ...

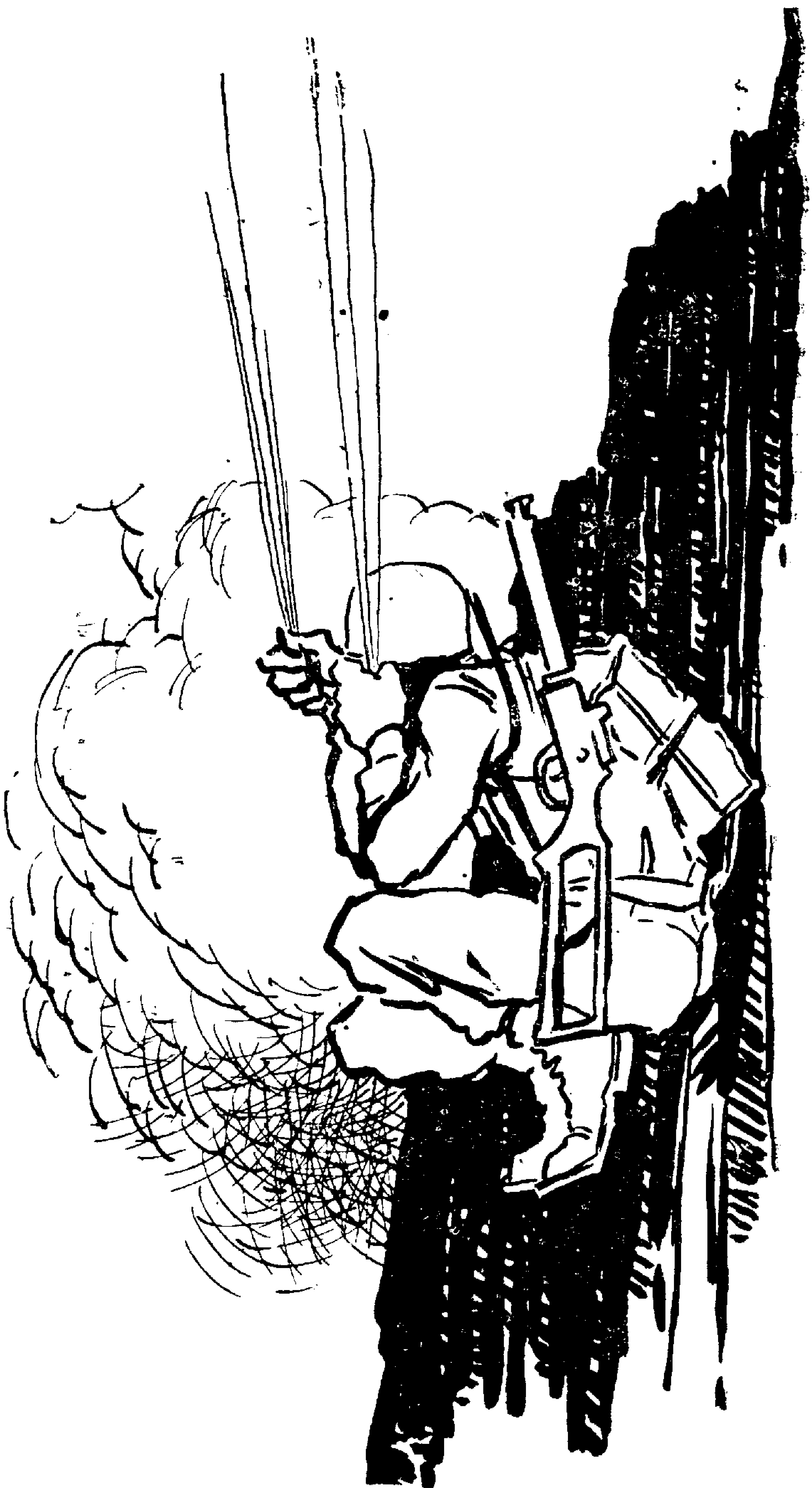
« أقسم بالله العظيم أن أكون خادما للجمهورية ،وأن أصون حماها ،وأن أكتم السر وألا أبوح بأى خطة من خطط القيادة لغير المختصين بتنفيذها ، وأن نسير مع القبائل يدا واحدة ، ولا نخون ، ولا نعتدى بغير الحق حتى نسحق العدو ،ونعيد السلام الى البلاد ... والله على ما أقول شهيد »

وكان موقفا رهيبا ... حينما انسابت الدموع على ذقون المشايخ البيضاء ... بكاه الجميع ...

وهكذا استشهد الرجل الأول ... الأول فى الكلية الحربية ... الأول فى الصاعقة ... قائد أول سيارة على الدوام ...

ولكن اسمه لم يمت ... فبعد أيام من استشهاده ... جاء رسول لقائد وحدة سند يقول له :« لقد رزقت ولدا ...وزوجتك تسأل...ما الاسم الذى تريد أن تطلقه عليه ؟ » قال للرسول . « سموه سند » .

كثيرون من رجال الصاعقة ، سيطلقون على أول ابن لهم اسم ... سند .



وهـــبطوا من السـماء

أيام طـــويلة مضت وأنا
أضع يدى على قلبى وأقول :
الله معهم ٠٠ الله يحميهم ٠٠
لم اكن وحدى ٠٠ كثيرون
مثلى كانوا يســـألون كل
صباح : ماذا تم مع رجال
المظلات ؟

أرطال عملوا فى صمت ... ولكن صمتهم كان له صوت أعلى من أصوات الانفجارات ... وكان له صدى ، وصل الى خارج الحدود ... الخبراء العسكريون فى بقع متعددة من العالم فتحوا آذانهم ليسمعوا صدى أعمالهم ... فقد كان عليهم أن يعملوا على أرض لم يسبق أن رسمت لها خريطة كاملة من قبل ... مجـــرد خريطة تحدد فيها على وجه الدقة أماكن العمليات القادمة ... حتى الأرض التى عملوا عليها ، لم تكن عندهم فكرة كاملة ، وصحيحه عنها ... لقد استمعت ساعات طويلة إلى قصص بطولات أقرب الى المعجزات .

* * *

أيام طويلة مرت ... وأنا أضع يدى على قلبى ، وأقول ... الله معهم ، الله يحميهم ... لم أكن وحدى ، كثيرون كانوا مثلى ، يسألون كل صباح ... ماذا تم مع رجال المظلات ؟ ... هل لا يزالون يقاومون ؟ ... هل لا يزالون أحياء !؟ .
كان هـذا خلال الأيام الأولى للعمليات ، وكان الموقف على مسرح العمليات غريبا ، ومثيرا فى الوقت نفسه...ولم تكن الإثارة قادمة من داخل مسرح العمليات وحده ... ولكن من خارج الحدود أيضا ، كان الاستعمار يدق الطبول ... وكانت الرجعية تدق الطبول ، عن انتصارات وهمية للبدر المخلوع ، وكانت الخطة مرسومة على أساس أن يدخل البدر الى صعدة ... أقرب بلدة كبيرة الى حدود السعودية ... وعلى صعدة يرفع أعلامه ... ومن خلف أسوار صعدة يعلن تشكيل حكومته ،

وعلى قلعة صعدة ، يرفع هوائيات إذاعته ، ليعلن على الدنيا كلها ، أنه هنا داخل اليمن ... وأنه اختار صعدة عاصمة للملكة ... وبعد أن تنفذ هـذه الخطة بهدوء ... تقوم دول الاستعمار ، والرجعية ، والعملاء ... بالاعتراف بالوضع الجديد ... بحكومة البدر ... وهكذا تخلق فى اليمن اسرائيل أخرى ، ولكن تعتمد على الرجعية بدلا من الصهيونية ... وبمرور ، الأيام تصبح مشكلة صعبة الحل ... الدول التى ستعترف بالبدر ، ستعتبر أن أى تقدم من قوات الثوار، تجاه البدر عدوانا على دولة حرة...وهكذا تتأزم المشكلة وتتعقد . ويجد المتآمرون ، المبرر القانونى للدفاع عن دولة البدر ، القائمة خلف أسوار صعدة العالية ... خطة غريبة ، ولكنها كانت الخطة المعدة للتنفيذ ... بل هى الخطة التى بدأ تنفيذها بالفعل ، وبدأت أسلحة كثيرة ، وأموال كثيرة من ذهب وفضة ، تتدفق على القبائل المحيطة بمنطقة صعدة.. وأكثر من هذا بدأ سيل من جنود الجيش الأبيض ، يتدفقون استعدادا للمرحلة القادمة ... مرحلة احتلال صعدة ، وإقامة دولة البدر عليها ... وكانت الإمدادات كلها قادمة من نجران ، عبر خمسة طرق ، هى فى الواقع خمسة وديان ، منها وادى عكوان ، ووادى علف ، ووادى نشور ، ووادعن طريق مجز ... والأخير يمر بقلعة البيضا ... كانت هـذه الوديان هى طريق الاقتراب من صعدة ... وطريق الإمداد المتواصل لتخزين السلاح ، ولتكديس جنود الجيش الأبيض السعودى... وبدأت القيادة تواجه الموقف...فمن غير المعقول. أن نترك الفرصة كاملة أمام البدر ليرهب القبائل بقوة السلاح ، ويحتل صعدة ... وفى نفس الوقت، غير معقول أن نرسل قوات كبرى للسيطرة على منطقة صعدة . والموقف حولها غير واضح .. وقد تكون العملية كلها خديعة من جانب العدو ، لمحاولة جذب قوات كبيرة لإخلاء مسرح العمليات ، وتوجيه الضربة فى اتجاه آخر ... وكما قلت قبل ذلك...كانت هذه المرحلة فى الأيام الأولى للعمليات الحربية ... وكان من الواجب الاقتصاد فى الرجال إلى آخر حد ... وأمام هذه الظروف مجتمعة قررت القيادة، إرسال إحدى وحدات المظلات « ٤٠ جنديا » وعلى رأسهم ضابط، للقيام بزرع مجموعات من حقول الألغام فى الوديان الخمسة، الممتدة من السعودية إلى صنعاء ... بغرض إلحاق أكبر الخسائر بقوافل العدو القادمة عبر الحدود ... ثم العودة بعد ذلك إلى صنعاء ... وخاصة ان

عشرين جنديا منهم، من وحدات المهندسين المتخصصة فى زرع الألغام ... وحول أحد مكاتب الميدان المغطى ببطانية صوفية من بطاطين الجنـــود ، بحثت الخطة ووسيلة تنفيذها ... ودرست خطط متعددة : للقفز بالمظلات من طائرة هيليكوبتر ومن طائرة من حاملات الجنود ... والمنطقة كلها — ساعتها — كانت مجهولة تماما . فقـــد كان الإمام مصمما على ألا ترسم خريطة واحدة لليمن ...

وبعد دراسات طويلة للعملية تقرر أن تصل هذه الوحدة إلى صعدة بواسطة العربات، وتحمل معها الألغام ، والمعدات اللازمة لزرع الألغام... وتم اختيار قائد العملية... النقيب محمد القطورى...وهو أصلا متخرج فى كلية الهندسة جامعة القاهرة، ثم انضم لوحدات المظلات ، وحصل على فرقة مظلات ، وحصل أيضا على فرقة معلمى قفز وتركت له حرية اختيار المجموعة التى ستعمل معه... فاختار المقاتل جوهر، لأنه كان زميله فى فرقة معلمى القفز ... والسيد عوض ميكانيكى السيارات... وبدأ التحرك فى اتجاه صعدة...وفى الطريق اليها مرت العربات على موقع يسيطر عليه رجال المظلات اخوة السلاح، والكفاح ، وهناك كان المقاتل عبد القوى... الذى استقبلهم بالأحضان ... وقال لهم: « إن منطقة الحرف فى الطريق إلى صعدة، حدث عليها هجوم وأنها لازالت تقاوم » ، وكانت المجموعة الذاهبة كلها، تتعجل القتال، فبدأت سرعتهم تزداد للوصول إلى الحرف ... فقد تكون عندهم الفرصة للاشتباك مع العد وهناك... ومع ظلام الليل وصلوا إلى الحرف ، ولكن كان كل شىء قد انتهى ... لقد هزم العدو ولم تعد هناك معركة ... لقد عاد المتسللون من حيث أتوا ... وظهرت خيبة الأمل على وجوه كثيرة ،إذ لم يحدث اشتباك ... ولكنهم وضعوا كل همهم فى قطع الطريق خلال الظلام...والوصول إلى صعدة ... وقد يستطيع العدو خلال الظلام ان يتسلل، ويضرب أية وحدات متقدمة على الطريق ... وهكذا كان عليهم ، التأكد من خلو الممرات، والمضايق من العدو، قبل دخول هذه المضايق... كان المضيق الأخير مضيق سنارة ... وهناك كانت المفاجأة... لا عدو ... ولكن المضيق مزروع بالألغام ... وهكذا كان عليهم ، تأمين تقدمهم أولا ، وأمكنهم رفع الألغام من طريقهم ... وعبروا المضيق كله ،دون أن ينفجر لغم واحد ... ووصلوا صعدة ... حلم البدر ...

وهى عبارة عن مدينة فى صحن، حولها سور، له ثلاثة أبواب، وداخل البلدة قلعة كبيرة هى قلعة صعدة ... وتشرف على المدينة أربع قلاع اخرى، هى قلعة سنارة من الشرق وقلعة الصمع من الجنوب الشرقى، وقلعة عبلة من الشمال الشرقى، وقلعة البيضا من الشمال، وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات من هذه القلعة، أرض صالحة لهبوط الطائرات، أى مطار صعدة، ويسيطر عليه جبل عال هو جبل طلس، وكان الموقف فى هذه اللحظة يتلخص فى ان العدو يحاول التدفق حول صعدة لحصارها، والاستيلاء عليها، بعد أن حاول الاستيلاء عليها منذ يومين فقط ... وان قوات الجيش الأبيض تحتل بالفعل قلعة عبلة، والصمع، والبيضا، والجبل المشرف على المطار ... أما قلعة سنارة فقد تمسك بها الجيش اليمنى النظامى، وهى قلعة حاكمة، وموقعها ممتاز ... وكانت قوات الجيش الأبيض تحت تهديد السلاح، والدعايات الكاذبة، والإغراء، قد استمالت بعض شيوخ القبائل، أمثال العجرى فى بلدة دماج، وكذلك الشيخ عكوان فى وادى عكوان ... ولكنهم فى الحقيقة، لم يستطيعوا استمالة الجميع ... فقد وقف الشيخ فايد مجلى كالصخرة أمامهم لا يريد ان يتزحزح ... لا المال أغراه — فقد ألقى بالريالات الذهبية على الأرض، أمام رسول البدر، ومزق الرسالة القادمة من البدر ومعها صكوك الغفران، وقراريط الجنة — ولا السلاح أرهبه، فقد رفع السلاح أمام الجيش الأبيض، وقوات البدر ... ورفع اعلام الجمهورية فوق بلاده، ولا الخديعة جازت عليه ... فحينما أرسل له الحسن من يقول له: «ان قوات الجمهورية كافرة» قال له والله إنى أعلم أنكم أنتم الكفرة، ولى مع أخيك الإمام أحمد وأبيك تجارب كثيرة جعلتنى أومن بأنكم بلا شرف ولادين ... وقد رأيت بنفسى جنود الجمهورية يصلون صلاة الإسلام ... أما أنتم، فكنتم تعلمون أولادنا فاتحة الكتاب هكذا «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأسرة حميد الدين ولا الضالين آمين» واستطرد الشيخ العجوز ... يقول «هل هذه هى فاتحة الكتاب يا رسول الكفرة ؟!»

وجبال اليمن لها آذان، فسرعان ما انتشرت قصة الشيخ فايد مجلى ... وتجمع حوله المئات من الشباب المؤمن ... هكذا كان الموقف لحظة وصول رجال المظلات ... وقام رجال المظلات منذ الدقائق الأولى، بإغلاق أبواب صعدة. وبوضـــع

الألغام حولها من جميع الجهات ، حتى لايحاول العدو ... فى نفس ليلة وصول القوات أن يحقق غرضـــه والقوات منهكة من الطريق الطويل الوعر ... وترك رجال المظلات بابا واحدا ، دون ألغام ... هو الباب الشرقى المواجه للشيخ فايد مجلى ، وقبيلته ... وبدأ رجال المظلات يسمعون لأول مرة أصوات طلقات أسلحة العدو ... وانفجارات قنابل هاوناته ، وقدرأوا أنها قد تكون محاولة للإزعاج ... وقد تكون هذه النيران تمهيدا للهجوم ... ومر الليل بطيئا متكاسلا ... ومع أول ضوء للنهار ... خرج التطورى من بوابة المدينة ومعه جوهر ، والمقاتل عبد الغنى ، والمقاتل عجينة ، والمقاتل أبو سنة لاستطلاع أماكن الوديان ولبث الألغام ، وتحديد أماكن وطرق البث ... وبعد لحظات من خروجهم... كان بعض أفراد العدو ، يحاول الاقتراب من أسوار صعدة ... وانفجر أول لغم... وثانى لغم ... وثالث لغم ... وتطايرت أشلاء صغيرة فى الفضاء، تعلن للعدو، أن الاقتراب من أسوار صعدة، ليس مهمة سهلة ...وبدأت القوات فى تنفيذ المهمة الأصلية ... زرع الألغام ، وإقفال الوديان القادمة من جهة العـــدو ... وقرروا أن يتم كل شئ فى الظلام،حتى لايستطيع العدو، تحديد أماكن زرع الألغام وبدأوا بوادى عكوان ...كانوا يتحسسون مواقع أقدامهم ... وفى سكون تم زرع جميع حقول الألغام فى الوادى دون أن يطلق العدو طلقة واحدة ... ثم جاء دور وادى نشور ... وهو عبارة عن عنق زجاجة بين الجبل الأسود ، ومرتفع القفا ... ومع أول لغم يوضع تحت الرمال ، بدأت طلقات العدو ... لكن الطلقات وهى تلسع خلال الظلام ،لم تمنع رجال المظلات من زرع بقية الألغام ... كل مافعلوه أنه تم إعطاء واجب لبعض الأفراد ، لمحاولة إشغال العدو ، وإسكات نيرانه ... وتحت النيران،أمكن زرع جميع حقول وادى نشور... ولم تخسر قواتنا فردا واحدا وهكذا فى نفس الليلة، استطاعت المظلات أن تحقق غرضها ... وهناك قصة تستحق أن تروى فى هذه المرحلة ، هى قصة المقاتل العسكرى صالح فريد ... لقد ذهب صالح ومعه خليل، لكى يزرعا وحدهما، حقل ألغام كامل فى وادى مجز... وعند تبة الخرم، فتح عليهما العدو النيران ... فما كان من صالح إلا أن قام بنفسه .. وحده، بزرع حقل ألغام، فيه أكثر من ثمانين لغما مضادا للدبابات ، والأفراد ... وكان يقوم بشحن

كل لغم ، ويذهب ليحفر له مكانا . ويضعه فى الأرض ، ويردم عليه التراب ... ثم يعود إلى اللغم التالى ... كل هذا تحت النيران ، وزميله خليل جمعه ، يحاول برشاشه إسكات الأسلحة ، التى تطلق على صالح ... وعاد البطلان معا ... وليس معهما لغم واحد فائض ... وليس فى جسد أحدهما إصابة ... ولعل هذه هى أول مرة فى تاريخ الحروب الحديثة يستطيع فيها مقاتل واحد ... أن يزرع حقل ألغام كامل ... والعسكريون فى كل مكان، يستطيعون تقدير المصاعب، التى واجهها هذا الرجل...

إلى هنا ... وكان الواجب الذى ذهبت من أجله هذه المجموعة من الرجال ، قد تحقق ... وكان آخر لغم قد وضع فعلا فى وادى مجز ... أى أن المهمة المحددة ، قد انتهت ، وكان على رجال المظلات أن يعودوا إلى قاعدتهم ، حسب التعليمات الصادرة إليهم قبل مغادرتها ... وبالفعل اتخذ القطورى ، قرار العودة ، خلال الظلام ، وفى نفس الليلة المحددة للعودة ، سمع القطورى ورجاله ، أصوات طلقات النيران قادمة من بعيد ... إن الطلقات ليست موجهة إلى صعدة . ولكنها بالتأكيد قريبة جدا منها ... وقد تكون على بعد إثنين أو ثلاثة كيلومترات ... ومالبثت الأخبار ، أن وصلت معلنة ، أن العدو يتقدم باتجاه منطقة الصفراء ... وقد بدأ هجومه بالفعل على بلدة سنارة القريبة من صعدة ... كان هذا قبل ساعة واحدة من الوقت المحدد للعودة وقرر القطورى تأجيل العودة ليلتها ... فقد يكون عنده عمل أكثر من جميع الأعمال التى قام بها ... وبعد مدة قصيرة ازداد صوت النيران ارتفاعا ... ووصل إلى صعدة رسول يلهث : قوات يمنية ثورية من الحرس الوطنى محاصرة فى مضيق سنارة ، إنها القوات المرسلة لتدعيم صعدة ... إن العدو يحيط بها من جميع الجهات ... إن كل لحظة تأخير ، تعنى زيادة فى الخسائر ... وفى دقائق كان رجال المظلات قد استعدوا للدخول فى المعركة ... وبعد قليـــل ، كانوا هناك على مشارف مضيق سنارة ... وانطلقت أول رصاصة من رجال المظلات فى اتجاه جنبات المضيق ... لقد كانت خطة القطورى... مهاجمة العدو على جنبات المضيق ... وقد قسم أفراده إلى مجموعتين .. ركبت كل مجموعة قمة جبل ... ثم تقدمت من

خلف العدو ... وكانت المفاجأة... مفاجأة للعـــدو ... أن تأتى النيران دون أن يتنبه لها من الخلف ، وأثناء اشتباكه مع قوات الحرس الوطنى ... وكانت أيضا مفاجأة للحرس الوطنى ، أن تأتيه معاونة حيوية ، غير متوقعة ، وفى اللحظة التى كاد اليأس أن يتسرب الى نفوس أفراده ... لذا كان اللقاء الأول ، بين رجال الحرس الوطنى اليمنى ، ورجال المظلات ، لقاء مشحونا بالحماسة ... وقد جاء هذا اللقاء ، ليعزز صداقة الكفاح وأخوة السلاح ..

أما العدو ... فقد لاذ بالفرار... ومن لم يستطع الفرار منه ، بقى جثثا متناثرة ، على جنبات المضيق ...



وعاد المنتصرون إلى صعدة... مع ضوء الفجر ... وهناك أذن أحد الجنود ... الله اكبر ... الله اكبر...

ومع صوت الآذان ، بدأ القطورى يعيد التفكير فى القرار الذى سبق ان اتخذه منذ ساعات ، بشأن العودة ، وكان ثمة جهاز لاسلكى قديم ، غير صالح للاستعمال ، فقام المظليون بفكه وإصلاحه وإعادة تركيبه ....

وفى هذه الأثناء ، بدأت النيران تنهال مرة اخرى على صعدة ، من الجبال المحيطة بها ، ومن القلاع التى يحتلها العدو ...

وأرسلت أول إشارة من صعده الى اللواء القاضى فى صنعاء ... وفيها شرح كامل ومفصل للموقف فى صعدة ، وجاء رد الإشارة: « اثبتوا فى صعدة...ودافعوا عنها». ومن هذه اللحظة، بدأت عمليات صعدة ... وبدأت أسماء كثيرة تضاف إلى سجلات الأبطال ... من الأربعين جنديا الذين حضروا لزرع الالغسام ... بل إنى اعتقد ان الأربعين اسما ، جميعا ، حملوا لقب « البطل »

وكان أول تفكير لقوات المظلات ، هو ضرورة طرد العدو من القلاع والسيطرة عليها ... فمنها يطلقون النيران على صعدة ، وقد تم بالفعل احتلال قلعة عبلة ، وكان فيها مستودعات ذخيرة العدو ، وبينها ذخيرة الهاون ، فى صناديق عليها عـــلامات الصداقة الأمريكية ... وألغام مضادة للدبابات ، وألغام مضادة للافـراد ، أمريكية الصنع ...

وبسرعة أيضا تم احتلال قلعة سنارة ، وقلعة الصمع ، وكان هذا مثاراً لغيظ العدو ... فأخذ يضرب بلا انقطاع بقنابل هاوناته على القلاع ... حتى ان كل قلعة كانت تتلقى يوميا اكثر من ١٠٠ قنبلة هاون ...هذا عدا طلقات الأسلحة الأخرى. وحينما اقول الأسلحة الأخرى ، فأرجو ان تذكر، ان بينها مدافع صاروخية ٥٧مم

كان هدف العدو من هذه العملية ، هو ان تتبادل معه القوة الصغيرة الباسلة ، اطلاق النار، لتستهلك جزءا كبيرا من ذخيرتها ... ولحظتها يتم الهجوم الشامل على قوات المظلات ... فلا تستطيع الدفاع ... وصدرت التعليمات الصريحة ... بعدم اطلاق طلقة واحدة ، الا اذا كانت تقتل عدوا ... وكان العدو قد ارغم حتى هذه اللحظة،

على التخلى عن جميع قلاعة ، عدا قلعة واحدة ، هى قلعة البيضا ... وهى قلعة مشيدة فوق جبل عال، حاد الارتفاع ، مثل قمع السكر ... وكل من يصعد إلى هناك ، يصبح: ضربه عملية سهلة . أضف الى ذلك: أنه لاسبيل الى تسلق الجبل، الا من طريق واحد. وباقى الجبل عبارة، عن نتوءات حادة ، لا يمكن الصعود خلالها ... وكان هذا هو ضمان العدو .، ولذا وضع العدو فى قلعة البيضا ، كميات كبيرة من السلاح والذخيرة.. فهى منطقة الأمان... جندى واحد فى هذه القلعة ، يستطيع صد قوات كبرى أمامه.. لأن القوات حينما تصعد، لابد أن تتسلق الجبل مستعينة بالأيدى ،وبذلك لن يكون المتسلق قادراً على إطلاق النار ... وفى نفس الوقت ، يكون الرجل الجالس خلف الأسوار ، البالغ سمكها مترين ، قادرا على أن يضرب بهدوء ... نسيت أن أقول إنه توجد داخل القلعة بئر مياه ... ومخازن للطعام ... وبذلك يمكن الدفاع عنها إلى مالا نهاية ... كان هذا هو الموقف ... وقرر القطورى الاستيلاء على القلعة ، من العدو الجالس خلف الأسوار ... وأهمية هذه القلعة من الناحية العسكرية ، هى أنها فى وسط بلدة البيضا ، وتسيطر عليها ، وتسيطر كذلك على وادى عكوان ، ووادى نشور ، وتستطيع ضرب صعدة ذاتها ... وبدأ تنفيذ الخطه فى الظلام ... بواسطة تسعة أفراد ، بقيادة القطورى... ومع أول خطوة فى صعود الجبل الرهيب . انطلقت أول طلقة من مراكز العدو ... ولم تكن العملية سهلة ... تسعة أفراد فقط ، عليهم مسئولية طرد العدو ، من قلعة يبلغ سمك جدرانها ٢٠٠ سم ... « متران كاملان من الحجر» إن رصاصهم لا يستطيع اختراق الجدران... والعدو يضع فوهات أسلحته خلف فتحات ضيقة ، لا تسمح الا بمرور ماسورة السلاح ... وبدأ العدو يطلق النيران بشدة... وقدلفت صوت النيران ، انتباه مواقع أخرى جانبية كثيرة... بدأت هى الأخرى، تطلق النيران على الجنود التسعة ، الذين يحاولون تحقيق معجزة .... وبدأ قائد المجموعة يفكر فى الحل .. إن مجرد صعوده إلى قمة القلعة ، لا يعنى إلا شيئا واحدا ، هو هلاك المجموعة كلها ... وانسحابه فى نفس الوقت ، غير مضمون ، لانه سيمر أمام مواقع العدو ، التى بدأت تطلق نيرانها عليه ... والاكثر أهمية ،انه إذا لم يحقق

غرضه ، فإن تحقيق هذا الغرض سيزداد صعوبة بعد ذلك ... لقد تأكد العدو ، أن المحاولة ستتم مرة أخرى، وهذا يعنى تشديد الدفاع عن القلعة ، وبذلك تزداد العملية صعوبة ، .. وتزداد الخسارة .

كل هذا التفكير ... استغرق وقتا ... وهو جالس مع رجاله تحت صخرة ، تحقق له حماية كاملة من جميع اتجاهات الضرب ... وبدأ المقاتلون يفكرون معه ...

وفجأة لمعت عين أحد الجنود ... إنه المقاتل إبراهيم أبو سنة ... قال إبراهيم للقطورى : عندى فكرة ... هى أن تتبادل المجموعة كلها النيران مع العدو ، وبذلك نضمن شيئا واحدا ، هو أن تظل أنظار العدو مركزة على المجموعة ، وكذلك نيرانه وفى نفس الوقت،أقوم أنا بمحاولة الالتفاف حول القلعة ، وتدمير بابها ، من الجانب الآخر ، وإلقاء مجموعة من القنابل اليدوية ... وبمجرد تدمير الباب ، تقوم المجموعة كلها بمهاجمة القلعة ودخولها ، وبذلك نضمن ، أن أحدا لن يطلق النيران على المجموعة أثناء تقدمها ، لأن الموجودين داخل القلعة ، سيحاولون أن يدافعوا عن أنفسهم ، أمام الخطر الداهم ،داخل القلعة ... أعنى انفجار القنابل اليدوية ... أضف إلى هذا عنصر المفاجأة ، الذى سيسببه انفجار القنابل، داخل القلعة بجوارهم...ثم فتح الباب وظهور رجال المظلات ... وكانت الخطة مثيرة ... إن صعود الجبل من الجانب الآخر ، مهمة تدخل فى نطاق المستحيل ، فالجبل عبارة عن جروف خطيرة ، تصل إلى عدة أمتار ... ولا يمكن لإبراهيم أن يتسلقها ، وهو يحمل سلاحه فى يده ، فلابد أن يستعمل يديه الاثنتين معا ...ومجرد اكتشافه معناه هلاكه... بالإضافة إلى أن عبور نتوءات الجبل، التى تأخذ منظر الرماح ، عملية صعبة . ولكن إبراهيم قال للقطورى: يا افندم ، العمر واحد ، وأنا مصمم على القيام بهذا العمل ... وأنا أعلم أنها عملية انتحارية ...

وتحرك إبراهيم ... لقد تحرك بدون سلاح ... وكان هـــذا هو رأى إبراهيم... إنه أولا، سيكون غير قادر على استعمال البندقية طوال الطريق ...

لأنها ستسبب له مشاكل ؛ فهـــو سيحمل ثقلا بلا داع ... كل ماحمله معه كان أربع قنابل يدوية ، وبعض أصابع المتفجرات ، حتى يفجر باب القلعة فمن غير المعقول أن يطلب منهم فتح الباب ... وكان عليه أيضا ، أن يقوم بكل عمله دون أن يصدر أى صوت، يلفت انتباه العدو له ... وقال إبراهيم : « الحقيقة أنى لاأريد أن أحمل البندقية معى ، حتى إذا مت لايحصلون على سلاح مقاتل من المظلات» ساعتها، ودعته عيون كثيرة ، وقلوب تدعو له بالنصر والسلامة ... آخر شيء عمله إبراهيم ... كان فى جيبه خطاب لأسرته .. فقال للقطورى ... (أرسله إلى أهلى لو حدث شئ) ... كان القمر كاملا ... يلقى أشعته على الجبال ، والقلاع ... ومرت لحظات طويلة، والنيران متبادلة بين الجانبين... والجميع آذانهم مفتوحه إنهم فى انتظار صوت انفجار الباب .. إنها اللحظة الحاسمة ...

ومرت ساعات كاملة ... بطيئة كئيبة، ولم يحدث الانفجار... ولنترك المجموعة كلها تتبادل الآن نيرانها ... ولنذهب إلى المقاتل العسكرى إبراهيم أبو سنة ... ماذا يفعل ؟ إنه لايزال يصعد الجبل، ويحاول أن يمسك بيديه الصخور ، ويحمل جسمه حملا على يديه، حتى يستطيع الصعود... إنه يتحسس مكان أقدامه ... حتى لايسمع له صوت ... لم يكن هناك أحد معه ...إلا دقات قلبه التى كانت ترافقه طوال هذه المغامرة المثيرة ... خطوة ... خطوة ... حول الجبل الهائل ... وفى كل خطوة يخطوها ... كان يقول لنفسه : لقد اقتربت من الغرض ... وبدأ يمسك بيديه إحدى الصخور الكبيرة ليصعدها ... وكانت المفاجأة ... لقد انهارت معه ... انهارت الصخور، ووقعت فوقه...لم يشعر لحظتها بالألم ... كان كل همه، ألا يصدر هو صوتا ... وفى نفس الوقت ، ألا يكون العدو ، قد سمع صوت سقوط الصخور... وكان عليه ، أن يراقب القلعة، ليتأكد من أن العـــدو لم يسمع شيئا ... ومرت لحظات ... إن أى طلقة فى اتجاهه تعنى أنه قد اكتشف ... إن مجرد رأس من العدو يطل نحوه ، يعنى أنه قد انتهى ... ولكن الله كان معه ... لم يحدث شئ ...

ومرة ثانية واصل تقدمه ... لقد اقترب من سور القلعة ... وها هو الباب أمامه ... أمل الخطة كلها ... وبهدوء ، ثبت أصابع الديناميت على الباب ... وأخذ

يدعو الله أن تمر اللحظات الحاسمة بهدوء ... وأشعل الكبريت ليفجر الديناميت... ولكن العود انطفأ فى الطريق بفعل الرياح ... اللحظات ثمينة، وتعنى أشياء كثيرة عود آخر ... لقد اشتعل الديناميت الآن ... ولحظات ...وحدث الانفجار، وانهار الباب ... ومع انهياره ... حدثت أشياء كثيرة ... ابراهيم أبو سنة، دخل خلال الدخان المترتب عن الانفجار ... وألقى أول قنبلة يدوية ... وثانى قنبلة... وثالث قنبلة ... وصراخ العدو يعلو ...

إن العدو يحاول الآن الهروب، من الباب الآخر ... لكن ... فى الوقت نفسه كانت اللحظة الحاسمة بالنسبة لباقى أفراد مجموعة المظلات، قد أزفت .. إنهم يتحركون بالخطوة السريعة، وبخفة القرود ... إنهم فى مواجهة باب القلعة ... إنهم يدخلون جميعا ... لقد وقع العدو فى المصيدة ... وتحقق النصر ..

فى دقائق، تمت إبادة العدو إبادة كاملة.

لم تكن القوة المكلفة بالدفاع عن القلعة، قليلة العدد .. كان فيها أكثر من مائة شخص .. أما الذخيرة فكانت تشتمل على قنابل هاون، مع مدافعها، وأسلحة مختلفة، وآلاف من صناديق الذخيرة ...

لكن العملية لم تنته بعد ... إن العدو يريد حتما استعادة القلعة ... إن ثمة تحركات واسعة النطاق، تحدث الآن.

ووصلت إلى قمة الجبل قوات الحرس الوطنى اليمنى، لتشترك فى الدفاع عن القلعة، ومع خيوط الصباح الأولى بدأت محاولة العدو الأولى.

طوفان من البشر، لاحصر لهم ولاعد ..ومن جميع الجهات، يحاولون الاستيلاء على الموقع الحصين ... ومع الشروق كان الهجوم المستمر ... كلما قتل صف .. تقدمت صفوف ... ورشاشاتنا تعمل، وجنودنا يعملون ... ولم يستطع العدو أن يتقدم شبرا واحدا، تجاه الغرض ... حصد كامل لقوات العدو .. والجثث فوق

بعضها ... ومع غروب الشمس ... كان أمل العدو قد غرب أيضا ... إن القلعة حصينة ... وصخورها شديدة الصلابة . وأشد صلابة من الصخور ومن القلاع . رجال المظلات ... ومع آخر النهار صدرت ضحكات من أناس كثيرين ... وكان العسكرى صالح يقول : «كان نفسى أشوف واحد منهم . واليوم قتل أمامى المئات» وبدأت عمليات كثيرة ... كان على رجالنا ان يحافظوا على ذخيرتهم ، التى حضروا بها من صنعاء لزرع الألغام .. ولكن الذخيرة المكتسبة من العدو أفادت كثيرا . كما انه تم أسر ٧٣ من افراده .

وفى السماء ظهرت الطائرات ... وبدأت مظلات كثيرة تفتح فوق مدينة صعدة، إنها تحمل الذخيرة والألغام...وتحمل أيضا خطابات الأهل ،والإخوان ، والأحباء من القاهرة ... والصحف أيضا ... وعلى كل حمولة ،كان هناك أكثر من إمضاء ... تحيات من رجال المظلات فى صنعاء ، إلى أبطال المظلات فى صعدة ..

ولكن العدو كان يريد أن يقيم هنا دولة ... وبدأ تركيز أسلحته مرة أخرى ، وظهرت أسلحة جديدة كثيرة بأعداد خيالية ،وآلاف القنابل تلقى فوق القلاع الصامدة. قلاع المظلات ... ولكن لا القلاع انهارت ، ولا إيمان الرجال العظام تزعزع ..

كل خسائرنا فى هذه العمليات كان أربعة جرحى ... حتى هؤلاء الجرحى، كانوا قادرين ، بعد مدة على خوض عمليات جديدة ..

وظهرت طائرة عز الدين ناصر فى السماء ... وعز الدين ناصر يكلم القطورى : « أريد أن أنزل فى صعدة ... ليس عليك إلا أن تحدد لى مكان العدو...وأنا سأنزل فى المطار ... إن قوات أخرى يجب أن تحضر معكم ... إن حشود العدو تتزايد» ..

وقال له القطورى: « غدا ... غدا ... يكون كل شيء قد تم » ... وكان هذا يعنى أن القطورى ، سيطرد العدو ، من جميع الجهات المجاورة للمطار ... وفى الظلام أرسل القطورى برقيته الشهيرة للواء القاضى «... المطار جاهز ... » وأرسل اللواء القاضى رد البرقية بعد ثلاث دقائق ... « هل أنت متأكد !؟ » وكان القطورى متأكدا.. لقد طرد العدو ، فى عملية ليلية ، شارك فيها الشيخ فايد مجلى وابنه . ورجال قبيلته ، ومع خيوط الشمس الأولى وصلت الطائرات ... أول طائرة ألقت مجموعة من رجال المظلات من السماء ... والطائرة الثانية ... هبطت على أرض المطار بعجلاتها ... وكان يقودها عز الدين ناصر

واستقبل القادمـــون بالأحضان ... وكان اللقاء أكثر من رائع مع أبطال المظلات ...

مقاتل اشترك في ٩٠ معركة

الرجال الذين اشتركوا فى
هذه المعارك لم تعد أرواحهم
ملكا لهم .. انها ملك للامة



صبيرا سمعت عنه ... كان كل همى ... أن التقى به ... فى الحقيقة لم أصدق الذى سمعته ... قيل لى إنه اشترك فى تسعين معركة حربية ... الشىء الوحيد الذى اقنعنى أنه اشترك فى هذا العدد الهائل من المعارك ... هى يوميات الحرب ... لقد قمت بإحصاء المعارك التى اشترك فيها من واقع يوميات الحرب...وكانت النتيجة... تسعين معركة ... بينها معارك كثيرة ، شديدة الضراوة والعنف ... ولكن المعركة الأخيرة كانت أشدها قسوة ... لا لشىء إلا لسبب واحد ... هو انه كان راغبا هذه المرة فى أن يعود الجميع ... دون أن ينقص منهم فرد واحد فى المعركة الأخيرة... الرجال الذين اشتركوا فى هذه المعارك ... لم تعد أرواحهم ملكا لهم ... إنها ملك للأمة ... إنها ثورة قومية يجب المحافظة عليها ... إن تاريخ عدد كبير من المعارك التى دارت فى هذا الجزء من مسرح العمليات، كان مرتبطا برجال المظلات...والمقاتل عبدالقوى عزت الذى اشترك فى تسعين معركة حربية ... واحد من رجال المظلات .

* * *

بعد أسبوع من ثورة اليمن ، كان هناك ألوف من أفراد القوات المسلحة ، يتوقون للاشتراك فى القتال ... يومها ، لم يكن الموقف واضحا ... ولكن الشىء الثابت ، هو أن هناك ثورة عربية قامت فى أرض بعيدة ... وأنها تريد مساعدة

وليس هناك أية قوة قادرة على المساعدة الفعلية ... عدا القوة العربية فى القاهرة وكان المقاتل عبد القوى ساعتها يفكر ، فى أن يطلب السفر إلى هناك ... وفى اللحظة التى استقر تفكيره على تقديم طلب للسفر ... دق جرس التليفون ، ومن الجانب الآخر...كان هناك صوت يقول : هل تريد الذهاب إلى اليمن؟...إنى أعطيك فرصة للتفكير والإجابة .

وقال عبد القوى : لقد فكرت فعلا ، وأنا مستعد للسفر ... وجاء الصوت من الجانب الآخر ... اليوم ؟؟ وفى خلال الليل ،كانت احدى طائرات الأسطول الجوى ، فى طريقها إلى صنعاء ... وعلى ظهرها ، مجموعة صغيرة من المقاتلين بينهم عبد القوى ... إنها المرة الأولى ، التى تقوم فيها ناقلات الجنود ، بعمل هذا الجسر الجوى الهائل .

وفى الساعة العاشرة صباحا ،كانت كل أنظار ركاب الطائرة تتجه جنوباً إلى صنعاء لتلقى نظرة على الأرض الجديدة .

وكانت الدنيا ساعتها هادئة ، على أرض اليمن ، ولم تكن الرجعية قد جمعت قواها بعد ، ... وكان البدر يسير على قدميه ، عبر الصحراء ... فى زى امرأة ... هارباً من الثورة التى اندلعت فجأة ... لتحطم عرشه...ووضعت خطة للدفاع المضاد للطائرات ، عن صنعاء ، لمواجهة أى هجوم جوى محتمل من القوى المعادية .

جمعت القوى المعادية نفسها ، وبدأت الأيدى الرجعية والاستعمارية تعمل ... وبدا واضحاً، أنه من الضرورى ، دفع قوات على المحور الشمالى ... شمال صنعاء... وبدأت قوة صغيرة من رجال المظلات تتحرك برا ، بقيادة عبد القوى إلى رايدة التى استخدمت كقاعدة للقيام بدوريات استطلاع ، ووصلت دوريات الاستطلاع إلى مسافات بعيدة ... فمثلا وصلت إلى شوابة على بعد أربعين كيلو مترا من رايدة ، وتم تنظيم الدفاع عن شوابة ، بواسطة القبائل اليمنية ... وكانت أهمية شوابة واضحة لأنها فى منتصف مضيق زبين ، وفيها قلعة كبيرة...فى هذه القلعة ، تم تكديس كميات

كبيرة من الذخيرة ... وكان هناك أحد الضباط اليمنيين ، يتولى الدفاع عنها ... ولكن الأمور حوله لم تكن هادئة .

لقد بدأت الأموال تتدفق ... كانت أموال كثيرة ، تفوح منها رائحة البترول ، تتدفق إلى القبائل ، حتى تعادى الجمهورية ... ولم تكن الأمـــوال هى كل شىء ، بل بدأت أيضاً قوافل من الذخيرة، المحملة على الجمال ... والعربات الحمراء تصل إلى هذه المنطقة ... وتذكر أنصار الملكية الإمامية المخلوعة لعبتهم المعهودة ... لعبة إباحة المنطقة التى تثور عليهم ... وبدأت اللعبة التقليدية ... أباحوا القلعة للقبائل وهذا يعنى أن للقبائل الحق فى مهاجمة القلعة ، والاستيلاء على كل مافيها ، من وقود ومن مواد الطعام،والذخيرة،والمعدات ... وظهر منذاللحظات الأولى أن المعركة سهلة ... صحيح أن القلعة كبيرة ، لكن عدد الأفراد الموجودين فيها ، صغير جدا والقبائل التى ستقوم بعملية الهجوم ، قبائل قوية .

ووقف البطل اليمنى فوق القلعة ، ليرى أمواجا من البشر ، فى طريقها إلى حصنه والنيران تحاصره هو ورجاله من كل جانب...وكان الأسلوب التقليدى فى هذهالحالة، هو أن يرفع الراية البيضاء علامة التسليم ... ولكن هذا الرجل العظيم ، كان يمثل روح الثورة اليمنية كلها ... إنه واحد من الثوار ، الذين دكوا قصر البدر ... لذا لم تخطر لحظة واحدة على باله ... عملية رفع الراية البيضاء .

ولكن الذى كان يدور بذهنه ساعتها ... هو أن ينتصر ... وتظل الراية اليمنية ترتفع على سارية القلعة ... إذن فهو مصمم على القتال ، حتى النصر ... أوالموت

كانت القبائل،ومعها مئات من الرجعيين، يحاصرون القلعة لاتمام المهمة السهلة . وبدأ تبادل إطلاق النار من الجانبين . القوة الصغيرة الموجودة فى القلعة،بدأت تطلق نيرانها ، على كل من يقترب ... وقتل مئات من العدو ... ولكن العدو ازداد تصميما ، لتحقيق المهمة السهلة... وكلما سحقت مجموعة،تقدمت مجموعة أخرى ، لتحل محلها، وفى الطريق إلى القلعة خسر العدو كثيرا ... ولكنه كلما مر الوقت ... كانت أقدامهم اكثر اقترابا ، إلى أسوار القلعة الحصينة .

وفقدت المجموعة الصغيرة بعض رجالها...ولكن إيمانهم كان أقوى من صخور القلعة التى يبلغ سمكها مترين ... حتى هذه اللحظة ... لارجال القلعة رفعوا الأعلام البيض ... ولا العدو وصل إلى أسوار القلعة .

ومر الزمن ... وجثث العدوتزداد ، حول أسوار القلعة ... وبدأ العدو يهز أبواب القلعة هزا عنيفا ، محاولا فتحها واختراقها ... وبدأت طلقات الرصاص تخترق الأبواب السميكة ، حتى تنهار مقاومتها ... وأمام أمواج من العدو ... بدأت ابواب القلعة ... تتهاوى ... وفتح الباب الأول ... وفى اللحظة التى فتح فيها الباب ... كان هناك طوفان من العدو ، على استعداد للاندفاع إلى الداخل لذبح المجموعة الثورية الصغيرة ... مئات من الناس دخلوا ... وأطمأن القائد السعودى أن القلعة أصبحت تحت أقدامه ... فبدأ يدخل...دخول المنتصرين . مرفوع الرأس ألم يستول على القلعة الكبيرة ؟...ألم يستول على المكدس من الذخيرة ومواد الطعام والمحروقات ؟!.

ولكن يبدو أن البطل اليمنى ... كان فى ذهنه خطة أخرى ... إن خطته الحقيقية لم تظهر بعد ... وفى حجرة الالغام ... كان الرجل يضع خطته ... ولم يكن فى عجلة من أمره ... لازال أمامه الوقت الكافى لتنفيذ الخطة الغريبة ... وبدأ الناس يدقون باب الحجرة ، التى هو فيها ... وتأكد أن القلعة قــد امتلات تماما بقوات العدو القلعة الكبيرة لم تعد قادرة على استيعاب أى فرد آخر ... انه الوقت المناسب ... وبدأ الرجل يتطلع بعينه إلى السماء ... يارب ... انصرنا على القوم الظالمين ... وعلى الأرض التى برميلا كاملا من البنزين ... وبدأ البنزين يتدفق ليغطى الألغام ... وبيد ثابتة ... أخرج من جيبه عود كبريت ... وأشعل البنزين .. ومرت لحظة ... ولم ير أحد شيئاً ... ولم يسمع أحد داخل القلعة شيئا ... لقد انفجرت القلعة بما فيها ... ومن فيها ... ولكن يبدو أن القدر كان يريد أن تعلم الدنيا كلها هذه القصة ... فقد كتبت الحياة لواحد من أعوان البطل اليمنى كان يعرف الخطة كلها ... فعاد ليحكى قصة من أكبر البطولات التى حدثت على أرض البطولات والأمجاد ...

وتصاعد إلى السماء دخان أسود كثيف .. ومرت لحظات رهيبة ... فتح رجال العدو بعدها عيونهم ليجدوا أن القلعة ذاتها ... لم تعد فى مكانها ... الذى كان هناك هو بعض الصخور ... وقطع صغيرة من الملابس الملونة ، وأسلحة منبعجة من أثر الانفجار ...

ولم يكن معنى القصة كلها ... هو البطولة فقط ، ولكن كان معناها الفعلى ... هو أن الثوار مصممون على القتال ... إلى هذا الحد ...

لم يكن مهما أن العدو خسر أكثر من ٧٠٠ قتيل ، فى داخل القلعة ،غير الذين قتلوا خارجها ... بقدر ما كان مهما ، أن اسلوب حكم الأئمة فى إباحة منطقة ما ، إلى القبائل ، قد انتهى ...

هذه القصة الصغيرة ... كانت أول قصة سمعها عبد القوى على أرض البطولات. وكانت بالنسبة له مثل الوقود طوال أيام القتال .

وبعد لحظات من انفجار القلعة كلها ،كانت قوة عربية من قوات المظلات. تشق طريقها من رايدة الى زبين ، لتسيطر على هذا المضيق الهام ...وبدأ الرجال فى زرع حقول الالغام انتظارا...للحظة حاسمة ... وبدأت أصوات طائرات عديدة ، تدوى فوق الرؤوس ... انها طائرات المظلات حاملات الجنود.

ونظر عبد القوى الى السماء ... لابد أن هناك اسقاطا ... لابد أن قوة من المظلات ستسقط على جزء من أرض العمليات ... إنهم ذاهبون الى الشمال ... انه يعرف ماذا يقولون الآن ، هناك فى قلب الطائرة ، وحوش ... وحوش ... كلنا هانط ... كلنا هانط ... مظلات ... وحوش... ، ان ابواب الطائرات مفتوحة.. ودون أن يدرى، كان يصرخ معهم ... وحوش ... وحوش ... ولم يمر وقت طويل ... لقد تلقى تعليمات عاجلة بالتوجه الى صنعاء ... وهناك علم أن أمل البدر، هو السيطرة على صعدة ، حتى تعترف بها الدول الاستعمارية بعد أن يعلنها عاصمة ملكه ... الموقف شائك ... القطورى بقواته الصغيرة ، يحاول منذ زمن بعيد أن

يدافع عن صعدة ... ولكن العدو يشدد حصاره ... ويزيد استعداده ... ووصل الى صعدة ...

وفى اللحظة التى ظهر فيها من باب الطائرة ،كان أحد المقاتلين يصرخ ... صرخة الفرح ... عبد القوى ... وبدأت العملية رقم واحد من التسعين عملية حربية ... إنها عملية استطلاع مسلح على جبال الخرم ... وهو جبل عال يشرف على قلعة البيضاء ... وكان العدو ساعتها ، يحتل قرية البيضا ، وفى نفس الوقت يحتل جبل الخرم ... ولكن العدو خلال الليل ، تعود تخفيف قواته على الجبل ، مع ترك قوة بسيطة يسمونها « صياحة » لاعطاء انذار بالهجوم ، وهكذا يندفع من القرية ، لاحتلال الجبل خلال الليل ...

وكانت خطة عبد القوى ، هى السيطرة على الجبل ، ثم قصف العدو بالنيران فى القرية ... وبذلك يتوجه من القرية لاحتلال الجبل ،وفى هذه اللحظة يكون معرضا لنيران قواتنا ... فى الأرض المفتوحة...وسأل احد المقاتلين عبد القوى ساعتها... وماذا لو أن العدو لم يترك القرية ... وكان الرد ... « نعمل بروفة » ...

وتحركت عربتان حربيتان ، الأولى فيها المقاتل عبد القوى وبيومى وتحسين ، والثانية فيها المقاتل الأخرس وربيع ... وتسلقت العربات المدرعة الجبل ... وكان الطريق وعرا ... وفى منتصف الجبل ، ظهر واضحا أن هناك منخفضا فى قلب الجبل .. وعلى الأقدام ... بدأ المقاتلون يحاولون الوصول الى القمة ، ومعهم أسلحتهم ...

وبدأ قصف القرية بنيران إزعاج شديدة ... من مواقع القوة الرئيسية ... فبدأ العدو يتحرك ... انه يتحرك فى اتجاه جبل الخرم ... فى اتجاه الكمين ، الذى أعد له ... إن العدو الآن فى الارض المكشوفة ، بين القرية وبين الجبل ... إنها أرض القتال المناسبة ... وفى لحظات ، تحركت فوهات مدافع كثيرة ، لتوجه قنابلها الى الارض المكشوفة...الى أرض القتال ... ونيران كثيرة تشابكت من مواقعنا ،ومن

موقع السكمين، على هدف واحد ، هو الأرض المكشوفة...واكتشف العدو ... أنه محاصر بالنيران ، فحاول الفرار ، ولكن الجندى المقاتل،جلال الششتاوى،والجندى المقاتل عبده الهلالى ،كانا مسئولين عن منع الفرار ... وبدأت أصوات زغاريد رشاشهما،تدوى بين الجبال ... تعلن أن جلال يحقق الغرض الذى كلف به... وشهدت الجبال المحيطة بقلعة البيضا أول نصر ، بعد وصول قوات المظلات المقاتلة ... وشهده أيضا الفريق أنور القاضى ... الذى كان يراقب المعركة ... ولم تترك العربات المدرعة أيضا فرصة للعدو للانسحاب ، فبدأت تطارده خلال الارض المكشوفة برشاشاتها ... وأحدثت به خسائر ... وعلى الارض ، ترك العدو خلفه أكثر من ٤٠ جثة ... كانت هى الإعلان ... أن رجال المظلات ... هنا ...

وخاصة أننا لم نخسر مقاتلا واحدا ، فى هذه العملية ... وكانت كل خسائرنا... أن احدى طلقات العدو اصطدمت بماسورة بندقية أحد الجنود ...

وقبل أن تنتهى العملية رقم واحد ، كان هناك تفكير فى العملية رقم ٢ ، . لقد لاحظوا فى قرية اسمها البقلات ، أناسا كثيرين من العدو يدخلون إلى منزل معين، فى القرية ، ويختفون ... وبدأت الشكوك حول هـــذا البيت بالذات ... فقرروا مهاجمته ... وكان المقاتل أحمد عبد الله ، قد وصل قبل ذلك بيوم ... وصمم على أنه لا بد أن « يطعم » ... ولفظ التطعيم ... هو اللفظ الذى يستعمله العسكريون ، حينما يدخل مقاتل المعركة لأول مرة ... وهذه المعركة فى الواقع تعطيه مناعة ضد أشياء كثيرة ، فهو يتعود على أصوات الرصاص، وهى تمر بجوار أذنه،والانفجارات بالقرب من أقدامه ... ودخان المعركة فى عيونه...وخلال هذا يفكر ويتصرف ، كأنه يجلس فى غرفة مكيفة الهواء ... لأن أى تصرف خطأ ... أو متسرع ، يعنى أشياء كثيرة ... ويعنى خسارة أرواح ، قد تكون روحه هو شخصيا .

وتحركت القوة فى تجاه المنزل ، وظهر أن مقاومة العدو عنيفة ، حتى أن العدو كان يقاتل لأول مرة ، من خلال حقول الذرة ... وتصرف أحمد عبد الله بسرعة ، اكتسح حقول الذرة بالنيران ... رءوس كثيرة ، من التى كانت ظاهرة، وقعت على



الأرض...ولا أحد يعلم عدد خسائر العدو ، فى حقول الذرة ، لأنه خلال القتال ... لا يكون هناك أى شخص ، عنده الوقت للبحث عن عدة الخسائر التى أصيب بها العدو ... واقتربوا من البيت ، وخرجت أول قنبلة من فوهة المدفع ، فى اتجاهه ... ولم يكن هناك حاجة إلى قنبلة ثانية ... لقد انفجرت المفرقعات الموجودة داخل البيت ، وتهدم على رءوس من فيه ...

وسحبوا الجرحى

ان خسائر العدو فى هذه العملية وحدها ، تفوق الـ ١٠٠ قتيل و ١٠٠ جريح .. ويومها سحبوا الجرحى الى نجران ... وكان من الضرورى ، أن تكون العمليات نشطة فى هذا الجزء من أرض العمليات ، حتى يبتعد عن خيال البـــدر ... حلمه فى دخول صعدة ...

وبدأوا يفكرون فى القيام بعمليتين فى وقت واحد ، المهم ليس السيطرة على الأرض ، ولكن تكبيد العدو خسائر جسيمة ، تكون سببا مباشرا فى منعه من التفكير ... مجرد التفكير ... فى الاقتراب من أسوار صعدة ...

وكانت الخطة هذه المرة ، هى أن نظر رجال المظلات حولهم ... كانت الأرض التى يحتلها العدو ظاهرة ... وجاءت فكرة : لنختبر أى تل ... وندفع رجالنا للسيطرة عليه ... وطرد العدو منه ... الطبيعى أن العدو سيقوم بهجوم مضاد ... من الممكن أن نحدث به خسائر بهذه الطريقة ... وفى عملية الاختبار هذه ، يكون اختيار تل بحيث يوجد أمامه ميدان ضرب كبير ، حتى يكون العدو معرضا لنيراننا الكاسحة ... وكان التل الأحمر، يعطى هذا العامل الحيوى ... وتقررت مهاجمة التل الأحمر ... مع عدم الاحتفاظ به بعد انتهاء العملية ، حتى لا تتوزع القوات على تلال عديدة ، وبذلك تتجمد ، وتصبح غير قادرة على القتال ...

وكان العدو يحتل التبة الحمراء، بحوالى ١٠٠ فرد مسلحين، وهناك امتدادلقوات العدو فى التباب والجبال المحيطة ... وكانت قواته فى الجبل المقابل كبيرة جدا ...

ولو أن عددها كان غير معروف على وجه الدقة ... وكان الاحتياط العام ، أنه من المحتمل فى حالة سيطرتنا على التبة الحمراء ... أن يقوم العدو بهجوم مضاد مركز ، وبقوات كبيرة ...

ولم يكن هذا ليخيف رجال المظلات ... بل كان هذا هو المطلوب على وجه التحديد ...

وتحركت إحدى وحدات المظلات ، ومعها ٣٢ فردا من الحرس الوطنى اليمنى تجاه التبة الحمراء ... وتم طرد العدو منها ، ولم تكن هذه هى المرحلة المهمة ... فقد بدأوا فى الاستعداد للهجوم المضاد ،المنتظر أن يقوم به العدو ... ولم يمر وقت حتى رأى المقاتلان بيومى وعماد ، تقدم قوات العدو . فى الساعة العاشرة كان العدو قد تحرك بقوة قدرها ٥٠ فرد،فى اتجاه التبة الحمراء لاستردادها ، وعلى البعد، بدأ تبادل النيران ،ولم تكن نيران أى من الجانبين مؤثرة على الجانب الآخر لأنها كانت خارج مدى الأسلحة... ولكن ما أن اقترب العدو نسبيا، حتى سكتت جميع أسلحتنا ... واكتشف العدو ، أن الذخيرة قد نفدت ، وأن الصيد بين أنيابه ... وبدأ أفراد العدو يسرعون الخطى ، ليصلوا الى مواقع المقاتلين ، قبل أن يصلهم الإمداد بالذخيرة ... إن الثوانى لها قيمة حيوية ... العدو يعرف هذا ... ولم يكتف أفراد العدو بالبنادق ، التى فى أيديهم ... ولكنهم أخرجوا الخناجر أيضا ... إنه نصرهم الأول ... وبدأت المسافة تضيق ... وصدرت الأوامر ، فى اللحظة الحرجة ، بفتح نيران جميع الأسلحة ، ففوجىء العدو بالنيران ، كما فوجىء بإلقاء القنابل عليه ...

إن وقف إطلاق النار لم يكن إلا مجرد خطة عسكرية صغيرة ، هدفها أن يصل العدو إلى المرمى المؤثر للنيران،وبالشكل الذى لا يجعله قادرا على الانسحاب ، فيتكبد خسائر كبيرة ...

وأطلق الموقع نيرانا أمامية ، وكان على جانب التل الأحمر أحد الرشاشات يطلق نيرانا جانبية على العدو ... ولكن العدو لم يكن أمامه إلا الانسحاب ، تاركا

خلفه ثمانين جثة ، عدا ما استطاع سحبه معه ... ولكن الخطة لم تغفل ، احتمال فرار العدو ،من على هذه المسافة القصيرة ... لقد بدأت الهاونات تمسح أرض القتال كلها ، وكان التركيز شديدا ... حتى أنه أمكن القضاء على معظم الأفراد المنسحبين ... وبذا فشل أول هجوم مضاد ... وجمع العدو قواته مرة ثانية ... ولكن قبل أن يتحرك ، كان الطيران قد بدأ يتصيده ... وكان للصواريخ فعل السحر فى تشتيت تجمعات العدو ...

الى هنا والمعركة لم تنته ... لقد ظهرت هاونات العدو ، وبدأت تطلق نيرانها بشدة على مواقعنا ، فى التبة الحمراء ... وتم تبادل القصف بين هاوناتنا وهاونات العدو ... وتمكن المقاتل تحسين من تحديد موقع أول مدفع للعدو وإصابته إصابة مباشرة بقذيفة ، دخلت من منتصف الموقع فنسفته . كان هذا فى الساعة العاشرة والنصف وفى الساعة الحادية عشرة ، كان العدو قد خسر الهاون الثانى ... وفى الساعة الرابعة بعد الظهر ، ظهر أن هاون العدو الثالث ، موجود بين صخرتين على جبل عال ... وتولى الواجب ، طاقم أحد مدافعنا ، وأصابه إصابة مباشرة ،بعد خمس دقائق من اكتشافه ... الى هنا وتم الغرض من هذه العملية كلها ... ومرة أخرى ، يجب تجميع القوات استعدادا للضربة القادمة ... ان العدو يترنح الآن ، ولا بد أن تكون الضربات متوالية ... وانسحبت القوات لتتجمع ، وعند انسحابها كان المقاتل مخلوف أبو زيد يغنى بأعلى صوته ... ياليل ... يا عين ...

لقد ابتعد العدو ... لقد كانت الضربة قوية بالشكل الذى يضطره للابتعاد ... وظلت الأرض معنا ... فلنا عليها شهداء ...

هيا بنا الآن إلى نشور ، لنشهد معركة من المعارك العنيفة هناك ... ان العدو يحتل نشور ، والجبال المحيطة بها ،ومعه مدفعية صاروخية وهاونات عيار « ١٨ » مم ورشاشات ثقيلة نصف بوصة ... وهذه المنطقة ، هى أحد المعاقل القوية للعدو ، ونشور ذاتها ،عبارة عن بلد رفيعة جدا وطويلة ... مثل الشريط فى وسط الوادى ، وشمال نشور ، توجد سلسلة متوالية من الجبال ، يحتلها العدو ... وبدأت الخطة ،

على أساس استخدام أحد تباب الملاحظة التى تسيطر عليها كقاعدة نيران أولية للعملية ... و بمجرد أن يبدأ العمل منها ... وكان على عبد القوى، أن يتوجه للسيطرة على تبة أخرى، أكثر صلاحية، واقترابا من العدو ، لتكون قاعدة نيران رئيسية ... وفى الساعة التاسعة صباحا كان قد تم تأمين قاعدة النيران المتقدمة ...وفى هذه اللحظة ظهرت طائرتان من قاذفات القنابل فى السماء ... فتم توجيههما نحو الغرض ... وفى الوقت الذى كانتا تقذفان بقنابلهما على سلسلة الجبال... كانت هناك قوات عربية تنطلق بسرعة ، لتلتف من جهة اليسار،خلف سلسلة الجبال ، مستفيدة فى ذلك من الضرب الجوى ... وبان العدو خفض الرءوس...ووصلت أول مجموعة من المقاتلين إلى سلسلة الجبال ، وتمكنت فعلا من السيطرة على أحد الجبال المشرفة على نشور، وبدأت عملية زحزحة العدو المتمركز فى سلسلة الجبال، واندفعت قوات أخرى لهذا الغرض ، واستطاعت إرغام العدو على الانسحاب ، متكبدا خسائر فادحة فى الرجال والعتاد ...

وبدأت السلسلة الجبلية تنهار ... جبلا ... وراء جبل ... إن تصميم الرجال، أشد صلابة من الجبال ذاتها .

ولم يكن المهم هو السيطرة على سلسلة الجبال ، بقدر ما كان مهما إبادة العدو، الذى يحاول الإنسحاب ولهذا اندفعت مجموعةمن المقاتلين، لقطع خطانسحاب العدو وقد حققت هذه المجموعة غرضها بكفاءة نادرة ...فقدكانت مفاجأة للعدو ، الذى حاول الانسحاب ، أن يجد النيران تنطلق عليه بغزارة ، على بعد عدة كيلومترات من داخل الأرض ، التى يتصور أنه يحتلها فعلا ...

وهكذا تمت السيطرة على سلسلة الجبال...

ورفع عبد القوى سماعة التليفون ،اللاسلكى ليقول لقائد المحور : إن الغرض قد تم تحقيقه ... ولكن هل انتهت العملية ؟

الواقع أن العدو حاول استرجاع السلسلة الحصينة بعد ذلك ... ولكن المهمة لم تكن سهلة ... لقد بقى كل شىء كما هو ... مع تغيير بسيط ، هو أن خسائر العدو ،

قد ازدادت فى هذه العملية ، لأنه تكبد خسائر كبيرة فى هجومه المضاد ، ولم يستطع استعادة شبر واحد من الأرض ...

وكانت خسائر العدو فى هذه العملية أكثر من ٣٠٠ قتيل ... ومن واقع يوميات الحرب أقول :إن خسائرنا كانت(لايكن) وهو تعبير عسكرى معناه :أنه لاتوجد خسائر

والآن ... أنا أسأل نفسى ... هل أستطيع أن أحكى قصة تسعين معركة كاملة فى هذه الصفحات ؟ الواقع لا

ولكنى هنا أنقل بعض ماسمعته من المقاتل عبدالقوى، خلال الساعات التى عشتها معه على أرض البطولات والأمجاد ... قال لى : إنه لم تلسه رصاصة واحدة طول العمليات ، وأقرب رصاصة مرت بالقرب منه ، كانت فى المعركة تل الخرم ... ولم تكن رصاصة واحدة ، ولكنها كانت حوالى ١٢ رصاصة مرت حوله ...

قلت له : متى شعرت أن الموت قريب منك ...

قال لى : ولا مرة ...

قلت له : ماذا استفادت قواتك من القتال ، من الناحية العسكرية ؟

قال لى : لقد دربنا كثيرا قبل الحرب ، وكان ينقصنا الاحتكاك العملى فى القتال وقد اكتسبناه ...

قلت له : وماذا أيضاً ؟

قال لى : الآن أنا واثق من أن هؤلاء الرجال ... قادرون على اختراق الفولاذ... فى يوم ننتظره جميعا ...

ثم لى ملاحظة ... قد يشعر القارئ فى بعض الأحيان ، أننى أبالغ فى خسائر العدو ... وأقلل من أعداد خسائرنا ... وأود أن أوضح ، أنى مقتنع تماما ، بأنه أى حرب لابد أن تكون فيها خسائر ... ولاعيب أن تكون كبيرة ، طالما هى ضرورية من أجل النصر ...وقد شعرت أنا نفسى بهذا الشعور ، عند سماعى لقصص العمليات ... ولكنى عدت إلى يوميات الحرب ، ووجدت الخسائر مطابقة لما سمعته كما أننى شهدت بنفسى بعض العمليات ، وعشت فيها ... ولا حيلة لى... إلا أن أذكر الحقيقة ... فمن غير المعقول ... أن أضيف من عندى أعدادا أخرى ،إلى خسائرنا حتى تظهر العملية حقيقية للقارئ ... وعلى العموم فبالنسبة للقراء ... وخاصة المدنيين الذين لم يشهدوا ، معارك حقيقية ... فإنهم يتصورون ، أن الخسائر لابد أن تكون كبيرة العدد .. ولكن بعد أن يحضر أى إنسان عدة معارك ، يجد أن العملية أبسط كثيرا مما يتصور ...



فى مواجهة الحائط الرهيب

المهمة صعبة .. غاية
الصعوبة .. وصرخ مقاتل
انا ذاهب الى القمة .. من
يحضر معى ؟؟ ..

فى يوم الأبطال ... وفى ميدان الجمهورية ... وقف ضابط صغير أمام المقاتلين الذين قادهم إلى النصر ... كان هو ومجموعته أسعد الناس جميعا ... لقد اشتركوا معا جنباً إلى جنب فى مقاتلة العدو فى ٨٤ عملية ... من العمليات الحربية الكبرى إلى الغارات المسلحة ... ثم عادوا إلى أرض الوطن ... ووقفوا فى ميدان الجمهورية ... ولم ينقص منهم شخص واحد ... نفس الوجوه التى سافرت معا لتؤدى الواجب ... عادت دون أن تنقص فردا واحدا لتحتفل بالنصر ... والواقع أن هناك مبدأ عسكرياً يقول : يجب أن يتحقق الهدف بأقل خسائر ممكنة ... كان هذا هو السبب فى سعادة هذه المجموعة من الرجال ... إنهم من رجال المظلات... وبعض الأهداف التى قاموا بتحقيقها كانت مستحيلة التحقيق ... وبالرغم من ذلك كله انتصروا ... لقد كان بعض أفراد هذه المجموعة هم الذين واجهوا الحائط الرهيب .

* * *

أضواء الفجر الأولى ... عشرات المظلات تتلألأ مع الفجر هابطة إلى مطار صعدة ...

إنها أول مجموعة من رجال المظلات ... المجموعة نفسها التى وصلت دون أن

يخسر جنديا واحدا إلى ميدان الجمهورية فى يوم الأبطال .. وكان معهم المقاتل نبيل نجيب ... لم تكن تلك بداية العمليات لمجموعة الأبطال ... لقد كانوا مشتبكين فى الليلة الماضية فى مضيق زبين الذى يسمونه مفتاح الجوف ، وساعتها لم تكن قواتنا قد بدأت عمليات محور الجوف ...

ولكن كان من الضرورى ، السيطرة على منطقة زبين حتى لايتسلل العدو من مركز رئاسته الأساسية ... الذى كان وقتها فى المطمة ... ويهدد تحركاتنا .. وكان واجب هذه المجموعة مع مجموعات أخرى غيرها حماية المضيق كله وتدمير العدو إذا ما حاول الهجوم ... ومضيق زبين عبارة عن ممر ضيق ... غاية الضيق لايسمح إلا بمرور عربة واحدة فى اتجاه واحد ، وفى نفس الوقت لايسمح للعربة التى تحاول المرور بالعـــودة ... ويحف بالمضيق البالغ طوله خمسة وعشرين كيلو مترا . سلسلة من الجبال العالية الوعرة ... على اليمين جبال بكير ، وعلى اليسار جبال سفيان ... وكان الحرس الوطنى اليمنى ، ورجال من قبيلة حاشد يسيطرون على جبل بكير ... وقامت مجموعة الأبطال بالسيطرة على جبل سفيان ، وهكذا أصبح الطريق الطويل مضروبا كله بأسلحتنا ... والعملية كلها عملية انتظار ... ليدخل العدو فى المصيدة ... وكان على رجال المظلات عدم الظهور ... وعدم اعطاء فكرة للعدو عن وجودهم ... لأن العدو لابد أن يتردد إذا ماعلم أن رجال المظلات هنا ... ومر يومان لم تطلق فيهما طلقة واحدة ... ولكن رجال المظلات لم يتعودوا هذا الهدوء الطويل ... يومان بدون طلقة واحدة ... لامن جانبهم ، ولا من جانب العدو ...

وكان العدو قد حشد قواته منذ أيام فى منطقة سنوان ... وكان مركز قيادته فى بيت المزعورى على بعد ٢٠ كيلو مترا من آخر نقطة فى المضيق ... ويظهر أن العدو كان يحاول فرض الهدوء ليعيد تكديس قواته ، وأسلحته استعداداً للخطة الكبرى لعبور المضيق ثم الاندفاع جنوبا ... وفى اتجاه صنعاء ... هكذا كانت خطة العدو ، ولكن قواتنا لم تكن تنام طوال الليل ... كانت الليلة دامسة الظلام .. حين بدأت تظهر حركة غير عادية كان أول من اكتشفها المقاتل طايع ... إنها

أضواء قافلة طويلة من عربات العدو متوجهة من مقر قيادته ، وقادمة نحو المضيق واستمرت العربات فى تقدمها عشرة كيلو مترات . وأعطى نبيـــل أوامره.. لاتطلق أى طلقة من الموقع كله ، إلا بناء على أوامرى . . وفى حالة الدفاع المباشر واقتراب العدو إلى الحد الخطير ..

وبعد مدة اطفأت جميع سيارات العدو أنوارها، وساد المنطقة سكون رهيب .. وبعد ٤٥دقيقة من الهدوء ، لمع ضوء بطارية خفيف خلال الظلام ... يعطى أنوارا متقطعة ... لا بد ان أحد افراد العدو يعمل كنقطة ملاحظة له ... وان هذه اشارة متفق عليها .. وبعد لحظةظهر ضوء بطارية اخرى ، تعطى نفس الاشارات علىمقدمة جبل بكير .. إنه لابد احد افراد العدو قد تسلل خلال الظلام الدامس الى هذا المكان ... وكانت هذه الإشارات ، تعنى أن العدو فى طريقه إلى عملية حربية ... وأدرك نبيل لحظتها ، ان هناك اتصالات ، أوان العدو قد دفع بعض أفراده لتأمين مدخل المضيق اثناء دخول قواته ، وأمسك الجميع نيران اسلحتهم ... فإنه ليس من الواجب اطلاق النيران تجاه الأضواء خلال الظلام ... معنى إطلاق طلقة واحدة هو أن يكشف العدو وجود قواتنا فيغير خطته على الأقل وينعدم عنصر المفاجأة فى العملية كلها ... وأراد قائد المجموعة أن يبلغ الموقف الموجود أمامه ، إلى باقى القوات الموجودة فى الموقع ... وزيادة فى الحيطة ... قرر عدم استعمال جهاز اللاسلكى الموجود معه ، انما يرسل أحد المقاتلين لينبه على موقع المدافع، وعلى قيادة الفرقة ليعطيها المعلومات الكاملة للموقف ... وتقدير الموقف بالكامل ... واستأنفت قافلة العدو تقدمها إلى أن وصلت إلى مسافة ٦٠٠ متر .

وفجأة لمعت خلال الظلام فوهات البنادق ، والرشاشات، وامتلأ الجو بأصوات الرصاص تمزق السكون ، وتحول الهدوء إلى عاصفة ... لم نكن نحن الذين أطلقنا النار ...وكان على رجالنا أن يمسكوا اعصابهم ، وأن يكتموا غيظهم ...وينتظروا اللحظة الحاسمة ... إن مجرد طلقة واحدة الآن معناه أن تستدير عربات العدو وتغير اتجاهها ، ولا تدخل المضيق ، وبهذا يطير الصيد السمين من أيدينا ... لقد خفض جنودنا رءوسهم خلف الصخور حتى لا يكشف العدو وجود أى فرد وكل جندى فى

يده سلاحه ... والرصاص فى مخازن البنادق ، والأصابع على الزناد... لكن اللحظة المناسبة لم تبدأ بعد ... كان العدو ينتظر ردا على نيرانه إذا كان هناك وجود لقواتنا ولما لم يأته الرد استمر فى التقدم ... إنه يتحرك بست عشرة سيارة إلى المضيق ... إنها لحظة اللاعودة ... أو لحظة البداية ... بالنسبة لقواتنا ...

وفى السماء لمع ضوء طلقة إشارة حمراء ... كانت تعنى ... افتحوا النيران... بأقصى قوة ... وأطلقت أول قنبلة من أحد مدافعنا ، وكان خلفه بطل يمنى من الحرس الوطنى ...

وكانت من نصيب السيارة الأولى ... إن هذا يعنى شيئا واحدا ... لقد تحولت القوافل المتحركة إلى قطع من الصفيح... لن تستطيع سيارة واحدة التقدم أو الفرار لقد أطلق أحد رجالنا طلقة مدفعه المضاد للدبابات على آخر سيارة ... إنها المصيدة وبدأ العدو يتخذ قرارا... ليس أمامه فرصة للتفكير ، فالنيران تنطلق من كل جانب وقفز أفراد العدو يحاولون الفرار ... ولكن قائد المظلات كان قد وضع فى اعتباره أن يحدث الذى حدث فقد وضع أحد رشاشاته على خط ثابت ، بحيث يغلق نهاية المضيق بالنيران ... وكل فرد يحاول الخروج ، لابد أن يصطدم بالنيران ... وظهرت أعداد كبيرة من النقط السوداء على سفح الجبل ... إنهم أفراد العدو ... وبدأت الهاونات تعمل أيضا ... إن قنابلها تنفجر ، وسط التجمعات المعادية ، وتلا ذلك ، مزيج عجيب من الأصوات ... صياح يعلو هناك ، وضحكات تعلو هنا ...

موصوف لى أقتل ميه

ولم ينس المقاتل السكرى خلال ضجيج المعركة أن يهمس إلى المقاتل الذى يجاوره (والله ... أنا موصوف لى أقتل ميه ... الدكتور ... قال لى النهارده عندك تلبك معوى) ، وكان الجندى الذى يجلس خلف جهاز اللاسلكى يضع فمه على ميكرفون الجهاز ، ويصف المعركة : كأنه مذيع كرة قدم ...

(يا افندم نبيل مشتبك الآن ... السكرى يضرب على الرشاش... سيارات العدو

تشتعل ... أربع سيارات مشتعلة ... الآن سيارة منها انفجرت ... يظهر أنه كان بها صفائح بنزين ... صفائح البنزين تطير فى الهواء ... ولا سيارة من سيارات العدو تتحرك ... العدو ترك السيارات ... ويحاول الهرب ... مدفع الهاون ضربه عظيم ... القنبلة فى نصفهم ضبط ... الله يعمر بيتك ... أيوه إضرب على الحته دى. العدو زى المطر ... لكن مزنوق زى الفار فى المصيدة)

واستمر الجندى الجالس خلف الجهاز يتكلم أربع ساعات كاملة ...

* * *

وبدأ صباح يوم جديد ... ومع الصباح بدأ البحث عن مخلفات المعركة ١٦ سيارة شيفروليه تحمل جميعها ارقام (اجرة مكة) ... جثث لاحصر لها ولا عدد ... ذخيرة العملية المنتظرة كلها ... جميع الاسلحة التى كان يتسلح بها العدو ... ومعها كراسات التدريب التى تصرف مع الأسلحة الجديدة ... جثث كثيرة ... داخل السيارات المحترقة ... رسائل من البدر لإغراء القبائل بالمال والسلاح ... أكياس من الدقيق ... أسلحة لم يبق منها إلا الصلب ... احترقت الاخشاب المحيطة بها وتحولت بعض البنادق الى انابيب من الحديد .

كان هذا هو مخلفات المعركة ... وبالنسبة لنا ... أصيب المقاتل خاطر برصاصة فى ساقه بعيدا عن العظم ... وضمدوا له ساقه ... استعدادا للمعركة التالية ... إن خاطر ... ومعه الرجال جميعا ذاهبون الى صعدة ...

حتى هذه اللحظة كان المقاتل القطورى ـ ومعه مجموعته التى ذهبت لزرع حقول الألغام فى الوديان المؤدية الى صعدة من اتجاه نجران ـ هو الذى يواجه هجوم العدو على صعدة... وكان على الوحدة بكاملها ... أن تتحرك، لتصل الى صنعاء قبل الساعة الخامسه صباحا، وتكون جاهزة للنزول من الجو فوق مطار صعدة..وبدأ التحرك ـ ووصلت الى صنعاء فى الساعة الرابعة صباحا ... أى أنه لم يبق الا ساعة واحدة للتحرك إلى صعدة ... وبالفعل دارت محركات الطائرات ... بينما تعالت صرخات

جنود المظلات التقليدية ... وحوش... وحوش .. .. كلنا هانهبط ... كلنا ... هانهبط ... المظلات ... وحوش ...) وصلت الطائرات إلى مطار صعدة ... لتقفز أول مجموعة بالمظلات فى الساعة الخامسة والنصف صباحا ... ومع نزول أول طائرة بعجلاتها على الأرض انتشرت شائعة فى صفوف العدو .. أن الطائرات قادمة لتأخذ معها رجال المظلات ... وكان الموقف لحظتها ، أن جزءا من قوات القطورى، يسيطر على قمة جبل طلس ... وجبل طلس جبل كبير ... وقوات القطورى كلها لا تزيد عن ٤٠ مقاتلا ... وعليه أن يحافظ على صعدة، وجميع القلاع بهذا العدد الصغير ... حتى تصل باقى القوات .. ومع وصول أول طائرة إلى الأرض ، كان على القطورى أن يفكر بسرعة ... لقد أخذت القوات الهابطة من أول طائرة لتدعيم موقف القلاع ولتدعيم موقف المدينة فلا يستبعد أن يقوم العدو بهجومه الآن ، وصح ما توقعه القطورى . لقد بدأ العدو هجومه على قلعة سنارة بعد وصول رجال المظلات القادمين على أول طائرة إلى داخل القلعة بخمس دقائق فقط ... وكان على الرجال الذين لم يناموا طوال الليل الذى قضوه فى التحرك ... والليلة السابقة فى العمليات ، أن يقاتلوا من جديد ولم يستطع العدو ، أن يزحزح رجال المظلات من قلعة سنارة ... ولكنهم بدأوا يفكرون فى طرد العدو نهائيا ،من المرتفعات المحيطه بجبال سنارة... لقد ازدادوا قوة

كان العدو قد ركز نيران هاوناته ومدافعه وأسلحته على قلعة سناره ... من جبل كبير اسمه الجبل الأسود... وبينهما تبة أخرى عالية... ولكنها ليست فى ارتفاع الجبل الأسود ... لم يكن لها اسم ... فاسموها فيما بعد تبة جوهر ... ولكن لنطلق نحن عليها من الآن تبة جوهر ... وتقرر أن يستولى نبيل عليها ومعه ايضاً ٢٠ فردا من افراد الحرس الوطنى اليمنى ... وبدأ نبيل تحركه سيرا على الاقدام فى الساعة الحادية عشرة مساء ... وقسم رجاله إلى عدة مجموعات ... وكانت التعليمات لديه لحظتها أن يحاول الوصول إلى أقرب ما يمكن من العدو بدون صوت وبلا رصاص ووصل فعلا إلى سفح الجبل فى الساعة الثانية صباحاً دون أن يكتشفه أحد ، وراح ينظر وهو فى سفح الجبل إلى مواقع العدو ...ان أحد رءس افراد العدو ظاهرة عند

النقاء قمة الجبل بالسماء ... وكان بجوار نبيل ساعتها ابن الشيخ فايد مجلى وهو شاب عمره ١٧ سنة ،حضر ليتماتل مع القوات المشتركة ... وبدأ صعود الجبل بلا صوت أيضاً ... وشق السكون ،طلقتان فى الظلام فأخذ بعض الرجال يتأهبون لتبادل النيران ولكن كان هناك مقاتل اسمه ابراهيم الزنفلى تصرف بسرعة... صدرمنه صوت عواء ذئب ... فصدرت من قمة الجبل ضحكة مزقت السكون ... (مرة أخرى ... نجحت خطة الزنفلى)

وعلى ذكر اسم الزنفلى ... نروى له قصة مثيرة ... لقد فهم أهله هنا فى القاهرة انه مات ... وانقطعوا عن إرسال خطابات له ...

لقد كان هو مشغولا فى القتال وأذاعت المحطات المعادية اسمه على أنه مات .... وقد أخذ على خاطره ... لأن أهله لا يرسلون له خطابات ، وبقى كذلك حتى عاد مع القوات ... وفى يوم عودة الأبطال مر مع القوات فى الطريق من محطة السكة الحديد إلى ميدان الجمهورية ... وفى شارع الجمهورية كانت تقف أمه مع الناس ... تنظر إلى الابطال وتذكر فيهم أبنها ... إنهم شبان مثله... وبين التصفيق والهتاف ... لمحت الأم وجه ابنها ... واندفعت بلا وعى،ولا شعور تخترق صفوف الواقفين حول الطريق. سيدة تلبس السواد تهتف (إبنى ... حبيبى ... ضناى) ولم يستطع رجال الشرطة أن يفعلوا شيئا أمام الاندفاع المفاجئ ... ودخلت الأم وسط الصفوف ، وارتمت على صدر ابنها ،والدموع فى عينيها ...

وأعود إلى الجبل... لقد تصور العدو أن ما أطلق عليه الرصاص كان مجموعة من ذئاب الصحراء...وبدأ رجالنا تحركهم...مرة أخرى باتجاه الغرض، وكانت أول قدم تلمس أقرب مسافة للقمة ،هى أقدام المقاتل سمير ، والمقاتل السكرى...وألقيت قنابل يدوية كثيرة على العدو ... وحدث ذعر ، وهرج ... وبدأ جنودنا باقتحام الجبل كله ... وقد تم الاستيلاء عليه بسرعة ... وفى نفس الليلة تم بناء المتاريس انتظاراً للمفاجآت ...

ومع ضوء الصباح بدأ العدو يطلق أولى طلقات مؤثرة من الجبل الأسود وهو


80

يرى أمامه جثث قواته التى تخلفت من معركة الليل ... وكان العدو مغتاظا من منظر قتلاه أمامه... فبدأت محاولاته للاستيلاء على مرتفع جوهر ، وطرد جنودنا منه ... وظهر مع شروق الشمس أيضا أن أمام تبة جوهر مرتفعاً آخر صغيرا ... مسافة ١٠٠ متر وكانت خطة العدو هى الوصول إلى هذا المرتفع الصغير ... ثم القيام بهجوم شامل على تبة جوهر ...

وكان العدو يعلم تماما أنه يواجه رجال المظلات فقرر القيام بعمليته بعدد كبير من القوات وبذلك يضمن التفوق العددى الساحق .. وفى نفس الوقت بدأ تركيز النيران من الجبل الأسود الحاكم على تبة جوهر وقد قدرت قوات العدو المشتركة فى العملية بأكثر من ألف رجل .. وكان على العدو أن يعبر الأرض المكشوفه حتى يصل الى المرتفع الصغير .. وعلى الأرض المكشوفه تركزت نيران أسلحتنا جميعها فبدأ العدو عملية التجمع خلف المرتفع الصغير بموجات من البشر موجة تتلوها موجة وكل موجة تمر تتم إبادتها جميعها ... وأحياناً قد يستطيع فرد أو اثنان أو ثلاثة، الوصول إلى خلف المرتفع الصغير ... ومضى الزمن وطوفان البشر لاينتهى ... وهكذا تجمع خلف المرتفع الصغير ... عدد من أفراد العدو ... ومعهم مدفع هاون ... وظهر أن العدو ... قد بدأ يطلق نيران الهاون من هذه المسافات القريبة على تبة جوهر ...

وكان لابد من اتخاذ قرار ... وكان القرار أن يندفع المقاتل هانى ومعه بعض القوات إلى المرتفع الصغير على شكل تعزيز لقوات نبيل ... وبذلك يفاجىء العدو فى تجمعه ... وبالفعل اندفع هانى ومعه المدفع الرشاش ... وخلال اندفاعه ... أصيب بطلقة فى قدمه ... ولكنه استمر يجر المدفع الرشاش، فى طريقه إلى الهدف وبدأ هانى ورجاله فى الاشتباك مع العدو ... فأخذوا يلقون سيلا من القنابل اليدوية فى وسط تجمعاته ... أسفل المرتفع ... والرشاش يحصد فيمن بقى من العدو ...

وراحت قوة العدو تقل ... رويدا رويدا ... فحاول الفرار والعودة من حيث أتى وهكذا مرة ثانية ، تعرض لنيران تبة جوهر فى نفس الأرض المكشوفة ... كأنه كان مقدرا له، أن يموت فى هذا المكان ... وفى اللحظات الأخيرة للمعركة ... استقرت

حلقة فى بطن المقاتل هانى ... وحمله أحد الرجال إلى تبة جوهر ... وهناك التق بنبيل الذى قال له (ولا يهمك ... بسيطة ان شاء الله) ولكن هانى كان يشعر بما سيحدث فأشار إلى نبيل أن يقترب منه وهمس له (قل لوالدى ألا يحزن على، إننى لم أمت ... اننى شهيد الوطن ،) وأضاف أنا أعلم أن والدى رجل مؤمن وقل له أن يعطى سيارتى لأخى مصطفى ... ثم قال أشهد ان لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ... وكانت هذه هى الكلمات الأخيرة التى نطق بها ... ومن لحظتها ... اسموا المرتفع الصغير ... مرتفع هانى ... وكان هانى هو شهيدنا فى المعركة التى لم ينج منها واحد من العدو ...

وهكذا ازداد المنظر على الأرض بيننا وبين العدو إثارة، وغطت الجثث الأرض الفضاء ... ورسمت على وجه الصحراء، منظرا لا يمكن للعدو أن ينساه، لكن العمليات لم تنته ... كان لابد لنا من أن نطرد العدو ، خارج الحدود ... من حيث أتى ...

* * *

وقصة أخرى من أروع القصص ... إنها الحائط الرهيب ... وأترك خلفى بطولات كثيرة ... وأمجادا كثيرة ... قصة الحائط الرهيب ، دارت كلها حول بلدة اسمها مجز ، وهى شمال صعدة ، بثلاثين كيلومترا ، وعلى بعد خمسة عشر كيلومترا من السعودية . والعدو يقاتل فى آخر معاقله بضراوة ... وبلدة مجز نفسها لها شيخ ، هو الشيخ حسن المهمل ... وقد أعلن أنه (مجمهر) منذ أول يوم لإعلان الجمهورية ... ولم يرتد الشيخ حسن لحظة عن قراره ... رغم قربه من مركز العدو الرئيسى فى السعودية ... ولهذا حاول العدو استمالته دون جدوى بمختلف الوسائل فلما أخفق لم يبق أمامه إلا القتال المرير ، مع قبيلة الشيخ حسن كلها ... وقرية مجز ، يحدها من الشرق الجبل الأسود ، وجبل اؤى من الغرب ، وسلسلة الجبال القريبة ، وقد قام العدو بتركيز قواته واحتلال الجبال فى شرق وغرب المدينة ... وهناك جبل آخر فى الشمال ، اسمه جبل (خنفعر) ، وهو أعلى الجبال جميعا ويبلغ ارتفاعه ثلاثة كيلومترات كاملة ... وقد قام العد وبتركيز قواته تركيزا كبيرا ... وفوق قمة الجبل وضع العدو مدافعه الصاروخية ، ومدافعه المضادة للطائرات، وأسلحته البعيدة المدى ...

وقوات كبيرة ، قادرة على حماية الجبل ... ونظرا لارتفاع هذا الجبل الهائل ، فإن السيطرة عليه تعنى السيطرة على المنطقة كلها بما فيها القرية بالطبع ...ومن يركب هذا الجبل يكون قادرا على توجيه نيرانه فى أى اتجاه ... ولم ينس العدو أن يضع جزءا آخر من قواته فوق الجبل الأسود ، أما منطقة الجبال الغربية فلم يضع عليها إلا قوات بسيطة ... وكان العدو يقدر بالطبع أن سلسلة الجبال لاقيمة لها ... لأنها منخفضة ولكن القائد العربى كان له رأى آخر ... الاستيلاء على السلسلة الغربية ... وبذلك يضمن قاعدة ، يطلق منها نيرانه ...

وهكذا فى وضح النهار وعلى وجه الدقة ... فى الساعة العاشرة صباحاً ... وبعملية بسيطة ،كان قد أمكن الاستيلاء على سلسلة الجبال ... ومنها ولمدة ثلاثة أيام متوالية ، بدأت قواتنا تركز نيرانها على جبل خنفعر ... وعلى الجبل الأسود ... وعلى جبل لوى ، وفى هذه الأيام الثلاثة ... تم استكشاف هذه الجبال بدوريات ليلية ،وبالملاحظة نهارا،ظهر أن جبل خنفعر، جبل غريب الشكل، فهو كما قلت يرتفع إلى السماء بانحدار شديد، لمسافة تبلغ ثلاثة كيلومترات ... إلى هنا والعملية عادية...لأن رجالنا أصبحوا خبراء فى حرب الجبال...

ولكن المفاجأة غير المنتظرة .. هى أن قمة الجبل على شكل حائط رأسى تماما .. وارتفاع هذا القطع الرأسى، سبعة أمتار كاملة ملساء مثل الرخام ... والجبل كله صخور كبيرة ... وفوق القمة يرقد العدو ... كانت العملية صعبة ... غاية الصعوبة ... ولنفرض أن القوة المهاجمة وصلت إلى الحائط ... كيف تتصرف وكيف تصعد ... إن العدو سيكون قادراً على إبادتها دون شك ...ولكن لماذا تتصور الحوادث قبل أن تقع ... لنبدأ العملية من أولها ... لقد وضعت الخطة ... على أساس ان تقوم وحدة من المظلات بالاستيلاء على جبل خنفعر ... وفى نفس الوقت تقوم وحدة أخرى ،بالاستيلاء على الجبل الأسود وجبل لوى... ولكن التعليمات،كانت مشددة بضرورة الاستيلاء ،على جبل خنفعر، لأن هذه العملية لو فشلت ... وفى نفس الوقت نجحت عملية الاستيلاء على الجبل الأسود ، فسيكون موقف الذين يستولون على الجبل الأسود غاية فى الخطورة لأنهم فى هذه الحالة سيكونون تحت رحمة جبل خنفعر ...

كان كل الواقفين ،يفهمون ماذا يعنى الفشل فى الاستيلاء على جبل خنفعر ... وبدأت كل وحدة تأخذ اتجاهها ... وبدأت المدفعية تضرب على جبل خنفعر كالعادة ... مثل مايحدث كل ليلة ... وفى لحظة معينة أبطلت الضرب وكان رجالنا قد وصلوا إلى منتصف الجبل ... وبدا أن العدو أحس بشىء ... فأطلق نيرانا غزيرة من مدفع نصف بوصه ومن اسلحته المختلفه وكان يطلق نيرانه فى جميع الاتجاهات ، وهذا يعنى ان العدو لم يكتشف مكان قواتنا على وجه التحديد ... ولو انه اكتشف مكانها لركز نيرانه عليها ... وهكذا لم يطلق اى جندى من قواتنا طلقة واحدة ...

وبعد مدة، أوقف العدو الضرب بينما استمر الرجال فى التقدم... وثبة...وثبة ... خلف الصخور ... ولكن العيون كلها كانت مركزة على أعلى الجبل ... على الحائط الرهيب ... وعلى مسافة ٦٠٠ متر من القمة ... حدثت المفاجأة ... أحد أفراد العدو ... وكان قد وضعوه كنقطة ملاحظة ... والقوات على بعد عشرة أمتار منه لمح أحد أفرادنا ... وبدأ يتكلم (مين اللى هنيك ... وقف والا أطلقت النار) ثم بدأ الرجل يرفع صوته ، فاستيقظ الموقع كله ... ولم يكن هناك مفر ... وقال أحد المقاتلين (الراجل ده ها يعمل مولد) وألقى عليه قنبلة يدوية أسكتته إلى الأبد ... ولكنها لم تسكت الموقع ... لقد فتح الموقع خرطوما من النيران ، من المدافع النصف بوصة والرشاشات والبنادق ... ولم يكن لتبادل النيران أى معنى كل ما حدث أن المقاتلين اختفوا خلف الصخور ... وفى هذه اللحظة ، كان الزمن الباقى على ضوء النهار ... ساعتين ... ساعتين يجب أن يتم فيهما كل شىء... أو يؤخذ قرار الانسحاب الآن ... إن الانسحاب معناه توريط القوات التى تهاجم الجبل الأسود فى هذه اللحظات ... وفى نفس الوقت معناه ... أن الخطة لم يتم تنفيذها، ولن تستطيع قواتنا فى جبل خنفعر ، أن تعاون بنيرانها قواتنا التى تهاجم الجبل الأسود... إن التقدم ، والهجوم على الحائط الرهيب... عملية خطيرة وفى هذه اللحظات الحاسمة أصيب قائد الوحدة المهاجمة ... ولم يعد قادراً على العمل ... فأحضر الملازم نبيل وقال له وصيتك الجنود ... وراح فى غيبوبة ... ولكن أمكن إسعافه بعد ذلك ... وشارك فى عمليات أخرى ... (كان على نبيل أن يقود الوحدة المهاجمة كلها) .

وأمام هذه العوامل أخذ قراره ... وكان القرار فى صورة سؤال ... من يحضر معى ... أنا ذاهب للقمة ؟ أيد كثيرة أعلنت رأيها بسرعة ، وهى خلف الصخور وتم الاختيار ... السكرى ... رمزى .. جمعة .. عثمان .. مخلوف .. سمير .. طايع وتخلصوا جميعا من كل شىء يحملونه ، عدا السلاح والذخيرة والقنابل اليدوية ..

وبدأوا يتحركون .. وثبات خلف الصخور .. وفى نفس الوقت ، عمل باقى الرجال ، كقاعدة نيران تضرب قمة الجبل ... وثبة وراء وثبة .. خلف الصخور وصلوا الى الحائط الرهيب .. المانع الهائل .. الامتار السبعة .. وجلسوا تحت الحائط ، إنهم لا يعرفون مكان العدو على وجه التحديد .. آه لو ظهر أن تجمع العدو فى نفس المكان الذى سيصعدون منه .. لن يبقى ولا واحد .. وكان أملهم أن يستطيعوا تحديد مكان موقع العدو من نيرانه . ولكن العدو أوقف إطلاق النيران منذ عدة دقائق .. وقواتنا أيضا أوقفت نيرانها .. ومر زمن طويل .. وتفكير يدور فى الرءوس قد يكون العدو حبس نيرانه حتى نصل اليه ، أو على أبسط الفروض ونحن فى الطريق اليه .. لن يكن واحد منا قادرا على تبادل اطلاق النار .. وبدأ نبيل التسلق .. تسلق الحائط الرهيب بالليل ... إنه يحاول أن يجد مكانا لأصابعه بين الصخور ... وظهر أنه لابد أن يخلع حذاءه .. حتى لايصدر صوتا اولا .. وحتى يستطيع ان يلتمس الحائط بأصابع اقدامه ثانيا .. وكان عليه أيضا أن يترك سلاحه ، لانه لابد أن يستعمل يديه .. وبدأ مرة اخرى يتسلق الحائط الرهيب ، ووجد لإحدى قدميه فجوة بين الصخور ، قد لا تزيد عن ٣ سنتيمترات .. وضع قدميه فيها .. وانتظر زميله القادم خلفه . . إن المقاتل رمزى يحاول الصعود خلف نبيل .. وهكذا مد له نبيل يده ... ليأخذ سلاحه وسلاح رمزى ... أعطاه السلاحين وبدأ المحاولة الثانية ، خطوة جديده على الحائط الرهيب ..آه لو أن احدهما وقع على الأرض ... لابد ان العدو يكشف مكانهما ، وستكون هى النهـــاية ... آه لو أن السلاح انزلق وسقط على الصخور ... وبحذر شديد ... استمرا فى تبادل الأسلحة والخطوات وتحسس الصخور ... لعله يكون هناك فاصل بين كل صخرة والأخرى ... ثم ... جاءت الخطوة الأخيرة ... انتظار المفاجأة ... وسمع نبيل أصواتاً

من بعيد ... ولم يظهر صوت فى هذا المكان ... وهكذا وصل الحافة، ومعه فى نفس اللحظة رمزى ... وفى وقت واحد كانا قد ألقيا قنابلهما اليدوية ... وحدث انفجار شديد ... حدث هرج فوق قمة الجبل، وأصوات (... يامحمدين ... يامسعود... فلوا فلوا المصاروة طالعين .) وبدون أى تصويب ،أو ضبط للاتجاه ... وبأعصاب انهكتها المغامرة المثيرة . . انطلقت مئات الطلقات فى كل اتجاه ..

وبسرعة كانت الذخيرة الموجودة فى مخازن البنادق قد نفدت ... وكذلك القنابل اليدوية ...مفاجأة لم تكن فى الحسبان...انهما الآن وحدهما،فى مواجهة العدو بلا ذخيرة ومرت عليهما ، أطول ثانية فى التاريخ ... ولكن المقاتل السكرى ،كان قد حسب حساب كل شيء ، فقد ألقى لهما بمخازن جديدة ، مملوءة بالذخيرة...وما هى الالحظات حتى كان السكرى يصرخ صرخته التقليدية ... فوق سطح الجبل وكان متحمسا ... ووجدان العدو يحاول ان يسحب معه المدفع النصف بوصه عند فراره ،فالقى عليه قنابله اليدوية ... وبدأت المجموعة كلها تصعد الجبل ... وكثيرون من الذين حاولوا الفرار من العدو ،سقطوا من اعلى الصخور ...ومن لم يمت بالرصاص، مات من الصخور ... ومع تباشير الصباح ،كانت قواتنا كلها قد تسلقت الحائط الرهيب ، وأخذت تطلق نيرانها على الجبل الاسود وجبل اؤى ... تنفيذا للخطة ... وتحولت العمليه كلها الى جمله صغيرة ... تم الاستيلاء على جبل خنفعر ...



وفوق السحاب دارت معركة من اشد المعارك ضراوة وعنفا .. وفي مراحل كثيرة من القتال .. كان السلاح الابيض هو السلاح الحاسم

معركة برية فوق السحاب

فوق السحاب دارت معركة من أشد المعارك ضراوة وعنفا ... وفى مراحل كثيرة من القتال ... كان السلاح الأبيض هو السلاح الحاسم ... وهو أكثر الأسلحة قدرة على العمل ... ولم يكن أحد يتصور أن رجال القوات البرية ، سيتقاتلون يوما فوق السحاب ... المعركة حدثت هناك ، فوق قمة الجبل الأسود ... والسحاب يغطى قاعدة الجبل ... والقمة وحدها هى التى تبرز بين السحب ، كأنها جزيرة فى بحر من السحاب ...

* * *

الدنيا غارقة فى الظلام ...

الهدوء يسيطر على كل شىء حولنا ... وليس ثمة أى نور يهدى عيوننا الحائرة، وعلى أرض إحدى سيارات النقل العسكرية ... تمدد ... ولف نفسه ببطانية تحميه من البرد الشديد ... وأدخل رأسه فى طاقية لا يظهر منها الا عيناه ... وتمددت إلى جواره ... وأحضر أحد المقاتلين بطانية ... التفغت بها ... وحاولت ان أخفى رأسى أيضاً من البرد ... ولكن البرد كان شديدا ... وشعرت بأنى أنام على لوح من الثلج ... إذن لم يكن هناك مجال للنوم ... إن العربة التى ننام فيها ستتحرك بعد ساعة ... لتواصل سيرها إلى منطقة القتال مع طلوع الشمس ... ولكنها بالطبع أكثر دفئا من صقيع الصحراء ... وبدأنا نتكلم ...

فهمت منه أنه اشترك فى عمليات كثيرة ... وانه رأى بطولات أكثر من الخيال بل إنه لم يكن يتصور ان يرى ما رآه ... لأن الذى رآه بعينيه لم يكن ليصدقه لو أنه رآه فى فيلم سينمائى ... قلت له: احك لى ما رأيت ... قال لى ... سأحكى لك بعض ما رأيت ... لأن الذى رأيته يحتاج لوقت طويل ... طويل ... إن الذى سأحكيه لك، هو بعض الأشياء التى لا يمكن المرور عليها بسهولة... سأحكى لك قصص أبطال استشهدوا ... ورأيتهم وهم يستشهدون ... وسأحكى لك قصص أبطال لا زالوا على قيد الحياة ... وأدعو الله أن يطيـــل عمرهم ... بين الأبطال الذين سأكلمك عنهم ... جنود من أرضنا الطيبة ... أثبتوا انهم أشد مراسا، وصبرا، وتصميما، وعزيمة من أى مقاتل آخر ... لقد تعرض بعض رجالى إلى ظروف قتال صعبة ... ورأيت كيف يظهر معـــدن الرجال ... ومرت فترة سكون، لعل المقاتل ربيع أبو الدهب، كان يحاول خلالها، أن يذكر تفاصيل الذى رآه ... ووضع يده فى جيبه، وأخرج سيجارة، وضعها فى فمه ... وناولنى سيجارة أخرى ونظر إلى وهو يقول ... كانت العمليات دائرة ... والعدو يحاول أن يهاجم إحدى وحدات قواتنا الصغيرة، الموجودة فى المقدمة، وقد حشد قوات كبيرة بغرض تدمير هذه الوحدة الصغيرة ... وأذكر يومها انى قلت للمقاتل مدحت سيف اليزل إن يتحرك مع وحدته لتدعيم الوحدة الصغيرة التى يحاول العدو تدميرها ... واختار المقاتل مدحت طريقه ... للوصول إلى الوحدة المتقدمة ... إنه مضيق كان عليه أن يعبره مع قواته على شكل قافلة ... كل فرد ... خلفه آخر ... وفى أول القافلة كان يسير مدحت سيف اليزل، على رأس قواته... وبدا أن العدو كان قد نصب كمينا فى إحدى ثنايا هذا المضيق ... وفجأة انطلقت رصاصات، فى اتجاه المجموعة المتقدمة من المقاتلين... واستقرت الرصاصة الأولى، فى صدر المقاتل مدحت سيف اليزل... ولم تمر ثوان، حتى كان هناك المقاتل الهلالى... يحمل على كتفه الرشاش ... وبدأت النيران تنطلق فى اتجاه الكمين المختفى فى جوانب المضيق ... وكان رصاص الهلالى شديد التأثير على العدو ... وتناهى إلى سمعنا ارتطام أجساد بالأرض ... وأنين... فى جانب العدو ... وتوقف إطلاق الرصاص .. ولم يستطع واحد من كمين العدو الفرار، لأنه لم ينج من الكمين فرد واحد حتى يستطيع الفرار ...

وبدأت عيون المجموعة تتجه إلى مدحت سيف اليزل .. إنه قائدهم ... وهم جميعا يحبونه ... وكنت ألاحظ كل شئ من موقعي ... واتجهت فورا إلى مدحت، وجدت الدماء غزيرة تغطي صدره... وكان رغم هذا يعطي أوامره لرجاله باستمرار التحرك للوصول إلى الغرض ... وكان جالسا ... على الأرض ... لأنه لم يكن قادرا على الحركة ... وسمعته يقول : يا عسكرى يا محمد « قوم من على الساتر ده... اضرب من هنا أحسن »...وبدأ رأس مدحت يتمايل جهة اليمين، واليسار ... وثبتت عيناه في محجريهما ... وبسرعة كشفت صدره . فبدا لى واضحا، أن الرصاصة كانت مباشرة وأكثر من خطيرة ... إنى أرى رئته ... وأحضرت رباط ميدان، ووضعته فوق إصابته، ورششت ببعض الماء على وجهه ... ومر زمن قصير، وبدأ مدحت يستعيد وعيه ... ويفتح عينيه مرة أخرى ... ونظر إلى صدره، وقال . رباط ميدان خسارة ... أنا ساموت ... إصابتى خطيرة...وهذا الرباط، قد يكون أكثر لزوما لغيرى ... أنا كويس ... سيبنى أشوف القوات ... وتقدم المقاتل فؤاد عبد الرحمن، ليحمل مدحت سيف اليزل إلى أقرب موقع ... فرفض مدحت ... رفض أن يتعطل أحد المقاتلين عن القتال ... وقال : لن أتحول إلى عبء على القوات العملية يجب أن تتم ... ولكنهم حملوه إلى الموقع القريب... وهناك رفض أن يجلس ساكنا ... كان كل همه أن يراقب العدو، ويعمل على توجيه نيران الجنود، وكان بجواره المقاتل فاروق .. واستمر القتال عدة أيام ... وفى اللحظة التى زال فيها كل خطر عن قواتنا ... استراح مدحت سيف اليزل إلى الأبد ...

وأذكر أننا فى إحدى العمليات، كنا نسيطر على جبل حيوى جدا، فى منطقة منعزلة ... والعدو يحيط بنا من كل جانب ... ولم يكن هناك أى طريق برى يصلنا بقاعدتنا الرئيسية .. وكانت الطريقة الوحيدة لإمدادنا .. هى الإمداد الجوى وحجم الجبل، الذى كنا نسيطر عليه، كان صغيرا جدا ...بحيث أن الطائرات، لاتستطيع أن تحدد بالضبط مكان العبوات المرسلة ... والطيارون عملوا المستحيل، لاستمرار إمدادنا، وكانوا يحاولون الانخفاض بالطائرات إلى أقل ارتفاع، حتى تصل العبوات الينا، وليس إلى العدو .. رغم مافى ذلك من خطورة على الطائرات، والطيارين ..

لأن الطائرات فى هذه الحالة، كانت تنخفض إلى الحد الذى تكون فيه داخل مدى جميع أسلحة العدو ... لقد فعلوا المستحيل ... وبالرغم من ذلك كانت الرياح تحرك العبوات، فيقع بعضها فى الأرض الحرام بيننا، وبين العدو .. ولم يكن معقولا، أن نترك العبوات، حتى يحصل عليها العدو .. ولكن محاولة الحصول على العبوات ... محفوفة بخطورة كبيرة لأن الأرض هناك مكشوفة، وواقعة تحت تأثير نيران العدو وفى الوقت نفسه تحت تأثير نيران قواتنا، وفى العبوات مواد حيوية ... مثل الذخيرة والماء، وغير معقول أن نترك ذخيرتنا ليستعملها العدو ... أو على الأقل يحرمنا منها ... وفى هذه الفترة من العمليات، ظهرت بطولات كثيرة .. المقاتل جمال الششتاوى، والمقاتل على محمد على : نزلا عدة مرات، لإحضار بعض العبوات

مرة، كان على يحمل خزانين من خزانات المياه، ويحاول أن يصعد بهما الجبل وفجأة استقرت رصاصة معادية فى أحد الخزانين، وبدأ الماء يسيل من الخزان لكن على كان مصمما على الوصول بالماء إلى رفاقه فوضع يده على الثقب الذى خلفته الرصاصة لكى يمنع الماء من التدفق . . وواصل تسلق الجبل، ووصل إلى القمة والماء لم ينقص إلا قليلا .. والمقاتل عجمى، والمقاتل السيد رفاعى ذهبا لإحضار عبوة بطاطين .. وبالفعل حملا العبوة وأطلقنا نحن نيراننا، فى اتجاه العدو حتى نشغله عنهما، وبذلك نعطيهما فرصة العمل بعيدا بعض الشئ عن نيران العدو .. وحدث وهما يحملان العبوة، أن وقعت إحدى البطاطين على الأرض، ولكن عجمى صمم على ألا يتركها، فأنزل عبوته، ثم أحضر البطانية، وعاد مرة أخرى يحمل العبوة كلها ... ولما وصل إلينا سأله باقى المقاتلين : لماذا عدت من أجل بطانية واحدة وداعبت وجهه ابتسامة وهو يقول : «بقى عجمى يترك بطانية للعدو ... » والمقاتل

عبد الرازق كان مختصا بالشئون الطبية ... وقد ظهر أن هذا الرجل ... مقاتل عظيم ففى الوقت الذى لم يكن أحد فى حاجة إلى معونته، كان يحمل البندقية ويقاتل جنبا إلى جنب مع المقاتلين ... وقطع الحديث صوت مقاتل يقول : « عن إذنك يافندم العربة ستتحرك الآن » وبدأنا ننزل من العربة ... وتذكرت البرد ... بل شعرت به فجأة ... بعد أن كانت قصص البطولات، قد أعادت الحرارة إلى جسمى ..

وبدأت أتمشى بين الجنود ... وقفت مع المقاتل المنوب بالحراسة ... وكنت أضع البطانية التى استعرتها من أحد المقاتلين ،حول جسمى ... لأنى فى الحقيقة ، لم أكن أتوقع هذا الجو البارد خلال الليل ... ويظهر أن الحارس ... شعر بما أشعر به ... أو بمعنى أصح، بما أحلم به ... كوب شاى... إن كوب الشاى الساخن ،فى هذا المكان، وفى هذا الوقت ،يساوى ثروة الدنيا كلها ... فوضع يده فى جيبه ، وأخرج عدة أقراص ... وقال لى : هذه أقراص سبرتو ... وتستطيع بواسطتها أن تحصل على كوب شاى ، ضعها تحت علبه فارغة من علب الطعام المحفوظ ... وبعض الماء والشاى ... تحصل على كوب شاى ... ولكن . حذار أن يظهر ضوء النار ... إن الإضاءة ممنوعة هنا .. وكان على أولا أن أبحث عن مكان مغلق أضع فيه هذا كله ... وظهر الحل فى إحدى صفائح الزيت الفارغة ... ولم يمر وقت طويل حتى كان الشاى يحمل الدفء إلى يدى وجسمى ... وبدأت أشعر بقدرتى على العمل والكلام ... ولكنى كنت أريد أن أسمع ... قلت للحارس : هل هذه أول حرب تخوضها فى حياتك ؟ قال لى هـــذه هى الحرب الثانية ... لقد اشتركت فى حرب سنة ٥٦ .. وكان موقعنا يومها، فى منطقة اسمها الريسة بالقرب من العريش ... إنى أذكر هذا اليوم ... كأنه الآن ... لقد كانت تجربتى الأولى فى القتال ... ومن حسن حظى ... كنت يومها مع المقاتل ربيع .. إنه نفس المقاتل، الذى كنت تنام معه فى العربة ... وكان قد صدر القرار بالانسحاب من سيناء ، خلال العدوان الثلاثى ... وكان هدفنا هو البقاء فى موقفنا أولا ، حتى يتم إنسحاب آخر جندى من رفح وقد مرت جميع القوات من خلال موقع الريسة ... والهدف الثانى هو الاحتفاظ بالريسة ... حتى إذا تقدمت قوات العدو بسرعة ، نعطلها إلى أن تستطيع قوات العريش وقوات رفح ، العودة إلى القناة ، وعبورها إلى الدلتا ... لقد كانت مهمتنا يومها شاقة ... وكان المفروض ألا يبقى منا واحد حى ... لقد كانت مهمتنا انتحارية تماما .. إنى أذكر اللحظات التى بدأ فيها الهجوم الإسرائيلى ... كانت قواتنا صغيرة

وكان هدف العدو، هو أن يلحق بقواتنا قبل عبور القناة ... ووصلت لنا مقدمة العدو فى الساعة الرابعة صباحا .. وكانت تسبقها الدبابات .. وكان طيران العدو يركز ضربه علينا

وفى اللحظات الأولى للمعركة ،أطلق المقاتل ربيع ،أول طلقة من مدفع مضاد للدبابات .. ورأينا أول دبابة للعدو تشتعل .. وارتفعت روحنا المعنوية .. إننا قادرون على النصر ... ورأينا الدبابة الثانية ، والثالثة ، والرابعة يصدر منها الدخان كثيف ... إن طاقمها يحاول الهرب ، والخروج منها ... ولكن الدبابة انفجرت ومزقت من فيها ... وهذا هو أحد المقاتلين العرب ... إن بينه وبين دبابة العدو مسافة قصيرة .. إن المسافة بينهما لاتزيد عن ٣٠ مترا..إنه مختلف هناك إن الدبابة لاتستطيع أن تراه ... وأنا لا أراه ولكنى أعرف مكانه ، إنه لم يطلق قنبلته المضادة للدبابات حتى الآن ... لعله مات خلال الظلام كان ضوء النهار قد بدأ يظهر ... ياإلهى .. إنه لايزال حيا ، وأعصابه قوية ... لقد انطلقت قنبلته الآن وأصابت الدبابة ، ولم تطل فرحتى ... لقد اكتشفت دبابة أخرى مكانه وأطلقت عليه قنبلة من مدفعها ... وسادت لحظة سكون ... وأردت أن أقطع السكون ، فقلت للحارس : . «كيف انتهت معركة الريسة ؟» قال لى تمسكنا بمواقعنا ... واستشهد عليها أبطال عظام ... ولكن لم ننسحب، إلا بعد أن نظر ربيع الى ساعته..وتأكد من أن مهمته قد انتهت ، وأن القوات شقت طريقها الى الأمان .. وأذكر أنه لم يصدر أمر الانسحاب، إلا بعد أن سأل أكثر من واحد منا ... كم الساعة الان ... ليتأكد من أنه حقق المهمة ... ويومها انسحبنا معاً، جميعا عبر الصحراء ..

نوع من الرجال

ومرت الأيام .. ومرة ثانية قاتلت بجوار ربيع ... إنه نوع خاص من الرجال تدريبه قاس غاية القسوة .. ولكن، حينما نحضر معه الحروب ... فإننا جميعاً نذكر أن هذا التدريب القاسى ، هو أجمل هدية قدمها لنا جميعا ... إن أحداً لا يستطيع

ان يعرفه، إلا إذا قاتل إلى جواره ... وفى اليمن ... فى الأيام الأولى، كانت الحرب ساخنة ... وقواتنا صغيرة ... والواجبات المطلوبة منها كثيرة ... وأخذنا ذات يوم مهمة دورية قتال ... بغرض اختراق خطوط دفاع العدو بعمق كبير ... وكان هدفنا، هو تحديد أنواع الأسلحة التى يستخدمها، وأماكنها، وعـــدد قواته ... والأماكن التى تتركز فيها هذه القوات ... وقمنا بعملياتنا خير قيام ... ولكن ظهر ان خطوط العدو ممتدة أكثر مما كنا نتصورها ... وان العدو اكتشف ــ ولكن بعد فوات الأوان ــ ان قواتنا ،مرت داخل خطوطه ... وكان واضحا انه نصب أكثر من كمين لنا ... فى طريق العودة ...

واتخذ ربيع قراره ... القيام بعملية التفاف بعيدة المدى ... حول جميع قوات العدو، ثم العودة إلى القاعدة التى خرجنا منها ... وكان القرار خطيرا... ليس عندنا الماء الكافى لاتمام هذا الطريق ... وكنا نتحرك خلال النهار ... وأيضا كنا قد استهلكنا جزءا لا بأس به من ذخيرتنا، خلال العمليات التى خضناها مع العدو ... وكان كل همنا، ان نقابل احدى الآبار فى طريق العودة... وجاء الوقت الذى انتهى فيه الماء الذى كان معنا تماما.

لم يبق لدنيا قطرة ماء واحدة ...

ونحن نشق طريقنا فى وسط الجبال وليس معنا خرائط ... فلم يكن ساعتها ثمة خرائط لليمن، تحدد عليها مواقع آبار الماء...

وجاء الليل ... وبدأ ربيع يتصرف ... لقد أخذ المهمة على عاتقه ... البحث عن الماء ... وكانت فكرته ان يذهب وحده، ليحاول البحث ،حتى إذا وجد الماء يتأكد من أنه لايوجد عدو حوله ... لأن قواتنـــا تكون صيدا سمينا اذا تمت مهاجمتها حول البئر ... وخلال الظلام بدأت العملية الشاقة، وبدأ ربيع يحاول ... وكان الله معه ... لم يمر وقت طويل ... حتى وجد البئر ... ولكن اين الماء ... انه لا يستطيع ان يرى خلال الظلام ... هل فى البئر ماء، أم هى فارغة. وحل ربيع رباطى الحذاء، وشبكهما ببعضهما ... وبالطبع لم يصلا إلى الماء ... ثم أضاف

اليهما حزام الوسط ... ثم «جاكتة الأوفرول ... ثم القميص الداخلى » ثم حزام البندقية ... واخيرا ... ظهر ان «الزمزية » لمست الماء ... فلأها ثم اخرجها ... وعاد لنا ... ومعه أول قطرة ماء... ثم اصدر تعليماته ، أن يتوجه أحد الأفراد معه إلى البئر ... وحينما يعود ومعه عدد من الزمزميات يتقدم الآخر وهكذا .

كل هذا وهو وحده ، بجوار البئر يملأ الماء للجميع ... ثم عاد ... وفى اللحظة التى عاد فيها ... اكتشفنا جميعا بعد نظره ... لقد بدأت رءوس العدو تظهر فوق قمم الجبال ، لكننا عدنا جميعاً كما ذهبنا ... لم ينقص منا فرد واحد ، ونظرت إلى ساعتى ... لازال هناك بعض الوقت ، حتى يظهر الفجر ... ان الدنيا أكثر من باردة وكانت هناك خيمة صغيرة ،مفرودة على الأرض ... انها من الصغر بحيث لا يمكن أن يدخل فيها إلا فرد واحد...وبدون استئذان من الزميل الذى لاأعرفه اندسست بجواره فى الخيمة التى لا يمكن دخولها إلا زحفا ... وطبعا كان دخولى كافيا لإيقاظه ولكن يبدو أن هذا الوقت ... كان الوقت المناسب لايقاظه ،لأن نوبة حراسته قد بدأت ... على أننى لم استمتع بالنوم وقتا طويلا .

ان كل هذه القوات ستتحرك ... إلى أعجب معركة ... معركة الجبل الأسود أو المعركة التى دارت فوق السحاب ... وقبل ان أبدأ الحديث عن المعركة ، اريد أن اقدم الجبل الأسود ...أنه من أكثر جبال اليمن ارتفاعاً ... إذ يبلغ ارتفاعه حوالى الفى متر فوق سطح البحر وصعوده ، مجرد الصعود ... يلزمه حوالى ثمانى ساعات بدون قتال ... وهو عبارة عن احجار كبيرة جدا ، وضخمة مثل احجار الهرم الأكبر ، وكان العدو يومها يسيطر على هذا الجبل ، ويقدر تماما مدى أهميته الحيوية ... لذلك بذل جهدا كبيرا فى حمل المدافع الصاروخية إلى قمته ، حتى يستطيع السيطرة على المنطقة كلها ،وكانت هناك أيضا مدافع رشاشة ، نصف بوصة فوق قمة الجبل وعلى طول الطريق حتى القمة..وفى هذا الجبل مغارات كثيرة،يستخدمها العدو كمخازن للذخيرة ... وله ثلاث قمم ... فالعملية بهذا الوضع ، عملية قاسية ... لأن المقاتل أى ، مقاتل يجب أن يصعد كل هذا الجبل الضخم على أقدامه عبر هذه الصخور ...

ثم بعد هذا الطريق الطويل المحفوف بالخطر ... عليه أن يواجه العدو المستريح فوق القمة ... المهم أن القوات بدأت بالفعل حركتها على إثر اشارة لاسلكية لها ببدء التقدم ،

وكان واضحا ساعتها من النظرة الأولى للسحاب، أن أية معاونة جوية مستحيلة ، لأن الطيران لن يعمل فى هذا الجو ... والسحب تغطى سطح الأرض ،ومعها الجبال أيضاً ... إن جبالا كثيرة مختفية تحت السحب ... لقد كان السحاب يومها منخفضا وبدأ قائد العملية يفكر ... هل يؤجل العملية الهجومية كلها ... وينتظر زوال السحاب ... أو يقوم بعمليته كلها فى وسط السحاب ... واتخذ قراره الغريب ... العملية كلها ستتم وسط السحاب ... إن الجبل كله يختفى خلف السحب ، ولايظهر إلا جزء صغير من قاعدته ، وقامت السحب بعمل مظلة كبيرة فوق القوات ، فلا العدو قادر على رؤيتها ، ولا القوات أيضا ، قادرة على رؤية العدو ... وبدأ أول مقاتل يضع قدمه على سفح الجبل الكبير ... وتلاه مقاتلون آخرون... وكانت الخطة ساعتها أن تقسم القوة إلى ثلاث مجموعات ... مجموعة يكون هدفها قمة الجبل الوسطى ومجموعة فى اليمين ، وهدفها القمة اليمنى ،ومجموعة فى اليسار ، وهدفها القمة اليسرى ، وتقدمت المجموعات معا ... وكلما تقدم المقاتلون خطوة ... كلما نقصت القدرة على الرؤية ... وكان هذا هو الوقت المحدد ، حتى تتجه كل قوة وحدها إلى غرضها ... لتحققه، فانفصلت المجموعات ، كل على حدةوكانت كلمة السر ساعتها ... مع السلامة ... وهى تعنى أن يتوزع الجميع ... وبدأت الرؤية تقل ...رويدا... رويدا ...إن الدنيا بيضاء ، ولكن المقاتلين لا يستطيعون الرؤية إلا لمسافة قصيرة جدا ... ٣ أمتار فقط ، والمفروض أن الدنيا نهار ... ثم مرة أخرى ، شعر الجميع أنهم فى بحر من السحاب ... وأن مدى الرؤيه لا يزيد عن متر... إن بعض المقاتلين لايستطيعون رؤية المقاتلين المجاورين لهم . . وبدأت أفكار كثيرة تدق رأس قائد المجموعة بعنف ... قد تفقد مجموعة كاملة اتجاهها ... لأنها لاترى الغرض ... وقد يحدث شئ آخـــر أكثر خطورة ... قد تقع مجموعة كاملة فريسة فى يد العدو ... وأشياء كثيرة كانت مثل المطرقة فى رأس قائد القوة المهاجمة ... وبدأ أول أمر يصدر لمواجهة السحاب

وهو أن يسبق المقاتل أنور المجموعة الوسطى ، ويبلغ عن أول مقاومة تقابله، ويحاول أن يرى أى شىء... قبل وصول المجموعة إليه ... وظهرت حكمة القرار بعد لحظة حينما شقت السكون صرخة « إثبت محلك وارم سلاحك » ، كان هذا صوت المقاتل أنور ... ولم يكن قد ابتعد أكثر من ثلاث خطوات عن المجموعة كلها ... وظهر أشباح ثلاثة من جنود العدو ، يرفعون أيديهم فى الهواء ، وأسلحتهم ملقاة على الأرض ... وقد هزتهم المفاجأة غير المتوقعة ... إنهم يقفون على باب مغارة ، وكانوا يغطون باب المغارة بشجرة كبيرة خضراء ، قطعت من مكان قريب ، وكان هذا أول نصر فعلى فى المعركة مع السحاب ... لقد أمكن معرفة أماكن مدافع العدو الصاروخية على وجه التحديد فوق الجبل من اعترافات الأسرى ... واستمرت القوات إلى هدفها المحاط بغلالة من المجهول ...

ولم تكن الرحلة سهلة ... فقد ظهر أن هناك قطعا عموديا فى الجبل، وان يستطيع أى مقاتل أن يتسلقه ، إلا بعد مجهود طويل ، وإضاعة وقت حيوى ... وظهرت فكرة بديعة، حينما فاجأ المقاتل صلاح حماد الجميع وهو يقول: « نطة الإنجليز » وأحنى ظهره ليمر عليه إخوانه نحو القمة ... وعبرت المجموعة كلها ،فوق ظهر صلاح ... إن الوقت حيوى، ويجب التقدم بسرعة ... ولا أحد يعلم موقف باقى المجموعات ، وهى تتجه إلى أغراضها ... هناك المجموعة التى يقودها المقاتل جمال فى اليمين ، ومجموعة فطين فى اليسار ... اللهمعهم ... ومر زمن طويل من صخرة ... إلى صخرة،والجبل يزداد شموخا ، وصعوبة...ولا أحد يعرف على وجهالتحديد، المسافة التى قطعت من الجبلالضخم... وأيضا، لا أحد يعرف المسافة الباقية إلى القمة ... الشيء الوحيد الذى كان له قيمة ساعتها ... هو عزيمة الرجال الذين صمموا على الوصول إلى قمة لايرونها ، خلال معركة قاسية ضارية العنف مع الطبيعة ، ومع السحاب ... والصخور والكهوف ، والخطر المتوقع ، فى كل خطوة ... وبدأت الرؤية

تتكشف ... ولم يمر وقت طويل ... حتى كانت المجمـــوعة الوسطى ، قد عبرت طبقه السحاب كلها ، فى طريقها نحو القمة، وبرزت القمم الثلاث، بين السحب كأنها جزر فى بحر من السحاب ... ان أحدا لايرى الأرض، ولايرى مايجرى عليها ولكن القمم واضحة.. ولكن فجأة،والسكون يخيم على كل شىء،زلت قدم المقاتل ابو الفضل، فوقع حجر كبير.. تردد صدى صوته بين الجبال.. وانطلقت الطلقه الأولى من مدفع العدو الصاروخى،القابع فوق القمة ،ومرت طلقة المدفع الصاروخى فوق رءوس المقاتلين بمتر واحد،.ولكنها لم تصب أحدا.. لقد أصبحت المعركة حامية..وكل ثانية تمر لها ثمن.. وثمنها غال ... ولكن هذه الثوانى الثمية لم تمر ... فقد قطعها صوت مقاتل .. اقتحم اقتحم ... وألقيت أول قنبلة يدوية على «دشمة» المدفع الصاروخى... سقط على أثرها أحد أفراد العدو من القمة العالية، فى اتجاه السفح ... وتعطل المدفع الصاروخى... وبدأ تبادل النيران السريعة من الجانبين ... وفى هذه اللحظة ... ظهران القمم الأخرى تهاجم فى نفس الوقت وسمع صوت اطلاق الرصاص على القمة اليمنى ... ان جمال يعمل الآن ... ولم تمر ثوان، حتى انطلقت رصاصات مدوية من مجموعة فطين .. إن القمم كلها ملتهبة ... وظهرت اعمدة الدخان فوق القمة اليسرى ، انها قاذفات اللهب تظهر كهوف العدو ... وفوق السحاب ، وحول قمم الجبال ، دارت معركه من أشد المعارك ضراوة وقسوة ... إنها المرة الأولى التى يقاتل فيها رجال القوات البرية فوق السحاب... وكان المنظر ساعتها يحتاج إلى شاعر ليصف المعركه، وبدأ صوت الرصاص يهبط .. رويدا ... رويدا ... ثم فرض السكون وجوده مرة أخرى، حينما سمع من أجهزة اللاسلكى من يقول: «دهب واحد تمام»..وكان هذا هو الاسم المتفق عليه للقمة اليمنى «دهب اتنين تمام».. ولكن المعركه لم تنته ..لا زالت هناك مطاردة العدو ،الذى يحاول الفرار..وفى عملية المطاردة. حدثت مفاجأة..كان هناك حمار..ولا اعرف كيف تستطيع الحمير صعود هذه الجبال .وبدأ أحد المقاتلين يحاول الإمساك بالحمار..حتى يستعين به فى توصيل الذخيرة ،الى قمة الجبل..وجرى الحمار ، وخلفه جرى المقاتل، يحاول ان

يمسك به، وفجأة توقف الحمار أمام أحد الكهوف... وكانت المفاجأة غير المنتظرة... إن الكهف عبارة عن مخزن للذخيرة والأسلحة ... ان فيه ثلاثة مدافع صاروخية ... لا زالت فى الصناديق . ولم يسعف العدو الوقت حتى يقوم بتركيبها ... وبجوار الصناديق، كانت كراسات التدريب مكدسة ... وصناديق أخرى فيها آلاف الريالات وكل خمسة ريالات فى لفة واحدة ، وصناديق ذخيرة للمدافع الصاروخيه والبنادق وهاونات بكميات كبيرة ... ونار لا زالت مشتعلة تحت براد شاى ... وعلى جميع الوجوه ابتسامة كبيرة... وعلى ألسنة المقاتلين ، جمله واحدة ... لقد قمنا بأول معركة بريه فوق السحاب ...



عز الدين ناصر

بطـل من أبطال الامة ...

عز الدين ناصر ... اسم سيظل يتردد على كل لسان ... قلعة من القلاع الشامخة التى لا بد أن يمر أمامها ، كل من يتعرض للبطولات فى حرب اليمن ...

ان بطولة عز الدين ناصر ... ليست بطولة واحدة ... ولكنها قصة بطولات متعددة ... بدأت منذ زمن بعيد ... وقد بدأت معرفتى به ، على أرض البطولات والأمجاد ..

* * *

كنت أجلس فى غرفة العمليات فى المطار الحربى ... والطيارون يملأون الغرفة الصغيرة ... بالضحكات ... وكلما بدأ اتصال لاسلكى مع طائرة فى السماء ... كان السكون يشمل كل الغرفة ... قد تطلب طائرات أخرى ... ونفس الشىء ، حينما يتم اتصال من القوات الأرضية، مع غرفة العمليات ... فهناك احتمال، انتطلب المعونة الجوية ... وهم جميعا يتقاطرون ، ليسجلوا أسماءهم أمام المهمة المطلوبة ... وكثيرا ماتحدث مشاجرات ضيقة... أحدهم يقول: انى لم اخرج اليوم إلا طلعتين ... والثانى يقول : ولكننى طرت فوق هذه المنطقة عدة مرات ، إننى أحفظها ، واحفظ جبالها بالشبر ... وقد يتدخل ثالث يقول ... لا أنت ولا هو ... أنا أخرج هذه الطلعة لأنى قادم الآن من الإجازة، ويضحك الجميع... وبالطبع فإن رئيس غرفة العمليات الجوية يضع الاسم الذى يراه مناسبا ... وتتحول المشاجرة إلى مساعدات، وإرشادات

فبعد أن يتسلم الطيار تفاصيل المهمة التى كلف بها، يتجمع حوله الطيارون الذين كانوا يريدون أن يطيروا نفس المهمة منذ لحظات ... وكل منهم يريد أن يعطيه فى دقائق، وهو فى طريقه إلى الطائرة، كل المعلومات والإرشادات، التى يعرفها عن مكان العدو... وطريقة خداعه ... والتصرف معه... وفى نفس الوقت قد تصدر ارشادات تفصيلية صغيرة مثلا : لا تنس ... اتصل بنا باستمرار... إذا كان العدو كثيرا اطلبنا نصعد اليك فورا ... لا تنخفض بطائرتك فوق منطقة كذا ... إلى آخر هذه المعلومات ، وفى اللحظة التى تتخذ الطائرة ، طريقها عبر الممر إلى الهواء ... تتجه أيد كثيرة إلى السماء وابهاماتها مرفوعة ... تحية من الطيارين جميعاً للرجل الخارج فى مهمة .

الطيار الذى يرفع يده عند كل طلعة ، سواء أكان على ظهر الطائرة أم فى برج المراقبة ... الطيار المخلص دائما ... الذى إذا تكلم استمع اليه الجميع ... الذى اكتسب خبرة حروب الجبال... الذى يعمل فى صمت... ويحبه الجميع... عزالدين ناصر

إن لوصول عز الدين ناصر إلى اليمن قصة ... لقد كانت المهمة التى كلف بها من القاهرة ، هى الذهاب إلى صنعاء، ومعه طائرة محملة ثم العودة... وبمجرد ان وصل إلى صنعاء، طلب من على منصور قائد القوة الجوية فى اليمن، ألا يعود إلى القاهرة ...قال انه يريد ان يستمر مع القوات المقاتلة ... فكان له ما أراد ... وصدقت القوات الجوية على طلبه ... ويومها لم يكن قد أخذ معه من القاهرة ،إلا ثوباواحداً للنوم ، وكان هو كل ملابس عز الدين ناصر.

لقد رأيته فى الأيام الأولى من حرب اليمن ... حينما وصلت باكورة القوات الجوية ... رأيته ينزل من طائرة ، ليستقل طائرة اخرى... إلى ان يتم تموين الطائرة الأولى بالوقود ... رأيته دائما يتحدى الصعاب ، ويحاول ان يضع اسمه أمام المهمة الصعبة .. دائما كان يحاول أن يطير الطلعة الأولى ... ثم يتبعه الجميع ... لقد طرت معه عدة مرات، وأذكر انى كنت أطير معه ، يوم ان قامت ثورة العراق...فأبلغنى خبر الثورة بعد ان سمعه من راديو بغداد... ولم تكن المهمة يومها سهلة ... بل كانت من المهمات الصعبة التى تعرض لها البطل العظيم ... كانت المرة الأولى التى يتم فيها

ضرب وادي املح، الممتد من السعودية ... وكانت المعلومات المتوفرة، ان هناك مدافع مضادة للطائرات، وان القوات النظامية السعودية خلف هذه المدافع ... بل وأكثر من هذا ، ان المدافع مخفاة جيدا فى الوديان الضيقة ... التى تسترها الجبال وقررت ساعتها أن أطير معه ، وقد صمم على أن يزودنى بالمظلة الواقية ... قال لى إذا حدث شيء للطائرة، اقفز فوراً من الباب، ولا أستطيع ان أنسى انفجار قنابل المدافع حول طائرتنا، وصمم عز على ان يسكت هذه المدافع ... وكان يلف ويدور ليضرب

وكلما أسقط بعض القنابل كان يشير إلى ويقول ، أنظر لقد دمر (الغرض) ، وكان دائما يتأكد من تدمير الهدف. ويومها كنت فى آخر الطائرة، أحاول أن التقط صورة ، وجاءنى الميكانيكى ... فشعرت ساعتها، أنه سيقول لى إقفز ... لكن الميكانيكى قال لى : إن عز يطلبنى، فذهبت إليه فإذا به يقول لى باسما (ثورة فى العراق) ... ورأيته لحظتها وكأنه يجلس فى منزله ... وكأن هذه القنابل لاتنفجر حولنا ... إن بعض القنابل كان قريبا لدرجة أنى أحسست بأنها ستحطم الطائرة... فقلت له ألاترى ماحولك ؟ فقال (العمر بيد الله) وأتم مهمته ... وفى الطريق جلست بجـــواره فقال لى : إن الشيء الذى لاتعرفه ... هو أن بعض طلقات المدافع اخترقت الطائرة فعلا ... ولكن شيئا لم يحدث ... لم تصطدم بأجزاء هامة (قلت له) وكيف علمت؟ إننى لم أسمع شيئا غير عادى ، والطائرة لم تهتز !! قال (إنها خبرة الطيار) ، ونزلنا إلى المطار، وهناك أخذنى من يدى، وأخذ يبحث عن أماكن الطلقات فى جسم الطائرة وأشار إلى بعض الثقوب ، ثم قال: (هذه طلقة جديدة) ،وقلت له: (وكتبت لى حياة جديدة) وأغرق فى الضحك ... وسمع نقاشنا أحد الطيارين، الذين كانوا قد حضروا ليستقبلونا : الحمد لله على السلامة ... قال لى أحدهم : (إنك لاتعرف عز الدين ناصر) (قلت له لماذا)؟ قال : ماحدث لايعد شيئا لما سبق أن حدث له ، ولم أكن ساعتها أتصور أنى سأكتب يوما ... ماسمعته ... قال لى الزميل الطيار ...

فى إحدى الطلعات أصابت محرك طائرة عز الدين ناصر ، طلقة مباشرة أسكتت المحرك إلى الأبد ... وكان الموقف صعبا ... فالجو سيء ، والرؤية متعذرة...واتصل

عز برج المراقبة ،وأبلغه ماحدث ، وكان رد البرج عليه (حافظ على سلامتك أولا) (وسلامة الطائرة ثانيا) ، وحينما ظهرت الطائرة فوق المطار ،كان جميع العاملين فى المطار يقفون حول الممر، ليستقبلوا عز الدين ناصر...وأكثر من هذا ،لقد حدثت له حادثة مثيرة غاية الإثارة ... كان يطير فوق منطقة الحدود ، المجاورة لبيحان شرق مأرب ، وكان ذلك قبل وصول قواتنا إلى مأرب ... وهناك وجهت إليه طلقات المدفعية المضادة للطائرات ،فاخترقت إحدى هذه الطلقات . خزان البنزين... وبدأ هو ينظر إلى عداد البنزين الذى يحدد كمية البنزين الموجودة بالخزان ... فرآه يهبط بأرقام خيالية ... إن قراءة العداد تهبط بمعدل ٢٠٠ جالون فى ثوان ، وتأكد أنه لابد أن شيئا ما قد حدث للخزان ، وألقى نظرة إلى الخزان فوجد البنزين يسيل بغزارة ...

لم تكن الخطورة فى إنتهاء البنزين ... بل كانت فى احتمال احتراقه...الأمر الذى لايستغرق أكثر من ثوان ، لتنفجر بعدها الطائرة كلها... وبأعصاب من الفولاذ ظل عز الدين ناصر خلف عجلة القيادة ... وصمم على استخدام الخـــزان الثانى ، وليكن مايكون ، وقال لمساعده (سأظل فى الطائرة هل تريد أن تقفز منها) فتمسك المساعد بقائده ، وقال له : (لن أتركها طالما أنت فيها) فقال له عز ... إن الله معنا ... وإنى أشعر أن البنزين لن يحترق ... وكان الله معهما ،ولم يحترق البنزين ... ولكن المشكلة الثانية ،وهى كمية البنزين الموجودة فى الخزان،إنها لاتسمح بالعودة هذه المسافة الطويلة إلى صنعاء ... وأخذ عز يحسب كمية البنزين إلى صنعاء ... المسافة تستهلك أكثر من الكمية الباقية ، وقال عز (قد يساعدنا الهواء أثناء الطريق ، وبعد مدة نحسب المسافة التى قطعناها ، والكمية الباقية ... فإذا لم تكف نحاول الهبوط فى أى مكان ، والهبوط فى الجبال فى حد ذاته ليس عملية سهلة...ومرة ثانية ،كان الله معهما، فساعد الهواء على دفع الطائرة ... ونزل عز الدين ناصر على الممر ... والإشارات الحمراء على جناحى الطائرة ، تدق أجراس الخطر،لقد انتهى الوقود... وحينما ذهب الزملاء له ،وجدوا أن خزانات البنزين،ليس فيها قطرة واحدة ...وساعتها ،نظر عز لمساعده وربت على كتفه وقال له : أعصابك كانت عظيمة ... سأتركك تغلبنى الليلة فى (الطاولة) ، وذهب إلى غرفة العمليات ليقدم تقريرا عن عملياته ... ثم لينطلق مرة

أخرى، وإلى نفس المنطقة... وفى مرة أخرى ... وكنت فى المطار لحظتها ،ورأيت بنفسى كل الذى حدث ... كانت الشمس قد اختفت خلف الأفق ، مفسحة الطريق للظلام ، وكانت العمليات يومها حامية ... والعدو يحاول الاختفاء بالنهار ... حتى لاتصطاده الطائرات ، ويظهر ليلا ، ولم تكن طائراتنا فى ذلك الحين ، تطير ليلا ... لأن الجبال حول المطار، لم تكن عليها أنوار تعلن عن ارتفاعها ، ومآذن صنعاء لم يكن عليها أنوار أيضا ... أشياء كثيرة تلزم الطيران الليلى، لم تكن موجودة ... هذه الأشياء ، يعلمها الطيارون جميعا ... وبدونها تعتبر عملية الطيران الليلى عملية مستحيلة ... ومغامرة غير مضمونة العاقبة ... وكان العدو قد حشد حشودا هائلة والقوات الأرضية تطلب المعونة الجوية ...

أول طيار فى سماء اليمن بالليل

وفى المطار ... وفى ظلام الليل ... شرح القائد للطيارين نوع العمليه المطلوبة وتكلم عن الخطورة التى سيواجهها الطيار الذى يتطوع لهذه المهمه ... ثم قال من يريد أن يتطوع لهذه العمليه وفى وقت واحد، ارتفعت يدعز وإحسان، وارتفعت أيد كثيرة أخرى، تريد الصعود إلى العملية الصعبة... فقدقرروا جميعا انيخوضوا المعركة، وأن يضربوا قوات العدو... وهى متجمعة، وبذلك يلقنونه درسا قاسيا ... وفى نفس الوقت يتم كسب كبير بمفاجأة العدو بالطيران الليلى ... وجلس عز الدين ناصر على مقعدطائرته،ليعلن انه أول طيار يطيرفى سماء اليمن، أثناء الليل...وبينما كانت عجلات الطائرة تجرى فوق الممر ،كان العشرات من الرجال ، يضعون أيديهم على قلوبهم ويتمتمون:احمه يارب،وطارت الطائرة، وارتفعت فى السماء ،حتى لم يبق منها الا بقع النور التى تحدد أجنحتها ... ثم ما لبثت هى ايضا أن اختفت ... لقد اطفأها عز ومرت اللحظات طويلة قاسية، وجرى الجميع إلى جهاز اللاسلكى وظلوا على اتصال بعز الدين ناصر، وهو فى السماء ... كل لحظه ... يكلمونه ... ويريدون الاطمئنان عليه ... وعاد عز الدين ناصر ... وضاع صوتى بين عشرات الأصوات ...(الحمد لله على السلامه)وفى احد اركان المطار قلت له. (احك لى ماذا حدث فى مغامرتك) قال: (لم أعمل اكثر من الواجب)ورفض أن يتكلم كلمة واحدة عن نفسه ... ولكنى حينما

ذهبت إلى جهاز اللاسلكى ، وجدت برقيه من قائد القوات البرية... لقد كان الضرب مؤثرا وأكثر من رائع ... تحياتنا للطيران ...

ترقيه .. عز الدين

ولم يمر وقت طويل ... فى نفس الليلة، اصدر المشير عبد الحكيم عامر قراره بترقية عز الدين ناصر ترقية استثنائية، الى رتبة العقيد... وبذلك كان اصغر ضابط بالقوات المسلحة، يضع على كتفه رتبة العقيد... وجاءت القبلات من كل مكان تهنىء البطل الجديد ...

٣٠٠ غارة ناجحة

إن بطولات عز الدين ناصر، أكثر من أن تحصى ... فقد قام بأكثر من ٣٠٠ غارة ناجحة أثناء عمليات اليمن ... وأذكر مرة، لما تجمع المتسللون فى أحد الكهوف يحتمون بصخور الجبال من الطائرات ... ولم يكن ظاهرا من الكهف إلا بابه قرر عز الدين ناصر، أن يوجه قنبلته إلى باب الكهف مباشرة ... إذ المطلوب فى هذه الحالة، أن ينخفض بطائرته انخفاضا كبيرا، يسمح له بالتأكد من توجيه القنبلة توجيها دقيقا ... وخطورة الانخفاض هى : أولا فى احتمال أن يرتطم بطائرته بالجبل واحتمال آخر...هو: أن هذا الانخفاض الهائل ... يسمح لأسلحة العدو باصطياده ، لكنه لم يتردد ... قام عز بعمله بسرعة ، وضرب الكهف ... وانفجر الكهف بمن فيه ... وتم القضاء فى هذه العملية على أكثر من ٢٠٠ من قوات العدو ... وحينما عادت طائراتنا مرة ثانية... لترى ماحدث ... وجدت أن سقف الكهف قد انصهر ، كان كل هذا أثناء العمليات الحربية الساخنة. وانتهت العمليات الجوية، أو كادت.. وعدد الطلعات التى كانوا يطيرونها أصبحت أقل ... والمجهود الجوى الخاص بالعمليات الفعلية انتهى ... وتحول مجهود الطيران، إلى الاستكشاف والإمداد الجوى ... لأنه فى بعض الأماكن ونظرا لبعد المسافة، ووعورة الطرق، يكون إرسال الطعام وجميع الاحتياجات بالجو أكثر سهولة من استخدام النقل البرى ...

وخرج عز فى إحدى هذه الطلعات ... الطلعة بسيطة فى حد ذاتها ... مجرد إمداد ، والنار التى كانت تشتعل فى بعض المناطق على أرض اليمن قد انتهت ...

ولكن القدر،كان قد وضع نهاية أخرى لقصة البطل ... الذى بدأت بطولاته وهو طالب فى كلية الطيران، حينما رقى ترقية استثنائية...

كان كل شيء يسير فى الطريق المفروض له أن يسير فيه ... ودارت الطائره عدة دورات، فوق منطقة الإسقاط... وفتح الجنود باب الطائرة وبدأت(العبوات)تقذف من الباب واحدة تلو اخرى ... وبعد ان تنطلق العبوة فى الهواء ... تفتح المظله لتحملها فى سلام ، إلى الأرض ... وعلى أرض الإسقاط كان الجنود يجرون خلف العبوة إلى منطقة سقوطها ... ليجمعوا الإمدادات القادمه عبر الجسر الجوى ... وانتهت عملية الإسقاط كلها ... ونزلت جميع الامدادت سليمة إلى الأرض ... ان العبوات جميعها نزلت فى منطقة واحدة ... وقريبه من بعضها... عبوة واحدة ... لم تسقط خارج منطقة الإسقاط،لقدكان يحاول بقدر امكانه الا تكون العبوات بعيدة عن بعضها ... حتى لايتعب الجنـــود على الأرض فى جمعهـــا ... وفى حملها من نقط متباعدة ... واعطى تعليماته باغلاق باب الطائرة ... وللمرة الأخيرة ... دار حول منطقة الإسقاط لتحية رجال القوات الأرضيه الذين رفعوا أيديهم يحيون الطيار الذى أتى فى موعده ... وأسقط عبواته جميعاً فى منطقة صغيرة من أرض الإسقاط ... وبدأ الجنود على الأرض ينشغلون فى فتح العبوات لاستكشاف محتوياتها ... هذه سجاير ... هذه علب الطعام المحفوظ،وكان هناك جندى على الأرض لم يهتم بما اهتم به رفاقه، وكان يتابع بنظره الطائرة، وهى تغيب وفجأة حدث ماجعل الجندى ينظر إلى السماء مشدوها ... شى ما ، يحدث للطائرة ...

وفى الوقت ذاته، كان الجالسون فى الطائرة، يواجهون واقعا خطيرا... انهم جميعا الآن على كف القدر ، فى صراع جديد مع الموت ... لقد اندلعت النار فى إحدى المحركات بشكل غير عادى ... نار غزيرة مخيفة... وراحت يد الطيار ويد مساعده النقيب محمد حسن، تعملان بسرعة عجيبة خاطفة ، فى محاولة يائسة لإطفاء النار ...

كل ثانية تمر تزيد من سعير النار ... وكل الجهود التى بذلت لإطفائها اختفت وفتح عز الدين ناصر باب غرفة الطيارين...وأصدر أوامره بأن يفتح باب الطائرة وبأن يلبس الجميع مظلات الهبوط ... وأن يبدأ أول فرد فى الهبوط ... عز الدين ناصر نفسه، كان يجلس على كرسيه والمظلة الواقية خلفه ... لم يفكر ... لاهو ... ولا محمد حسن فى الهبوط ...لابد أن يهبط جميع الركاب ، قبل طاقم الطائرة ، ولكن النار لاترحم ، لقد بدأت تأكل الجناح ... فى هذه اللحظة كان أول جندى استطاع أن يلبس مظلته ، وكان الوقت ضيقا ... فقال له أحد زملائه : خذنى معك ... ولنقفز معا ... واتفقا على أن يتعلق كل منهما بالآخر وينزلا بمظلة واحدة . . وكان وجه الخطورة ، هو اللحظة التى تفتح فيها المظلة ... إنها اللحظة الحاسمة ... لأن المظلة ستجعل سرعة الهابط بها تقل فجأة عندما تفتح ، وفى هذه اللحظة يقع الضغط كله على ذراعى الرجل المتعلق بالهابط ... وقفز الاثنان ، وجاءت اللحظة الحاسمة.وانفتحت المظلة فلم تستطع يدا الجندى الآخر ، تحمل الصدمة ، فانزلق إلى الأرض بدون مظلة وتوالت القفزات .. ونجا معظم الأفراد ، أما عز الدين ناصر ... فقد رفض أن يلبس المظلة ويقفز من الطائرة ، قبل أن يغادرها آخر فرد فيها ...

وشاركه محمد حسن نفس القرار ... ولكن النار لاتقدر البطولات ... وبدأت الطائرة تهتز . .كانت النار ، قد التهمت جناح الطائرة فانفصل ، وتطاير فى الهواء ، وامتدت النار إلى جسم الطائرة نفسها ... وماهى إلا لحظات حتى انفجرت وتطايرت ألسنة اللهب تتحدى الحياة ...

وسالت دموع كثيرة ... دموع الذين كتبت لهم الحياة ... دموع الذين عرفوا البطل الشهيد ، ودموع الذين سمعوا به

اسم سيظل يتردد على كل لسان ... عز الدين ناصر ... عاش بطلا ... ومات بطلا ...

وكانت مفاجأة مذهلة للعدو ذات صباح حينما فتح عينيه ليجد كلمات مكتوبة على الجبال فى خطوط العدو الخلفية .. ((الصاعقة البحرية مرت من هنا))

الأخطبوط فى مواجهة جبل القرن



كانت مفاجأة لى، حينما رأيت بعض المقاتلين يضعون على صدورهم شارة الأخطبوط وتحتها شارة المظلات وعلى اكتافهم شارة الصاعقة... إنهم رجال الصاعقة البحرية .. وكانت مفاجأة مذهلة للعدو ذات صباح حينما فتح عيونه ليجد كلمات مكتوبة على الجبال فى خطوط العدو الخلفية ... (الصاعقة البحرية مرت من هنا) .

☆ ☆ ☆

وعدت بذاكرتى ... إلى شعار الصاعقة... إن شعارهم يقول... صاعقة فى البر.. فى البحر . فى الجو ... تضحية ... فداء... المجد .

إذن هؤلاء هم صاعقة البحر ... أو مشاة الأسطول ...

قلت لهم: مكان الأخطبوط ، ليس هنا فى الجبال ... إنه هناك فى البحر... فوق المياه الزرق، قالوا لى: ... لا ... بل مكانه هنا فى البر ... وهناك فى البحر... وهناك فى الجو... إن الأخطبوط، قادر على العمل فى البر ... وأشار محدثى إلى كلمة الصاعقة التى يضعها على كتفه ... وقادر على العمل فى البحر .. وأشار إلى شارة الأخطبوط التى يضعها على صدره ... وقادر على العمل فى الجو ... وأشار إلى شعار المظلات الموجود تحت شارة الأخطبوط .

وهذه هى أقل الصفات اللازمة لكى يكون المقاتل ، صالحا للانضمام إلى صاعقة البحر ... والا فإننا نقول له: (عن إذنك) قلت لهم : هل منكم من له صفات أخرى

قالوا كثيرون ... والمثل أمامك ... المقاتل عالى نصر ... إنه طبيب الصاعقةالبحرية وهو طبيب حاصل على أعلى الشهادات فى الطب، وفى نفس الوقت من رجال المظلات واجتاز فرق الصاعقة بتدريباتها العنيفة ... ثم هو الآن يضع على صدره الأخطبوط شارة الصاعقة البحرية ... إنه مقاتل محترف ... وله بطولات عديدة فى القتال على أرض البطولات والأمجاد ...

ووجدت الحديث يقودنى إلى قصص البطولات... بطولات من نوع جديد... رجال تركوا البحر ... ليقاتلوا على قمم الجبال .

ولم تكن المعركة الأولى معركة عنيفة أو بسيطة ،ولكنها كانت معركة رهيبة . الأمر الذى يخالف الوضع المعتاد ... ففى العادة ، حينما تكون هناك وحدة جديدة تخوض أول معركة لها فى القتال الفعلى . فإنه يتم اختيار معركة بسيطة ومحددة لهذه الوحدة...حتى تحقق النصر... وهكذا دائما، تكون أول معركة للجندى،من المعارك البسيطة التى يكون النصر فيها مضمونا ... حتى تستمر روح الجنود عالية ... وحتى يعبروا اللحظات الأولى للقتال،بسهولة...إذ أن أكثر اللحظات إثارة للإنسان،هى اللحظات الأولى فى أول معركة ... الطلقة لها معنى ... وصوت الرصاص وهو يمر بجوار الأذن ، ليس صوتا عاديا ... لأنه قد يكون آخر صوت يسمعة الإنسان فى حياته ... ولكن بعد أن تمر المرحلة الخطرة ... فإن الناس يتعودون على الخطر ، فيصبح شيئا طبيعياولذيذا ... ويتعلم المقاتل ، أن الرصاصة التى يسمع صوتها وتمر بجوار أذنه ...رصاصة لا معنى لها ... رصاصة خطأ ... لأنها لم تصبه،ولم تصب أحدا ... ويكثر الرصاص ، الذى يمر من هنا ومن هناك ، ولا أحد يبالى به .

ومن هنا تظهر فلسفة المقاتلين ... إن لهم فلسفة عجيبة ،تقول: إن الطلقة مكتوب عليها اسم الذى ستصيبه ... وإذا كتبت لك الحياة ... فإن شيئا لن يصيبك ... وإذا كان الموت هو الشيء المقدر ... فإنه سيحدث،حتى لو كنت على بعد ١٠٠ ميل من الرصاص ... وعندهم مئات الأمثلة على هذه الفلسفة ... وهم يعلمون أن الاقتراب من الخطر،ليس معناه الاقتراب من الموت ... والعكس هو الصحيح، فى كثير من

الأحيان ... بل إن مواجهة الموت ذاته، شيء بسيط ومحبـــوب ... وإن الأفكار تستحق أن يموت الإنسان فى سبيلها ... حينما يصل المقاتلون إلى هذه المرحلة، يكونون قد عبروا بالفعل، أخطر وأهم مراحل تحويل الجندى العادى أو الإنسان العادى، إلى ما يمكن أن يطلق عليه بالمعنى الصحيح اسم مقاتل ...

وفى هذه المرحلة يمكن دفع المقاتل، إلى أخطر المعارك وأشدها هولا ... والمؤكد أنه لن يهتز ... وأنه سيكون أشد صلابة من صخور الجبال ... وأشد مراسا، وأكثر قدرة على الإحتمال من تصور أى إنسان ... بل إنه يكون طويل البال ، وقادراً على التفكير الهادئ ... كأنه يلعب فى مباراة شطرنج .

ولذلك فالمعتاد ، أن يدفع الجنود فى أولى معاركهم ... فى معارك بسيطة ، كى يكتسبوا هذه الصفات ، وهذا النظام موجود فى كل جيوش العالم الكبرى ، فهو ليس بدعة ، إنما هو نظام وضع بعد دراسه ... لكن هناك استثناء ، صاعقة الأسطول ، فحينما وقف قائد صاعقة الأسطول ، يتلقى الأوامر ، بأول مهمة على أرض البطولات والأمجاد ... قال إن هذه المهمة ليست على مستوى صاعقة البحر ... مشاة الأسطول ... إننى أعرف الحكمة ، من اختيار المهمة الأولى ، لتكون مهمة سهلة ... ولكن رجالى جميعا ، قد اجتازوا هذه المرحلة ... وهم بالفعل قد وصلوا إلى مرحلة الدخول فى العمليات العنيفة المباشرة ... ويمكننى أن أقوم بهذه المهمة ، على أساس ، أن أتقدم مباشرة للغرض الكبير ، ويمكننى أن أحقق هذه المهمة ، فى طريقى إلى الهدف الأكبر ... ولكنها ليست هدفا ... إن هدفى سيكون ... مرة واحدة ... جبل القرن .

القائد الكبير الذى كان يعطى الأوامر ... فكر قليلا ... ثم قال لقائد الصاعقة البحرية : لك ما تريد ... فأنا أعرف الكثير عن مشاة الأسطول ... ووقف ومد يده ... ليحيي قائد الصاعقة البحرية ... ويقول : لديك ٧٢ ساعة لتحقيق الغرض ... ويمكن طلب جميع النيران المعاونة ... فى الوقت الذى تراه مناسبا .

وخرج قائد الصاعقة البحرية ... من غرفة العمليات ليجتمع برجاله ... ويبحث

معهم خطة العمل المقبل ... ويوضح لهم الموقف العسكرى ... فى هذا الجزء من أرض العمليات .. وكان الموقف مثيرا غاية الإثارة .. فمجرد الصعود إلى قمة جبل القرن ... يلزمه سبع ساعات ،بدون قتال ، وقد حسب هذا الزمن ، على أساس أن المقاتل يجب ألا يحمل شيئا ، عدا أسلحة الدفاع الشخصى ، مثل البندقية ، ولكن الحرب ليست كذلك ، فالجنود يصعدون، ومعهم جميع أسلحتهم ... ولم تكن عملية الصعود ذاتها، هى العملية الشاقة ... ولكن الموقف الخطير ، نشأ منذ ٢٤ ساعة على الأقل ، إن هناك أكثر من ٣٠٠٠ شخص من العدو ،يهاجمون جبل القرن الآن .. وقد بدأ هجومهم منذ ٢٤ ساعة .

وجبل القرن كله ،لا يدافع عنه ،إلا وحدة صغيرة من الجيش اليمنى . لا يكاد يصل عدد أفرادها إلى ٣٠ فردا ... ومعهم طاقم ، مكون من ثلاثة أفراد من جنود الجمهورية العربية، يعملون خلف الهاون،الذى أعطى للوحدة اليمنية ، لتدعيم نيرانها وفى خلال هذا الزمن الطويل ،كان الجنود اليمنيون يقاتلون بعزم وإصرار ... إن خسائر العدو ضخمة ... ولكن العدو ، مصمم أيضا ، على احتلال جبل القرن ...

إن هذا الجبل ، يعطى العدو فيما لو نجح فى احتلاله ، الفرصة لكشف مواقع كثيرة لقواتنا ، نظرا لارتفاعه ... وقاتلت القوات اليمنية قتالا شرسا وشجاعا ... ولكن الأعداد الهائلة ، لقوات العدو ... كانت تزداد اقترابا من الموقع الرئيسى بعد كل ساعة تمر... وبدأت نيران العدو، تصبح ذات تأثير فعال،على القوات اليمنية وبدأ العدو يطلق نيران أسلحته الصاروخية ، على رأس جبل القرن ، حيث تتمركز معظم القوات الجمهورية ... التى كان يقودها الملازم اليمنى الشجاع عبد الله السعر ... واتخذ عبدالله السعر قراره ... إننا هنا ... وسنظل هنا ... سواء بقينا أحياء ... أو شهداء ... إننا نمثل فكرة وعقيدة ... وسنقاتل ... ولن ننسحب ، وإذا كانت الكثرة تغلب الشجاعة ، فإنها لا تغلب الإيمان .

وبدأعنف القتال يزداد. والعدو على بعد ٣٠٠ مترالآن،من قمة الجبل،ومع تراشق

الرصاص ،كان هناك تراشق بالـكلام ... سلموا ... سلموا ... وراح العـدو فى نفس الوقت ، يحاول الالتفاف من الخلف ، لتطويق قوات الجمهورية ، الصغيرة ...

كان هذا هو الموقف، فى اللحظة التى وقف فيها قائد الصاعقة البحرية ،مع رجاله، ليعطيهم أوامر العمليات ... ان الهدف ، هو منع العدو من احتلال قمة جبل القرن ... وإرغامه أولا على ترك الجبل .. ثم المرحلة الثانية .. ستصدر الأوامر بها عقب الوصول إلى قمة الجبل ...

وفى آخر سلسلة أوامر العمليات ... سأل المقاتل وجيه جوده ، قائد الصاعقة البحرية ... السؤال التقليدى ... « أى أسئلة ؟ » .

وكان هناك تعقيب من المقاتل ممدوح فريد ... وكان التعقيب ، أن هذه العملية تعنى أن كل مقاتل من قوات الصاعقة البحرية،سيكون أمامه ٦٠ فردا على الأقل من العدو ... وبالرغم من ذلك ، فأنا واثق من النصر .

ولـكن لى طلب واحد... هو ألا يطلق أحدمنكم طلقة واحدة ، إلا إذا كان واثقا من أنها ستصيب فردا من العدو ... لأن الخوف الهائل ... هو أن نصل إلى القمة وليس معنا ذخيرة كافية وبذلك نـكون صيدا سمينا للعدو ...وفى نفس الوقت لانـكون قادرين على إكمال المرحلة الثانية من العملية ... » وفجأة سمع زئير رجال الصاعقه «وحوش ... وحوش ... »

إنهم الآن فى الطريق إلى العملية المثيرة... قمة جبل القرن...الملازم اليمنى عبد الله السعر،لايزال يقاتل هناك قتالا مريرا... ولـكن العدو ازداد اقترابا...ولنترك الآن المقاتل وجيه يتحرك مع قواته...فى اتجاه قمة جبل القرن،سالكا الطريق الشاق الوعر عابرا الصخور الضخمة التى يبلغ وزن كل صخرة منها ٥ أطنان ... متسلقا النتوءات الهائلة فى الجبل المرتفع ...

لنتركه يتقدم ... ولنشاهد المعركة مع البطل اليمنى ... عبد الله السعر ... لقد استطاع العدو،أن يقيم قاعدة لنيرانه، على أحد المرتفعات،فى نفس الجبل وعلى جانبه الأيسر ... والعدو يحاول أن يركز نيرانه على القوات اليمنية...فى الوقت الذى لازال



هجومه مستمرا فيه ، من الواجهة ... العدو يزداد اقترابا ... وذخيرة عبد الله السعر ، على وشك أن تنتهى ... ولكن سبق أن أخذ قراره « إما أن ننتصر هنا أو أستشهد أنا ورجالى ... » لقد أصبح العدو على بعد خطوات... وبندقية عبدالله السعر فى كتفه ، وضغط على الزناد ... ولكن الطلقة لم تخرج ... ان البندقية فارغة لم يعد فيها طلقة واحدة ... الموقف صعب ... والرجل المؤمن، أمام اختيار عمره هل يستسلم ... هل يحاول الفرار ؟ ... إن الإيمان يهزم الكثرة ... والقى عبد الله بندقيته،وأمسك بخنجره فى يده ... وانطلق من خلف الحفرة،التى يجلس فيها ... إلى أول شخص وجده فى طريقه من العدو وكانت المفاجأة ... وفى ثوان ،كان خنجره قد شق طريقه فى قلب عدوه ... ولم تمر ثوان أيضاً ،حتى استقرت رصاصة فى رأس عبد الله ...

وفى اللحظة التى كان عبد الله يقاتل فيها بضراوة ... كان هناك قرار بطولى آخر قد تم اتخاذه ... إن صاحب القرار هذه المرة، هو المقاتل الذى يجلس خلف الهاون إنه عربى ... من مصر ... لقد ظل يطلق قنابله طوال المعركة ... وحصد من العدو كثيرين ... وكانت قنابله دقيقة غاية الدقة ... ولكن العدو أصبح قريبا وأصبح سلاحه غير قادر على العمل لأن الهاون لايستعمل إلا للمسافات البعيدة

وتذكر أنه أقسم اليمين على ألا يترك سلاحه من يده قط ... إنه قرار بطولى آخر ،وأخرج المقاتل العربى جميع قنابل الهاون ووضعها بجوار بعضها وفى اللحظة التى التف العدو فيها حوله ... وضع قنبلة يدوية فى وسط قنابل الهاون ... وفجرها ... وانفجرت القنابل جميعا ... وتحول الجميع إلى أشلاء هو أولهم ... والهاون الذى صمم على ألا يأخذه العدو سليما ... وجميع أفراد العدو الموجودين حوله ... لقد نجح فى منع العدو من استخدام الهاون ضد قواتنا ... ودفع حياته ثمنا لقسم أقسمه منذ سنوات ...

وسمع صوت الانفجار من بعيد ... وتلفت واحد من أبطال المشاه حوله ... « إن الانفجار فى جبل القرن ... هناك صديقى عبد الله السعر ...إنه يقاتل هناك... ولا بد أن أذهب اليه ... » كان هذا هو مافكر فيه المقاتل فاروق راتب ...

ولحظتها كانت معه قوة صغيرة،مكونة من عشرة أفراد ...واتصل فاروق بقيادته، بواسطة أحد أجهزة اللاسلكى...وتحت ضغط إلحاحه وافقت القيادة، على أن يذهب فاروق ورجاله على أساس أن ينضم إلى قوات الصاعقة البحرية ... وكان كل هم فاروق أن يلحق برجال الصاعقة البحرية ... ليشارك معهم فى الوصول إلى موقع ... صديق عمره ،عبد الله السعر ، ولم يكن ساعتها يدرى ،أن عبد الله السعر،قد انتهى منذ لحظات ...

وبدأ فاروق ورجاله ... فى صراع عنيف مع الزمن ... المهم أنهم وصلوا إلى مؤخرة الصاعقة البحرية ... وهناك انضم اليهم مقاتل عظيم...وهو طبيب الصاعقة البحرية عالى نصر ... وكانت وجهة نظر عالى ساعتها أنه من غير المعقول أن يظل هو فى قاعدة الجبل ... وحينما يصاب واحد من المقاتلين ... فانه يحمل اليه ... وعمليات الإخلاء إلى الخلف هذه،قد يلزمها عدة ساعات...قد تصل إلى ثمانى ساعات وهى مدة طويلة بالنسبة لمقاتل ينزف دمه بغزارة ... وكانت وجهة نظر عالى ،ان يتقدم ومعه معداته ... إلى الصفوف الأمامية للقتال ... حتى إذا أصيب أى شخص كان هو أقرب الناس اليه، ويتحرك فورا لعلاجه ... ونفذ عالى فكرته ... وتقدم مع أول صفوف المقاتلين ... انه يشعر بعزة خاصة تربطه بكل شخص يضع على صدره شارة الأخطبوط ...

ولنترك الجميع يتقدمون الآن،فى اتجاه جبل القرن ... لا يزال هناك مقاتلون... يقاتلون العدو بعنف ، وشجاعة هائلة ... إن القمة لم تستسلم ... وبدأت قواتنا تقترب وفى طريقها ... أزالت القوات التى وضعها العدو خلف قواتنا، الموجودة فوق القمة ليتم بها حصار القمة ... وبدأ تبادل النيران حامياً ...

وفى هذه اللحظة ظهرت مفاجأة كبرى ... لقد شعر العدو بأن ثمة تعزيزا قويا استطاع الوصول إلى قمة جبل القرن فى فترة زمنية غير متصورة ... ولا منتظرة ... ولكن العدو وجد الحل ... وبدأت أصوات عالية ترتفع « لا تطلقوا النيران أوقفوا النيران ... نريد أن نسلم ... لانريد الحرب ... أرسلوا شخصا للتفاهم » ...

وأوقف العدو إطلاق النيران ... ولم يكن هناك وقت للتفكير وأخذ ... ممدوح قراره ... « أوقف الضرب ... أوقف الضرب ... » ووافق المقاتل فاروق على هذا القرار ... وفى لحظات ، سيطر الهدوء على كل شئ ... وتحول ضجيج المعركة ، إلى سكون يشبه سكون الموت ...

وتقدم فرد من العدو ... وفى مواجهته تقدم واحد من المقاتلين العرب ... وفى لحظة ظهر أكثر من ٥٠٠ فرد من العدو ، وفى أيديهم السلاح ... لقد كانوا خلف الصخور ... ووقفت أمامهم مجموعة من رجالنا ... وكان قرار ممدوح أن يكون كل مقاتل فى حالة يقظة كاملة ، ولو حدث شئ فإن ثانية واحدة تعتبر زمنا طويلا لاستئناف القتال ...

ومرت دقائق بطيئة ،إلى أن وصل الرسولان،فى مواجهة بعضهما .. وكانت هذه هى ساعة الصفر ... وقبل أن يتم تبادل كلمة واحدة ، انطلقت رصاصة ، من جانب العـــدو ... إنه الغدر ... وتبعتها آلاف الرصاصات من الجانبين ، ولكن رجال الصاعقة ،كانوا أكثر قدرة وأسرع تقديرا للأمور ... وفوق قمة جبل القرن ... دار قتال رهيب ... والذى حدث بالتفصيل ، بعد إنطلاق الطلقة الأولى ،أنه لم تمر ثانية واحدة،حتى كان رجال الصاعقة يطلقون النيران ... على العدو المكشوف الطلقة الأولى للعدو ،أصابت واحدا من مقاتلينا فى ساقه ... وتولاه فورا الدكتور عالى ... وخسر العدو ٣٠٠ قتيل ، لقد كان هناك مدفع رشاش جاهز فى انتظار الخيانة ... وبعد ذلك لم نخسر مقاتلا واحدا،والعملية كلها استغرقت خمس دقائق ... باقى أفراد العدو ،الذين كانوا يتصورون أن هذا المكان سيكون مقبرة للصاعقة البحرية أعلنوا الفرار ... إنه الوقت المناسب،للمرحلة الثانية للخطة ...وفى هذه اللحظة،وقع نظر المقاتل فاروق راتب عـــلى جثة صديق عمره الملازم عبد الله السعر... وقال فاروق كلمة الوداع ... « مع السلامه يا عبد الله ... عشت بطلا ... ومت بطلا وشهد جثمانك النصر » ... وصرخ المقاتل وجيه ... إن الوصول إلى الأرض ليس هدفا ... ولكن الهدف هو قتل العدو ، وتدميره ... لنتجه فورا إلى العـدو ... ونطارده إلى قاعدته ... هذه هى المهمة الثانية ...

وهكذا بدأت الرحلة الثانية فى القتال ... المطاردة . وكان العدو هدفا جميلا وواضحا ... ومع طلقات الرصاص كانت هناك أجساد كثيرة تقع على الأرض ... لاتصدر حراكا ... ولم يكن العدو يتصور هول المفاجأة ... لقد كانت خطته هى التظاهر بالتسليم ... ثم الانقضاض على رجال الصاعقة ، وهم واقفون ، على أقدامهم وغير مستترين ... ولم يتصور العدو ساعتها ،أن أسلحته الثقيلة ستكون كلها فى أيدى رجال الصاعقة البحرية، بعد لحظات ... صناديق كثيرة ،مملوءة بالقنابل اليدوية ... هاون كبير، وبجواره ذخيرته ... مئات القنابل ... ثم المفاجأة... مدفع صاروخى ومعه ٢٥٠ صاروخا لم تضرب بعد ، وعشرات من صناديق الذخيرة ... ومئات البنادق ... وأشياء كثيرة من معدات الحرب ...

وأشار محدثى إلى عصا فى يده وقال (وهذه) وأبديت إعجابى ... يبدو أنها عصا حقيقية ، وهى ملفوفة بقطعة من قماش النايلون الملون ... ولكنهم جميعا قالوا لى : إنها ليست عصا عادية ، ولكنها عصا مسحورة ... إنها خنجر حاد النصل ... وفجأة برز من رأس العصا خنجر حاد ، وعرفت أنها العصا، التى كانت مع قائد قواتهم، الذى طلب التسليم ، وصاحب خطة الغدر ... وكانت هذه هى آخر محاولات العدو لاحتلال جبـــل القرن ... لقد مرت شهور ، منذ ذلك اليوم ، ولم يفكر العدو مرة ثانية فى معاودة الهجوم ... ثم إن العدو أصبح بعيدا ... بعيدا ... وتحول موقفه من الهجوم ، إلى الدفاع ثم إلى الفرار ...

لقد تمكنت الصاعقة البحرية من إتمام المهمة المفروض أن تستغرق ٧٢ ساعة فى فترة زمنية، لم تتعد الثمانى ساعات... قلت لهم (كم عملية ... قمتم بها حتى الآن؟) قالوا لى : « كثير ... كثير ... إننا لانتذكر العدد ، ولكن هناك عمليات لا تنسى مثل عمليات الجبل الأحمر والسلسلة الغربية... وسنارة ... ووادى علف ... ودماج ... »

ووضعتهم أمام سؤال غريب... « ما هى العملية التى لم تحققوا فيها نصراً ... ؟ » ووجدتهم جميعا ينظرون إلى ... ويقولون : « لم يحدث ... ولن يحدث ... طالما نحن أحياء ... » وسألت مرة ثانية « ما هى العملية التى كانت نتيجتها ... خلاف ما

تقدرون ؟ » ... وبدأ الرجال يعودون بذاكرتهم ... إلى عشرات العمليات التى خاضوها ...وسمعت المقاتل اسماعيل الصاوى يقول : « عملية الصاروخ » .

وبدأت أسمع قصة عجيبة .

كان الهدف هو الحصول على مدفع صـــاروخى ، من مدافع العدو...وبدأنا نحاول استكشاف مواقع العدو بالنظارات المكبرة ... ولم يكن هناك دليل يشير بالتأكيد إلى موقع المدفع لأنهم يخفونه فى أحد الكهوف ... وحينما يريدون استخدامه فانهم يخرجونه إلى الوادى ... ثم يعيدونه مرة أخرى ... وكان الحصول على الصاروخ شيئا هاما ... وكلفت مجموعة صغيرة،بغرض القيام بنسف الصاروخ فى مكانه وتدميره ... والوصول إليه،يلزمه اختراق تلك المواقع ... وهو شيء خطير لأن اكتشاف الدورية ، وهى على هذا البعد من قاعدتها ، يجعلها عرضة لنيران العدو بشكل كبير ... وأعطيت الأوامر لجميع أفراد الدورية،بالاتصال بالقاعدة مباشرة، فى حالة تعرض الداورية لنيران العدو،حتى تقوم مدفعيتنا بإطلاق قنابلها على مواقع العدو فى محاولة لإرغامه على خفض رأسه فترة من الزمن،تسمح للدورية بالانسحاب إلى قاعدتها...وبدأت الدورية مهمتها ... وهى مهمة من مهام الصاعقة إذ المفروض أن تتقدم الدورية دون أن يكتشفها العدو ... ولبس جميع المقاتلين أحذية خفيفة حتى لا تصدر صوتا يسمعه العدو ... واتفقوا على عدم الكلام،على أن يتم التفاهم بالإشارات ... وكان كل ذلك خلال الظلام ... وبدأ صعود الجبل صخرة ... صخرة وفجأة شوهد بعض أفراد العدو فوق الجبال ... بالقرب من المكان المنتظر أن يكون المدفع فيه ... وأخذ إسماعيل قراره ... « الالتفاف حول الجبل،للوصول إلى الصاروخ من الخلف ، وفى نفس الوقت ،تفادى قوات العدو الموجودة على رأس الجبـــل » وخلال عملية الالتفاف ... كان هناك أمر صادر من قيادة العملية إلى الدورية بالعودة،وعدم الوصول إلى المكان المفروض وجود المدفع فيه ... وكان الأمر غريبا ... والمقاتلون لم يتعودوا العودة،دون تحقيق الغرض ... وعلموا أن العدو قام بنقل المدفع الصاروخى،إلى مكان بعيد جدا عن هذا المكان ... وهكذا لم يعد للعملية أى معنى ... ولكن رجال الصاعقـــة انتهزوا الفرصة وكتبوا أوراقا

ولصقوها على الأشجار « الصاعقة البحرية مرت من هنا ... سادة فى البحر ،وحوش فى البر ... شياطين فى الجو ... » .

وكانت هذه هى العملية الوحيدة ... التى عاد فيها مطرب الصاعقة البحرية ... وهو لا يلقى الأغانى والأناشيد ، لأنه لم يقتل أحدا من العدو .

قلت لهم : « أعلم أنكم كبدتم العدو خسائر فادحة ...وبصراحة أريد أن أعرف كم شهيدا لنا هنا » قالوا لى « ثلاثة ، فى كل العمليات هم البطل الشهيد .محمد مصطفى والمقاتل حسن كريم والمقاتل أمين عبد العزيز » .

قلت ... « غير معقول ... » .

قالوا ... « لكن هذه هى الحقيقة ... » .

قلت ... « والجرحى » .

قالوا... «بعض الناس جرحوا ،وعولجوا ، بواسطة الدكتور عالى ،والجميع أمامك وحوش ... » .

عبر
وادى
الجوف

وفى أيام العمليات الحاسمة
وصل المشـــير عبد الحكيم
عامر الى صنعاء..ووضعت
خطة التطويق الهــائلة ..
عبر وادى الجـــوف ...



لم تكن قوى الرجعية أو الاستعمار تتوقع أن تكون القوات العربية، قادرة على العمل فى الجبال ... والقتال فى ظروف حرب الجبال الصعبة .

ولم تتنبه القوى المعادية ، إلى هذه الحقيقة ، إلا بعد أن اشتبكت قوات الصاعقة العربية، مع قوات المتسللين الرجعية ،ومع قوات شريف بيحان ،والقوات الانجليزية الاستعمارية ... وقد علمت أن معظم القوات الرجعية أمكن إبادتها فى صرواح ... كما أن القتال العنيف ، الذى دار ضدها فى صعدة...والهزائم التى لحقت بها وتدميرها فى حرض ، وعمليات الأسطول فى ميدى ... بل إن الطيران العربى استطاع ضرب العدوان فى مقره وفى قواعده ... كل هذا اضطر الاعداء أن يغيروا أسلوب القتال.

* * *

فأمام هذه القوة الكبرى والضربات المتلاحقة، والخسائر التى منيت بها القوات المرتزقة ... وأمام الضغط الشعبى فى كل من السعودية والأردن ... بل أمام ضغط جيوش السعودية والأردن ... اضطرت الرجعية ، وتبعها شريف بيحان إلى سحب قواتهما الرئيسية من أرض المعركة ... بعد أن ركن أغلبها إلى الفرار ...

وقد اتجه الاعداء ، إلى استخدام أسلوب آخر فى القتال ... هو أسلوب محاولة استمالة القبائل فى داخل اليمن ،وفى نفس الوقت إكراه اليمنيين الموجودين فى السعودية

على التدريب ودخول العمليات، على شكل حرب عصابات، ضد القوات العربية، بغرض إطالة الحرب، وتكبيد القوات العربية خسائر كبيرة ... وتحولت عملية الإمداد بالمتسللين، إلى عملية أخرى، هى عملية الإغراء بالمال والسلاح.. وكان المال يأتى على شكل جنيهات ذهبية، أو ريالات سعودية ويمنية .. وفى نفس الوقت تم توزيع كميات هائلة من السلاح ... والسلاح فى حد ذاته يشكل نوعا من الإغراء، لأن ثمن البندقية الواحدة فى اليمن، يزيد على ٦٠٠ ريال وهو مايعادل ٢٤٠ جنيها مصريا .. وأخذ كل واحد من رجال القبائل خنجرا. وبندقية حديثة .. وكانت البنادق التى يستعملها رجال القبائل، هى البنادق التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم منذ الحرب مع العثمانيين... أى أنها كانت بنادق قديمة ... وتسللت الجمال، تحمل السلاح والمال، إلى القبائل... حتى إن الشيخ أحمد درمان، شيخ قبائل دهم... قال لى إن ... السعوديين وزعوا فى وادى الجوف وحده، مايزيد على عشرة آلاف قطعة سلاح .. وبالإضافة إلى هذه الأسلحة الصغيرة، تم توزيع كميات هائلة من الهاونات والمدافع المضادة للدبابات والطائرات، والمدافع الصاروخية.

وهكذا تحولت أجزاء من اليمن، إلى ترسانات للأسلحة ... ولم تكن القبائل مقتنعة بالحرب، فى جانب سعود ... ولكنه الإغراء ... وقد رفضت فعلا قبائل كثيرة فى اليمن، أن تتسلم أى سلاح أو مال من سعود .. بل ان الشيخ عبد الله الأحمر وهو شيخ مشايخ حاشد ... وهى من أكبر وأقوى قبائل اليمن، رفض أن يستقبل مندوب البدر، وأرسل اليه رسالة يقول فيها « إلى البدر المغرور » .. واستمر فى رسالته التى يعتبر نصها، مرجعا لظلم أسرة حميد الدين واستعبادها لشعب اليمن .. أقول: إن القبائل التى خدعت بأقوال أنصار الملكية والإغراء رفعت السلاح ضد الجمهورية... والعجيب أن الكلام الذى قيل: لرجال القبائل، كان فى غاية الغرابة ... مثلا: أن القوات العربية من الكفرة ... لأن أفرادها يلبسون البنطلون ... وأن الاشتراكية، تعنى المشاركة فى الزوجة . وأن القوات العربية تريد فرض التعليم على الناس بالقوة، لكى يأخذوا البذورة والجهال « الاطفال والشباب » خارج أرض القبائل، ثم يغتالونهم ... وساعد على نشر هذه الأباطيل . . طبيعة النظام الذى

فرضته أسرة حميد الدين على اليمن ... فقد كانت العزلة قدر كل قبيلة، وكان لكل قبيلة أرضها التى لاتبارحها... ولا تتصل بغيرها، بل لاتعلم مايدور فى أى مكان آخر من اليمن... بل ان الامام صور للناس،أنه خليفة الرسول على الأرض...وأنه من نسل الرسول ويجب طاعته طاعة الأنبياء ... وأدخل الامام على شعب اليمن أوامر وقوانين... لا أريد أن أقول إنها ضد الاسلام فحسب،بل اقول: انها ضد الإنسانية أيضاً ، ولا أتصور وجودها فى عصر الجاهلية ... من ذلك نظام « الخطاط » ...

وبالرغم من كل هذا وآلاف الأمثلة الأخرى ... استطاعوا الوصول إلى بعض القبائل...وفى أماكن متفرقة من أرض اليمن... أعلنت بعض القبائل الردة...فوقفت ضد الجمهورية بعد أن كانت تقف معها ... وأخذ البدر المخلوع يذيع من إذاعته بين يوم وآخر أنه على أبواب صنعاء ... والحقيقة أن الذى ملأ البدر بهذا الوهم الكبير . أن بعض القبائل أرادت أن تنتقم منه ، ومن حكم أجداده ، فأرسلت مندوبيها، يعلنون له،أنهم معه وتسلموا منه المال والسلاح، ليقفوا ضد الجمهورية... ثم أبلغوا الزعيم السلال بما حدث ... وهكذا تصور أنه على أبواب صنعاء ... وأنه سيدخلها دخول الغزاة ... بل قال إنه سيصلى صلاة الجمعة، فى المسجد الكبير بصنعاء .

ولم يكن معقولا ،أن تقف القيادة العربية أمام هذا التطور الجديد،موقف المتفرج وكان أمام القيادة العربية،عدة اعتبارات ... أهمها هى الرغبة فى إنهاء العمليات على أرض اليمن،وفى نفس الوقت عدم تكبيد القبائل خسائر بشرية كبيرة ... لأن القيادة العربية ترىأن السببالأساسى الذى قبلت من أجله القبائل التعامل مع البدر وأعوانه ... هو تاريخ الظلم الطويل ... وهكذا كان الغرض الأساسى ،هو أن نمد يدنا بالإيمان والنور... إلى أخ وقع فى حفرة ... لا يدرك عمقها... وفى هذا الوقت وصل المشير عبد الحكيم عامر إلى صنعاء ،ووضعت خطة العمليات القادمة...وكانت الخطة مرتكزة على أساس منع تسرب المال والسلاح من السعودية وبيحان... كذلك منع عملاء الرجعية، من الاتصال بالقبائل ... وهكذا ينتهى الإغراء والخداع ... وفى اللحظة التى ينتهى فيها الإغراء والخداع ... فان جميع القبائل سترفع أعلام الجمهورية . . وأن مجرد وصول القوات المشتركة إلى كل شبر فى الأرض الواسعة ،

سيؤكد لرجال القبائل، أنهم خدعوا بما سمعوا ... وأن التمثيلية المأساوية التى كان يقوم البدر بها ليس لها أساس من الصحة .. وهكذا اعتمدت العملية فى الأساس، على القيام بعملية تطويق واسعة ، عبر وادى الجوف...وهو من أهم الوديان فى اليمن إذ أنه يتقاطع مع جميع الطرق والوديان القادمة من السعودية، مثل وادى أملح ووادى العقيق ... وبذلك تؤدى عملية الجوف إلى عدة نتائج، أهمها محاصرة جميع القوات الأجنبية الموجودة جنوب وادى الجوف ، وأسرها أو إبادتها ...ثانيا: قطع خطوط مواصلات المتسللين ، ومنع الإمدادات عنهم .. ثالثا : منع وصول المتسللين والمال والسلاح إلى مناطق القبائل ... وكانت خطة العدو موضوعة على أساس تكديس قوات كبرى مسلحة بأنواع مختلفة من الأسلحة ، فى مضيق زبين ، الممتد من قرية زبين حتى قرية العظم.واصطياد القوات العربية أثناء مرورها بهذا المضيق ... لكن القائد العربى وهو المقاتل سعدى نجيب ،وضع خطته على أساس عدم المرور بهذا المضيق ، وتطويق العدو من الخلف ، وقطع خطوط إمداد قواته ، وإرغامها على الانسحاب،واستدراجها الى أرض قتال مناسبة... وقد استطاع القائدالعربى بالفعل الالتفاف بسرعة هائلة حول مضيق زبين ، وأثناء عملية الالتفاف ، واجهت قواته مقاومة من المتسللين فى مضيق الفجرة ، الذى يسمونه مفتاح الجوف ... حيث ركز العدو قوات مدرعة، بالمدافع المضادة للدبابات،والهاونات،تعمل عليها قوات نظامية ووضعت الخطة على أساس مهاجمة جوانب المضيق فى عملية ليلية وتجهيز قوةخفيفة الحركة ، للاندفاع داخل المضيق ، لتطويق المتسللين والقضاء عليهم ، داخل الكهوف وتم تنفيذ الخطة الموضوعة وأمكن للقوات المشتركة ، احتلال الجبال والقضاء على مقاومة العدو ، الذى عمد الى الفرار، بمجرد ظهور القوات العربية المشتركة ...ولكن تم القضاء على جزء كبير من قوات العدو فى مراكزها ... وتم الاستيلاء على أسلحتها وذخائرها ومهماتها التى تركتها قبل الفرار،ومن ثم بدأت القوات الخفيفة تطارد العدو، وقد استمرت هذه المطاردة حتى منطقة العقدة ، على مسافة ٢٥ كيلومترا من مضيق الفجرة وأثناء عملية المطاردة،أصيبت سيارة شيفروليه حمراء ، بقنابل المدفعية ... وكان منظرا غريبا، أن تظهر مثل هذه السيارة « الوجيهة » الخالية من الأرقام ، وسط الجبال حيث لا طرق رئيسية ، وقد تبين أن هذه السيارة المكيفة الهواء ، كان يركبها

عبد الله بن الحسين ، أحد أمراء أسرة حميد الدين ... الذى آثر الفرار الجبان سيراً على الأقدام إلى نجران ...

ولدى وصول القوات العربية إلى قرية العقدة ... حضر شيوخ القبائل الأبطال من سوق دعام ، والسعموم ، وزاهر ، وأعلنوا الولاء وقالوا : إن العدو قد انسحب وركز قواته فى منطقة المطمة ، وهى أكبر بلاد وادى الجوف ، وقد اتخذ منها مركزاً لقيادته ، وركز فيها إمداداته ... وقبل أن أسترسل فى الحديث عن العمليات التى حدثت بعد هذه العملية ، أريد أن أقف لحظة لأقول ... إن عملية مضيق الفجرة والاندفاع بعدها مباشرة وبسرعة ، إلى وادى الجوف ، تضع العملية فى مركزها ، بالنسبة للعمليات العالمية ... وتضعها فى نفس مستوى ستالينجراد والعلمين ... من حيث النتائج التى ترتبت على هذه العمليات ... وفى تقديرى ، أن هذه العملية ، وإتمامها بهذه السرعة ، رغم تكديسات العدو ... جعلت العمليات التالية أكثر سهولة ... وحققت أحد الأغراض الأساسية ، من عملية الجوف ، وهو إتمامها بسرعة وإغلاق الكماشة على العدو ، قبل أن يشعر بأنه سيحاصر ، وهكذا كان على القوات المشتركة أن تسرع خطاها ، وتتحرك من العقدة فى طريقها إلى المطمة ، وهى أكبر مدن وادى الجوف

وكان قائد القوات المشتركة ، ينتظر لحظة اللقاء مع أكبر قوة معادية مجمعة فى منطقة واحدة ... وأين ؟ فى مقرها ، وفى مركز قيادتها ... المطمة ... ووصلت القوات فعلا إلى مشارف المطمة ... عند منطقة هناك اسمها منطقة الأحراش ... وهى منطقة متسعة مليئة بالأحـــراش فعلا ... وبدأت قوات العدو فى التجمع ، ورأى القائد العربى فى منطقة الأحـــراش ، أنسب أرض لقتال العدو ... وبسرعة وضع خطته ... وكان أول شئ فعله ، هو أن ، أصدر أوامره لجميع قواته ، بألا تطلق النار ... بل ولا تظهر ما يفهم منه العدو ، أن قواتنا قد اكتشفت موقعه ، وفى نفس الوقت ، اتصل بغرفة العمليات الجوية ، وطلب من المجهود الجوى ، عدم ضرب منطقة العدو ... بل طلب أكثر من ذلك ، عدم الطيران فوق منطقة الأحراش أو بالقرب منها ، حتى لا يتصور العدو أن موقعه قد اكتشف ... وبهدوء تام ، وضع قواته فى الأماكن المناسبة ... ولم يحدد ساعة الصفر ... وقال إنه لن يحددها

ولكن الذى سيحدد ساعة الصفر ، هو العدو ... لأن أول طلقة يطلقها العـــدو ، سيكون معناها ، أن تجمعه قد تم ، وأن أكبر قوة ضاربة عنده ، أصبحت فى منطقة الأحراش ... وبهدوء ، أيضـا وضعت القنابل ، فى مواسير المدافع ... وأعـدت للإطلاق ... وامتلأت مخازن البنـــادق بطلقات الرصاص ... وتم تعمير المدافع الصاروخية ... وصدرت الأوامر للطيارين بأن يصعدوا إلى طائراتهم ويربطوا أنفسهم بالأحزمة، ويكونوا على استعداد للحركة ... وفى نفس الوقت أعطيت التعليمات لجميع الطائرات فى السماء ، بأن تكون على اتصال مستمر بمحور الجوف وأن تغير اتجاهها وهى فى السماء ، لتضرب الأهداف المحددة لها ... ومرت الدقائق بطيئة متكاسلة ... والأعصاب مشدودة تنتظر إشارة البدء ... ساعة الصفر ، طلقة العدو .. وفتح الناس آذانهم .. وأيديهم عـــلى أسلحتهم .. والموجودون على مسافات بعيدة ، وضعوا آذانهم على سماعات اللاسلكى ، ينتظرون إشارة البدء... وبين لحظة وأخرى ،كانت هناك وحدات ، تحاول أن تعرف قوة العـــدو ... والأسلحة التى يستخدمها



وأماكن تجمعـــه ... وتحركاته ... وكانت قوات العـــدو مسلحة بالمدافع المضادة للدبابات ، والمدفعية الصاروخية ... والبنادق الجرمان والبشلى ، والصابا ، ولى أنفيلد ...وبالإضافة إلى هذا ،البازوكا ، والبلانديست...وكلها قادمة من السعودية عبر الوديان من نجران ، ومن غير المعقول أن يمتلك قبلى ، هذه الأنواع من الأسلحة الثقيلة ... وفى الساعة الثانية والنصف بدأ بعض الجنود يستمعون خلال أجهزة الراديو الترانزستور إلى نشرة الأخبار من إذاعة القاهرة...وفى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ... ومع دقات ساعة جامعة القاهرة ،انطلقت أول طلقة من العدو ... إنها ساعة الصفر... وكان أحد المقاتلين وهو من أبناء الصعيد ، يقف لحظتها خلف مدفعه الصاروخى ... وضغط بيده لتخرج جميع الصواريخ .مرة واحدة إلى الهدف... إلى الأحراش ... ومع خروج أول دفعة من الصواريخ ،كانت المدافع الأخرى تطلق قنابلها على الأهداف المحددة لها ، وبدأت الدبابات هى الأخـــرى ، تطلق قنابلها ، ورشاشاتها ، وفى نفس الوقت كان جنود المشاة ، يتصيدون كل من تظهر رأسه من العدو ، الذى بات غير قادر على الهروب ، ولا على القتال ... وامتدت ألسنة اللهب لتحرق فى طريقها آثار الخيانة ... والقليل منهم استطاع الفرار ... وبدأت ألسنة النيران تهبط ، بعد أن أكلت كل شىء أمامها ... وخلف الدبابات ، وعلى الرماد الأسود ، داست أقدام القوات المشتركة ، كل مابقى من أثر العدو ... ومن استطاع النجاة من النار ، صرعه الرصاص ، فى المعركة التى استمرت ست ساعات ، وهكذا انتهت معركة الأحراش ...وكانت الخسائر فادحة بالنسبة للعدو ، فقد أمكن للرجال ،أن يقوموا بإحصاء ١٥٥ جثة، هذا بخلاف الذى أكلته النيران من أسلحة ، وعتاد ، ومتسللين ، ومرتزقة...

أما بالنسبة لنا ، فقد اقتصرت إصاباتنا على ثمانية جرحى فقط،ولم يستشهد أحد

واجتمع شيوخ الجوف الأبطال ، وهنأوا القوات المشتركة بنصرها ،واستقبلوا الجنود فى كل مكان بالأحضان ، وبرقصات الزامل احتفالا بقدومهم ، ونحروا لهم الذبائح ... وقصوا عليهم قصصا أغرب من الخيال عن محاولات البدر لاستدراجهم إلى براثنه،ولم يصدق البدر أن جميع قبائل الجوف ،قد أعلنت أنها جمهرت،فأرسل مندوبه

وهو تركى السديرى أمير مقاطعة نجران ، ليعرف الحقيقة ... وجاء الرد ... لقد جهر الجوف .من الجبال إلى الجبال ... وتقدمت القوات العربية المشتركة مع الزغاريد وأصوات رقصات الزامل ... وطلقات الرصاص ،التى تطلق فى الهواء تحية للضيوف والأخوة ... وهكذا سارت القوات لتتم عملية التطويق الهائلة يحيط بها من كل جانب رجال القبائل ... المقاتلون الأشداء ... ووصلت القوات بسرعة . إلى الحزم وإلى تقاطع الطرق ... ومنها إلى مأرب ،وقد حصلت معركة قبل دخول مأرب ،والمعركة كانت من جانبين ...

قواتنا تتقدم وتهاجم ، وقوات المتسللين فى وضع الدفاع ... اختار المتسللون مضيقا يمر به الطريق إلى مأرب ، ووضعوا مئات الجنود المسلحين ، بمختلف أنواع الأسلحة ، حول المضيق ، لاصطياد قوافل القوات المشتركة ... أو على الأقل إطلاق الرصاص على إطارات السيارات ، لتعطيلها ... ثم اصطياد الأفراد... وكان معهم أيضاً صواريخ ، ووضعوا مئات الألغام فى المضيق ، حتى لا تمر سيارة أو دبابه ، دون أن تنسف ... كانوا يعلمون أهمية وصول قواتنا إلى مأرب ، وأنها بذلك تكمل حلقة التطويق ،حول قوات المتسللين ، وتقطع إمداداتهم من محمية بيحان ولذلك ركزوا كل قواتهم ، بغرض الحيلولة دون نجاح العملية ...القائد العربى ، صمم على تحقيق الغرض ، ولكن مع عدم حدوث خسارة فى قواته ... استقل طائرة هيليوكبتر ، وطار حول المنطقة ... وقرر اتخاذ طريق آخر ، يسمح له بالمرور إلى مأرب ، ويهاجم العدو من الخلف ... سلك الطريق الخلفى ... أطلق نيران أسلحته على ظهر العدو ... كانت مفاجأة ... العدو مركز انتباهه على مكان معين ، ولكن الهجوم ، جاء من مكان آخر... تكبد العدو بعض الخسائر ... ترك الذخيرة والسلاح وشرد من بقى حيا عبر الجبال إلى المحميات... أما قواتنا ، فلم تخسر جنديا واحدا... وهنا ظهرت كفاءة القيادة ... حين تلقت قوات المتسللين ، الضربة كاملة ، دون أن تستطيع الرد عليها ... مأرب فى أيدينا ... لم يصدقوا عيونهم، ولكن الحقيقة أقوى من الأوهام ...

وقد ترك شريف بيحان بلده ، وذهب ليعيش فى عدن ... وترك ابنه فى بيحان

إنه خائف من الحياة ، فى بيحان الآن ... ولـكنهم لا يسكتون ويذيعون الأكاذيب كل يوم، وقد قابلت المقاتل أحمد حافظ هلال فقال لى : إن إذاعة الأعداء اذاعت خبرا، ادعت فيه أنه قتل ثلاث مرات ... ولا أحد هنا يصـــدق ، مايذيعونه من أكاذيب... ولا أحد أيضاً من رجال القبائل يصدقهم ... قال لى أحد المشايخ : لقد حاولوا تفجيع البذورة ، والجهال والشوايف ... أى انهم حاولوا تخويف الأطفال ، والشباب والنساء ، ولـكن أحدا لايصدقهم .

* * *

ولمأرب تاريخ قديم ولها حضارة ، وفيها آثار ... فلا يزال فيها عرش الملكة بلقيس ، حتى الآن ... وحينما تذهب إلى العرش ، تشعر أنك أمام قطعة من تاريخ هذه البلاد العظيم ... ومعظم آثار سبأ ، سرقت بمعرفة مغامر أمريكى اسمه وندل فيلبس... ضحك على الإمام وسرق جميع الآثار، وأحيانا كان يشترى التمثال بريال ! والشيء الوحيد الذى حصل عليه الإمام ،هو تاج الملكة بلقيس...وقد أهدى الإمام تاج بلقيس ، للملكة بريطانيا ، وهو لا يعرف قيمته الأثرية أوالمادية...عرش بلقيس لايزال به المكان الذى كانت تجلس به ، وآثار أقدامها محفورة على الحجر... وشهرة مأرب أيضاً ، تعود إلى سد مأرب ، وهو من أقدم سدود التاريخ ... وتحطم سد مأرب ، ولا زالت آثار بسيطة ، موجودة منه ، ولـكن السيول الآن تغمر الوديان فى موسم الأمطار ، ولا يستفاد بها .

ولا تقوم شهرة مأرب الآن على الآثار أو على السد ... لأن الإمام لم يسمح لسائح واحد بزيارة الآثار ، أضف إلى ذلك مشاق السفر اليها، لأنه لا توجد شبكة مواصلات جيدة فى هذه المنطقة ، ولا توجد فنادق ، ولايوجد شيء على الإطلاق ، يغرى السائح على زيارة هذه الآثار ...

ولـكن شهرة مأرب ، تقوم الآن على تجارة الملح ... يسمونها مدينة الملح ... كل المنازل مملوءة بالملح ، والبلد بها سيارات كثيرة ... ولا عمل للسيارات إلا نقل الملح وقد تخصصت قبيلة عبيدة فى هذه العملية ، كما تخصصت قبيلة الاشراف فى بيع

الملح ... وملح اليمن يأتى عن طريق بيحان ويتم توزيعه ... وعلى هذه التجارة تقوم الحياة فى مأرب ... بعض المنازل هنا مملوءة حتى السقف بالملح ...

فى مدينة الملح ،يوجد كل شىء وليس الملح فقط... يوجد مقاتلون عظام، ورجال شجعان، وانا لا استطيع أن أنسى،حينما وقف الشيخ محمد بن الحفرين ،أمام رالف بانش وقال له : إنه إذا لم توقف بريطانيا عدوانها على اليمن ، فإننا ، وبهذا السلاح ، سننقل المعركة إلى المحميات ... وأشار إلى سلاحه وهو البندقية ...وقال الشيخ على بن حسن المعيلى : كنا نحلم وتحقق الحلم. وقال ابن جرادة :لقد جاء الحق وزهق الباطل،وقال حمود بن الأسود : لماذا تأخرتم علينا ؟... وقال لنا الشيوخ ... نحن مجمهرون من قبل الثورة . وهذا اللفظ يستخدمونه،حين يريدون أن يقولوا إنهم فى الجانب الجمهورى.



المشـــير
عبد الحكيم
عــامــر

ان عظــام القــادة يفضلون
دائما ان يروا بانفسهم ..
وان يكونوا دائما بجـــوار
جنودهم خلال القتــال ..

المشير عبد الحكيم عامر . . نوع جديد من القادة . . الذين لا يقنعون بمتابعة أحداث العمليات من خلف المكاتب ، ومن خلال أجهزة اللاسلكي والتليفون ... وقد كانت لدى الفرصة ، لكى أشهد بنفسى ، كيف يصل المشير عامر ، إلى أرض العمليات ، وفوهات البنادق لا زالت ساخنة ، ودخان المعركة ، لا يزال يتصاعد . فمثلا عند وصول قواتنا إلى مدينة مأرب ، بعد حركة التطويق الهائلة ، التى قامت بها ، عبر وادى الجوف ، بعد معارك الحميدات والمطمة .. وبعد تأكيد حركة الالتفاف ، بالوصول إلى بلدة الحزم ، والسيطرة على تقاطع الطرق .. كانت هناك عملية رئيسية يجب أن تتم . . هى دخول مأرب ، حتى تكتمل حلقات السلسلة الفولاذية ، التى تغلق الحدود ..

ولكن مطار مأرب كان ملغماً ... وضع فيه العدو كميات مبعثرة من الألغام .. وكانت مغامرة لأية طائرة ، أن تنزل إلى أرض المطار . . وفى نفس الوقت لم يكن مطار مأرب،صالحاً لنزول الطائرات ، بعد مرور هذا الزمن الذى بلغ عدة شهور على ممر المطار الترابى ، دون رشه بالماء .. لقد تحولت أرض المطار ، إلى رمال تجعل أية طائرة ، تغرز عجلاتها فيها عند نزولها ... وليست العملية قاصرة على غرز عجلات الطائرة ، ولكن هناك احتمالا ، بأن تنقلب الطائرة كلها ، إذا حدث هذا الغرز ساعة النزول ، أو إذا كانت سرعة الطائرة كبيرة ...

وعند وصول القوات إلى المطار ، بدأت فى تطهيره من الألغام ... ثم حدثت مفاجأة .. لقد ظهرت طائرة فى السماء ، وأخذت طريقها للنزول على الممر الترابى ...

ونزلت الطائرة بسلام ... ولكن المفاجأة الأكبر .. أن المشير عامر ، كان على ظهر هذه الطائرة ، بالذات .

وما أن علم الجنود ، أن المشير عامر فى المطار ، حتى تدفقوا من كل مكان ، عبر الصحراء والخنادق ، لتحية القائد ، الذى حضر يوم نصرهم ... وشق المشير عامر طريقه فى سيارة مدرعة ، عبر الطريق الوعر الملىء بالرمال والتراب ، إلى مدينة مأرب وعلى طول الطريق ، كان رجال القبائل ، يحيون المشير عامر . والرجال العظام ، يتدفقون ليروا القائد ..

وكانت السيارة المدرعة ، تقف بين لحظة وأخرى ، ليحي المشير المقاتلين ، كان يسألهم عن كل شيء .. عن تفاصيل المعركة .. عن نوع طعام الإفطار الذى تناولوه ، وهل يتناولون الشاى فعلا ؟ وهل وصل لهم كعك العيد ؟ : وهل يقرأون الصحف ؟. وكم مرة يستحمون فى الأسبوع ؟ وهل ملابسهم كافية لمواجهة البرد ؟.. وهل إذا بلى الحذاء ، يمكن استبداله بسهولة ؟ مئات الأسئلة الصغيرة . ولكنها حيوية ، تحمل خلفها معنى كبيراً ... إنه يريد أن يطمئن ، من الجندى ذاته ، على أن كل شيء يسير كما هو مرسوم له ... ولا يكتفى بالاعتماد على أوراق كثيرة منسقة ، تصل إلى القيادات .. لقد قضى العيد بين المقاتلين ، خلال مراحل القتال الهامة . .

وعندما وصلت قواتنا إلى المطمة خلال عملية التطويق عبر وادى الجوف ، كان المشير عامر هناك .. أيضاً على أول طائرة تصل إلى المطمة . . وقبل أن تبدأ عملية وادى الجوف استقل المشير عامر طائرة حربية مقاتلة ، ولبس على رأسه ، ملابس الطيارين ، وكانت الطائرة ذاهبة إلى مهمة قتال .. وعن قرب ، رأى وادى الجوف كله .. رأى الأرض التى سيرسم عليها خططه المستقبله ، وشاهد جميع الوديان المتقاطعة مع وادى الجوف ... وقامت الطائرة بمهمتها ... ثم مرة ثانية ، عاد ليضع الخطة الكبيرة ...

وقد يقال إنه : ليس من الواجب ، أن يعرض القادة الكبار أنفسهم لمثل هذه المخاطر .. واحتمالات الحرب كثيرة ... وهذا حقيقى .. ولكن عظام القادة يفضلون دائماً ، أن يروا بأنفسهم ... وأن يكونوا دائماً بجوار النار ... وبجوار جنودهم خلال القتال ...

بطولات خارقة قام بها سند خـــلال العمليات الحربية التى دارت على أرض اليمن ... واستشهد ... وبعد أيام من استشهاده جـــاء رسول الى قائد وحدته يقول له ((لقد أنجبت ولدا .. وزوجتك تسأل .. ماالاسم الذى تريد أن تطلقه عليه)) .. قال للرسول ..((سموه ســـند)) .. أين هم هؤلاء الرجال العظام الذين قاتلوا جنبا الى جنب مع سند ؟ .. ما هى العمليـــات التى قاموا بها بعد ذلك ؟ ... هل هنـــاك أيضـــا بطولات وأمجاد ؟ ... ان الوحـــدة التى كان يعمل فيها ســـند تحمل الآن أسمه..والرجال العظـــام الذين قاتلوا الى جواره ... قاتلوا بعد ذلك وهو غائب عنهم . وظهـــر منهم ابطـــال ... وأثبتوا جميعا أن ((سند)) لم يمت .. وأن هناك الف سند .. لقد حمل الآلاف الشعلة من يد سند ومضـــوا بهـــا ..

مع الرجال العظام الذين قاتلوا بجوار سـند



عـــلى أرض العمليات بالغ الأهمية .. لقد كانت القوات العربية ، تعبر أخطر مراحل العمليات ، وأكثرها أهمية من وجهة النظر العسكرية ... لقد بدأت عملية التطويق الهائلة ، عبر وادى الجوف ، بهدف الوصول فى النهاية ، إلى مأرب ، وبعدها إلى أقصى حدود اليمن شرقاً ، فى مواجهة محمية بيحان التى تسيطر عليها بريطانيا .

وكان واضحاً لنا .. وللعدو .. أن عملية الجوف ، عملية هامة للغاية .. وكان كل هدفنا هو أن تتم العملية بنجاح .. لأنها تقصم ظهر العدو ..

فى الوقت الذى استطاع العدو أن يتأكد من أن نجاح قوات الجوف فى مهمتها معناه هزيمة ساحقة له .. قد لايستطيع بعدها أبداً ، أن يحقق أى نصر يذكر .. على هذا الأساس عمل .. وفى الوقت الذى كانت قواتنا فى محور وادى الجوف ، تشق طريقها بسرعة فائقة ، خلال الوادى كله ، لتصل فوراً إلى مأرب ، قاطعة بذلك خطوط العدو كلها وطرق تسلله ... فى هذا الوقت ، كان العدو يفكر .. ويتصرف أيضاً بسرعة .. وكان هدفه الأساسى هو قطع خطوط مواصلات قواتنا الرئيسية ، عبر وادى الجوف ، وبذلك تجد القوات الرئيسية الكبرى التى تشق طريقها عبر الوادى ، أن خطوط مواصلاتها الرئيسية الخلفية ، قد قطعت .. وأن العدو موجود بالفعل ، وراءها .. الأمر الذى يرغمها بالتأكيد ، على التخلى عن السرعة الهائلة ، فى شق

طريقها ، حتى تنتهى من إسكات العـــدو الذى ظهر خلفها ... وبذلك يحقق العدو هدفين ...

الأول : هو تجميد هذه القوات الكبرى ، ومنعها من التقدم ... ليستطيع العمل ...

والثانى : هو إضعاف القوة الضاربة الموجودة لدى القوات المشتركة ، فيحقق نصراً فى محاور أخرى ، وهو واثق من أنه استطاع أن يعزل قوات كبرى ، عن الاشتباك الفعلى فى القتال ...

... والذى تصوره العدو ... هو أن هذه القوات،إما أن تحاول العودة،وبذلك تفشل عملية وادى الجوف كلها من الأساس ... أو تتجمد فى مكانها ... وفى الحالتين يكون قد حقق نصراً هائلا ... الشىء الذى لم يستطع أن يحرزه حتى الآن

ولكن هذا النصر لايتحقق ، إلا إذا استطاع أن يقطع خطوط إمداد هذه القوات ، ويهاجمها من الخلف ...

وواضح أنه أمام هذا الهدف الكبير ، لابد أن يركز أشد قواته مراسا وقدرة على العمل المنظم ، ولهذا جمع معظم الخبراء الأجانب ، لوضع الخطة الهائلة ...

ووصل العدو إلى قراره ... وكان القرار ، هو أن تتم عملية القطع هذه ، بأكبر تركيز فى مكانين ... حتى إذا فشلت الخطة فى مكان ، ونجحت فى مكان آخر ، يكون قد حقق غرضه ... لأن كلا من المكانين ، صالح لتحقيق الغرض ، وهو عملية القطع ذاتها ... واستخدم العدو كل ذكائه ، فى اختيار المكانين ... حتى أنه اختار فاصلا أرضيا بين كل مكان والآخر ، بحيث يضمن توزيع ، قواتنا وعدم تجميعها وبهذا يواجه قوات صغيرة نسبياً ...

واختار العدو المكان الأول فى منطقة جبال برط ... والمكان الثانى فى منطقة

القفلة . ولسوء حظ العدو ،كان فى المكانين... مجموعات من رجالنا العظام ، الذين قاتلوا بجوار سند ... وقاتل إلى جوارهم ... وأشاد ببطولتهم ...

ولنذهب الآن إلى برط . المكان الأول ، الذى اختاره العدو مسرحا لعملياته ، إن جبال برط عبارة عن هضبة جبلية ، ارتفاعها ٢٨٠٠ متر وفى وسطها ، عاصمتها سوق العنان ، ويوجد أمام هذه الهضبة ، جبل آل صلاح ... وهو جبل مرتفع ، وموقع حيوى وهام ... وكل المنطقة موقعها استراتيجى ... إذ يمر أمامها وادى عظلة . من الشرق إلى الغرب ، قاطعا بذلك مجموعة وديان قادمة فى اتجاه الشمال ، وأهمها وادى أملح ، ووادى العقيق ... ويستمر وادى عظلة فى امتداده ، إلى الغرب حتى يقاطع الطريق الممتد من صنعاء إلى صعدة ... وهو يقاطع هذا الطريق جنوب صعدة ...

ولذا فان من يسيطر على وادى عظلة ، يستطيع تهديد صعدة من الجنوب وعزلها ولكن لم يكن هذا هو الشيء المهم ، لدى العدو فى ذلك الوقت، لقد كان هدف العدو هو السيطرة على هذا الوادى ، ثم الاندفاع منه جنوبا ، للوصول إلى سوق العنان ، عاصمة جبال برط ومنها جنوبا أيضا ، إلى الخراب، وبذلك يستطيع قطع محور الجوف كله ... وكانت عملية الجوف الهائلة ... قد أخذت تشق طريقها بسرعة فائقة ...

ولكن العملية بالنسبة للعدو ،كان فيها مقاومات ... أولى هذه المقاومات رجال القبائل الذين يعيشون فى المنطقة ... وهى قبائل ذو محمد ، وذو حسين وكانت مقاومتهما عنيفة ،لأنهما ذاقتا المر والهوان ، أيام حكم الإمام ... ولم تستطع وعود وأموال أمراء أسرة حميد الدين ، أن تغرى الشيخ أمين أبو رأس ، الذى سم الإمام أحمد ، شقيقه ... بل لم تستطع هذه الوعود ، أن تغرى شخصا واحدا ... لأنه ببساطة لم يكن هناك شخص واحد ، لم يمر على سجن الإمام سواء كسجين أو كرهينة ولا زالت منازلهم أمامهم ، شاهدا على ظلم الأئمة ... إذ كانت معظم منازل سوق العنان ، والقرى حولها ، لا زالت مدمرة ، بعد الغارات التى كان الإمام أحمد وأنصاره

يقومون بها ضدهم ... ولذلك كانت قبائل ذو محمد ، وذو حسين من أوائل القبائل تأييدا للثورة من يوم إعلانها ...

ولم يكن هناك أمام العدو أى طريق إلا طريق القتال المسلح ... وكان قد قام بمناوشات وعمليات كثيرة أمام جبل آل صلاح ،الموجود أمام هضبة برط ولكن رجال القبائل الشجعان ،استطاعوا أن يقوموا بصده...ولم يحقق العدو نصرا يذكر،

ولكن من بداية عملية الجوف ، بدأ تركيز قوات العدو تركيزا هائلا، وأضاف العدو إلى قواته الموجودة بالفعل ٤٥٠٠ شخص مدربين ... ومعهم معدات وأسلحة لم تشهدها هذه المنطقة طوال تاريخها ... عشرات المدافع الصاروخية ، ومدافع الميدان والمدفعية المضادة للطائرات والرشاشات ... وعربات تصل كل يوم لتشوين كميات كبيرة من الذخيرة ،انتظارا لليوم الموعود ... يوم سوق العنان .

ولم يضع العدو وقتا ... بل بدأ هجوما كاسحا على جبل آل صلاح ... وهناك قاتل رجال القبائل اليمنية قتالا باسلا ... وكان المشايخ بأنفسهم ، يقودون المعارك وكان عبد الله راس وعبده اسماعيل والشيخ ناجى الشايف ... جميعا يواجهون الصواريخ بالبنادق ... وظلوا يقاتلون أياما ، فى مواجهة الصواريخ والمدافع... وفى النهاية استطاع العدو أن يحرز نجاحا ... لقد استطاع أن يستولى على جبل آل صلاح الحيوى ...

وكان واضحا ،أن ميزان القوى ، أصبح فى جانب العدو ، وأنه استطاع أن يكسب عامل المبادأة فى القتال ... وفى ظلام الليل كانت هناك برقية من مشايخ ذى محمد وذى حسين ،إلى القيادة العربية فى صنعاء ... وكانت البرقية توضح الموقف ،وفى نفس الوقت تطلب ،بصفة عاجلة ، قوات عربية إلى هناك ... نظرا لحشود العدو الكبيرة وأسلحته الثقيلة .

وفى نفس الليلة وفى منتصف الليل بالضبط ، عقد اجتماع عسكرى بغرفة قائد القوات العربية باليمن ... وتمت دراسة الموقف...إن هضبة برط ، منطقة لم تدخل

فيها عربة واحدة فى تاريخها ... بل إن الطرق ، غير صالحة لسير العربات على الإطلاق ... أى أن كل من يذهب إلى هناك ، لابد أن يصل سيرا على الأقدام ...

وكان هناك أسلوب آخر ، لتحقيق العملية ... أن تقفز مجموعة من رجال الصاعقة بالمظلات فوق جبال برط ... وهناك يعملون ، ويعتمدون على أنفسهم ...

وصدر الأمر إلى مجموعة من الرجال المدربين الذين قاتلوا مع سند ، بالاتجاه بسرعة إلى هناك ... وكان ذلك فى الساعة الواحدة صباحا ... وقبل شروق نفس اليوم ... كان المقاتل سعيد نصر ، يستقل طائرة هليكوبتر ... يحاول أن يستكشف بها أرض الإسقاط ، التى سيقفز فيها رجالنا ... وبصعوبة بالغة ، حاول الطيار أن يجد مكانا لنفسه ينزل فيه بطائرته ، بجوار سوق العنان ... وكان معه بعض المدافع المتوسطة فى الطائرة ... وكانت هذه أول طائرة تهبط فى التاريخ ، على جبال برط ...

وفى الساعة السابعة صباحاً ، من نفس اليوم ... فتح رجال القبائل عيونهم ليجدوا المفاجأة ... المظلات تفتح فى السماء ... ورجال معلقون بين السماء والأرض ، وفى ايديهم اسلحتهم ... وفى اللحظة التى وصلت فيها قدم المقاتل عبد العظيم فهمى إلى الأرض ... كان رجال القبائل ، يجرون نحوه بالأحضان ... والقبلات ...

وعلى البعد ... من مسافة ستة كيلو مترات ... حاول العدو ، أن يطلق نيرانه أيضاً على الهابطين من السماء ... ولكن النيران لم يكن لها أى تأثير ، على الإطلاق

وكان يوم عيد ...

واحتفلوا بيوم العيد ... وكان احتفالهم غريبا ... إذ قرر مشايخ القبائل ، تحية القوات الهابطة ، بالهجوم على العدو . وفى نفس الصباح ، كان اسم شياطين الجبال ... حمر العيون ... يتردد ... وفى نفس الصباح ، كانت قوات القبائل تهاجم العدو ، فى جبل آل صلاح ... وتستعيد الجبل مرة أخرى ... بالرغم من أن قوات العدو ، فوق جبل آل صلاح ، كانت أكثر من ثلاثة أضعاف القوات المهاجمة ... واستطاعت قوات قبيلة ذى محمد ، أن تستولى على مدفعين صاروخيين ٧٥ مم وبعض الأسلحة والرشاشات ...

وبدأ استغلال النجاح فى عمل بعض الكمائن والدوريات ، ضد العدو ، وبدأت قواتنا فى تدريب رجال القبائل على الأسلحة الحديثة ... والحرب الحديثة ...

وكان جميلا من رجال القبائل ، أن يصمموا ، على استضافة ... رجال الصاعقة ، حتى إنهم رفضوا رفضا باتا أن يصل إليهم رغيف خبز من أى مكان ...

وكانوا يقولون : إخوان والله إخوان ... وغير معقول ، حينما يحضر أخ إلى منزل أخيه ، أن يحضر طعامه معه ... لا ... والله ... وحينما يقوم أحد رجال الصاعقة بعمل شجاع ... كان تقدير رجال القبائل ... أن يحضر أحدهم كبشاً ... ويذبحه أمامه ... ويقول ... هذا هديه ... منى لك ، حيا الله الرجال ...

ولكن كل هذا ، لم يكن يعنى ، أن يتخلى العدو عن خطته ... لأن هدف العدو كان كبيرا ... ولازال عنده الأمل فى تحقيقه ... ومن المستحيل أن يتخلى عنه بهذه السرعة ...

ومرة ثانية ، بدأت قوافل من العربات والجمال ، تأخذ طريقها فى وادى ، عظلة للتجمع أمام هضبة برط ، لمهاجمتها ... كذلك الوديان المتقاطعة مع وادى عظلة ... مثل وادى أملح ، ووادى العقيق ، كانت مملوءة بقوات العدو ، وأسلحته ... فى انتظار يوم اللقاء ...

وبدأنا نحن أيضاً نعمل ... وكان من الضرورى ، تعطيل قوافل العدو خلال تقدمها ، ومحاولة تدميرها ... وكانت الخطة على أساس ، أن تحضر طائرة هليكوبتر ، ويخرج معها المقاتلان حمدى شلبى ، وجمال فهمى ، ثم يحاولان اختيار منطقة حاكمة ليضعا فيها حقل ألغام ... وبذلك يدمران بعض سيارات العدو ، فى خلال تقدمها حاملة الرجال والمال والسلاح ... ولكن المهمة شاقة بالنسبة لطيار الهليكوبتر ، الذى سينزل خلف خطوط العدو ، ثم ينتظر إلى أن يزرع حقل الألغام ويعود ، بالمجموعة إن العدو ، لابد أن يرى المجموعة كلها ... وهو بذلك ، يستطيع تدمير الطائرة وهى على الأرض ...

وكان هناك أصدقاء الصاعقه من الطيارين ... وسمعوا بالخطة... وتقدم الطياران المقاتلان ، السيد البدوى ، والجوهرى ، للقيام بالعملية ، وركب الجميع الطائرة ... وتم اختيار المكان الصالح لزرع الألغام ... ومر كل شئ فى هدوء ... ومع اللغم الأخير ،كانت هناك طلقة تأتى من بعد ، نحو المجموعة ... إن العدو قادم ، وتوالت الطلقات ... وفى ثوان ... كانت المجموعة كلها فى الطائرة ...والطائرة تأخذ طريقها ، إلى السماء ... إن محركات الطائرة ، كانت تدور طول الوقت ،لاحتمال أن يحدث الذى حـــدث ...

وفى نفس الوقت ، اندفع بعض قواتنا من سوق العنان عاصمة برط ، الى جبل آل صلاح ، لتدعيم القوات اليمنية الموجودة فيه ...

ووضع العدو خطته للقيام بعملية الهجوم ... على أساس أن يقوم بهجومه على محورين ...

أولا : مهاجمة جبل آل صلاح ، ثم الاندفاع منه جنوبا إلى سوق العنان ...

والمحور الثانى :هو احتلال هيئة حاكمة اسمها جبل الحديدة ... وهى غرب جبل آل صلاح ، ثم الاندفاع منها أيضا ،فى اتجاه سوق العنان ...وركز العدو كل قواته وبدأ هجومه ... والذى حدث بالنسبة لجبل آل صلاح ، هو أن العدو ، قام بهجوم تثبيتى ، على القوات الموجودة فى الجبل ،فى مواجهته ، ثم قام بهجوم رئيسى ، بغرض تطويق الجبل ، وقطع طريق مواصلاته الى الخلف ... وبالفعل استطاع العدو أن يتم هذه العملية بنجاح ، واستطاع أن يقطع طريق جبل آل صلاح ، والقوات المشتركة لازالت موجودة به ...

هذا فى المحور الأول ..

وفى المحور الثانى :حقق العدو نجاحا أيضاً ، فقد استطاع الاستيلاء على جبل الحديدة ، واندفع منه الى قرية بنى حنيش واستولى عليها ، فى طريقه الى سوق العنان

عاصمة برط كلها ، واخر مراكز المقاومة فى طريقه إلى الخراب ومنها الى الحرف لتحقيق حلمه ، الكبير ... قطع طريق الجوف على قواتنا ، بعد أن عبرتة ...

وقرية بنى حنيش التى استطاع العدو الوصول إليها ، تبعد خمسة كيلومترات فقط عن سوق العنان ...

وكانت خطة العدو بعد ذلك ، الاندفاع إلى سوق العنان مباشرة ... وكان واضحا أن العدو لديه أسلحة معاونة قوية ، ولها قدرة نيران هائلة ...

وفى هذه اللحظة ، كان الموقف من وجهة نظرى خطيرا ... ولكن من وجهة نظر مجموعات سند كان عاديا ... وقالوا إن هذا هو الوقت المناسب للعمل ...

ووضعوا خطتهم ... على أساس تعطيل العدو ، أطول وقت ممكن ، وقطع طرق إمداده ، التى ستتابعه لو واصل تقدمه ... ثم فرد جزء من قواتنا على الطريق ، فى هيئة كمائن متحركة ، تقابل العدو طوال تقدمه ... ويكون أسلوب عملها ، هو ضرب العدو ، وإحداث خسائر به ... ثم التحرك بسرعة ... لتقابله فى مكان آخر وهكذا ...

وكان أول كمين خلف موقع آل صلاح ... واستمر أربع دقائق ، وكانت خسائر العدو ١٧ فردا ، وتوالت الكمائن بعد ذلك ... فحدث ذعر كبير فى صفوف العدو وتكبد خسائر جسيمة فى عمليات تافهة ...

واضطر أمام خسائره ، أن يقوم بتثبيت قوانه ، وبذلك تجمدت فى أماكنها ، وأمكن شل حركتها ... الأمر الذى أعطانا فرصة العمل المريح ، على أرض العمليات دون ضغط من العدو ، فأخذت قواتنا فرصة للتركيز على أحد محاور العدو ... مع تجميد المحور الآخر ...

وأصدر المقاتل سعيد نصر ، أوامره بضرورة استعادة الطريق ، حتى جبل آل صلاح ، خلال الليل ... وبدأت قوات الصاعقة مع رجال القبائل الزحف فى اتجاه

العدو ... وتمت عملية الاستعادة فى خلال ثلاث ساعات ... وعند ظهور أول ضوء عاد الموقف إلى ما كان عليه ، قبل هجوم العدو على هذا المحور ...

ومع الصباح ، وصلت طائرة هليوكبتر ، تحمل مدفعا صاروخيا لقواتنا ...

وبدأ التقدم على المحور الثانى ... ووصلت باكورة قواتنا ، بقيادة المقاتل حسن فرج ، إلى مداخل قريه بنى حنيش، وكان العدو يستخدم فيها مدفعا صاروخياً فبدأ مدفعنا الصاروخى، يعمل فى مواجهة مدفع العدو الصاروخى، وكان المقاتل محمد عبد الحفيظ ، يجلس خلف مدفعنا الصاروخى ... وانطلق أول صاروخ ... إنه بجوار مدفع العدو ، ولكنه لم يستطع إسكاته ... والثانى ... والثالث... وبالطبع كان مدفع العدو الصاروخى من الجانب الآخر ،يحاول القيام بنفس العمل ...

ثم انطلق الصاروخ الرابع ... ومع الصاروخ الرابع تطايرت فى السماء قطع حديدية . . هى بقايا مدفع العدو ... لقد أصيب بصاروخ مباشر ...

وبدأت القوات، تشق طريقها وسط الصخور ... وتمت السيطرة على قرية بنى حنيش ... ومنها إلى هناك فى مواجهة جبل الحديدة . . آخر معاقل العدو فى المحور الثـــانى ...

وجبل الحديدة ،جبل غريب فمواجهته لقواتنا ،عبارة عن قطع هائل أملس ، مثل الحائط الرخامى،يصل ارتفاعه إلى ١٥٠ مترا كاملة ... بينما هو من ناحية العدو عبارة عن ميل تدريجى خفيف ...

وبذلك يكون من السهل جدا ،على العدو تسلقه ، والهبوط منه ... بينما العملية من جانبنا ، عملية شاقة ... بالغة الصعوبة ، وفى نفس الوقت ، كثيرة الأخطار والتكاليف ... إذ أن مثل هذه العملية ، لابد أن نتكبد فيها خسائر جسيمة . . والقائد الناجح ، ليس هو القائد الذى يحقق الغرض ... ولكنه دائما ، القائد الذى يحقق الغرض ، بأقل عدد من الخسائر ...

ووضع العدو ، فوق هذا القطع ١٢ مدفعا رشاشا ، حتى إذا حاولنا الهجوم ،

كانت خسائرنا جسيمة ... وفى اللحظة التى كان المقاتل سعيد نصر ، يفكر فى وضع خطة مهاجمة العدو ...

حدثت مفاجأة مثيرة ...

وصلت قوات من قبائل « ذى محمد الجنوب » وهذه القوات ، تقطن فى جنوب اليمن بجوار محمية عدن ، ولما وصلت إليها أنباء القتال الدائر فى الشمال ... وأن نصف القبيلة الآخر ، المواجهة لحدود اليمن الشمالية ، فى موقف صعب ... بدأت جحافل ، من المقاتلين تتقدم ، سيرا على الأقدام ، عبر اليمن كله ، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ... لنجدة أبناء عمومتهم ... وإخوتهم فى الدم ...

وكان منظرا مثيرا غاية الإثارة ، حينما التقى أولاد العم ، والخال ... وهم لا يعرفون بعضهم البعض ... إننا قادمون للقتال معكم ... لحماية الحق ... وصمم الشيخ مطيع الدماج ، قائد قوات «ذى محمد الجنوب» على أن يشترك فى القتال فورا ... وكان دائما يسأل ... أين العدو ؟ ... هيا يارجال ... وأمام إصرار الشيخ مطيع الدماج ، وباقى مشايخ ذى محمد الشمال ، وذى حسين ... تقرر البدء فى الهجوم على ، أن يتم بقوات مشتركة ... وعلى أن يتم أيضا ، بواسطة حركة التفاف هائلة ، حول جبل الحديدة كله ... فيهاجم العدو من الخلف ، من المطلع السهل ... وكانت عملية الالتفاف تعنى ، ستة كيلومترات سيرا على الأقدام ... وعلى أن تتم العملية ليلا أيضاً ...

وكانت الخطة ألا يصعد أحد إلى الجبل ، ولكن تتركز كل القوات ، فى جانبه ... وتقوم إحدى الدوريات ، بالتسلل إلى خلف مواقع العدو ، وتطلق عليه نيرانها لمدة ساعة كاملة ... وبذلك تضطره ، إلى التوجه إليها ... وفى طريقه ، يكون مكشوفا ويتخلى عن حصونه ، فيتم اصطياده ... وكانت قوات العدو ساعتها حوالى ١٥٠٠ فرد ... وتم تنفيذ العملية ، كما رسمت ، وخسر العدو ١٢٠ قتيلا ، وتم الحصول على أربعة أسرى ... وقال الأسرى : إن قادة العدو ، قالوا لهم : إن صنعاء قد سقطت ،

وإن صعدة قد سقطت ، وإن القوات الجمهورية هزمت فى اليمن كلها ... ولم يبق إلا برط ...

وانسحب العدو مهزوما ... وابتعد أمل الوصول إلى الجوف ، عن عيونه كثيرا ...

لكن ... كان لدى العدو خطة أخرى .

لقد قام بتغيير كل قواته المهزومة واستجلب قوات أخرى ومرت عدة أيام وكل هدفه ، هو العودة إلى نفس العملية مرة ثانية ...

وفى هذه المرة ،ركز قواته فى مواجهة جبل آل صلاح ... وأعطى مكافأة لكل فرد يصل إلى الجبل ،خمسة جنيهات ذهبية ...

وبدأ العدو تمهيده بالنيران لمدة ٤٨ ساعة متوالية ، ثم بدأ هجومه بالقوات المدربة ، التى أحضرها لتقوم بأول هجوم ليلى ...

وفى منتصف الليل بالضبط ... وصل العدو إلى ميول الجبل الأمامية ، فى منطقة اسمها المقدم وحاول أن يجعل منها قاعدة لنيرانه ... ومركزا أيضا لاجتياح باقى الجبل ...

ولكن المقاتل عبد العظيم ، رفض أن يعطى العدو هذه الفرصة ... فجمع كل من كانوا موجودين حوله ... وبينهم طباخ الصاعقة ...

وفى دقائق ، كانوا هناك يقومون بهجوم مضاد ، لتدمير رأس الحربة التى استطاع العدو أن يضعها على الجبل ... وقبل الفجر كان الموقف مرة ثانية فى أيدينا ... وخسر العدو ثمانية أفراد ... واثنين من الأسرى ... وخسرنا شهيدا عظيما ...

وتكلم الأسرى ، عن النقود ، وعن النهب ، وعن أشياء كثيرة ... وقالوا « والله مخدوعين » ، وطلبوا السماح لواحد منهم بالعودة إلى الجانب الآخر ... إلى العدو ... لإرشاد الرجال الى الحقيقة ...

رايات المحبة

وسمح للأسير بالعودة ... ولم يمر يوم ، حتى عاد بنفسه ، وقال : إن كثيرا من الرجال ، فى طريقهم إليكم، يرفعون رايات المحبة ... بعد أن علموا بأنهم خدعوا .

وانضموا إلى باقى المقاتلين ... الى هنا ، ولم يعد العدو ، قادرا على عمل أى شئ فى هذا المحور ... رجاله حضر منهم جزء إلى صفوفنا ، والجزء الباقى ، صمم على العودة من حيث أتى ...

واستمر الهدوء فى أبراج برط . .

* * *

ولنعد الى المحور الثانى ... وهو المحور الأكثر أهمية ، والذى دارت فيه عمليات مجيدة ... محور القفلة ... إنها المعارك التى دارت حول بلد الأسياد ... حول مقر الحسن عم البدر ... وفى داخل قصره ... حيث شهد هذا الجزء من مسرح العمليات، أكبر حشد فى تاريخ العمليات الحربية فى اليمن ، حينما جمع الشيخ عبد الله الأحمر ، شيخ قبائل حاشد ... جميع مقاتلى قبيلة حاشد ...

وكانت مدينة القفلة، المقر المفضل للأمير الحسن عم البدر ... ومبانيها جميلة... وهى فوق هضبة ، ويمتلك أرضها كلها الحسن ... وهناك أشهر مزارع اللوز ، والبرتقال ، والخضروات ، وهناك قصر الحسن ... ويبدو عليه بذخ الملوك ... حتى إنه توجد فى كل حجرة، ثلاجة كهربائية... وهى عقر دار أسرة حميد الدين...ولذلك يطلقون عليها « بلد الأسياد » ...

وأشهر جبال المنطقة ، هو جبل شهارة وارتفاعه ٣٩٠٠ متر فوق سطح البحر

وقد حاولت أسرة حميد الدين ، أن تبدأ العمل من مركز قوتها، ومركز نفوذها فأرسلت الرسل للقبائل قائلة : إن الثورة لن تعيش ، وأن هناك جيوشا جرارة

للإمام فى الطريق ... وتدفقت آلاف الجنيهات الذهبية ، والأسلحة على المنطقة ، التى شهدت أبشع أنواع الظلم ، فى تاريخ البشرية ... ومعها تدفق عديدون من أسرة حميد الدين ، بهدف الاعتماد على قاعدة صلبة وطيدة ...

ولم يمر وقت طويل ... لقد كان الشيخ عبد الله الأحمر ، شيخ قبائل حاشد ، يعلم بالخطة كلها ... وفى نفس الوقت يعلم بقصة الخديعة ... التى حاول أفراد أسرة حميد الدين أن يقوموا بها معه ، ولكنهم فشلوا ... فأرسل رسالته الشهيرة إلى البدر وكانت أول عبارة فيها ... « إلى البدر المغرور » ... والرسالة تحكى تاريخ الضياع الطويل ، والظلم الهائل لشعب بأسره ...

وجمع الشيخ عبدالله الأحمر ، جميع المقاتلين من قبيلة حاشد ، وتحرك معه يومها كل شخص قادر على حمل السلاح ليشكلوا بذلك أكبر حشد شهدته اليمن فى تاريخها ... وتقدم من رايدة ، إلى حوث إلى القفلة ، وهاجمها وطرد الملكيين ... ثم تقدم إلى جبل شهارة ، وحاصرهم هناك زمنا طويلا ...

وفى الوقت الذى كانت قوات الجوف تشق طريقها ، كان العدو قد قرر مرة ثانية ، أن يعمل فى منطقة القفلة ... وبالخيانة والخديعة ، استطاع أن يزيد قواته فى المنطقة ، ويرسل لها تعزيزات هائلة ...

وأرسل الشيخ عبد الله الأحمر ، برقية إلى المشير عبد الحكيم عامر ، يطلب فيها ، سرعة إرسال قوات عربية ، إلى هناك لتعزيز قواته ... وخاصة أن مدفعية العدو الصاروخية ، كانت قد بدأت العمل بالفعل ...

وكانت خطة العدو ، مبنية على أساس احتلال القفلة ، ثم الاتجاه شرقا إلى حوث ، ومن هناك قطع خط إمداد القوات التى تعمل فى وادى الجوف ، كذلك القوات التى تعمل فى المحور الشمالى ... وكان العدو يتصور أنه من نفس الطريق ، يستطيع دخول صنعاء ... وأعلنت إذاعة البدر ... أنه فى طريقه إلى صنعاء ، ليصلى الجمعة فى المسجد الكبير ...

وأسند المشير عامر ،مهمة العمل فى هذه المنطقة ، إلى جزء من القوات التى عملت مع سند ...

وبدأ الرجال يتقدمون ..

وكان القتال الأول ، مع الطبيعة الصعبة ... مع الطريق الوعر ، من حوث إلى القفلة ... وهذه المسافة هى ٣٢ كيلو مترا ... ولم يكن هناك أى حل ... إلا أن يسيرها الرجال ، على أقدامهم ، وتتقدم العربات فارغة ... الطريق ضيق ، ولا يسمح للعربات العسكرية والمدرعات ، أن تمر فيه إلا بصعوبة بالغة ... حتى إن جنود كل عربة ، كانوا يحاولون أن يرشدوا ، سائق عربتهم طوال الطريق ... لأن انحرافه بضعة سنتيمترات ، كان كافياً لسقوط العربة فى الوادى ... الذى ينحدر مئات الأمتار ... وكانت هناك تعليمات واضحة ، للسائقين بترك عرباتهم والقفز منها ، لو انحرفت العربة إلى الوراء ، وعلى أعصاب الرجال العظام ، قطعت هذه المسافة ، ووصلت المدرعات والعربات لأول مرة فى التاريخ إلى هذه المنطقة ، وكذلك وصل رجال الصاعقة ، وهم هناك يقولون عنهم (المخلجين) أى أن منظرهم جميل ...

وأطلقوا على المدرعات اسم « العمياء » ...

وفى لحظة وصول القوات إلى القفلة ، كان العدو ، قد استطاع أن يتقدم إلى مسافة خمسة كيلو مترات منها ... وأصبحت القفلة ذاتها ، داخل مدى مدفعيته الصاروخية .

وبنظرة إلى طبيعة الأرض ، فى منطقة مسرح العمليات ، نجد أن مدينة القفلة فى الوسط وفى اتجاه الشمال جبل آهر ، وهو جبل ضخم ... وطويل ورفيع ... وإلى يساره ، تبة يسمونها الأكمة ... وأطلق عليها اسم تبة الحرس ... وإلى الغرب جبال شهارة العالية ... وفى منتصف المسافة بين القفلة وجبال شهارة يوجد جبل عزان ... وفى هذه اللحظة ، كان جبل آهر فى يد العدو ... وكذلك جبال شهارة ... والأكمة ... أما جبل عزان فكان فى أيدينا ... وبدأت قوات الصاعقة تعمل مع المقاتلين ، من رجال قبائل حاشد والحرس الوطنى ، لضرب العدو وطرده ...

ونظر المقاتل حمدى شلبى ، إلى الأرض الممتدة أمامه ، وإلى سلاسل الجبال المتوالية ... وقرر أن تكون العملية الأولى فى تبة الأكمة ... وصمم رجال الحرس الوطنى اليمنى ، على أن يقوموا هم بالعملية ... وخرجت وحدات من الحرس الوطنى إلى هناك ، واشترك معهم أربعة رجال من قوات سند ... بقيادة الرقيب البطل صلاح البرى ... وقاتل الرجال قتالا مجيدا ... وكانت مهمة صلاح البرى ، هى العمل على الهاون ... وتقدم الرجال إلى قمة الأكمة ... وكانت مفاجأة أمام صلاح البرى ، أن يجد أمامه فى الوادى ، حشودا ضخمة للعدو ... وبدأ هو العمل بالهاون الذى فى يده... وكان يضع القنابل فى سرعة هائلة، فى فوهة الهاون ، حتى يستطيع أن يحصد أكبر عدد ممكن ، من العدو ...

وأصيب صلاح البرى واستشهد... ولكن آثار قتاله ، كانت واضحة فى السماء ، إنها أعداد ضخمة من الغربان ... وجدت فريستها ، فى جثث العدو الممزقة ، والمبعثرة على أرض الوادى ...

وبدأ بعض قواتنا فى جبل عزان يستعد للعمل ، فخرج جزء فى شكل دورية قتال ، لمواجهة العدو الموجود فى جبل آهر ، بقصد معرفة قواته على وجه التحديد . وأماكن أسلحته وأنواعها ... وخلال الظلام بدأت الدورية بقيادة المقاتل جلال عبد الهادى ، تسلقها للجبل الصعب ... ومعها صناديق الذخيرة والماء والطعام ... وعلى الجبل يوجد حصن ... وكان هدف الدورية ، هو هذا الحصن ... وكانت مفاجأة ... ليس فى الحصن عدو ... ولكن لم تمر وقت ، حتى كانت هناك مجموعة من العدو ، فى طريقها إلى الحصن ... وكتم رجالنا أنفاسهم ... وجهز كل مقاتل ، قنبلة يدوية فى يده ، معدة للاطلاق ... وفى اللحظة التى صدرت فيها إشارة الاطلاق ومض فى الظلام ضوء انفجارات القنابل اليدوية...وكانت صدمة للعدو ، لم يتوقعها لأن إطلاق القنابل تم من مسافة قريبة ، حتى إن رجالنا سمعوهم وهم يتكلمون .. وكانت آخر كلمة سمعوها قبل أن يطلقوا قنابلهم « هانبيد المصاروة ... »

واتصل جلال عبد الهادى ... بالمقاتل حمدى شلبى ، وشرح له الموقف ، وقال له : إننا من هذا المكان ، نستطيع أن نقاتل العدو ، ويجب أن نحتفظ به ، كنقطة متقدمة من قلب العدو ...

وبدأ المقاتل صالح عبد الحى ، ومعه مجموعة أخرى من المقاتلين ، يأخذون طريقهم إلى الجبل ... وكانت البلدة ، كلها قد استيقظت على صوت انفجار القنابل ... وخرج الرجال جميعا ، خلال الظلام ، الى جبل آهر ... وفى نفس الليلة أمكن السيطرة على الجبل كله ، ومع طلوع النهار ... بدا أن الموقف فى أيدينا ... وفشلت محاولات العدو الأربع ، فى استعادة الجبل ...

وفى هذه الأثناء ، استطاعت قواتنا ، التى تشق طريقها عبر وادى الجوف ، أن تصل إلى المطمة ، بعد معركة الأحراش ... وفقد العدو أعصابه ... ووصلت مئات الجمال تحمل الذخيرة ، والسلاح ، والمال ، والجنود ، إلى أرض القفلة لتنفيذ الخطة الجديدة ...

وفجأة ، بدأ العدو يشن هجوما عنيفا ... مركزا ... بقوات كبرى وبأسلحة حديثة ، تظهر لأول مرة فى اليمن كلها ، وكان هدف العدو ، أن يكون هجومه كاسحا ، بحيث يتم كل شى فى الظلام ... فيقضى على كل قواتنا الموجودة على الأرض ... وفى الساعة الرابعة والربع بعد الظهر ، بدأ العدو هجومه الشامل ... بقوات كبرى حتى يضمن عدم تدخل الطيران ضده ... وجهز حمدى شلبى ، إشارة ليرسلها الى القيادة العربية فى صنعاء ، يطلب فيها الطيران ليلا ... وكانت هذه هى المرة الأولى التى تطير فيها طائرة ليلا فى سماء اليمن ، فلم يكن فى اليمن كلها مطار واحد صالح للطيران الليلى ... ولم تكن الأجهزة اللاسلكية فى صنعاء موجهة ترددها فى هذا الوقت ، تجاه صنعاء ... ولم يكن هناك أمل فى الاتصال بصنعاء ، إلا بعد ساعتين على الأقل ... وبدأ عامل اللاسلكى يدير أجهزته ، محاولا أن يدخل على أى تردد ، ليملى عليه الإشارة الهامة ، ليبلغها إلى صنعاء ... ومر وقت ... وأخيرا استطاع الدخول على أحد

الترددات ... وبدأ الجندى من خلف الجهاز يتكلم ... وقبل أن يتكلم بالطبع ، كان من الضرورى أن يعلم ... من الذى يتكلم من الجانب الآخر ... لم يكن الجندى يتصور أن الذى سيرد عليه ، هو المشير عبد الحكيم عامر ... لقد كان المشير ساعتها يتصل بقائد قوات محور الجوف ...

وتلقى المشير عامر الإشارة ، من الجندى وسأله أين المقاتل حمدى شلبى ؟ ... فرد الجندى: أنه فوق الجبل، والعدو قد بدأ هجومه بالفعل. وشرح الجندى الموقف للمشير عامر ...

وأمر المشير عامر أن يبدأ على الفور ، اتصال مستديم مع قوات القفلة ...

وكانت أول إشارة على الجهاز ... من المشير عامر ... القفلة حيوية للغاية ... لايسمح إطلاقا بالتراجع عنها ...

وبلغت الإشارة على الفور ، لجميع القوات ... خلال المعركة ...

وكان هناك رد على الإشارة وهو :

فشل هجوم العدو ، لثبات الموقع جميعه . روحنا المعنوية عالية . لن تسقط القفلة بإذن الله ... شعارنا التضحية والفداء والمجد . مسيطرون على الموقف تماماً ، النصر لنا .

وخلال الظلام ، اجتمع المشير عامر مع الطيارين وقال لهم : أمامكم مهمة والمهمة صعبة ...

ومطلوب لها متطوعون، للطيران ليلا...

وكل طيار فى الدنيا ، يعرف معنى الطيران ليلا ، فى اليمن ... وبالرغم من ذلك، ارتفعت يد الشهيد عز الدين ناصر ... وتلتها يد الطيار المقاتل ممدوح يوسف، وتوالت الأيدى ...

وطار عز الدين ناصر ... خلال الظلام إلى هناك ... وفى اللحظة التى كانت عجلات طائرة عز الدين ناصر تترك ممر المطار الترابى ... كانت قوات العدو تهاجم مواقعنا من اليمين واليسار والأمام ، محاولة التسلل من الجوانب ، بهدف نسف مركز رئاسة القوات وإثارة الذعر ... وفى نفس الوقت ، بدأت تطلق قنابل الهاون على الأهالى

وظهرت طائرة عز الدين ناصر ... وفوجىء العدو بالطائرات تعمل ليلا ... وأنوار خضراء وحمراء ، تمر فى السماء ... وبدأ عز يتكلم خلال اللاسلكى ... عز لشلبي ... أنا فوقك ... منتظر توجيهك ...

شلبي لعز ... موقفنا تحسن كثيراً ... وهمتك معانا ...

عز لشلبي ... تحت أمرك وبإذن الله سننتصر ...

شلبى لعز ... الف لفتين، وسأضرب هاون مضىء على العدو لتقوم بضربه ... أى خطأ ستضرب علينا ... واعلم أن العدو لديه أسلحة مضادة للطائرات ... وبدأ عز يدور بطائرته فى السماء ... وانطلقت قنبلة الهاون المضىء، وألقى عز الدين ناصر بأول قنبلة ... وسقطت فى جانب العدو الأيسر ... وحدث انفجار هائل واشتعلت النيران بشكل غريب، وتصاعدت ألسنة اللهب، إلى السماء لتضىء مواقع العدو حولها، لقد سقطت فى مخزن بترول وحدث ذعر شديد فى العدو ... وبدأ عز يدور دورة ثانية حول العدو ... ليكمل ضرب قنابله ...

عز لشلبي ... قبل أن أعود ... أى خدمات من صنعاء ؟.

شلبي لعز ... ألف شكر للضرب الهائل ...

وبدأ صوت طائرة أخرى يطن فى السماء ، إنه المقاتل ممدوح يوسف ... وتم توجيهه لضرب العدو ، فى عمق استحكاماته التى بدأت تتكشف خلال الظلام ...

وبدأت قواتنا تستغل النجاح ، فتقدمت بمجموعات لحصد العدو المنزعج ...

ووصلت إشارة من الفريق أنور القاضى ...

ماهو موقفكم ..؟

« مسيطرون على الموقف مهما كانت أعداد العدو . نكبده دائماً خسائر فادحة . مستعدون دائماً لاستقباله ، وسنكون عند حسن ظنكم ... ضرب الطيران ممتاز . النصر لنا ... »

وواصلت مجموعاتنا استغلال النجاح ... ووصلت أول غنيمة من عند العدو ... إنها هاون ٨١ مم ... ثم توالت الغنائم ...

وقام المقاتل عبيد عبد المولى ورجاله ، بإغارة ناجحة . وصلت فيها خسائر العدو إلى حوالى ٤٠ قتيلا ...

وبدأت مجموعات كثيرة أخرى فى اتجاه خطوط العدو الخلفية . تعمل بهمة لتدميره ... وخلال هذه العمليات خسرنا الشهيد عبد السلام الهلباوى ...

ولكن لم يمر وقت طويل ... حتى سكتت أسلحة العدو ... لقد أصبح غير قادر على القتال ، بعد الشلل التام الذى وصل إلى جميع أجهزته ...

ولم يكن هذا كافيا ... لقد بدأ الرجال يعملون ، لتحطيم العدو نهائياً ...

ووصلت إشارة من المشير عامر ...

يسعدنى ثبات موقعكم ، وصدهجوم العدو ... أثق فى عزمكم . القفلة مهمة للغاية ...

وواصلت قواتنا سيرها ... وعلى قمم الجبال وفى السهول ... رفرفت أعلام الجمهورية ... لتعلن أن الثورة ولدت لتعيش ...

وبدأ السلام ...

ومهمة السلام ، هى مهمة البناء ... ظهرت المستشفيات ، وبدأ الأطباء يعالجون الجميع ... وكان منظراً رائعاً ، حينما بدأ المقاتلون يلبسون القفازات المعقمة ، ليساعدوا الأطباء فى العمليات الجراحية ،التى تجرى لأول مرة على هذه الأرض..

ووصلت الجرارات لحرث الأرض ، والمضخات للرى ، وبدأ جنود المظلات يعملون كمدرسين فى المدارس ، التى فتحت

وبمعنى آخر بدأت مظاهر الدولة الحديثة تأخذ مكانها ...

وهتف الناس للمشير عامر ...

بطل الحرب ...

هو بطل السلام ...

معركة في جبل اللوز

يا آلهي ! ! . كانت الصرخة التي اطلقها قائد قواتنا حينما وجد امامه جميع الاسلحة والذخيرة والعربات والذهب الذي كان يمده البدر ليرشو به القبائل لتقاتل القوات الجمهورية . وقبل أن يطلق هذه الصرخة دار قتال عنيف .. ان معركة جبل اللوز هي معركة الأسرار ..



بدأت عمليات جبل اللوز ، بعد انتهاء عملية التطويق الهائلة ، عبر وادى الجوف ووصول القوات الجمهورية إلى مأرب فى أقصى الشرق ... وكان الغرض الأساسى ، من عملية الاختراق فى وادى الجوف ، هو قطع جميع الوديان ، والطرق القادمة من الشمال إلى المحور الشرقى ... إذ أن جميع الطرق تقريبا ، تتقاطع مع وادى الجوف... وبهذا نضمن ، وقف سيل الأسلحة المتدفقة إلى القبائل ، فى محاولة إغرائها ... سواء بالمال أو بالسلاح ... أى أن الغرض كان منع عامل الإغراء المتزايد بالنسبة للقبائل فى هذه المنطقة ... وانعدام عامل الإغراء وحده كان كافيا ، لأن يرى الناس الحقيقة ... وأن يفكروا فى صالحهم بهدوء ... وكانت عملية الجوف ضربة كبرى قبل هذه العملية ... كانت السيارات والمدرعات ، قادرة على اختراق الوديان إلى أى مكان ... المهم أن عملية الجوف حققت غرضها ... ونجحت ... ولم يعد أمام العدو إلا التفكير فى خطة أخرى ...

وتركزت خطة العدو ، على العمل فى منطقة ... شمال وادى الجوف ، وقريبة من الحدود السعودية ... هى جبل اللوز ... وجبل اللوز هذا ، يمتد الى مسافة تصل الى عشرين كيلومترا ... والجبل مملوء بالكهوف الكبيرة ، والأنفاق والجيوب ... وكله مضايق ، وهو عبارة عن جبل كبير فى داخله مجموعة أخرى من سلاسل الجبال المتعددة ... وكان قرار العدو ، هو السيطرة على هذا الجبل الضخم

والاستفادة من الكهوف الكبيرة والأنفاق والوديان ، واستعمالها كمخازن كبرى للأسلحة والذخيرة ، والمهمات ، والأموال ، ومواد الإعاشه ، مع اعتباره قاعدة رئيسية للشئون الإدارية لعملياته فى اليمن ... كذلك اعتباره مركزا للسيارات ، والمدرعات ، ومحطة لاستقبال شيوخ القبائل ، ومحاولة اغرائها ، وتقديم المال ، والسلاح لها ... على أن تتم عملية النقل من السعودية بواسطة السيارات ... وتفرغ السيارات الكبيرة حمولتها على الطريق القادم من نجران ، والذى يمر بجوار هذا الجبل... ثم تقوم الجمال بنقل هذه المهمات ؛ ومعها سيارات من قيادة العدو ،الى داخل الكهوف العديدة ... وبذلك تتم المحافظة على سرية المكان ... لأن الجبل كله أسرار ... وهكذا لايعلم الرجل ، الذى ينقل المعدات من السعودية ، بالمكان الذى يتم الاحتفاظ بها فيه ... الوحيد الذى يعرف ، هو الذى يعيش داخل الجبل الكبير ... ويبدو أن هذا لم يكن كل شئ ... لقد كان الجبل ، هو جبل الأسرار ...

ومن أجل هذه الأسرار ... أولا ... ومن أجل الذخيرة ، والسيارات ، والمدرعات ... ثانيا ... وضع العدو أسلحة لاحصر لها ... فى كل مكان ، يمكن أن يأتى منه تهديد ؛ أو يمكن أن تقوم قواتنا بالهجوم منه ...

وكان لابد أن نعلم ، ماذا يدور هناك ... وعلمنا ماذا يحدث فى الجبل ... وكان الجبل ساعتها ... قد تحول الى مستودع ضخم ... انه الوقت المناسب للعمل

وصدرت التعليمات لعناصر من قوات المشاة ، بالتحرك فى اتجاه الشمال ، والاقتراب من جبل اللوز ... ان العملية كلها ، يجب أن تتم بسرعة خاطفة .. لاتسمح للعدو بالفرار وإعادة أسلحته . . وفى نفس الوقت ، لاتسمح له بتدميرها ... والأكثر أهمية ... أن نضع يدنا على السر الكبير ، وفى الوقت الذى صدرت فيه هذه التعليمات لقوات المشاة بالتحرك ... كانت هناك وحدة ، من وحدات الصاعقة القادرة على العمل السريع والمتمرسة على حرب الجبال ؛ تشق طريقها بسرعة فائقه إلى أرض العمليات ... أو الأرض التى ينتظر أن تشهد قتالا عنيفا ...

يفوق فى ضراوته وعنفه، معارك كثيرة دارت على أرض اليمن ... جبل اللوز ، هو حصنهم الهام ...

وكانت المنطقة التى تقرر السيطرة عليها أولا : هى صحن العقبة ... فلم يكن معقولا ، مهاجمة الجبل كله ، مرة واحدة ... لأن امتداد الجبل ، كما قلت ٢٠ كيلومترا كاملة ... وهكذا ... كان من الضرورى ... أولا : فرض السيطرة على تحركات العدو من والى الجبل، وبذلك نمنع العدو من الخروج أو الدخول ... حتى نحصل على كل شئ كما هو ... ثم تقوم القوات المقاتلة بالسيطرة على الجبل ... منطقة ... منطقة ...

وكان من الممكن تحقيق السيطرة بواسطة عاملين ... الطيران ... وهو قادر على عزل المنطقة بكاملها ... والدوريات النشطة، لاصطياد القوات المتحركة ... وخاصة أن العدو استخدم فى هذه المعركة — لأول مرة — حشودا من الأسلحة والحملة الميكانيكية ...

وكان الهدف الأول الذى كان على القوات السيطرة عليه هو « صحن العقبة » وهو كما يبدو من اسمه ، عبارة عن تجويف فى الجبل، مثل الصحن يبلغ قطره كيلومترين ، وليس له إلا مدخل واحد ضيق ... عبارة عن مضيق فظيع ... وأمام هذا المضيق تبة حاكمة، تستطيع السيطرة ببساطة، على كل من يدخل الى صحن العقبة ... وكان من الضرورى أيضا المرور ، ولم يكن هذا هو كل شئ ... فكان من الضرورى المرور فى خور آخر للوصول إلى هذا المضيق ...

هذا الخور يبلغ طوله ثلاثة كيلومترات ... ويبدأ بمضيق أيضا ... يتوسط هذا المضيق، تبة كبيرة وأمامها تبتان أخريان، اسمهما تبة شيحاط « فى اليمين» ، والتبة الصفراء فى اليسار ... وكان العدو يحتل جميع هذه التباب ويوزع عليها أسلحته بحكمة بالغة ... فمثلا وضع على جانب مدخل الخور ... وهو مايسمونه سن هراية عددا من المدافع الصاروخية ٧٥ مليمتر ، وثلاثة هاونات ٨١ مم عدا الرشاشات ، والبنادق ، والأسلحة العادية ...

وعلى الجانب الآخر، وهو مايسمونه سلسلة العقبة كانت هناك عدة رشاشات نصف بوصة ... أى أن قطر الطلقة الواحدة نصف بوصة ، بالإضافة إلى ستة مدافع صاروخية، مابين المدفع ٧٥ مم ، والمدفع ٥٧ مم هذا بالإضافة إلى مدفع صاروخى آخر ٧٥ مم ،وضعوه على التبة التى تتوسط الخور ... ولم ينسوا بالطبع أن يقوموا بتشوين كميات هائلة من الذخيرة لهذه المدافع ،كافية للقتال عدة أيام متوالية...

ووصلت قوات المشاة ... وبدأت اشتباكها ... وكان الهدف الذى وضعه قائد المشاة فى ذهنه ،هو السيطرة على تبتى شيحاط ، والصفراء ،سيطرة كاملة،وبهذا يضع قدمه بجوار مدخل الخور ، وبهذا أيضاً يستطيع أن يجد منطقة مناسبة تتبادل منها النيران ،مع العدو المختفى خلف الصخور ... ودار قتال عنيف ...ووضع أول مقاتل قدمه على تبة شيحاط قبل الظلام ... وكذلك على التبة الصفراء ... ومن خلال المشاة ... ومن خلال هذه القاعدة الصغيرة ... بدأت قوات الصاعقة تتدفق ... وتنطلق بسرعة هائلة ...

لم يكن هدف قائد الصاعقة لحظتها ، طرد العدو من الجبال ... ولكن كان له هدف آخر ... هو ضرب العدو ضربة قوية ، واختبار مدى قوته ... وقدرة أسلحته ، وقدرته على الدفاع عن المنطقة ... وأيضاً وهو الأكثر أهمية ، تحديد الأماكن التى يوزع فيها أسلحته ... وأيضا مدى قدرته الليهرية ... ومدى تدريب هذه القوات ... ومحاولة معرفة خطته فى الدفاع ... لأن هذه العناصر ... عناصر هامة لرسم الخطة المثيرة ... خطة السيطرة على صحن العقبة نفسه ...

وجلس قائد وحدة الصاعقة وهو المقاتل حسن البدويهى ... خلف صخرة فى تبة شيحاط، ومن خلال المنظار المكبر حاول مراقبة موقع العدو فى التبة التى تتوسط الخور ،ساعتها لم يكن لهذه التبة اسم ... فسماها التبة السوداء...وفى الوقت الذى كان يراقب فيه تحركات العدو، كان يحدث أن تنفجر بين وقت وآخر إحدى قنابل الهاون بجواره ... أو يسمع صوت صفير طلقة تمرق فى الهواء ...وكلما اشتد صفير الطلقة الناتج عن احتكاكها بالهواء ... كان هذا يعنى أنها أكثر قربا ... ولم يكن

هذا شيئا هاما ... لقد تعود المقاتلون على صوت هذا الصفير ... وأصبح أمرا طبيعيا أن يسمعوا هذا الصوت ... أما الشئ غير الطبيعى فهو ألا يسمعوه ... وسأل المقاتل نفسه سؤالا ؟ ...

ماذا يحدث لو أن قوة صغيرة من قواته، تحركت بسرعة ، وعملت دورة كاملة ، حول التبة السوداء ... صحيح أن هذه القوة ، ستكون معرضة لنيران العدو ... لأنها ستدخل من الفاصل الضيق بين التبة السوداء، وسلسلة جبل العقبة ثم تدور دورة كاملة حول التبة السوداء، وتخرج من الجانب الآخر ... بين التبة السوداء وسلسلة هرابة ... وبدأ يفكر ... واستقر تفكيره على أن العملية خطيرة ... غاية فى الخطورة ولكنها مفيدة ... لأنها ستعطيه الفرصة لأن يرى على الطبيعة ماهى الأشياء الموجودة على الجانب الآخر من التبة السوداء ... وحتى لو تورطت هذه القوة الصغيرة فى القتال ، فهذا خير من توريط قواته كلها ... ثم إنه قادر على التخلص من المعركة ... لو اكتشف تورطه فى القتال ...

وسمعه المقاتل الجالس إلى جواره يقول ... على بركة الله ...

واجتمعت المجموعة التى ستقوم بالعملية ، لتلقى الأوامر ... الأوامر بسيطة واضحة ... لكن أثناء مناقشة الخطة ، اقترح أحد الجنود أن تتم عملية الالتفاف بعمق كبير نسبياً ... بدلا من أن تدور القوات حول التبة السوداء ... تدخل مسافة فى الخور ... لترى أيضاً ماذا يوجد فى الثلث الأمامى منه على الأقل ... وبذلك أيضاً تتجنب القوات النيران المركزة التى لابد أن تصدر من التبة السوداء من الخلف ... أو من سن هرابة ... وتحركت القوات ... وكانت الأوامر هى ... السرعة ... والمفاجأة .

وشقت المجموعة الصغيرة طريقها وسط النيران ... لم تتوقف ... أصيب إطارات بعض السيارات بالرصاص ولكنهم استمروا فى الانطلاق، دون أن تتوقف سيارة واحدة ...

ولم تكن تبة شيحاط ساكنة ... كانت قواتنا هناك باستمرار ، تحاول جذب نيران العدو ... ولكن العدو اكتشف أن قواتنا أصبحت خلفه ... وتصور أنها ستهاجمه من الخلف ... وهو الأمر الذى لم يتوقعه ...

وبدأ يعيد توجيه أسلحته من الأرض المكشوفة.. وكان العدو... مكشوفاً... لنيران قواتنا ... التى أمطرته بغزارة فظيعة ، حتى إن التبة السوداء ، تحولت إلى كتلة من النيران ...

وأمام هذا الضغط المفاجىء ، وجد العدو فرصته فى النجاة ... فى الهروب ، وبدأ يحاول الفرار ... وهنا حدثت عملية حصد ، غير متوقعة ... لم نكن نحن نتوقعها ... ولا كان العدو يتوقعها ... وأصيب العدو بخسائر جسيمة ...

ونظر قائد المجموعة إلى التبة السوداء ... إنها تتداعى الآن ... إنه قادر على السيطرة عليها تماماً ... ولكنه نظر قريباً منها ... فوجد ... سن هرابة ... رءوس المدافع الصاروخية تطل من هناك ... إنه بلا شك سيضرب من هذه المدافع لو تمركز هناك ... وكان قراره ... إتمام الخطة كما وضعت ...

وخرجت المجموعة كما دخلت ، ولكن من الجانب الآخر... وسارت السيارات ، فى حضن الجبل ... تحمل المجموعة المنتصرة كلها ...

وبعد ساعات ... كانت هناك مجموعة أخرى ، تقوم بنفس العمل ... ولكن لتتوغل أكثر فى الخور ، لتصل بالقرب من باب الصحن ... وخلفها ، تدفقت وحدات أخرى ...

واضطر العدو إلى سحب قواته إلى مدخل الصحن ، واحتل التبة ، التى تسيطر على هذا المدخل بالإضافة إلى احتلال الأطراف ، وهكذا ركز العدو قواته فى عنق زجاجة ...

وفى الوقت الذى كان العدو يحاول تجميع قواته المبعثرة ... كانت قوات المشاه ،

تنقض على سن هرابة الحصين لتسيطر عليه ... ولتستولى على جميع الأسلحة والمعدات الموجودة فوقه ، سليمة ...

وبدأ جنود المشاة ، يستخدمون الذخيرة المكدسة فوق سن هرابة ، لضرب العدو بها ... فى قلب الصحن ... المحفوف بالجبال ...

ثم استراح الرجال ... إلى الفجر ... ومع ضوء الفجر كانت هناك دبابة توجه مدافعها إلى مدخل الصحن... وبدأت الدبابة ، تندفع إلى مدخل الصحن ... وتبودل إطلاق النيران بقوة ، بين الجانبين ... إن العدو يجلس فوق مستودع من الذخيرة والأسلحة ...

وتم تقسيم قوات الصاعقة إلى مجموعتين ... واندفعت المجموعة الأولى للداخل وفى الوقت الذى كانت هذه المجموعة ، تحاول شق طريقها ... كانت هناك مجموعة أخرى ، تتسلق الجبل ، لتشرف على الصحن من أعلاه ... وفى الوقت الذى بدأ أول مخزن للذخيرة يظهر لعيون قواتنا ، كانت المجموعة التى تسلقت الجبل ، قد اكتشفت مخزنا آخر به سيارات فى مقدمتها ٤ سيارات (دودج) وسيارة (باورواجن) وعليها رشاش ، وهناك يظهر مدفع صاروخى ٧٥ مم ... ولم تكن الرؤية سهلة... إن الصحن مملوء بالأشجار ، ولكن ليس هذا هو الوقت المناسب لتفتيشه ...

إن الواجب أولا ، هو إبادة العدو داخل الصحن ... وبدأت المجموعة التى تسلقت الجبل، تعمل بهمة ، ونشاط ... فى قتل العدو ... العدو يحاول الاختفاء بين الأشجار ، ولكن رشاشاتنا قادرة على مسح هذه الأشجار ... وبدأت منطقة الأشجار ، تتحول إلى هدف للرصاص المتطاير من كل مكان ... واستسلم العدو ... والذين كانوا هناك فوق حائط الصحن ، لم يجدوا الفرصة ليأخذوا ملابسهم معهم...

وبدأ التفتيش واكتشفت مخازن غريبة ... سمن ... أحذية انجليزية،جوارب

من جميع المقاسات ... بطاطين... مدافع صاروخية ... رشاشات نصف بوصة ... ذخيرة أمريكانى ... ذخيرة بازوكا ... دانات للمدفعية الصاروخية .

ولم يكن هناك وقت ... لنترك هنا بعض الأفراد ، للقيام بعملية الجرد والتفتيش ، وليتوجه الجميع بسرعة ، إلى باقى جبل اللوز ...

وبدأ الجندى الذى يجلس خلف جهاز اللاسلكى ، يرفع سماعة الجهاز ، ليوصل هذه التعليمات لجميع المقاتلين ... وإذا به يسمع صوت جندى من جنود العدو ... إنه ينادى قواتنا . ويقول :

ــ يامصاروه ... يا أبطال ... هانيجى الليله نذبحكم ...

وضحك المقاتل العربى ... ووجد نفسه يقول :

ــ هاتيجى الساعة كام ؟

ولكن أحداً لم يرد بالطبع ...

وبدأت القوات فى تحركها ... وراء السر الكبير ... سر جبل اللوز ... الذى لم يظهر بعد ...

إن المعركة القادمة فى خور عويجة ...

وكان الطريق فى هذه المرة ... مختلفاً ، عن كل طريق إلى كل معركة ... إن الطريق إلى المعركة ... تلزمه الأعصاب المشدودة...والعيون التى تنظر فى كل اتجاه . وتتوقع العدو فى كل مكان ... خلف هذه الشجرة ... خلف هذه الصخرة ... داخل هذا الكهف ... وقد يكون هنا لغم ... ولكن فى هذه المرة ... كان الناس يتناقلون القصة ... يامصاروه يا أبطال ... هانيجى الليلة نذبحكم ... ولم تقف الضحكات ، إلا مع وقوف العربات ... لقد اقتربنا من خور عويجة ...

كان مقدراً ساعتها لعملية خور عويجة ... أن تستمر خمسة أيام ... فى نهايتها تتم السيطرة الكاملة على الخور . وهو عبارة عن صحن أيضاً ... مثل صحن العقبة ولكن قطره كيلو متر واحد ... وأطرافه ، عبارة ، عن قطع حاد فى وسط جبل اللوز ... ومثل مافعل العدو فى صحن العقبة ، فعل نفس الشيء فى خور عويجة ... تركيز هائل بالأسلحة الصاروخية ، على مدخل الخور الضيق ... واستمر تبادل إطلاق النيران بين الجانبين ، لمدة ثلاث ساعات ، من الساعة الحادية عشرة صباحاً ، حتى الساعة الواحدة بعد الظهر ... وكان هناك مجموعتان ، الأولى ... يقودها المقاتل خليل ، وقد دخلت إلى جوار الجبل ، وبدأت التعامل مع مدفع العدو الصاروخى الموجود على الكتف اليمنى لمدخل الخور ... وفى لحظات كانت هناك ست قنابل شديدة الانفجار ، موجهة إلى مكان المدفع الصاروخى ... فتطايرت الصخور والرمال والتراب ... ومن خلال الغبار ، ظهرت ماسورة المدفع تطير فى السماء ... لقد تم نسف المدفع ...

وكان هناك مقاتل ... عمله هو مراقبة الضرب ... صرخ يقول ... « الضرب مباشر ... تم تدمير الهدف » ... وهكذا ، خسر العدو دفاعه الرئيسى على هذا المكان الضيق ، وحاول الانسحاب ... ولكن المقاتل العظيم ، سمير حلمى لم يعطه الفرصة ... بدأت رشاشات دبابته تنطلق ، فى اتجاه العدو ... وأمكن لحظتها إحضار ٣٢ جثة — هذا هو ما أمكن عده — وبدأت المدرعات تتقدم ... فوجدت أمامها ثلاث عربات فورد ، وواحدة جيب ، وكان عليها رشاشات ... ولم يضع الرجال الوقت ... انطلقت القنابل فى اتجاهها لتدميرها ، واندفعت القوات إلى داخل الخور ... فى الوقت الذى كانت هناك قوات أخرى ، قد قامت بإحكام إغلاقه حتى لاتعطى فرصة للعدو للهروب ، وقواتنا فى الداخل قادرة على تدميره ... وهذا هو ما حدث ... وهناك وجدوا كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة ... إنها جزء من المستودع الضخم .

ولكن الشيء المهم هـــو السر الكبير ... لقد تمكن المقاتل الكيلانى من الحصول عليه ...

إنه سجلات بن الحسن ... كل الخطابات المتبادلة بينه وبين أنصاره ... كل الأموال والسلاح ، التى تم توزيعها فى اليمن ، لإغراء القبائل ... أسماء المتسللين ... أشياء كثيرة ... لن أقولها الآن ...

وبدأ التحرك من جديد ، لمرحلة جديدة من عملية جبل اللوز الكبيرة ... المرحلة الجديدة ، أكثر إثارة من جميع المراحل السابقة وأستطيع أن أسميها :

الموقف المريب

واتجهت القوات إلى واد طوله ثلاثة كيلومترات ، له مدخل واحد ... ولكن الواقع أن الخور له فروع عديدة كلها تصب فى الخور الكبير ، واسمه « شعب راك » هكذا يسمونه ...

وبدأت العملية التى يسمونها « تليين » العدو ... وهى أن تقوم الأسلحة بمختلف أنواعها ، بالضرب على العدو ... إلى هنا والموضوع عادى ... والمنتظر أن يحدث رد الفعل الطبيعى ... أن يرد العدو على النار بالمثل ... ولكن العدو لم يرد ... ولم يطلق طلقة واحدة ... إن هذا يعنى أشياء كثيرة ... هل الموقع خال من العدو تماما أم أن العدو ينتظر اللحظة الحاسمة ؟ ...

وبدأ قائد العملية يفكر ... واستقر رأيه على إرسال مجموعة من المقاتلين ... لتلقى نيرانها على مواقع العدو ... وفى نفس الوقت ، تستطلع أسلحته ، وأنواعها ولكن ... لم يطلق العدو على المجموعة المتقدمة إلا نيرانا فردية ضعيفة ... إنه موقف غير عادى ... أين نيران العدو الغزيرة التى تعودناها ؟ ..

وبدأت المجموعة الصغيرة ، تكتشف خدعة العدو ... إن شعب «راك» هذا ليس مثل غيره ... إنه المكان الذى قرر العدو فيه تدمير مدرعاتنا ... الأرض ضيقة ،ومن السهل إخفاء الأسلحة المضادة للدبابات ... وبذلك نكون صيداسمينا له

وعادت المجموعة وهى تحمل هذه المعلومات الهامة ... وكان القرار هو مهاجمة « شعب راك » ، ولكن بواسطة رجال المشاة ، والصاعقة فقط...وبدون المدرعات وكان قرار قائد القوات هو ، أنه لايجوز التضحية بمدرعة واحدة ، فى هذه العملية ؟ ليس فقط من أجل المدرعة ، ولكن من أجل المقاتلين داخل المدرعة ...

ولكن هذه العملية ، يلزمها عملية تمهيدية أخرى ، وهى إرغام العدو علـى استهلاك جزء كبير من ذخيرته ، قبل العملية الرئيسية ... وبدأت دوريات صغيرة من رجالنا تثير العدو ... حتى يطلق نيرانه ... وتوالت الدوريات ... الهـدف الأساسى ، هو أن يستهلك العدو جزءاً من ذخيرته ...

وجاء اليوم الحاسم ... وبدأت مجموعات من المشاة تتقدم للسيطرة على التباب الصغيرة المنتشرة فى المدخل ... وتقدمت مجموعات مشتركة من رجال الصاعقة والمشاة تشق طريقها إلى قلب العدو ...

وكانت مفاجأة له ... لقد وضع خطته كلها ، على أساس تكديس أسلحة مضادة للدبابات ، لتدمير مدرعاتنا وهو الآن يجد رجالنا ، وجها لوجه معه... ولكن بدون مدرعات ... وبدأت سيارات العدو تظهر ... وكذلك مدرعاته... وظهر أيضا شىء غريب ... سبع عربات كاملة ، مملوءة بالذخيرة ... ان أى طلقة فى هذه الذخيرة قد تفجرها كلها ... وقال أحد المقاتلين فى نفسه ... خسارة ... لابد أن نحصل عليها سليمة ... كان هذا فى اللحظه التى بدأ أحد المقاتلين يتقدم باتجاه عربات الذخيرة ، وفى يده « قاذف لهب » ... واذا بصوت يصرخ ... لا تحرق الذخيرة ... وفى اللحظة التى كان المقاتل ، على وشك أن يرسل القذفة الاولى ... أمسك نفسه ولم يرسلها .

ووجد العدو أن خطته ... لا معنى لها ...

وفوق صناديق الأسلحة والذخيرة ... وأمام العربات المدرعة ، ومـــدافع البازوكا والمدافع الصاروخية ... والألغام المضادة للدبابات والأفراد ،كان هناك مئات من الناس ، يرفعون ايديهم للسماء ويقولون:والله مغصوبين... والله مجبورين، وفى نفس المكان الذى كان مفروضا أن يكون مقبرة للمدرعات ، سهر الجنود طوال الليل ... يضحكون ، ويشاهدون فيلما سينمائيا ...



عـــقل
المعـــركة

من داخل عقل احـدى
المعارك اكتب اليـكم ..

لكل معركة عقل ... وعقل المعركة مثل مخ الإنسان تماماً ..

إن المعلومات التى تصل إليه من العينين — وتقوم بدورها فى المعركة ، أجهزة الاستطلاع — يترجمها فوراً إلى أعمال، يجب أن تؤدى، ويصدر تعليماته بالرد عليها ويحدد أسلوب الرد ... وفى هذا يستخدم أسلحته كلها ، وهى الأعضاء الضاربة فى المعركة .

وليس أى عقل قادراً على قيادة المعركة ... إن ثمة صفات عديدة يجب أن تتوافر له ...

هناك مثلا الذكاء ... السرعة ... الحيطة ... المكر ... الخداع ... الشجاعة ... الإيمان... الهدوء... العنف... الرحمة... القدرة على التصرف... توقع الأحداث ... قوة الذاكرة ...

ومن داخل عقل إحدى المعارك ... أكتب إليكم .

* * *

١ — تعودت أن أصف المعارك ... من تحت ... من أصغر المستويات ... كنت أضع عينى مكان عين عسكرى مقاتل ... وأصف ما يراه ... وكنت أعتقد

أن صورة الحرب الحقيقية ... موجودة فى هذا المكان ... بين أصوات الرصاص وبين انفجارات القنابل اليدوية ... وقذائف الهاون والمدفعية ... مع الجنود الذين يتسلقون الجبال ... مع اللحظات الحاسمة فى حياة الإنسان ... مع جنزير المدرعة وهى تدب فوق الأرض ... مع الغبار الذى يحجب الرؤية ... مع الدخان الذى ينبعث من مولدات الدخان ليعمى العدو عن تحركاتنا ... مع أزيز الطائرات وهى تتعرض لمدفعية العدو الصاروخية ... مع الرصاص، وهو يمر من هنا وهناك ... مع دوريات القتال،وهى تشق طريقها داخل أرض العدو .. مع مقاتل ليس أمامه درع إلا قيصه،وهو يواجه المدافع ... مع قوات صغيرة وقفت وحدها أمام جموع هائلة من الرجعية والاستعمار ... مع حربة أحـــد المقاتلين وهى تمزق صدر أحد الأعداء ...

٢ ـــ كان هذا هو المكان الذى تعودت أن أكتب منه ... ولكن حدث أن عشت عدة أيام ... فى مكان آخر ... هو المكان الذى يصدر التعليمات بالتقدم من هنا ... والالتفاف من هناك ... ويترك هذا الموقع إلى موقع آخر ... هذا المكان هو عقل المعركة ... فوجدت أن العمل من داخل عقل المعركة ... قد يكون أشد إثارة من العمل فى أرض المعركة ذاتها ... إنها المعركة كما يراها القادة ... من فوق ... وبمعنى آخر .. إنها معركة الخبث والدهاء .. معركة الحساب ... إنهم فى هذا المكان يحسبون كل شىء ... بالورقة والقلم ... والدقيقة لها ثمن ...

فحينما يطلب أحد القادة من الطائرات المقاتلة مثلا العمل فوق الجبل الأحمر فإنه يحدد لها زمن العمل ومكانه تحديداً دقيقاً ... وقد يكون الزمن المسموح به من الساعة الحادية عشرة وثلاث وعشرين دقيقة حتى الحادية عشر وتسع وعشرين دقيقة .. لماذا هذا التحديد ؟ .. لأن مدفعيتنا ستكون قائمة بضرب نفس الغرض قبل هذا الزمن بدقيقة واحدة .. ولو تقدمت المقاتلات عن موعدها ... فقد تصاب بقذائف هاوناتنا ...

ونفس الشيء لو تأخرت الهاونات فى ضربها، فإنها قد تصيب طائراتنا. ولذلك فهم من هذا المكان دائما يصدرون تعليمات بين الساعة، والأخرى، والتعليمات تقول الساعة الآن كذا ... بالدقيقة والثانية ... وليس من المهم أن تكون هذه الساعة مضبوطة على ساعة جامعة القاهرة ... ولكن المهم أن تكون جميع الساعات على توقيت واحد تماما ... سواء كانت جميعا متقدمة خمس دقائق أو متأخرة خمس دقائق ... حتى لاتحدث أشياء غير منتظرة ... إنهم يحسبون بدقة، الأشياء البسيطة ... ودائما يقولون: إن الأخطاء البسيطة فى هذا المكان، تكون سببا فى خسائر كبيرة ...

وعندهم آلاف الأمثلة، من خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية... إنهم هنا يطبقون جميع مبادئ الحرب ... ولا يمكن أن يحدث خطأ إطلاقا ... فالخطأ يمكن أن يتحول إلى مصيبة ... مثلا خلال الحرب العالمية الثانية ... كان المفروض أن يلقى الحلفاء فرقة أمريكية محمولة جـــوا فوق غرب أوربا ... وقامت طائرات الاستكشاف لمدة عدة أيام متوالية باكتشاف منطقة الإسقاط ... وتأكدت من عدم وجود عدو قريب ... وتحدد اليوم المقرر للقذف بالدقيقة والثانية... وتحت مظلات القوات فى السماء... ونزل الجنود على الأرض جثثا ممزقة... برصاص الألمان... فى نفس المكان أقيمت مقبرة من أكبر مقابر الحرب والسبب خطأ بسيط ... هو أن آخر استكشاف للأرض، تم قبل الهبوط الفعلى بيوم كامل ... وكان من الواجب أن يتم قبل الهبوط بساعات، وخلال هذا اليوم الذى لم يتم فيه استكشاف تحركت القوات الألمانية إلى منطقة الإنزال ... وحدثت المجزرة الغريبة ... والخطأ كما نرى خطأ بسيط ...

من هذا المكان أيضاً ... من عقل المعركة !... تدار معركة الخبث والدهاء محاولة جذب العدو إلى مكان معين لقتله فيه ... وإظهار أننا أقوياء فى أضعف مواقعنا ... وأننا ضعفاء فى المنطقة التى فيها أكبر حشد لقواتنا، حتى نغرى العدو بالهجوم عليها ... وأحيانا نمارس التمثيل ... نتظاهر بأننا عميان لا نرى مايدور أمامنا ...كل هذا رأيته، وأنا أجلس فى عربة مدرعة، بجوار المقاتل فتحى عبدالغنى، الذى كان يقوم بدور عقل المعركة، فى معركة كبيرة ...وبعد هذا أليست المعركة من

فوق، مثيرة ... تعال معى نشهد معركة جبال العقبة من فوق ... وهى واحدة من المعارك التى سبق أن كتبت عن جزء منها ، ولكن من تحت...

إن الناس هنا يعرفون معلومات أكثر من المعلومات ، التى يعرفها الذين يقاتلون من تحت ، ومسرح عمليتنا هو منطقة جبال العقبة ... التى تبدأ بجبل اللوز وتنتهى بصحن العقبة ... وبذلك يكون طول هذه السلسله من الجبال حوالى ٦٠ كيلومترا بينما يتراوح عرضها بين خمسة عشر وعشرين كيلومترا ... وفيها مجموعة من الشعب الكبيرة المتسعة ... مثل شعب راك الذى يشبه الحجرة داخل الجبل ، وطوله ٢,٥ كيلومتر وعرضه كيلومتران ... ولكن هذه الحجرة الطبيعية ... ليس لها سقف ... وحيطانها ملساء ومستقيمة، مثل حيطان حجرات المنازل ... وهذه الشعب تعتبر حصونا قوية وهى شمال منطقة الجوف ... وتسمى بالجوف الأعلى ...

وقد شهدت هذه المنطقة حضارات عظيمة ... فى التاريخ القديم ... فكانت مركز نشاط الدولة الحميرية ، والمعينية ، ودولة سبأ ... وعلى بعد كيلومتر واحد من الحزم، منطقة اسمها خربة الحزم ... وهى بلدة أبوزيد الهلالى سلامة ... وفى منطقة برقة وعرق داعر، كان موطن الزناتى خليفة ، ودياب بن غانم ... وهناك جبل معين ، وكان عاصمة الدولة المعينية ... ولاتزال به آثار مكتوبة باللغة الحميرية ... ومن أقوال المشايخ ، أن أصحاب الفيل كانوا فى هذه المنطقه ، وأنهم كانوا يستخدمون الفيلة أثناء حكم الحبشة لليمن ... ويقولون : إن هنا كان يعيش الناس الذين نزل عليهم طير أبابيل ... علاوة على ذلك أن دولة عاد وثمود ، كانت فى منطقة الجوف ...

وفى هذه المنطقة، تصل الحرارة إلى ٥٠ درجة مئوية فى الظل ... وتحدث رياح عنيفة تنقلب إلى دوامات ، وليس لها اتجاه ثابت ... وهى من العنف بحيث تقتلع الخيام ، وقال لى المقاتل فتحى عبد الغنى : إنه رأى مرة خلال المعارك ... جبلا من التراب محدد الأطراف ، يشبه الانفجار الذرى ... ومر عليه جبل التراب ... واستمر مروره حوالى ثلاث ساعات ... وفى نهايتها ... كأن شيئا لم يكن ... عاد الهدوء ... وقال لى : إن جبل اللوز اسمه الحقيقى جبل لوذ ... ويقال ، إن لهذه

التسمية سبباً ... لأنه قريب من منطقة مجزر ، وهى المنطقة التى عقرت فيها ناقة النبى صالح ... وماتت ... وخاف البعرور ... فجرى الى هذا الجبل ولاذ به ... ولذلك سمى جبل لوذ ... وهذه المعلومات ... لم تكن معلومات عامة لعقل المعركة ... لأنه لم يكن ينوى أن يؤلف كتابا عن منطقة الجوف ... ولكنها معلومات عسكرية هامة ... وقومية أيضا ... فقد يعمد خلال المعارك كلها ... ألا يقوم قتال على أرض لها قيمة تاريخية ... وألا يدمر أى أثر تاريخى ... وألا يطلب من الطيران ضرب أية تجمعات قد تكون موجودة عند أثر تاريخى ... حتى يحافظ على ثروة تاريخية كبرى، يجب ألا يتلفها القتال ... وهكذا لم تكن المعركة أمامه عسكرية بحتة ... بل كان عليه أن يحقق الهدف العسكرى ... مع عدم تعرض أى أثر من الآثار التاريخية للتلف ، وقد بدأت منطقة الجوف الأعلى تصبح منطقة عظيمة الأهمية من الناحية العسكرية ... بعد أن استطاعت القوات المشتركة ، أن تقوم بحركة الالتفاف الهائلة عبر وادى الجـــوف إلى مأرب ... وبعد أن أعلنت قبائل دهم ، وقبائل عبيدة أنها جمهورية ...

وكان هدف العدو عمل مراكز قوية فى هذه الجبال، يستطيع الدفاع عنها ... ويتخذ منها مستودعات للأسلحة ، والذخيرة ، وتوزيع النقود ... لمحاولة الاتصال بالقبائل وتمويلها حتى تنقلب ضد الجمهورية ... وهدف آخر ، هو القيام بدوريات قتال قوية لإحداث خسائر فى القوات العربية، ثم الهدف الرئيسى ... وهو، الاستيلاء على الحزم ذاتها وهى عبارة عن باب مفتوح لليمن كلها ... وبذلك يمكن قطع الطريق على القوات التى استطاعت أن تقوم بعملية التطويق الكبير، عبر وادى الجوف إلى مأرب ... وكان أول قرار هو ، ترك العدو يتجمع ... وإعطاؤه الفرصة كاملة ليجمع أكبر عدد من قواته ... مع إيهامه بأنه ليس لدينا أى علم عن تحركاته ... وبدأت عربات العدو المدرعة تأخذ طريقها إلى شعاب جبال العقبة ... وجبل اللوز ، كذلك مدفعيته الصاروخية ، والبازوكا ، والرشاشات نصف بوصة ... بالإضافة إلى مايزيد على ستة آلاف شخص ... ومر زمن ... وأصبح واضحا أن العدو لم يعد لديه قوات أخرى لدفعها الى هذه المنطقة من أرض العمليات ... وأن رغبته فى العمل أصبحت واضحة

بعد أن بدأ نشاطه فى جميع الاتجاهات .. وكانت هذه هى اللحظة الحاسمة لبدء الخطة وكان الهدف الأساسى هو ، البدء بالعمل التعرضى الهجومى ، فقرر عقل المعركة استدراج العدو للقتال فى الأرض ، والوقت المناسبين ... مع إفقاده القدرة على التحرك كمرحلة أولى ، حتى إذا شعر بضغط قواتنا عليه لايستطيع الفرار ... إذ أن السيطرة على منطقة جبال العقبة لا تشكل هدفا عسكريا فى حد ذاتها ...ولكن الهدف العسكرى هو قتل العدو ... وهذ الكلام مبدأ من مبادئ الحرب ، فليس مهما أن تحتل شبرا من الأرض ، ولكن المهم هو أن تقتل عدوا ... لأنه فى النهاية إذا قتل العدو فالسيطرة على الأرض شئ بسيط ... بينما إذا أمكن السيطرة على الأرض بدون قتل عدو ...فإن هذا يعنى أن العدو سيظل قادرا عـــلى القتال بعد زمن ...

ثم وضع قرار آخر فى الخطة ، هو فصل قوات العدوعن بعضها ... وضرب كل جزء على انفراد ... حقيقة إن ستة آلاف ... عدد كبير نسبيا ، ولكن إذا أمكن تقسيمه إلى عدة أجزاء ، يصبح من السهل إبادة كل جزء على حدة ... وهذا يعنى حصار العدو ، فى كل جزء وتضييق الخناق عليه قبل البدء بتدميره ،وبذلك لاتعطى له فرصة الفرار .

وأريد هنا أن أحدد كلمة حصار ، إنها لاتعنى أن قواتنا ستقف متشابكة الأيدى حول العدو ... ولكنها تعنى أننا نظل قادرين على منع العدو من الحركة ... من مكانه المحدد ، ويمكن أن يتم ذلك بواسطة الأفراد ... أو بواسطة النيران وقد يستطيع القائد الماهر أن يستخدم بعض الموانع الطبيعية، لتساعده على إتمام الحصار من أحد الجوانب ... وبدأ فتحى عبد الغنى ينظر إلى قواته ، إنها مجموعات من قوات المشاة والصاعقة والمدفعية والمدرعات بالإضافة إلى الوحدات المعاونة ... وفى الجانب الآخر كان يجلس محمد بن الحسن فى مركز قيادة العدو فى شعب راك ...

وبدأت معركة ... ليست كشكل المعارك ... فقد بدأت بمجموعة من الإغارات المستمره ... فى جميع الأوقات ... بالليل ... وبالنهار ...على جميع مراكز العدو

وكانت هناك قوات جاهزة ليس لها عمل الا الاغارة ... والتنقل من مكان إلى مكان حتى تسبب إزعاجا هائلا للعدو ... وتفقده القدرة على النوم والراحة ... وقامت المدفعيه بمساعدة هذه القوات ... وبين وقت وآخر ... كان على المدفعية ان تطلق طلقة واحدة على مكان محدد ،وليس مهما ان تدمر شيئا ... ولكن المهم ان تزعج العدو وتجبره على التيقظ المستمر ... حتى يفقد قدرته على المقاومة فى الوقت المحدد للمعركة ... ودخل العدو الجبال ... وفقد القدرة على التعرض لقواتنا — وكان كل همه الدفاع عن نفسه... وهكذا دون انيدرى حبست جميع مدرعاته داخل الجبل، ثم قطع الاتصال بين جبل اللوز وصحن العقبه بواسطة الكمائن ، فاضطر العدو الى عبور السلسله الجبلية كلهامن الخلف ... واصبح التموين يتم بواسطة الجمال والأفراد عبر الجبال ، ويستغرق ذلك عدة أيام ، حتى يصل كيس دقيق أوصندوق ذخيرة ... وكانت عملية الاصطياد سهله ... فقد امكن اصطياد قافلة تحاول العبور ، وتم القبض على جميع أفرادها ، وكان معهم حوالى ثلاثين جملا محملة بالاسلحة والذخيرة ... وبعد هذه الحادثة ،اضطرالعدو ان يرسل قوافل الجمال عبر الربع الخالى ... والذى نعلمه أنه لم يستمر ... لأنه يبدو أن شيئاً من هذه القوافل لم يصل إلى غرضه .

وبعد هذه المرحلة ... وصلت قواتنا إلى موقف عجيب... إن العدو يريد القتال الآن... إنه يريد أن تبدأ المعركة فوراً... وكانت خطته هى السماح لقواتنا بالدخول إلى حصونه ،ثم اصطيادها فى هذه الحصون... وهنا تبدأ معارك الخبث والدهاء ... إن المفروض أن يتم الوصول إلى الهدف بأقل خسائر ممكنه ... وإذا قامت قواتنا بالدخول إلى العدو فى حصونه فان هذا يعنى شيئاً هاماً، هو أنهمن الممكن أن تحدث خسائر كبيرة فى مدرعاتنا ... حقيقى أنه يمكن تحقيق الغرض ... ولكن بخسائر جسيمة... وكانالحل هو عدم قبول المعركة فى الأرض التى يريدها العدو... ومحاولة استدراجه إلى الأرض التى تناسب قواتنا ...

وبدأت العملية ... تقدمت القوات حتى مدخل شعب راك ... وعندما اقتربت تماماً من المدخل ... تصور العدو أن هذه هىاللحظة الحاسمة ... وبدأ يفتح نيرانه وفجأة صدر الأمر لقواتنا بالانسحاب ... بسرعة ... وكانت الفرصة الحيوية

العدو ... مطاردة قواتنا وإبادتها.. وبالفعل خرجت جموع هائلة من قوات العدو لتقوم بعملية المطاردة ... ولكن الواقع أنها كانت قد دخلت فى كمين محكم من المدرعات والمشاه ... حتى إن المدفعية استطاعت أن تطلق نيرانها فى وسط جموعهم ...

وسقطت الطلقة الأولى فى وسط العدو إذ أن رجال المدفعية كانوا يعلمون سلفاً بالمنطقة المحددة للكمين الكبير ... ومن باب تمثيل المعركة تركنا سيارة يظهر عليها أنها معطلة ... فى أرض القتال ... وضحك فتحى عبد الغنى وهو يقول لى ... وظهر أن العدو غشيم.. وبدأت رشاشات الدبابات... تعمل .. إنها عملية الحصد..وفتحت على العدو خراطيم من النيران ... وفى هذه المعركة قتل واحد من قادة العدو الكبار وهو من أسرة حميد الدين ... المهم عدم قبول المعركة فى أرض غير مناسبة ... وهكذا أمكن تحقيق النصر ... بدون خسائر ... لأن كل شىء كان محسوباً .

وفى نفس الليلة ... كان من الضرورى تكرار العملية ... فى مركز آخر من مراكز العدو قبل أن يفطن إليها ... وهذا لا يعنى أن العدو كان خاملا فقد حدث أنه حاول استعادة المبادأة والقدرة على الحركة ، فحاول القيام بعمليات هجومية فى أماكن متعددة ... ولكنه فشل ... وفقد القدرة على المبادأة قبل أن يحصل عليها ...

وحينما أتكلم عن المعركة من فوق ... فليس معنى هذا أن عقل المعركة يعمل فى برج عاجى ... ويرى الناس أقزاماً من بعيد ... ولكن الحقيقة تخالف ذلك ... فإن عقل المعركة كما يدير المعركة من فوق ومن بعيد ... فإنه بين وقت وآخر ينزل إلى تحت ، ليرى المعركة على الطبيعة ، بل ليقود القتال الحى... وليرى الناس عمالقة فى القتال ... ففى اليوم التالى لمحاولة العدو استعادة المبادأة ... تم شىء هام لقد قاد فتحى عبد الغنى المعركة، ضد قوات العدو فى جبل اللوز ... وكانت العملية عبارة عن إغارة بهدف تليين العدو ... وخفض روحه المعنوية ... ثم هناك هدف آخر من وراء اشتراك القادة فى المعارك ، وهو تقدير قدرة العدو الحقيقية على الطبيعة ... ولم تكن هذه هى نهاية معارك الخداع ... فعلى العقل أن يكون دائماً ماكراً ... مجدداً فى حيله وأساليبه ... ففى مرة رسم خطة أخرى ... هى التقدم بقواته على

أساس أن تصل إلى هدفها عند الغروب تماماً ... وفى هـذه اللحظة فتحت النيران بقدرة هائلة ومن جميع الأسلحة على العدو ... واستمرت النيران مفتوحة حتى حل الظلام وشمل كل شيء ... وتم اختيار تلك الليلة حتى يمكن تفادى ضوء القمر، وفجأة سكت كل شي ... وبدأت المظاهر تبدو كأنها إغارة وانتهت ... ولكن الواقع كان خلاف ذلك ... لقد بدأ جميع الرجال ومعهم أسلحتهم، يختفون خلف الأشجار ... لا صوت ... ولا حركة ... ولا شيء على الإطلاق ... وبدأ العدو يستريح داخل جحوره ... وظهرت النيران الخافتة بعد ساعات على الجبال ... إنها محاولات إعداد الشاى للتغلب على برد الليل ... وبدأت صيحات العدو، تسمع من هنا وهناك ... إنهم ينادون بعضهم بعضا .

وفجأة شق الظلام ... ضوء طلقة مضيئة، لونها أحمر من أحد قنابل هاوناتنا فى اتجاه العدو... إنها إشارة فتح جميع النيران ... وبعد ثوان، كانت صواريخنا وجميع أسلحتنا تعمل ... لأخذ العدو على حين غرة ... ورأى المقاتلون شرارات رصاصهم تصطدم بالصخور وهى تلمع فى الظلام ... فألقت فلول العـدو بأسلحتها ، ودخلت إلى الجحور ... ومع الفجر ... كان على قواتنا أن تدخل إلى الجحور ... لتحصل بسرعة على العربات والأسلحة والذخائر، وتخرج مرة أخرى ... إن كل هذا يجب أن يتم بسرعة ... قبل أن يستطيع العدو استعادة أنفاسه ... وفى الوقت الذى بدأت فيه قواتنا تدخل كان محمد بن الحسن قد وصل إلى أعلى الحائط ... حتى إذا وصل الرجال إلى بطن الجحر ،كان قادراً على اصطيادهم ... ولم يكن هذا خافياً علينا ... فمع دخول أول مقاتل إلى الجحر ... كانت الهاونات والمدفعية تطلق قنابلها على أعلى الحائط... ولم يعط ابن الحسن الفرصة ليفعل ما يريد، وبدأ المقاتلون يقفزون داخل عربات العدو ومدرعاته، ليقودوها إلى خارج الجحر وظهر أن هناك عربتين معطلتين... ولم يكن هناك وقت ... وكان القرار النسف ... حتى لا يبقى أى شيء له قيمة ... وكذلك سحبت المدافع والذخيرة ... وهكذا تم اقتياد العربات والمدفعية الثقيلة والهاونات والصواريخ إلى الخارج ... حتى الدقيق والعجوة ... لم نقبل أن نتركهما خلفنا ... ثم بقيت الأسطورة الكبرى ... جبل اللوز ذاته ... فلو أن العدو شعر أن العملية القادمة، ستكون على جبل اللوز ذاته ، لحاول أن يجمع فيه أكبر قواته ... وكان جبل اللوز ساعتها إلى الشرق تقريباً ... وتحركت القوات تجاه الشمال ... وكان

تحركها واضحاً، حتى يتصور العدو أن الهجوم سيتم على مكان آخر وبدأ التحرك بالفعل تجاه الشمال وإلى الغرب قليلا ... ولكن مع دخول الليل كانت هناك أوامر أخرى ... أغلقوا أنوار السيارات وتمنع أية إضاءة ... ويمنع التدخين أيضاً ... ويغير الاتجاه إلى جبل اللوز مباشرة ... إن العملية القادمة هناك ... وهكذا أمكن حصار جبل اللوز ... وأمكن الاستيلاء عليه بالكامل وجميع عربات العدو داخل الجحور ... وكانت خسائر العدو فى هذه العملية وحدها من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ قتيل ... وكانت نتائج معارك الخداع كالآتى ... (٣٤) عربة مسلحة (٢٥) قطعة مدفعية صاروخية أطنان من الذخيرة حمولتها ١٠ سيارات نقل، هذا عدا الأسلحة التى دمرت أو دمرها الطيران ... وثائق العدو كاملة، وفيها رأينا أشياء غريبة ... كل خطاب يبدأ بتعبير مولاى ... وآخر الخطاب وهو الشىء الغريب ... الحقير فلان ...

ومهمة عقل المعركة ... ليست هذا فقط ... ولكن هناك أشياء كثيرة ... جزء منها عسكرى بحت ... وهناك أشياء بسيطة أخرى يجب أن يعملها ... ولكنك الآن تعلم أهمية الأشياء البسيطة ... فمثلا ... بين وقت وآخر ... ترسل برقيات لجميع القوات التى يقودها عن الموقف ... وهذه برقية من البرقيات ... « يا أبطال الجوف الشجعان ... اليوم تم الاستيلاء على جبل اللوز ... استولت قواتنا على مستودع بن الحسن . قام جيش دهم بطرد العدو من السائله . لاخسائر فى قواتنا ... إلى الأمام » ... والبرقية تبدو بسيطة ... ولكنها هامة ... وأنا أعتقد أنها حيوية وخاصة، حينما يسمعها المقاتلون وهم فى أرض المعركة ... إن هذه المعركة لم تكن المعركة الأولى فى حياة فتحى عبد الغنى لقد حضر حرب ٤٨ ... وأصابت خوذته رصاصه ولكنها لم تلمسه ، فى معركة (التبة) ٨٦ وكان يومها المحافظ البلتاجى يقاتل هناك أيضاً ... وجاءت له رصاصة فى بطنه ... ولكنها استقرت فى الحزام (القايش) .

وحضر معركة بير لحفن ... وهو لاينسى أنه التقى هناك بالمشير عبد الحكيم عامر ... كما التقى به فى خان يونس ... والآن ... لقد شهدت معركة ... من فوق ... المفروض أنها ليست معركة رصاص ... ولكن معركة أعصاب ... ومكر وخداع ... وذكاء ... وبرود ... وعلم وتقدير ...



أنا عسكري
مشـــاه

مهماتطورتاسلحة الجيوش
.. فساظل انا عســـكرى
المشاة سيد المعـــارك ..

أنا عسكرى مشاة ... أنا الذى أسير على قدمى عبر الصحراء والجبال، أنا الذى أواجه العدو بلا دروع ... إن درعى هو قميصى ... وهو تصميمى ... أنا لذى لابد أن اشترك فى كل معركة ... أن كل هـــذه الاستعدادات الضخمة فى الجيوش . وكل هذه الأسلحة فى خدمتى ... لكى تساعدنى على الوصول إلى العدو ... ولكننى فى النهاية ... لابد أن أدوس أنا على الأرض...ولابد أن أسيطر أنا عليها ، أنا العنصر الرئيسى فى القتال .

ومهما تطورت أسلحة الجيوش ... فسأظل أنا عسكرى المشاة ... سيد المعارك وسأظل استعمل السلاح الأبيض ... لأقتل العدو .

* * *

كانت هذه هى كلمات أحـــد جنود المشاة برتبة عسكرى ...قلت له احك لى قصتك فى حرب اليمن ... قصة عسكرى مشاة ... وبدأ يتكلم ... وبدأت اسمع!!

إسمى رزق عطا الله ،عسكرى مشاة ... وكنت واحدا من جنود المشاة الذين تحركوا ذات يوم من أيام شهر نوفمبر ١٩٦٢ إلى اليمن .

قطعت ١٠ آلاف كيلومتر... وبدأتها من القاهرة إلى الحديدة ، ثم من الحديدة إلى صنعاء ... وهى تبعد حوالى ٢٥٠ كيلو ... وذهبت بعدها إلى صعدا فى طريق جبلى وعر ... واشتركت فى عدة عمليات ضد قوات العدو ...وبعدها ذهبت من صعدا إلى الجـــوف وإلى مأرب ... اشتركت فى مطاردة العدو ... إن المسافة التى

قطعتها طوال عمليات اليمن خلال تلك الفترة الوجيزة ... تعتبر رقما قياسيا بالنسبة لأى جندى مشاة فى العالم ... كانت قدرتى على المشى هى التى ساعدتنى على الوصول إلى العدو حتى داخل معقله .

بدأت رحلتى من القاهرة إلى السويس ... ومنها ركبت إحدى قطع الأسطول إلى الحديدة ... المسافة طويلة ... طويلة ... ألفا ميل ... اننى أشعر بفخر الآن... اننى جندى من مشاة الأسطول .

لقد كنت أسمع عن مشاة الأسطول فى أفـــلام السينما وفى الكتب ... وفى المحاضرات، خلال الفرق العسكرية التى حصلت عليها، ولكن الآن ... ولأول مرة أصبح عندنا مشاة الأسطول ... وبدأت أتطلع إلى الجنود حولى ... إن معظمهم من الفلاحين ...ومن الصعيد... إنهم مثلى ... مشاة الأسطول ... ولا أستطيع أن أصف لك شعورى ساعتها ، أن بلدنا أصبحت دولة عظمى ... وعندنا مشاة الأسطول ... أنها المرة الأولى فى تاريخنا الحديث،التى يتحرك فيها الوف الجنود ،عبر البحار وعلى ظهور قطع من الأسطول ويتوجهون للحرب ... ومن قلبى ساعتها دعوت الله ... يارب ... انصرنا يارب .

وفى اللحظة التى ظهر فيها على الأفق البعيد ،ساحل اليمن ... كنا جميعا نريد أن تصل السفينة بأسرع ما يمكن ... وكنا نستعجل اللقاء مع العدو .

ووصلنا ميناء الحديدة ... كان الميناء يمـــوج بالحركة والنشاط ... الأوناش تتحرك ناحية السفينة ،لتلتقط المعدات والأسلحة ، وتضعها على الرصيف استعدادا لنقلها إلى أرض العمليات . وعندما وضعت قدمى على أرض اليمـن،بدأت أدقق النظر فى وجوه اليمنيين ... كان منظرهم غريبا ... والوجوه شاحبة ... والأجساد نحيلة ضامرة ... كأنهم خارجون لتوهم من الكهوف ... وعرفت وقتها..لماذا قامت ثورة اليمن ... ؟

وفى هذه اللحظات،تحسست سلاحى الراقد على كتفى ... وبدأت أدور برأسى فى كل اتجاه، كأنى أبحث عن ميدان القتال،ودون أن أدرى وجدت يدى تقبض

على سلاحى ... كنت متلهفا وقتها لأضغط على زناد بندقيتى ، ولو أن العدو كان لايزال بعيدا ..

وأفقت من خواطرى على صوت أحد الضباط، وهو يأمرنى بركوب العربة لنذهب إلى صنعاء... إن الطريق من الحديدة إلى صنعاء، طريق رهيب.. لم أر مثله فى حياتى .. إن الطريق واقع بين سلسلة من الجبال الشاهقة .. إنه يرتفع تدريجيا وقبل أن نصل إلى صنعاء بعدة كيلو مترات ، كنا قد وصلنا إلى ارتفاع ٣٠٠٠ قدم ... كنت فى قلب السيارة كأنى أركب طائرة وأحلق فى الجو .. كان الطريق معلقا فى الهواء . وطوال الطريق كنت اختلس النظر إلى السائق .كان وجهه جامدا كالحجر . ولم ترهبة المرتفعات الرهيبة.، أو المنحدرات السحيقة، فى بعض الأحيان، والذى يسير فى هذا الطريق ينتابه إحساس غريب .. ويبقى ساكنا بلا حراك حتى ينتهى الطريق وبعدها يتنفس ؟ ...

ووصلنا صنعاء ... ولم نمكث فيها إلا ساعات قلائل ... فقد صدرت إلينا الأوامر بالتحرك إلى صعدا ... والانضمام إلىقوة المظلات التى نجحت فى الهبوط هناك ، بعد قيام ثورة اليمن مباشرة ..

وكنت وقتها أتابع آخر أنباء العدو .. وكنت أسأل دائما قائدوحدتى عن تحركات العدو .. وموقفه العسكرى؟..كنت متلهفا لأعرف كل شىء عن عدوى... وكنتمتلهفا أكثر لرؤيتة والالتحاممعه والقضاء عليه..وعرفت أن العدو موجود فى دماج .. ونشور .. ومجز ... أسماء غريبة ، لم أسمع بها من قبل .. وكانت خطة العدو، هى أن يزحف إلى صعدا، للاستيلاء عليها .. أذن فهو مازال يجمع الحشود ويعزز قواته ولم يتحرك حتى الآن خطوة واحدة، ناحية صعدا .. كانت الإشاعات التى سمعتها وأنا فى عرض البحر من أذاعة الاعداء تؤكد أن العدو بات على أبواب صعدا ... إذن كل ما سمعته كان كذبا .. ؟

لقدكان الموقف يدفعنا للوصول إلى صعدا بأقصى سرعة انقض ضد قوات العدو، والقضاء عليه إذا ما فكر فى غزو صعدا..

الطريق من صنعاء إلى صعدا .. طريق جبلى .. وعر .. مفروش بالصخور وقطع الأحجار الكبيرة... تمنيت فى تلك اللحظات لو قطعت هذه المسافة فى خطوة واحدة ..

كانت العربات تشق طريقها بصعوبة وسط الصخور .. والأحجار .. وأحيانا كانت تغوص فى الرمال الكثيفة .. لم أنتظر .. نزلت أكثر من مرة من العربة لأسير على قدمى .. كنت أتعجل الوصول إلى أرض العمليات .. وأخذت أتحسس طريقى فوق الصخور ... الجبال من حولى كثيرة .. إنها أول مرة أرى فيها مثل هذه الجبال.. ومثل هذا الطريق، إذا جاز لنا أن نطلق عليه هذا الاسم .. ؟

ولأول مرة أدخل فى معركة حامية ضد طبيعة الأرض اليمنية... أقدامى انتزعها بصعوبة من بين كثبان الرمال .. وكأنى أغوص بأقدامى فى بركة من المياه .. وعندما كانت تعترضنى الصخور والأحجار، كنت أتخطاها وكأنى أمام أمواج عاتية تصدنى إلى الوراء .. ومع كل خطوة كنت ألعن حكام اليمن السابقين الذين تركوا الطريق على هذا النحو، دون أن يصلحوه .. أو يعبدوه .. إن الطريق عمره آلاف السنين . ولم تمر عليه خلال هذه الاعوام الطويلة، سيارة واحدة ..

ألغـــام فى الطريق

وقبل أن نصل إلى منطقة الحرف .. ظهر من بعيد أحد اليمنيين وهو يجرى ناحيتنا بأقصى سرعة .. ثم توقف فجأة .. وقال من خلال أنفاسه اللاهثة لأحد الضباط : إنه رأى عددا من الأعداء يضعون ألغاما فى منطقة « واسط » ، ثم أعطى الرجل أوصافا دقيقه للمتسللين وحدد عددهم بالضبط . وكان لابد من إبلاغ وحدة الاستطلاع التى كانت فى المقدمة لتأخذ حذرها أثناء التقدم .. وبعد الاتصال بالوحدة المتقدمة سمعت أصوات انفجارات أعقبتها طلقات رصاص ... وأول شىء تبادر إلى ذهنى هو أن وحدة الاستطلاع ربما تكون قد مرت على الألغام .. ووقعت فى الكمين الذى نصبة العدو..ولكن طلقات الرصاص المستمر، أبعدت هذا الخاطر

عن رأسي ، وتأكدت أن الوحدة الاستطلاعية كشفت حقول الألغام، واكتشفت أيضا وجود كمين للعدو،ففتحت عليه النيران .. وهذا هو ما حدث بالفعل ..فأثناء مرور وحدة الاستطلاع عند مضيق « المخنوقة » فى المحور الشمالى اكتشفت دورية الاستطلاع قطعا فى الطريق يعوق مرور العربات والمدرعات عليه، فاتصل المقاتل أحمد حافظ بقيادة القافلة وشرح له الموقف بالتفصيل، فجاءته التعليمات ، بالتقدم إلى الأمام .. وفتح الطريق أمام القوات المتقدمة ،وإزالة القطع فى الحال بأى ثمن ، حتى لا تتأخر وحدات المشاة عن الوصول إلى صعدا ، وتلتقى مع قوات المظلات فى الوقت المناسب ..

ونجحت وحدة الاستطلاع فى إزالة العوائق وتسوية الطريق وفتحه أمامنا بعد أن اشتبكت مع العدو لفترة وجيزة ...

بدأنا نقترب من مضيق المخنوقة .وكان علينا نحن جنود المشاة تطهير الجبال المحيطة بالمضيق من قوات العدو ... لقد بدأ المتسللون يفتحون النيران علينا ... وصدرت الينا الأوامر باحتلال الجبال التى تشرف على المضيق، لتدمير قوات العدو وكانت الخطة أن تقوم قوتان لاحتلال الجبلين اللذين يطلان على المضيق مباشرة ...

بدأنا نتقدم ؟ حسب الخطة المرسومة...فركت يدى بفرحة ... أحكمت وضع الخوذة على رأسى ... لقد جاءت أخيرا الفرصة لألتقى بالعدو ... تقدمت مع القوة التى كنت أحد أفرادها، كانت الشمس تلفظ آخر أنفاسها ،وعندما اختفت تماما كنت قد زحفت ناحية الجبل الثانى ... أحس بنا العدو، فأطلق علينا النيران ... ولو...

وتقدمت ناحية الجبل، كان رصاص العدو يمر فوق رؤوسنا ... اقتربنا من الجبل... رفعت رأسى وأنا واقف خلف صخرة كبيرة... لمحت رؤوسا كثيرة للعدو تظهر ثم تختفى ... انتظرت ... أطلقت أول رصاصة من بندقيتى عندما لمحت رأس واحد منهم ترتفع ... صرخ ... صرخة واحدة ... أخذت بعدها أطلق الرصاص ، كلما شاهدت أحد رؤوس العدو ... إنها أول مرة أضرب « فى المليان ... » فى المرات السابقة كان مجرد تدريب على القتال ... الرصاص يصفر من حولى ... لم تصبنى

رصاصة واحدة ... رصاص العدو بدأ يقل ... تقدمت مع بعض الجنود وألقيت عدداً من القنابل اليدوية داخل كهوف الجبل ... لقد انهار العدو وسكت رصاصه ، ونجحنا فى السيطرة على الجبل ...

مضيق سنـــارة

تم لقوات المشاه تأمين المنطقة ... وبدأنا نزحف فى طريق صعدا ... كل شىء هادئ طوال الطريق ... السيارات تسير فى هدوء ... وعيون جنود المشاة تسبق السيارات لتكشف الطريق وتفتش بين الصخور والجبال عن عدو قد يكون متربصاً بينها ...وحدة الاستطلاع تكتشف فجأة ،مضيقاًيقع بين جبلين عاليين ،طوله سبعة كيلو مترات وعرضه لايزيد عن ستة أمتار ... المضيق اسمه « مضيق سنارة » قامت وحدة الاستطلاع باحتلال أقرب تبة لاستطلاع الطريق من حيث الأرض والعدو ومعرفة نوع السلاح الذى يستخدمه ... تمكنت وحدة الاستطلاع من اكتشاف أسرار المضيق ... واكتشفت أيضاً قطعاًطوله ثلاثة أمتار وعمقه ١٫٥ متر ،وخلف القطع مانعاً آخر من الحجارة والصخور أقامه العدو لسد الطريق أمامنا...انها محاولة يائسة من العدو بعد أن فشل فى القضاء علينا عند مضيق المخنوقة ... انه يحاول الآن أن يؤخر تقدم قوات المشاه إلى صعدا بأى ثمن ... كانت خطة العدو من وراء محاولاته الفاشلة أن يسبق القوات العربية إلى صعدا، لاحتلال ما يمكن احتلاله من المدن اليمنية حتى لا تقع كلها فى أيدى القوات العربية ...

ولم تكن صعدا وقتها بعيدة عن طلائع قوات المشاة ... فقد تقدمت هذه القوات إلى مسافة قريبة من المدينة اليمنية ،وتم اتصال بينها وبين رجال المظلات الموجودين فى صعدا عن طريق اللاسلكى ... ولم يكن يفصل بين قوة المظلات ورجال المشاة سوى هذا الطريق المقطوع عند أول مضيق سنارة ، وبعدها يتم

اللقاء، بين أبطال المشاة وأبطال المظلات فى صعدا ... مازلنا تتقدم بثبات ناحية الطريق ... بدأت طلائعنا تقترب من مكان القطع، وترى بوضوح أول المضيق ... كنا جميعا على أتم الاستعداد للدخول فى معركة جديدة مع العدو، لنطهر المضيق منه ونطرده من المنطقة كلها ... كنت منتظرا أية أشارة لمعاودة إطلاق الرصاص ... وجاءت اللحظة الحاسمة التى كنت أنتظرها بفارغ الصبر لقد سمعت المقاتل على فرج ينادى ... استعدوا سنخوض معركة أخرى ضد العدو ... كانت المهمة الجديدةهى السيطرة على الجبال الموجودة على جانبى الطريق ... وزحفت مع الجنود ناحية الجبال المطلة على مضيق « سنارة » وبدأت أتقدم أكثر ... وأكثر ... وانتظرت أن يبدأ العدو بإطلاق النار كما فعـــل فى المعركة الأولى ... ولـكنه لم يفعل ... لم يطلق رصاصة واحدة ... لم تتوقف خطواتى ... وسبابتى ما زالت راقدة على الزناد فى تحفز ... من يدرى ... ومرت اللحظات ولم أطلق رصاصة واحدة ... نظرت إلى جانبى ... كان أحد زملائى قلقا مثلى ... يريد أن يدخل فى معركة جديدة مع العدو ... لقد أخـــذتنا جميعا نشوة النصر ... لقد أصبحنا جميعا مقاتلين من الطراز الأول،ألم نختبر أنفسنا أمام قوات العدو ... ونشتبك معه فى حرب حقيقية ... لقد جربنا المناورات ... وجربنا الحرب الحقيقية ... الفرق شاسع بين الاثنتين ... تمنيت وقتها أن أعيش فى حرب دائمة حتى يستتب السلام فوق كل أرض عربية ...

لقد هرب العدو ... من أمامنا ... إن العدو كان جبانا ... ولـكن قائد القافلة لم يتركه... لقدسمعته يتصل بالسلاح الجوىلمطاردته والقضاء عليه،قبل أنيختفى... الطائرات تحلق فوق رأسى ... إنها أول مرة أرى فيها طائراتنا،وهى تشترك معنا فى معركة ... القائد يوجة الطائرات ناحية العدو ... ويحدد مكانه ... اللحظات تمر ... وعيوننا مشدودة ناحية السماء ... إشارة لاسلكية تصل من قائد التشكيل ... تم تدمير قوات العدو ... تنهدت بارتياح وقلت من أعماق قلبى ... الحمد لله ... لقد انتصرنا مرة أخرى ... ؟

نجحنا فى السيطرة على مضيق سنارة ... وعلى الجبال المحيطة به دون أن نطلق

رصاصة واحدة ... اتصل رجال المظلات برجال المشاة، عن طريق اللاسلكى ... وكان رجال المظلات ينادون «ألو ... زمزم ... ألو ... زمزم ... التعامل معكم سيكون بطلقة إشارة خضراء...» وتقدمنا وابتسامة النصر على وجـــه كل مقاتل، ورحنا نتقدم بخطوات ثابتة إلى صعدا ...

وقبل أن نصل إلى المدينة اليمنية، التى كان يحلم العدو بغزوها وجعلها العاصمة الملكية الجديدة ،شاهدنا الاشارة الخضراء التى أطلقها رجال المظلات ... وعند أول الطريق المؤدى إلى مدخل صعدا كانت هناك مدرعة تنتظرنا وبها المقاتل عبدالقوى ... وتم اللقاء بيننا وبين رجال المظلات ودخلنا صعدا فى ٣١ / ١١ / ١٩٦٢ أى قبل وصول قوات البدر والحسن بأربع وعشرين ساعة ... كان اللقاء حارا ومثيرا بين قبائل المنطقة ... والمناطق المجاورة، وبيننا ...

معركة الجـــوف

بعد دخولنا صعدا ... حدثت عمليات كثيرة ... كل يوم عمليات ... إن قادتنا كانوا يقاتلون معنا ... والحقيقة أننى من كثرة العمليات قد نسيت أسماء الأماكن الغريبة التى اشتركنا فى عمليات حولها ... وفى يوم فوجئنا بالمشير عبد الحكيم عامر بيننا ... لقد جاء لزيارتنا ... وهنأنا على الانتصارات التى حققناها على أرض البطولات والأمجاد ... لقد صافحنا فردا ... فردا ... بعدها اجتمع المشير بعدد من ضباط القيادة ... تأكدنا وقتها أن هناك عمليات أخرى ...

انتظرنا بفارغ الصبر ، صدور الأوامر للدخول فى عمليات قتال جـديدة ... استطعت أن أقف على تفاصيل العملية الجديدة التى سنخوضها بعد صدور الأوامر إلينا ... العملية الجديدة تعتبر من أهم العمليات التى ستجرى على أرض اليمن ... كان كل منا على أتم الاستعداد ... صـــدرت إلينا الأوامر بالتحرك فى طريق الجوف ... وصلنا إلى الحميدات ... قبل أن نصل إلى مضيق «الفاجرة» كانت هناك وحدة استطلاعية متقدمة لتعرف قوة العدو ومدى تسليحه ... وفعلا عادت

وحدة الاستطلاع بعد أن نجحت فى الحصول على كافة المعلومات المطلوبة ... وعلى ضوء هذه المعلومات تقدمنا حتى وصلنا إلى جبل السن الأسود الذى يطل على مضيق « الفاجرة » ويتحكم فيه ... ركز العدو كل قواته تقريبا عند هذا الجبل ... ومن أعلى القمة بدأ يراقبنا ... كانت خطته أن يفاجئنا بهجوم شامل ... ويكون له فى هذه المعركة الضربة الأولى ، متوهما أنه بهذه الطريقة سينجح فى إحداث ارتباك بين صفوفنا ، ويتم له النصر على هذا الأساس ... فالعدو كان يعرف أن تقدم القوات العربية فى هذا المضيق ، والسيطرة عليه ، معناه السيطرة على مفتاح الجوف الذى يفتح أمامنا الطريق مباشرة إلى مأرب ، وهى أرض مكشوفة ... ولايستطيع العدو مهما كانت قواته ، وأسلحته أن يصمد فى وجه القوات العربية إذا اشتبك معها ...

من أجل كل هذه العوامل ... وتحت هذه الظروف تشبثت القوات الملكية بالجبل الذى يطل على مضيق « الفاجرة » ، والتصقت به حتى لا نحتله، فيكون القضاء التام عليهم ، وإنزال أكبر الخسائر بهم ... وكنا أيضا نعرف أهمية هذا الجبل ... جبل السن الأسود ، ووضعت الخطة بإحكام للسيطرة عليه ، وطرد العدو منه حتى تم لنا السيطرة على المضيق ، سيطرة تامة ... وكاملة ...

وعرف كل مقاتل منا ، أهمية هذه المعركة ... وصممنا على السيطرة عليه بأى ثمن ، المهم أن تصدر إلينا الأوامر ، لنبدأ الزحف على الجبل ... إن عسكرى المشاة هو سيد المعارك ... هو العنصر الرئيسى فى القتال ... فلا بد لنا من النصر فى النهاية ...

بدأت أستعد للمعركة الفاصلة ... ومرت اللحظات الرهيبة التى تسبق القتال عادة ... العدو يترقب زحفنا ليأخذنا على غرة ... ما زلنا فى انتظار الأوامر لنفرغ رصاصنا فى صدر العدو ...

وأخيراً ... صدرت إلينا الأوامر لنتقدم فى اتجاه العدو ، فى خط منتشر ... وزحفت فى اتجاه الجبل ، وأصبحنا وجها لوجه أمام قوات العدو ... وفى نفس الوقت زحفت قوتان أخريان ، كانت مهمتهما حمايتنا ونحن نتقدم فى اتجاه العدو ...

بدأنا نتقدم ناحية السن الأسود ... العدو يطلق علينا النيران ، لاشئ يهم ... طلقات العدو لم تؤثر فينا ... زحفنا تحت وابل نيرانه ... كنت أسير فى المقدمة... كان صوتى يهدر كالرعد ... كان أعلى من صوت الطلقات ، نجحنا فى اقتحام جبل السن الأسود ... العدو ما زال يطلق علينا النيران... كان يضرب فى حركات هستيرية يائسة ... استخدم البازوكا ، والرشاشات ... كانت قواته تقدر بحوالى ٣٠٠ فرد ما زلت أتقدم صوب العدو ... حتى وصلت إلى مشارف جبل السن الأسود ... العدو أصيب بذهول...وارتبكت صفوفه ، واجتاحته موجة من الذعر ، والجزع لقد أحس بقرب نهايته ... رصاصة مرت بجوار رأسه واخترقت الخوذة .

اقتربت مع أفراد وحدتى ... أكثر ...وأكثر... إننى كجندى مشاة ، أعرف أن مهمتى هى السيطرة على الأرض بأى ثمن ... الأرض التى أقف عليها ، يجب أن تكون أرضا صلبة ... العدو يتراجع أمامنا ... لم يعد فى حاجة إلى استخـــدام الرشاشات ، والبنادق ... لقد التحمنا بالسلاح الأبيض ... وجندى المشاة خير من يستخدم هذا السلاح ... العدو فى ذهول من هول المفاجأة ... لم يجد أمامه سوى الفرار ، والاختباء داخل الكهوف ... وبين الصخور الضخمة ... جريت وراءهم وأنا أصرخ ... استخدمت القنابل اليدوية لتطهير الكهوف من العدو ... ألقيت أكثر من قنبلة على رأسه ... لقد ألقيت قنابل كثيرة لأضاعف من خسائر العدو فى الأرواح ، لقد ألفت أذناى صوت الرصاص ... وانفجار القنابل ... وبهرنى بريق السلاح الأبيض ... لقد أحسست بنشوة النصر ... ألم يهرب العدو من أمامى ... ويلوذ بالفرار داخل الكهوف كما تهرب الجرذان المذعورة ... مازلت أقترب ناحية مخابئ العدو وأمطرها بقنابلى ... سمعت صوت زملائى وهم يحذروننى لأتفادى الرصاصات التى كان يطلقها العدو على ...واحد من زملائى أطلق على اسما جديدا... لقد سمعته ينادينى باسم « العقر » ، انتشر الاسم بين رجال المشاة ...

وبينما كنت مندفعا وراء العدو لألقى عليه أحد قنابلى، أحسست بشىء صلب ينغرس فى ساقى ... الدماء بدأت تنزف ... لم أتوقف عن الهجوم ، لقد أخذتنى نشوة النصر ... متسلل يصرخ فى ألم ... فى إمكانى القضاء عليهم واحدا واحدا ...

لقد اختبرت قوتهم ... إن العدو جبان ... وإذا استخدم أى سلاح ... استخدمه بيد مرتعشة ... مرتجفة ...

* * *

ونجحنا فى القضاء على قوات العدو ، وإبادته ... وتم لنا السيطرة على جبل السن الأسود ... الذى يشرف على مضيق « الفاجرة » ...

واخترقنا المضيق الذى يوصل إلى المطمة ...

وفى هذه الأثناء حاول المتسللون إحراز نصر عسكرى ... قاموا بجمع حشود جديدة وللدخول فى معركة فاصلة ... تركناهم يتجمعون ... إنها فرصة لنا لإبادتهم هذه المرة عن آخرهم ... وفى منطقة الأحراش تجمعت جموع كبيرة من المتسللين ... كانوا مزودين بالمدافع الصاروخية ، ومدافع البازوكا ، والبنادق الجـــرمان ... وصدرت إلينا الأوامر للتحرك ناحية الأحراش ... وهناك بدأ العدو يطلق علينا نيرانه... كان العدو بقيادة عبد الله بن الحسن الذى أزعجه انتصارنا على طول الطريق وإنزال الهزائم المتوالية فى صفوفهم ... وكان لابد من ضرب العدو فى هذه المنطقة بعد أن تجمع عدد كبير منهم ... وصدرت الأوامر إلى المقاتل على فرج ... إنه نفس المقاتل الذى اشتركت معه فى كل العمليات العسكرية... توغلنا داخل الأحراش وراء العدو ... واشتبكنا معه فى معركة طويلة ... اشتركت فيها جميع أسلحتنا ... واستمرت المعركة ست ساعات ، انتصرنا بعدها ...

* * *

بدأنا نتقدم إلى الأمام بخطوات واسعة ... وصلنا الى المفارق ، وهى منطقة يتفرع منها الطريق إلى نجران شمالا والجوبة...وحريب على حدود بيحان...سيطرنا على هذا الطريق ... واستطعنا أن نغلق منافذ الحدود فى وجه العدو ... واصلنا طريقنا تجاه مأرب ، فى الوقت الذى كنا نتقدم فيه نحوها ، كان العـدو قد حشد قوات هائلة على طول الطريق الرئيسى ، المؤدى إلى مأرب ، ليعوق تقدمنا ، وليبيدنا كما تصور ، قبل أن ندخل المنطقة ... كان العدو مزودا بـ ١٢ مدفع هاون عيار ٨١ مم ، ٧٥ مم ... وكانت قواته تقدر بحوالى ألف شخص ... وكان يقودهم

خبير عسكرى بريطانى، على أمل أن يكسب العدو الجولة الأخيرة فى المعركة .... وانتظرتنا قوات العدو على الطريق ... ومضى الوقت الذى حددته قيادة العدو لوصولنا إلى طريق مأرب ... ووقوعنا فى الكمين الذى نصبوه لنا ... الوقت يمر، وقد مل العدو الانتظار ...

وبعدها كانت المفاجأة التى أذهلتهم ... لقد غيرنا الطريق ... وخدعنا العدو لقد أخذنا طريقا آخر، غير الطريق الرئيسى المؤدى إلى مأرب ... ودخلنا عاصمة بلقيس دون طلقة واحدة، إن مأرب هى مدينة الآثار الخالدة ... كنت أول جندى مشاة، أتحسس بيدى آثارها ... وأطيل النظر اليها ...

انتشر خبر دخولنا مأرب بين جميع قبائل المنطقة ... التى أغراها الذهب ... ذهب الأعداء ... استسلم رجالها، وأعلنوا ولاءهم للجمهورية العربية اليمنية ...

كانت الرحلة طويلة بين القاهرة ... ومأرب... لقد قطعت أكثر من ١٠ آلاف كيلو متر... ركبت الطائرة لأول مرة فى حياتى... كانت أمنيتى، أن أركب طائرة ... كان منظرها يثيرنى كلما رأيتها تحلق فوق سماء قريتى ... لقد تحققت أمنيتى وركبت الطائرة... التى أعادتنى إلى صنعاء ... تقررت عودتى ضمن الفوج العائد الى القاهرة، بعد انتهاء عمليات اليمن ... وفى الحديدة ودعنا شعب اليمن ... كانت الابتسامة تعلو كل وجه ... إنها ابتسامة النصر ...

وبدأت السفينة التى أقلتنا إلى أرض الوطن ... تبتعد عن ميناء الحديدة ... ثم جاءت اللحظة الحاسمة ... لحظة وصولنا إلى رصيف الميناء ... وصول المنتصرين الى أرض الوطن ... وعلى رصيف الميناء، طفرت الدموع من عينى ... لقد كان فى استقبالنا الرئيس جمال عبد الناصر، والمشير عبد الحكيم عامر، إن هذه اللحظات كانت أجمل لحظات عمرى ... وبدون أن أدرى، وجدت نفسى أرفع بندقيتى إلى أعلى، وأهتف مع العائدين ... ناصر ... ناصر ...

أبطال يروون قصص النصر

منهم من يطلق على نفسه
اسم ((الوحش)) ولكنه حينما
يخوض التجربة الحاسمة
لانسانيته يظل انسانا ..



القصة فى حد ذاتها ، قد تكون بسيطة ... ولعل مما زاد فى إحساسه ببساطتها إنه كان يرويها دون مبالاة ، كأنه يروى قصة ذهابه كل صباح ، كل يوم ، إلى الفرن ليشترى خبزاً للعائلة ...

لكن تفاصيل القصة لم تكن بالبساطة التى سمعتها منه ... كان فيها قتال ... فيها رصاص وقنابل ... فيها احتمال الموت كل لحظة ، كل ثانية ... فيها رائحة البارود ورائحة الدم ... ورغم هذا لم تخل من لمسة إنسانية ...

عجيب أمر هؤلاء المقاتلين،منهم من يطلق على نفسه اسم الوحش ... يعتز بالاسم يحاول أن يبدو وحشاً فعلا ... إنه يبدو جريئاً مغامرا ... لكنه حين يخوض التجربة الحاسمة لإنسانيته ... يظل إنسانا ...

اسمعوا معى قصة المقاتل فيصل أحمد محمد ... من مغاغة ...

* * *

المعركة تدور فى المنطقة الشمالية من اليمن ... الهدف هو احتلال الجبل الأحمر ... الجبل صخرى أجرد، يستغرق تسلقه، حوالى ساعتين ونصف الساعة، بدون قتال ... خرجنا أنا والمقاتلون أحمد محمد حلبى ،وحسن محمد البدوى وعزت السيد، والمقاتلون سيد محمود محمد ، وعبد الفتاح عفيفى وعبد القادر سليمان ... كانت الساعة التاسعة صباحا ... إننا ننطلق الآن إلى السكيبات فى الجبل الأحمر ... العدو على الجبل المقابل.

فتح علينا النار ... ردت عليه دباباتنا ... واشتد وطيس المعركة ،لكننا تتقدم باستمرار ... إننا على مسافة قصيرة من السكيبات ... تولى بعض المقاتلين تنظيف جيوب العدو حول البلد ... بقى برج واحد جنوبى البلد ... يصر على المقاومة ... قصفته مدافع دباباتنا ...لم يبق فى البرج حى واحد ... الذين استطاعوا الفرار حصدتهم الرشاشات ... دخلنا البلدة ... فى الوقت ذاته ، بدأت عناصر من قواتنا تتقدم نحو مشهد ،البلدة الثانية والقريبة من السكيبات ... تولينا تطهير البلدة جزءا جزءا ... ضربت بقدمى باب أحد البيوت ... لم أسمع صوتا ... اتجهت ببندقيتى الرشاشة إلى داخل البيت وأنا مستعد لإطلاق النار ... فوجئت بطفل يقف فى ساحة البيت اقتربت منه ... وجدته سليما ... مسحت على خده ... وربت على كتفه ... عدت إلى مهمتى ... غادرنا البيت ... تابعنا طريقنا فى البلدة ... وجدنا بابا كبيرا يسد مدخل أحد البيوت ... حطمنا الباب ... كان البيت فارغا من السكان ، لكنه كان مملوءا بأشياء متنوعة . ذخيرة لأسلحة خفيفة ... قنابل لمدافع هاون ... علب طعام محفوظة ... العلب كلها مصنوعة فى اسرائيل ! أكياس من السمسم ... عدة براميل من الذرة ... أكياس كثيرة من الدقيق ... كان واضحاً ان هذه المؤن، أعدت للمتسللين عبر الحدود ... لم نفكر طويلا ... المستودع كبير ، ولا نستطيع نقل مافيه استوليت على الذخائر ... أثناء نقل الذخائر ، عثرت على باب صغير فى ساحة البيت حطمت الباب وجدت صفيحة جاز ، وصفائح سمنة ... فتحت صفيحة الجاز ،ألقيت ما فيها على مخزن الأطعمة وأشعلت فيه النار ...

وانتهت المعركة باحتلالنا بلدتى السكيبات ومشهد ، وحصلنا على عربة جاز ...ومدفع عيار ٧٦ مم ومدرعة ... أما العدو فقد تكبد خسائر فادحة جداً ...

* * *

أرأيتم مافى القصة من بساطة ؟ ثم أرأيتم انها ليست فى واقعها بسيطة ؟ أسمعتم ما فعل المقاتل فيصل حين شاهد الطفل وحيدا فى البيت ، كانت رائحة البارود تزكم أنفه ... كان القتلى يتساقطون أمامه بالعشرات ... كان الدم يغلى فى عروقه ، وروح القتال تسيطر عليه ، لكنه أمام الطفل نسى ... أنه مقاتل ... استعاد شخصيته فجأة ودون اية محاولة لاصطناع شعور خاص استرجع المقاتل فطرته العربية ...

أما المقاتل عبد الموجود محمد عبد الباقى ، من المنصورة ، فإن قصته من نوع آخر. انها قصة الشاب الذى يستعذب النصر فينطلق به إلى نهاية الحدود، لكنه ، فجأة يحتاج إلى رفاقه ... قصة إنسان خطا فوق الموت ... كانت وحدته قد دخلت أبواب مأرب بعد معركة حامية استشهد فيها المقاتل نبيل الوقاد ... فجــأة قام العدو بهجوم على قاعدتنا فى صرواح، تلقت وحدتنا الأمر بالعودة إلى القاعدة ... نفذت الأمر ، كنا نسير على خط طويل ، فى وادى ضيق ، وكان بعض عناصرنا يحرس التلال المحيطة بخط سيرنا ، على مسافة ١٢ كيلوا مترا من مأرب،فتح كمين معاد علينا النار ، اصابت طلقة سائق الدبابة ، فقفزنا من سياراتنا ورقدنا على خط واحد،اجبنا على النار بمثلها كان العدو يتحصن فى أحد المرتفعات المسيطرة على الوادى ... صدرت الأوامر إلى فصيلتنا باقتحام المرتفع ... طرت فرحاً لم أكن قد اطلقت النار بعد ... كنت متعطشاً إلى القتال ... لم استطع أن اقنع بزحف الفصيلة ...رحت اعدو على المرتفع وكأنى بلا وزن ،كانت طلقات الرصاص تتساقط حولى لكنها أخطأتنى بمعجزة لما رأى زملائى تقدمى السريع ، افسحوا فى خط نيرانهم مجالا لى ، وراحو يتولون فى الوقت نفسه حمايتى ، أثناء ركضى على المرتفع ... استندت بيدى اليسرى على الأرض ، ضغطت يدى اليمنى على سلاحى دون إرادة منى ... انطلقت رصاصة منى ، غاصت فى تراب المرتفع ، لكنها اثارت غبارا كثيراً ، خيل لزملائى انى قتلت ، صاح أحدهم : عبد الموجود استشهد، لكننى نهضت بسرعة تحسست صدرى فوجدته سليما ... تابعت عدوى ... وصلت قرب قمة المرتفع ... وجدتها مقطوعة قطعا ، وكأنها قطعة جبن مرت عليها سكين البائع ، لكن القطع لم يكن عميقا ، كان بمثل طولى تقريباً ، وضعت البندقية فوق القمة ورحت اطلق النار دون أن أرى شيئاً ... فى الوقت نفسه كانت نيران الكتيبة كلها مسلطة على جوانب القمة ... انتظرت قليلا لم أسمع شيئاً فوق القمة ، تسلقتها ، ورقدت ... رأيت القمة تنحدر إلى واد اخضر

كثير الشجر والعشب ، ورأيت أيضاً العدو يعدو بين الشجر ، أخذت اطلق النار دون راحة ... كان بقية أفراد الفصيلة قد وصلوا إلى ... تركتهم ورحت أعدو خلف العدو ... كنت اهبط المنحدر بسرعة وحماسة عجيبتين ... ورأيت فى آخر المنحدر حفرة مستطيلة... بدأت اخفف من سرعتى حتى وقفت أمام الصخرة تماما... لم أشأ التوقف ... اجتزت الحفرة باحدى ساقى ... كانت الساق الثانية لا تزال على الجانب الآخر من الحفرة حين سمعت صوتا من خلفى يصيح بى ...شمالك... كان صوت أحد زملائى الذين لحقوا بى ... التفت بسرعة إلى الشمال ... ورأيت شخصاً يرقد فى الحفرة ويتحفز لاطلاق النار على ... كانت صخرة صغيرة تحجبه عنى ، لكنها لا تحجبه عن أفراد الفصيلة ، وإن كانت الحفرة تحول دون أن يطلق رصاصة واحدة كانت أول جثة أراها منذ أن جئت إلى اليمن ... على أن الذى أصابنى بدهشة بالغة هو القتيل... بالرغم من انى أفرغت فيه الرصاص تقريباً ، لم ينزف قطرة دم واحدة حملت جثته وذهبت بها إلى القيادة ... كانت الفصيلة قد طوقت الوادى الاخضر وفتشته تفتيشاً دقيقاً ... وبعدها تابعنا طريقنا إلى صرواح دون حادث...واشتركنا فى القتال ، ورددنا هجوم العدو على قاعدتنا ...

وكان المقاتل محمد حسن بلال من بور سعيد ، يستمع إلى زملائه ويبتسم ... سألته : أليس لديك قصة ... قال : كل مقاتل فى اليمن له قصة ... لكن كثرة القصص تجعلها عادية جدا ... قلت : مهما كانت عادية فلا بد من أن يكون فيها شيء جديد ، وراح العريف بلال يروى قصته بالهدوء نفسه الذى يروى به حكاية لابنه الصغير.

تلقينا ذات يوم أمرا بالزحف إلى حرض ، لبث الألغام على الحدود فقد اكتشف الطيران قوة معادية تقترب من حدود اليمن ، وتقدر بحوالى ... لواء... وقد ذهبنا إلى حرض فعلا ، وبثثنا الألغام . لكننا اثناء عودتنا التقينا بضابط يقود كتيبة مدرعة

فسألنا : إلى اين ؟ أجبنا اننا فى طريقنا إلى الحديدة قال : تعالوا معنا وذهبنا إلى جبل مجاور لحرض ، فسمعنا اطلاق النار وراء الجبل . وترجلنا وانتشرنا وكانت الساعة منتصف السادسة مساء ... وبعد قليل أبلغ الضابط، أن المدرعات المتقدمة واجهت نيرانا حامية فاستشهد قائد المقدمة ، وانهم يريدون دورية لإحضار الضابط الشهيد وجهاز اللاسلكى ... كنت بين أفراد الدورية، اقترحنا أن نذهب على أقدامنا... لكن قائد المشاة نصح بأخد سيارة ... السائق الذى تولى قيادة السيارة كان هو نفسه الذى يرافق الضابط الشهيد ... لذلك كانت أعصابه مرهقة ... لكنه لم يرفض المهمة وأثناء سيرنا تعرضنا لهجوم مفاجىء ... انحرفت السيارة ... نزلت فى خندق ... أجبنا على النار بالمثل ... بذلنا جهدا كبيرا ونحن نقاتل لاخراج السيارة من الخندق استطعنا اخراجها ، لكننا اثناء المسير... ولم نكن نرى معالم الطريق جيدا ... دخلنا فى حقل من حقول زراعة الذرة ، ومرة اخرى تبادلنا اطلاق النار مع كمين معاد ...



سمعت صيحة أحد أفرادالعدو ... عرفت أنه أصيب ، صمتت نيران العدو فى الصباح واصلت قواتنا تطهير حقل الذرة ، بينما زحفت أنا حتى عثرت على القتيل ، الذى ظل يئن طول الليل ، وسلمت جثته إلى القيادة... وقد قتل فى هذه المعركة ، عدد كبير من العدو فى حقول الذرة واستطاعت قواتنا إنهاء مهمتها ... ثم عدنا جميعاً إلى الحديدة .



انها لحظة مشحونة بالاثارة دون شك .. كانت السفينة تحمل ابطال صرواح وصعدة .. ان الرجال الذين قاتلوا على كل شـــبر من أرض اليمن يعودون منتصرين ..

تحـركنـا في منتصف الليـــل

إنها لحظة مشحونة بالإثارة دون شك ... كانت السفينة التى تحمل أبطال صرواح ... وأبطال صعدة ... تدخل إلى رصيف الميناء ... إن الرجال الذين قاتلوا على كل شبر فى أرض اليمن ، يعودون منتصرين ...

* * *

إنى أحاول بقدر الإمكان ... الوقوف وحدى على البعد ، حتى أستطيع أن ألاحظ مايدور ... فلا يجرفنى تيار الاشتياق ... إننى أرى أمامى الرئيس جمـــال عبدالناصر،والمشير عبدالحكيم عامر...وهما يسيران على رصيف الميناء ، أمام السفينة ، عدة مرات ، حتى يروا الناس جميعا ... الجنود يهتفون ناصر ... ناصر... إنهم يرفعون بنادقهم إلى أعلى ، وهم يهللون ... إنها صيحات النصر ...

وكنت أحاول أن أرى وجوههم... وجها،وجها... إننى أعرفهم... لقدالتقيت بهم على أرض البطولات والأمجاد...وشهدت مراحل كثيرة،من قصص بطولاتهم... عشت معهم ... والنار حولنا ... والعدو يحاول أن يبيدهم ... رأيتهم فى صرواح وهم يواجهون عدوا غير محدود ... ورأيتهم فى صعدة ... وقوى كبيرة،تقف ضدهم وهم لايبالون ... لقد بدأت أستطيع أن أميز وجوههم ... هذا هو صخرة صرواح ... أو هكذا كانوا يسمونه هناك ، ولكن اسمه الحقيقى أحمد عبد الله ... وهذا هو عبد القوى ، رجل له تاريخ طويل ، امتد منذ الأيام الأولى للعمليات ،

حتى توقف القتال ... وفجأة وجدت نفسى أبتسم ... إنه الشهيد رستم ... وهم هناك أطلقوا عليه لقب الشهيد ، لأنه اشترك فى عمليات عديدة ... وتعرض للموت كثيرا ، وفى كل مرة كان ينجو بأعجوبة ... من هذه الحوادث التى حدثت له ، إنه كان يقوم بدورية قتال فى قلب خطوط العدو ... وحدث أن انفجر لغم بجوار قدمه على مسافة ٢٥ سم فقط ، وتطايرت الرمال فى السماء ، وغطت كل شىء ... وسحابة من الدخان أخفت كل ماتحتها ... وتأكد الجميع من أن رستم قد انتقل إلى سجل الشهداء ... ومرت لحظات ... هى اللحظات التى يشعر فيها المقاتلون بألم عميق ، عقب فقد أى مقاتل شجاع ... كان رستم قد اختفى تحت الرمال ... ولكن كانت المفاجأة أيضاً ... إن رستم يظهر من تحت الرمال ... إنه سليم لم يحدث له شىء ،ولم يترك اللحظات الثمينة تمر ... لقد سمع الجميع صوته ... تقدم ... تقدم .. وإشارته المعهودة لرجاله أن يتبعوه ... ومن يومها أطلق عليه ، لقب الشهيد رستم ، لقد عاد ...

هذا هو هيكل ... لقد حلق شعر ذقنه للمرة الأولى منذ عشرة شهور ... هذا هو المقاتل العظيم أبو سنة ... من بور سعيد ... من كان يصدق أنه سيعود ... إنه بطل جبل خنفعر ... إنه أحد أبطال قصة الحائط الرهيب ... كان يومها برتبة الرقيب (شاويش) حينما صعد الحائط الرهيب ، البالغ ارتفاعه سبعة أمتار ... وأنقذ المجموعة كلها ،التى فرغت ذخيرتها ... حينما قذف اليها بالخزائن المعبأة بالذخيرة فى اللحظة الحاسمة ... وبدأت أسرح بخاطرى عبر آلاف الأميال ... إلى هناك ... إلى الأرض البعيدة ... أرض الأبطال ... بدأت أحاول أن أتذكر قصة ، لكل وجه تقع عينى عليه ...

* * *

الرقيب أول (باشجاويش) محمد حمزة العسكرى ... إننى أذكر ، أن مسرح عملياته ،كان هناك حول صعدة ... وأذكر أيضا أنه أصيب مرتين ... مرة فى قدمه، ومرة أخرى فى ذراعه بالرصاص ... ولما سألته : فى أى مكان من أرض العمليات أصبت ؟ . سرح بخاطره قليلا ... ثم همس فى إذن الجندى الواقف إلى جواره ...

أنا أصبت فين ياسعيد... ؟ ولم أتمالك نفسى من الابتسام ، إن لمحمد حمزة ، عملية عجيبة من عملياته الشهيرة ... وكان يوم العملية ... يوما غريباً أيضا ... الشمس مختفية منذ ثلاثة أيام ... والمطر غزير ، لدرجة هائلة ... والأرض تحولت إلى مستنقعات ، ولكن الحرب لاتتوقف، انتظارا لظهور الشمس ...وتلقى حمزة المهمة إنه ذاهب لضرب تجمعات العدو ،خلف الجبال ...

* * *

ولم يكن الطريق خاليا من العدو...على البعد ، بدأنا اطلاق النيران .. الأرض مفتوحة ... واستخدمنا الأسلحة بعيدة المدى ، كل هذا وقواتنا تتقدم باتجاه العدو ، لتكسب أرضاً ، وبدا هناك على الجانب الأيمن ، تبة منخفضة ، والدنيا حولها تبدو هائلة ، ولكن شيئا غريبا ، هتف فى داخل حمزة ، لا بد من ملاحظة هذه التبة ، ملاحظة دقيقة ، وبدأ يدقق النظر ، وعلى البعد فى آخر التبة ظهرت مفاجأة غير متوقعة ، إنه لباس رأس لأحد جنود العدو ، لابد أن العدو يختفى خلف التبة ، لو أننا مررنا بجواره ، لسبب لنا خسائر كبيرة ، وظهر أن قوات العدو خلف التبة ٢٠٠ جندى ، وبسرعة تحرك حمزة بسيارته المدرعة إلى خلف التبة ، حيث وجد نفسه وجها لوجه فى مواجهة العدو ، والعدو صف طويل ، وبدأت طلقات الرصاص تلعلع ، ويقول حمزة : إنه وضع حدالنيرانه حتى تكون مثل الحائط ، ثم بدأ فى (قش) العدو ...

وشعرت بالثقة ، لما قال لى حمزة : (اللى كان قدامى مفيش مخلوق منه مشى بقى يبقى معايا رشاش واسيب واحد يتحرك) وأذكر حينما لقيته أيضا ، أنسعيد قال لى: (إنه لم يحك لك حينما أصيب برصاصة فى ذراعه ، أنه استمر خلف رشاشه يطلق النيران ،ليحمى باقى السيارات إلى أن عادت ... ونظرت إلى حمزة ... نظرة معناها أنى أريد أن اسمع القصة ... ووضع حمزة يده على الوسام الذى أطلقه العدو على ذراعه ... على أثر الرصاصة ، وقال ... (إنها قصة عادية لاتستحق الذكر ... عشرات من زملائى ، عملوا نفس العمل)...

وبدأت أفيق على وجه المقاتل محمد عجمى أحمد ، إنه من رجال المظلات ، وقد

قاتل فى أماكن متعددة ، على أرض اليمن من أقصى الشرق إلى أقصى الشمال ... ومر بظروف صعبة ... وها هو قد عاد ، وعدت بخواطرى الى العمليات التى اشترك فيها ... كان لم يقفز مع زملائه فى صرواح ... ومع طلوع الفجر ، كانت هناك عبوات ذخيرة ستلقى إلى القوات التى سبق أن قفزت فى صرواح ... ويومها كانت هناك رياح عاتية ... والعبوات التى ستلقى ...لا أحد يعلم أنها ستصل إلى قواتنا ، لأن الريح قد تبعدها إلى جانب العدو ... ولو كنا فى ظروف عادية لما القينا هذه العبوات ... ولكنها ظروف الحرب والقتال ... وقواتنا هناك فى حاجة ماسة إلى الذخيرة ... ولا بد أن نحاول ، محافظة على أرواح رجالنا ... والقفز ذاته فى هذه الظروف ، مهمة شاقة ... ولكن العملية ، يجب أن تتم تحت أقسى الظروف ... وأقسى الظروف عند رجل المظلات ، هى القفز فى هـــذا الجو الغريب ... هذه العواصف الهائلة ... فى أرض ضيقة ، يحيط بها العدو من كل جانب و لكن المقاتل عجمى قفز مع العبوات ، وأنا أذكر الفاظه يومها ، قال لى : (مش معقول زملائى يكونوا بيحاربوا فى صرواح ، وأنا مستريح فى صنعاء ... وغير معقول أن يتعرضوا للموت ولا أجازف أنا لتوصيل الذخيرة لهم) .

المهم أن عجمى قفز يومها من الطائرة ... ولم يترك له العدو فرصة طويلة ... فبدأ إطلاق النيران عليه ، وهو لا يزال فى الهواء ... وكان الرصاص يخترق المظلة ، ويشعر به وهو يطير من حوله ... ولكن رصاصة واحدة لم تصبه إصابة مباشرة . وهكذا وصل إلى الأرض ... ورفع رأسه إلى السماء ، ليحاول تحديد أماكن باقى العبوات ... هل هى قريبة منه أم بعيدة ؟ هل هى عند العدو أم عند قواتنا ؟ ... وهو يقول: إنه كان مهتما بالعبوات ، أكثر من اهتمامه بنفسه فلم يحاول أن يحدد ، هل هو نفسه سقط عند العدو ؟... أم عند قواتنا ؟ إلا بعد أن حدد اماكن سقوط جميع العبوات ... وكان واضحا أنه سقط فى مكان غريب ... فلا هو عند العدو ولا هو عند قواتنا ... إنه فى منطقة مضروبة بالنيران ... نيران العدو ... ونيران قواتنا ...وكانت أقرب عبوة بها (جراكن) ماء ... وتقدم عجمى وحمل اثنين ، وبدأ يتجه إلى جانب قواتنا . وبدأ العدو يطلق عليه النيران، واخترقت طلقة جانب أحد الجراكن وبدأ الماء يسقط منها ... ولكنه لم يلق (الجركن) ... لأن الطلقة كانت فى منتصفه تقريباً

وهكذا سيصل نصف كمية الماء ... خير من لا شيء ... ولم يكن هناك مجال للتوقف لتفريغ نصف (الجركن) ليخفف عن نفسه عبء حمله بلا داع ... فطلقات العدو لا تعطيه الفرصة ... وهكذا سار ... وكان الله معه ... فوجد خورا يخفيه ، عن طلقات العدو ... وهناك وجد زملاء آخرين ... وبدأوا ... يحضرون جميع العبوات من الأرض المضروبة بالنيران ... الذخيرة ... الماء ... كل شيء ... وهو يذكر قصة لطيفة ... يقول إن صورة خطيبته أنقذته ... فقد كان فى جيبه صورتها ... فوقعت منه أثناء ذهابه لإحضار صندوق ذخيرة ... وانحنى ليأخذ الصورة ... وفى هذه اللحظة ، كانت مجموعة من الطلقات تمر فوقه حتى إنها لمست ظهره ... وهكذا أنقذته الصورة ، لأنه لو كان واقفا لأصيب.

الرقيب الأول عبد الفتاح عفيفى محمد من السيدة زينب ، ووكيل العريف امام أحمد ابو سريع من الإمام الشافعى ... ويتكلم الرقيب الأول ... ليس لأنه البطل الوحيد... فكلهم فى الحقيقة أبطال ... وإنما لأنه الرقيب الأول .

وفى يوم ١٩٦٢/١١/١٤ صدرت أوامر بتحرك دورية من ثمانية أفراد ، لعمل كمين داخل أراضى العدو ... ليس فى الأمر مايثير أية دهشة ... فالعملية عادية وهى تحدث كثيرا فى كل قتال ، لكن ظروف العملية ، كانت غير عادية . العدو الذى نواجهه ، ليس العدو الذى يألفه جيش نظامى. الأرض التى يقاتل عليها ، أرض خبرها العدو ، قتالا ... وغزوا ، ودفاعا عن النفس ، سنوات طويلة ، رغم ذلك تتحرك دورية من ثمانية أفراد ، لتعد كمينها ، بماذا تمتاز هذه الدورية ؟ يضيف الرقيب الأول عبد الفتاح : لقد تم اختيار افرادها — الدورية — بحيث يكمل كل منهم الآخر . أى ان لكل منهم اختصاصه . هنالك اللاسلكى ، والقناص ، والصقرى أى الذى تمتاز عيناه ، برؤية جيدة ، بعيدة المدى ... وغير ذلك مما يمكن الإفادة منه إلى أقصى حد .

وقد وضع النقيب صلاح عبد العاطى خطة التحرك ، واختار أفراد الكمين فكان معنا : العريف مجدى الغرباوى ، والعريف عبد الله عفيفى ، والعريف أبو العزم خميس ، والعريف ابراهيم زكى ابراهيم ...

وبدأ تحركنا فى الساعة ٢٤٠٠ (منتصف الليل) وكنا أول دورية تخرج فى مهمة ، تستغرق أربعا وعشرين ساعة ... كان الصمت شاملا ... والقمر يرسل أشعته الباهتة ، تعانق خطواتنا ، وتدخل الطمأنينة إلى نفوسنا ، وتغذى الحماسة فى صدورنا وقد صار تشكيلنا بحيث لو رآنا العدو فجأة ... كانت لنا القدرة ، على حماية أنفسنا والرد عليه بسرعة ... أما غرض الدورية ، فهو احتلال برج على الطريق ، بين مأرب وصرواح ، وإقامة كمين للعدو هناك ، وكان البرج يقوم على هضبة عالية وحوله سور مستطيل ، يتراوح ارتفاعه بين ١٥٠ ، ٢٠٠ سنتيمتر .

ولم يكن يمزق صمت الليل ، سوى إطلاق النار بصورة مستمرة ، من مراكز العدو ، على قاعدتنا فى صرواح ، وهذا الضرب المستمر الذى يخالف عادة العدو ، جعلنا نتأكد من أن العدو ، يعد هجوما على صرواح ، انطلاقا من الهضبة الحمراء .

لكن هذا ، لم يثننا عن الهدف الذى نسعى اليه ، فتابعنا تقدمنا ، حتى دخلنا دون أن نشعر ، فى أرض منخفضة تنحدر إلى مسافة ١٥ — ٢٠ مترا ... ولم يلفت نظرنا إلى هذا الانخفاض ، سوى غياب نيران العدو عن أبصارنا ، فزدنا من حذرنا ، لاسيما أننا فوجئنا بأشجار لم تتبينها من القاعدة ، وعمدنا إلى المسير المتعرج ، لكى لا نكون هدفا سهلا لأى عدو محتمل الظهور ... كما لاحظنا وجود بعض المتاريس من الأحجار ، فتقدمت منها أنا وزميلى ، إمام أبو سريع ، حتى لا نعرض أفراد الدورية كلها لخطر مفاجىء ... ولما لم نجد فيها أحداً ، تابعنـــا طريقنا ، حتى شاهدنا البرج ، الذى يقع على مسافة ، تتراوح بين ستة وثمانية كيلومترات من قاعدتنا ...

وكنا ونحن نقترب من البرج ، نسمع أصواتا دون أن نعرف مصدرها ... فاذا ما أحسسنا بها قريبة توقفنا ، وكمنا بين الحشائش ، وإذا ما أحسسنا بها قد ابتعدت ، تابعنا زحفنا بحذر شديد ... وبدلا من أن ندخل البرج مواجهة ، دخلنا بحركة التفاف ، من الجهة الشمالية ، واقتربنا من باب السور الخلفى ، حوالى الساعة الثانية صباحا .

وقد دخلت السور مع زميلى للاستطلاع فلم نجد أحدا ... وكان السور مقسما

إلى أضلاع ، أشبه بالغرف غير المسقوفة ، والبرج قائما وسطها ، وقد أصيب رأسه بقنابل طائراتنا .

ولما اكتشفنا أن السور والبرج خاليان ، دعونا بقية أفراد الدورية إلى الدخول ، وتم فوراً توزيع الأفراد ، لمراقبة المنطقة من سائر الجهات ، وبقينا على هذه الحال ، حتى الساعة الخامسة صباحا . . كان التدخين ممنوعا ، حتى لا يرى العدو موقعنا ، وكان الحديث بصوت عال ، ممنوعاً أيضا . . ولكن لما بدأت خيوط الفجر تتسلل إلينا ، توليت أنا توزيع لفافات التبغ على الأفراد ، وما كدت أدخل على العريف محمد سامى عكيل ، حتى وجدته يخرج إلى ليتذرنى بأن هناك عدداً من الأعداء ، يقفون على مقربة منا ..

وألقيت نظرة إلى حيث أشار ، فوجدت مجموعة من العدو ... يتراوح عددها بين ٣٠ و ٤٠ شخصاً على مسافة لا تزيد عن ثلاثمائة متر منا ، وفكرت فى أن أفتح النار عليهم ، وأرديهم جميعاً .. ولكننى توقعت ، أن يكون هناك عدد آخر فى مكان قريب ، فذهبت أبلغ الأمر إلى النقيب ، فإذا به يصدر الأمر باطلاق النار فوراً .. ولما أسرعت أطلب إلى بقية الأفراد ، الاستعداد رأيتهم يتفرقون ويبتعدون ، مما سيجعل تأثير النار عليهم ضعيفاً ، فعدت أبلغ النقيب بما حدث فراقبهم بالمنظار ، فوجدهم قد عادوا إلى التجمع فى أسفل هضبة ، والتفوا حول شخص يرتدى الثياب السعودية ، ويبدو أنه يلقى عليهم تعليماته ، ويشير بين حين وآخر ، الى المواقع العربية ، فى اتجاه صرواح ..

وهنا رأى النقيب ، أن نعمل بسرعة لتفريق هذه المجموعة من العدو ، فأصدر الى أمراً بالخروج ، مع اثنين من أفراد الدورية ، للقيام بحركة التفاف ، حول المجموعة ، وتكبيدها أكبر خسارة ممكنة ، فخرجت مع العريف عكيل ، والعريف مجدى الغرباوى ... وكان الأول يمتاز بعينين حادتى النظر .. لذلك ما كدنا ننحدر إلى سفح هضبتنا ، حتى قال لى : إنه رأى واحداً من أفراد العدو ، يتحرك على الهضبة المواجهة لنا ، ثم يعود بسرعة .. وكانت هذه الهضبة ، تتوسط موقعنا

ومركز تجمع العدو ، فأدركت أننا فقدنا عنصر المفاجأة ، وأن علينا أن نعمل بسرعة ، لنصل إلى الهضبة المواجهة ، فنضرب العدو منها ..

وكانت ثمة شجرة على سفح الهضبة ، جعلت العريف محمد ، يتمركز تحتها مع مدفعه الرشاش ، فى حين تابعت زحفى مع زميلى الآخر ، الذى تركته يتمركز على زاوية السور المشرفة على الطريق المؤدية الى الهضبة التالية ، فى حين توجهت أنا الى الزاوية المقابلة ، فلم أكد اخطو خطوة واحدة ، خارج ضلع السور حتى وجدتنى وجها لوجه ، مع أحد افراد العدو ،الذى يتخذ وضع الاستعداد، على مسافة أقل من متر منى ... وأطلقنا النـــار أنا والعدو الذى يواجهنى فى وقت واحد ، وأصبت بطلقة فى فخذى ، لكننى لم أحس بها ، أما عدوى فقد قتل على الفور... وفى الوقت ذاته كانت المعركة قد بدأت فى الجانب الآخر من السور ...

والتفت إلى يمينى ، فوجدت إثنين يزحفان ، أعلى المنحدر ... ولما وقع عليهما بصرى ، كان أحدهما قد أطلق بندقيته ، فأصابنى برصاصة ثانية ، فى ساقى ، لكن هذا لم يمنعنى من إطلاق النار ، فسقط احدهما وتولى الآخر سحبه ، منتهزاً فرصة فراغ بندقيتى من الذخيرة ،وتراجعى لتبديل المخزن .

وهنا أحسست بساقى ، وقد بدأت تسخن وتزداد ثقلا ، فالتفت إلى زميلى على الجانب الآخر من السور وصحت : (أنا اصبت .) لكننى لم أكد أكمل كلمتى ، حتى لمحت خيالا من فتحة صغيرة فى السور ، فأسرعت اليها فرأيت داخل السور أربعة افراد من العدو ، يقترب أحدهم من الفتحة مسدداً سلاحه فعاجلته بدفعة من نار بندقيتى ، ثم عاجلت الباقين داخل السور بقنبلة يدوية ، ويبدو أن موقعنا قد شاهد عند بدء انطلاقنا ، الرجل الذى رآنا وعاد مسرعاً الى جماعته ، لكن الموقع لم يستطع تحذيرنا ، لذلك ماكادوا يسمعون اطلاق النار ، حتى اشتركوا

معنا فى المعركة ... وغطوا انسحابنا . الى أن وصلنا الى الموقع، وعلى الأثر ، نشبت معركة حامية الوطيس ، بالرغم من الكميات المحدودة من الذخائر التى نملكها وسقط خلال هذه المعركة معظم أفراد المجموعة المعادية ...

وكنا فى هذه الأثناء قد اتصلنا بقاعدتنا فى صرواح ، وبلغناها بما حدث ، فأرسلت الينا مدرعتين ، تولت إحداهما نقل جثث العدو ، التى تعذر عليه فى هذه المعركة سحبها ، كما يفعل اليهود ، وتولت المدرعة الأخرى ، نقل بقية افراد الدورية ...

وفيما عدا الرصاصتين اللتين أصيبت بهما ، لم تتكبد أية خسارة ، قالها ببساطة عجيبة ، ... البساطة نفسها، التى أعلن بها جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ...

إن هؤلاء الأبطال الشبان يعملون بروح قائدهم ... بإيمان زعيمهم ... الرصاص يضحكهم... الألم يزيدهم قوة وصلابة ... النصر يزيدهم تواضعاً ورقة ...

واستمعت الى قصص كثيرة ... فى بساطتها قوة خارقة ، فى كلماتها التى تتوارى خلفها نفوس كبيرة ، معجزة هائلة ...

* * *

هل أستطيع أن أقارن، هذا الجيش ، بجيش سنة ١٩٤٨ الذى حارب فى فلسطين

استغفر الله ...

لكن القائد ظهر من هناك .

فى ذلك اليوم... بين دخان المعركة اليائسة ... بين فرق الأسلحة المحطمة... بين جثث ضحايا الأسلحة الفاسدة ... قرر أن يكون للعروبة جيش قوى .

وقد كان للعروبة هذا الجيش ... واستطاع أن ينقل شعبا من العصر الحجرى إلى عصر الذرة ... من الظلام الدامس ، إلى النور الساطع .

وليست هذه سوى البداية فقط .

ان هناك كثيرا من الظلمات يجب ان تتبدد ... ولن يبددها ، إلا الذى بدأ سنة ١٩٤٨ بصنع المعجزات .



الوَحشْ

فلاح حمـــل البندقية بدل
الفـــاس .. ورفع راسي
وراسك ..وشارك فى كتابة
سطور من تاريخ الامة العربية.

قارس من أعماق الريف ... الأرض الطيبة ... من قرية ميت أم صالح ... مركز بركة السبع ... محافظة المنوفية... ذاق مع أهله مرارة الإقطاع والحرمان ... ولا يزال أخوته حتى اليوم ،يحملون الفؤوس على أكتافهم ... ويلبسون الجلابيب الزرق ... لكنه على أرض البطولات والأمجاد حمل ، البندقية بدل الفأس ... ورفع رأسي ورأسك ... وشارك فى كتابة سطور من تاريخ الأمـــة ، سيظل جيلنا يفخر بها ...

بدأت القصة حينما دخلت إلى مقر القيادة العربية بصنعاء ... وفى غرفة مدير العمليات الحربية ... وجدت منظراً مثيراً ... مدير العمليات يضع يده فى يد أحد الجنود... ويقول له ... (ألف مبروك... لقد أمر المشير عبد الحكيم عامر بترقيتك إلى رتبة الرقيب ... تقديراً لبطولتك ...)

وسمعت همساً فى الحجرة الصغيرة ... من هو ؟؟ ورد صوت ملازم يلبس بدلة الميدان الصفراء ... وقد غطتها رمال الصحراء ... والتراب ... وعلى رأسه خوذة ... قد اخترقت جانبها رصاصة ... ولكن كما هو واضح ... لازال حياً أمامى ... سمعته يرد على السؤال ... ويقول ... (إنه بطل الجبـــل الأسود ... الرقيب عثمان ...)

ووجدت نفسى أقول لمدير العمليات الحربية... (أريد أن تقدم لى بعض الجنود الذين قاموا ببطولات كبيرة فى حرب اليمن ... حتى أكتب عنهم ...) فإذا بابتسامة كبيرة ، تظهر على وجه مدير العمليات... ولم يمر وقت طويل حتى قال لى ... (إنك مثل من يبحث عن ماء فى المحيط وهو أمامه...) إن هنا آلافا من قصص البطولة... وأعتقد أن الصعوبة التى ستواجهك ، ليس فى البحث عن البطولات ... إنما هى بالتأكيد ،إنك لن تستطيع كتابة كل البطولات التى ستقابلها ، وأخذنى مدير العمليات من يدى إلى غرفة أخرى ... وعلى بابها لافتة تعلن : « ممنوع الدخول » ... وفتح إحدى الخزائن الحديدية ... وهناك وجدت عشرات المجلدات ... مكتوباً عليها ... (يوميات الحرب) وقال لى ...هذه يوميات الحرب ،كل صغيرة وكبيرة دارت على أرض العمليات أو فى سمائها ... مكتوبة أمامك هنا ... جرب حظك وافتح أية صفحة من أى مصنف ... واقرأ ... ستجد حتما ... آلافا من قصص البطولة ... إنى واثق من أنه لاتوجد صحيفة واحدة خالية من قصص البطولة ... وأردت أن أجرب بنفسى ، فى إحدى الصفحات... فوجدت اسم المقاتل العريف صلاح السعيد حسنين...وفتحت صفحة أخرى ، فوجدت اسم المقاتل شوقى أحمد حسن... وواليت فتح صفحات جديدة ... وقرأت أسماء جديدة ... المقاتل وفيق الجبانى... المقاتل على هانى كامل ... المقاتل محمد حمزة ... المقاتل محمد عجمى ... المقاتل سعيد صديق ...المقاتل عباس سلام ... المقاتل يوسف عبد العظيم يوسف ،وبدأت أقرأ يوميات الحرب ... كلمة ... كلمة ... اليوميات طويلة ، والمجلدات كثيرة...ولكنها صماء جافة ... لاتجعلنى أعيش الحرب ، كما أسمعها من أفواه أبطالنا ... وفى ورقة صغيرة ،كتبت أسماء كثيرة ... وخلف هذه الأسماء ... طرت مئات الكيلومترات لأجتمع بالأبطال ... فى أرض البطولات والأمجاد ... الوحيد الذى لم يفلت من يدى ،هو الرقيب عثمان ... بطل الجبل الأسود ... لقد كانت هناك طائرة تنتظره ليعود إلى مقر وحدته...ولم يكن قادراً على البقاء ، ولا أنا قادر على أن أتركه يفلت من يدى ... واتفقنا ... سأذهب معه فى الطائرة إلى وحدته ... وفى قلب الطائرة أستمع إلى قصة بطولته ... ثم أعود فى نفس الطائرة ... ولعله كان أغرب لقاء ... إننى أحصل على حديث صحفى ... وسط ضوضاء الطائرة العربية ... وعلى مقعد من

الحديد البارد ... وحولنا أعداد من الصناديق ... صناديق ذخيرة منقولة جواً إلى هناك ... وفى مؤخرة الطائرة ، تحت مئات من الخطابات ... إنها كلها فى طريقها من الأهل بالقاهرة إلى المقاتلين ... وفى الطائرة أيضاً ، وجدت بعض الجنود يلبسون ملابس الميدان ... فى طريقهم إلى أرض العمليات ... وفى يد واحد منهم ، جهاز لراديو ترانزستور ، أخذه معه ليستمع من خلاله ،إلى أخبار القاهرة ... وعلى أرض الطائرة ،وجدت مجموعات من الصحف والمجلات العربية فى طريقها إلى المقاتلين ... وصناديق فيها علب سجاير ... كثيرة ... ولكن التدخين ممنوع داخل الطائرة ...

وبدأت الطائرة تعلو ... وبدأ صوتها يعلو ... وبدأت أسمع قصة بطولة رائعة من (ابن الشعب) ابن (ميت أم صالح) الذى دخل الجيش متطوعاً ... لقد سبقه صديقه كمال سالم جبريل ، إلى الجيش ، وكلما عاد كمال إلى القرية ،راح يحكى لعثمان عن أبطال فى القوات المسلحة ... وكانت قصص البطولة تستهوى عثمان على الدوام ... وذات يوم تساءل لماذا لايكون بطلا مثلهم ؟... ثم لم ينتظر... تطوع فى الجيش... ودرس أصول الجندية... وحصل على فرق مختلفة فى استخدام الأسلحة، وقد حصل على معظمها بدرجة الامتياز ... وقرأ عن أبطال كثيرين... وكانت فرصته الذهبية... حرب اليمن ... هناك يمكن أن يحقق أحلام البطولة ...

وفى اللحظة التى وصل فيها إلى اليمن ... بدأ يسأل ... (أين القتال)؟ (أين مناطق العمليات؟)... وكان المفروض أن وحدته ستقضى بعض الوقت فى صنعاء ... ولكن بعد مرور ٤٨ ساعة من وصوله ... حضر أحد الضباط ... وقال للجنود (إن هناك قول تعيين ، سيتحرك بعد ساعة . . فى طريق المحور الشرقى... ومطلوب أن ترسل حراسة لهذا القول)... وبدأ رجال كثيرون يطلبون الذهاب مع القافلة ... إنهم جميعاً يريدون أن يروا العدو ... وقال عثمان : وكان حظى حسناً ... سأذهب مع القافلة ، بل إننى سأكون مسئولاً عن حراسة مؤخرتها ... ووضعت سلاحى على كتفى ... [illegible] بالذخيرة ... ووضعت الخوذة على رأسى ... من يدرى ؟؟

وبدأت القافلة تتحرك ... زملائى الجنود على الأرض يلوحون لى بأيديهم ..

مع السلامة يا وحش ... وكانت المرة الأولى التى أسمع فيها هـذا الاسم (وحش) ... ساعتها قلت فى نفسى ... والله لن أعود إلا ورأسى عالية ... وراحت السيارات تقطع الطريق الردىء، إنه مملوء بالحفر ... وهو غير مستو ... تارة ينحدر بعنف ، وتارة أخرى يصعد بعنف أشد ... وهو غير مستقيم أيضاً ... إنه كثيراً مايدور حول الجبال ، وكثيراً ما يخترق الهضاب والتلال ... جروف كثيرة ... وأحجار لاتحصى ،تعرقل مسيرنا ... والسائق إلى جوارى مفتوح العينين، يحاول على الدوام أن يختار الطريق الأكثر سهولة ... وأن يتفادى الأحجار ...

إن عربتى الآن تمر فى طريق جبل عال على يمينى ... وآخر أكثر ارتفاعاً عن يسارى ... إننى أشعر أن جانب السيارة يكاد أن يرتطم بحرف الجبل ... إن السيارة تمر فى هذا المضيق ... كما يمر الخيط فى خرم إبرة الخياطة ... وفى هذه اللحظة سمعت أول طلقة ... إنها من جانب العدو ... إنى لم أسمعها فقط ... فقد رأيتها أيضاً ... لقـــد حطمت زجاج عربتى ... أحدثت ثقباً فى الزجاج ، وحوله خطوط كثيرة ... ولـكن لم يحدث لنا شىء ... لا زلنا جميعاً سالمين ... إنها الطلقة الأولى التى أسمعها فى حرب اليمن ... وبعدها توالت الطلقات ... إن موقفنا ليس جيداً تماماً ... إن العدو فوق الجبال ... هو الذى يسيطر على الطريق ... وبدأت أسمع من خلال أجهزة اللاسلكى، الموقف بالكامل ... إن العدو يسيطر على الجبال حولنا ... وقد أقام كميناً على طول الوادى ،بغرض تدمير القافلة كلها .. ونهب الوقود والأطعمة والذخيرة ... لقد بدأت رؤوس العدو تظهر من خلف الصخور ... وبدأت نيرانهم تزداد شدة .. وبدأنا جميعاً نطلق النيران ، على كل رأس تظهر من خلف الصخور ... ولـكن يبدو أن أعداد العدو كبيرة ... حقيق إن هناك رؤوساً تظهر ... وتختفى ، بعد أن نطلق عليها النار ... ولابد أنها أصيبت ... ولـكن رؤوساً كثيرة تظهر بدلا منها ... إنهم الآن ينزلون الجبل من الجانبين للهجوم على القافلة ... إن رصاص أسلحتنا كالمطر ... ولـكن العدو يزداد تصميما على التهام القافلة ... إنهم يقتربون ... أكثر وأكثر ... وسمعت العسكرى مصطفى الحامى يصرخ بأعلى صوته (اضرب ياجدع) (الرب واحد ... والعمر واحد ...) لقد رأيت جنودنا كما لم أرهم من قبل ، طول حياتى ...

إن تصميمهم أقوى من الصخور والجبال... إنهم لايتزحزحون خلف أسلحتهم ، إنهم أكثر صلابة من الصخور... إن وجه العسكرى عبد الرحمن الحواط ،مثل وجه تمثال قطع من الصخر ... رصاصة من العـــدو اخترقت إطار السيارة ... لابد أن نسير ... لن نتوقف... ولكن العدو يقترب ... أصوات تعلو (سلم يامصرى... سلم يامصرى) ، وقلت لنفسى « والله ... إما أن أقاتل لآخر طلقة وأموت ، وإما أن أنتصر » ، وفجأة ... ولا أعرف كيف بدأت أعصابى تهدأ ، وكأنى أشاهد فيلما سينمائيا ... شرعت بهدوء أدقق التصويب ... إن كل طلقة أطلقها الآن تصيب عدوا ... ولكن العدو كالسيل ... كالمطر ... لاينتهى ... وفى هذه اللحظة هبطت النجدة من السماء ... طلقات من قمة الجبل ... إنها ليست موجهة لنا ... إنها موجهة إلى ظهر العدو ... إنها تحصد العشرات ... لقد بدأت صفوف العدو ترتبك ... لقد ظهرت خوذات على خط التلاقى ،بين الجبل والسماء ... انقض جنودنا ... بدأوا يصرخون صرخاتنا التقليدية ... انهم رجال الصاعقة... شياطين الجبال ... إذن لقد تحولت العملية إلى عملية مشتركة... رجال الصاعقة فى الجانب الآخر... والعدو فى الوسط، وبدأت أفكر ... قد يخطر للعدو أن يهرب فورا ، من خلال الفاصل الموجود بين قواتنا ... لهذا اندفعت إلى منتصف الجبل،لأمنع كل محاولة للفرار ... وفى اللحظة التى كنت أتحرك فيها ، لاحظت أن رجال الصاعقة كانوا يفكرون نفس التفكير ... ولم يمر وقت طويل ، حتى أصبحنا حلقة حول العدو ... والعدو يحاول الاختفاء خلف الصخور ...

إنه الآن مثل الفأر فى المصيدة ... الذين كانوا يحاولون الآن مهاجمة القافلة ... يحاولون الآن الانسحاب ... ولكن لا ... والله لن نترك واحدا يفلت ...

ورأيت قاذفات اللهب ،وهى تقذف حمم النيران داخل الكهوف ... وبدأت الدائرة تزداد ضيقا ... وقبضتنا ... أصبحت أكثر قوة ... وعلت زغاريد مدافع الماكينة إلى السماء ... والصراخ من هنا وهناك ...

واستمرت المعركة ساعتين ... ومرة ثانية ،عاد الهدوء إلى الأرض ، والدخان مازال يملأ السماء ... ورائحة البارود تعبق فى كل مكان ، وعناق بين المشاه ،

والصاعقة... ومرة ثانية... القافلة تشق طريقها... لتصل إلى الهدف... ووصلت القافلة وعدنا من نفس الطريق ... ولم يكن شئ قد تغير ، فيما عدا رجال الصاعقة ، كانوا هذه المرة هم الذين يحتلون قم الجبال ... أما سياراتنا ، فكانت أخشابها تحمل ثقوبا كثيرة ، من أثر نيران العدو ... لكن والحمد لله ، لم نفقد إلا رجلا واحدا ...

وحينما وصلت إلى وحدتى ، وجدت زملائى جميعا ... ينتظروننا... ويصيحون « وحوش صحيح » ، كانت هذه هى العملية الأولى لى ... أو كما نقول « تغيير ريق »

وفى هذه اللحظة قال لى الطيار « سنصل بعد حوالى ربع ساعة إلى الأرض » ومعنى هذا ، أنه لم يبق أمامى من الزمن إلا الربع ساعة. لأستمع إلى باقى قصة عثمان ... واختصارا للوقت قلت له احك: لى قصة الجبل الأسود ... إنهم يقولون إنك بطل الجبل الأسود ؟ قال لى : « والله أبدا ... كل الناس قاموا بواجبهم ، وأنا واحد من الناس » ، قلت له « احك القصة من البداية » .. وبدأ عثمان يسرح بنظره عبر نوافذ الطائرة ... لعل الجبال العالية التى نعبرها الآن ، تذكره بالجبل الأسود ...

قال لى ...

كنا يوما صائمين ، وكان ذلك فى أواخر رمضان ... ووصلنا إلى المنطقة التى ستتجمع فيها للقيام بالعملية القادمة ... وصلنا مع المغرب ، وتناولنا طعام الإفطار وكانت العملية عبارة عن فتح طريق ... وقد اختار العدو منطقة لقطع الطريق بين الجبال ، بحيث أن العربات لا تستطيع تفادى القطع ، فأغلق الطريق بصخور كبيرة الحجم جدا ، وثقيلة ، لدرجة أنه من الصعب على أربعة رجال تحريك واحدة منها ، وبالإضافة إلى هذا ، زرع كميات من الألغام بشكل غير منتظم على طول الطريق... ألغام مضادة للأفراد ، وأخـــرى مضادة للدبابات ... وبدأنا نأخذ أماكننا فى مواجهة العدو ... وبدأ العدو يطلق نيرانه علينا ... وفى هذه اللحظة أصيب جهاز اللاسلكى الموجود مع الوحدة الأمامية برصاصة مباشرة... فتعطل ، وكان من الضرورى - حتى نحافظ على سلامة اتصالنا - أن يصل جهاز آخر بمنتهى السرعة إلى الوحدة الأمامية.. وقد أمكن تدبير جهاز آخر لهم ... وحملت الجهاز على كتفى ... وبدأت أندفع

للأمام خلال الرصاص... لتوصيل الجهاز ، وأديت مهمتى... ومرة ثانية ، تحقق الاتصال بين الوحدات المشتركة ... فعدت الى مجموعتى... وفى هذه اللحظة بدأنا جميعا التحرك الى الأمام... وبدأت مجموعتى تقوم بالواجب ، حماية الجانب الأيمن للوحدة المتقدمة ، وأثناء تقدمنا ، وصلنا الى أرض مكشوفة... فبدأ العدو يركز نيرانه علينا بعنف ، وخاصة نيران الهاون ، والأسلحة الصغيرة... وأصيب أحد الجنود بطلقة فى رجله ، وبسرعة حاولنا الخروج من الأرض المكشوفة ، الى أرض مكسوة ... وأخذنا معنا العسكرى المصاب ، وربطنا له رجله خلف صخرة صغيرة... وكان الليل قد حل فظللنا راقدين طوال الظلام... وكانت ليلة باردة ، حاولنا خلالها أن نستطلع مراكز قوات العدو ... ونحدد مكان أسلحته ... فتبين لنا فى الساعة الثانية ، من بعد منتصف الليل ... أن هناك جبلا عاليا بجوارنا ... وليس للعدو قوات كبيرة عليه ... وبالفعل تحركت مع مجموعتى للسيطرة على الجبل... ووصلنا إلى قمة الجبل مع ظهور أول ضوء للنهار ... وعلى البعد بدأنا نرى أشباحا تتحرك ... بصعوبة كنا نميزها خلال الظلام الذى لم ينته تماما... وظهر أنهم من قوات العدو ... وبعد مدة أصبح واضحا... ان عددهم كبير، يزيد على ٣٠٠ شخص... رأيناهم يخرجون من المغارات . ومن خلف الجبال...

وأصدرت تعليمات حازمة ، لجميع الجنود بالاختفاء ، وعدم الظهور ... لأن إطلاق النيران على العدو من هذا المدى ، يعنى أننا سنعطى لهم فرصة الهرب ... فى حين واصلوا تقدمهم فى اتجاهنا ... وظهر مع أول مجموعة منهم مدفع ماكينة ، وكان يجره حمار فانتهزت فرصة عدم إطلاق النيران ، لتوزيع قواتى على الأماكن الحيوية ... حتى بدأت قوات العدو تصبح سهلة المنال ... وفجأة أطلقت جميع النيران ... من جميع الأسلحة ... وبأقصى قدرة... فراحوا ، هم من شدة المفاجأة ، يجرون محاولين الهرب ، ولكن كانت ظهورهم معرضة لنيران قواتى ... وفى هذه اللحظة ظهرت طائرة مقاتلة فى السماء ... ويظهر أن الطيار لم يضع وقتا ... فبدأ ينقض عليهم ... حتى إنه فى لحظات لم يبق على الأرض رأس واحد يرتفع... ومر يوم جديد .. وفى المساء... تسلمت تعليمات اليوم التالى ... إننى سأقوم بعملية فى الصباح الباكر ... إن

مسئوليتى ، أن أقود وحدتى ، للسيطرة على الجبل الأحمر الذى يحتمى به العدو ... وواجب مجموعة أخرى ، هو السيطرة على الجبل الأسود ... وكان واضحا أن الجبل الأسود أكثر ارتفاعا ... وأن قوات العدو عليه أكثر تركيزا ... وأن ثمة أسلحة كثيرة متعددة ، بينها المدافع الصاروخية ... وكان موقف الجبل الأحمر الذى هو واجبى ... أن العدو يسيطر عليه ، وقد أقام المتاريس ، واحتمى بالمغارات حتى تكون النيران غير مؤثرة عليه ... وأمام الجبل كان هناك حوالى ١٠٠ متر مزروعة شعيرا ، فتأكدت ساعتها ، وأنا أضع خطة الاقتحام ، أننا لو سرنا فى المنطقة المزروعة شعيرا ... بالخطوة العسكرية ، فلابد أننا سنمنى بخسائر كبيرة ... فاتخذت قرارا يقضى بعبور المنطقة بأسرع ما يمكن ، وبذلك نتعرض لنيران العدو أقصر مدة ممكنة ... ثم نواصل اقتحام الجبل كله ... مرة واحدة ... وأصدرت تعليمات أيضاً ، بأنه إذا أصيب أى فرد ، يترك فى مكانه ، ولا يعود إليه أحد ، إلا بعد إتمام السيطرة على الجبل كله ... وبالفعل تمت العملية بالشكل الذى رسمتها ... واستطاع الجنود، اختراق حقول الشعير بدون خسائر . ووصلنا إلى قمة الجبل ، وفر العدو من الجبل كله ... إلى الجبل الأسود ... بعد أن ترك معظم ذخيرته ، وأسلحته .. وقد قمنا بإطلاق النيران على الكهوف التى يختفى فيها العدو ... وفى اللحظة التى وصلنا فيها إلى القمة ... بدأت أحصر جنودى، فوجدت أن أحد الجنود تخلف... وقال لى زملاؤه: إنهم رأوه آخر مرة عند سفح الجبل ... إذن لابد أنه أصيب...

وأرسلت جنديا آخر إليه ... وكانت المفاجأة ، لقد استشهد ولكن ليس ثمة أى أثر لرصاصة واحدة فى جسمه ، وقال الطبيب :إنه مات بالسكتة القلبية ... ساعتها قال العسكرى عبد الرحمن سعد « هو مكتوب له أن يموت فى هذه المنطقة سواء برصاصة من العدو أو موتة ربه » فى ... الحقيقة هذا الحادث جعلنا نزداد إيمانا بأن المكتوب له الموت ، لابد أن يموت حتى ولو لم يكن يواجه عدوا ...

* * *

وبدأت أتطلع حولى ... وجدت أن الجبل الأسود ،لايزال يقاوم قواتنا،وأن قواتنا لم تحقق غرضها بعد ... إنه الجبل المنيع ... العسكرى عبد الرحمن الحواط قال لى : (يا افندم نروح احنا نحتل الجبل الأسود ... لأن العدو مركز نيرانه على قواتنا فى المواجهة ... ولو تقدمنا نحن على الأقل سيوزع العدو نيرانه المركزة ... أحدنا سيصل، إما نحن وإما هم) ... الحقيقة أن الخطة جميلة، لكن هل نستطيع صعود الجبل الأسود ،بعد المجهود الذى بذلناه فى احتلال الجبل الأحمر ...

وسألت الرجال ... (هل انتم مستعدون ؟ وظهر أن الفكرة كانت فى رؤوس الجميع ... ولم نضع وقتا ... توكلنا على الله ،وشرعنا فى التحرك، وحينما وصلنا إلى منطقة صخور سوداء فى بطن الجبل ، احتمينا بها، ثم بدأنا نصعد الجبل تحت ستار نيران أسلحتى بعيدة المدى التى تركتها على قمة الجبل الأحمر ... وكانت مفاجأة ... لقد وصلنا إلى العدو ... إنه الاقتحام ... المرحلة الأخـــيرة ... وألقينا عشرات القنابل اليدوية ... وانطلق رصاص البنادق فى اتجاهات متعددة ... وظهر أن العدو بدأ ينهار أمام ضرباتنا القوية... ولم أكن أتصور، أنى سأصل إلى القمة بهذه السرعة... وعلى القمة وجدت بالقرب منى باب كهف ... وألقيت فيه قنبلة يدوية ... وكانت مفاجأة أخرى ،إنه مركز رئاسة العدو ... لقد انتصرنا يومها،وكان يوم العيد،وسموه عيد النصر ... ويومها أرسلوا لنا كعك العيد بالطائرة ...

وكان التوقيت دقيقاً ... وفى هذه اللحظة ، أحسست بارتطام عجلات الطائرة بالأرض لقد وصلنا ... وعلى باب الطائرة ... وبدأ اناس كثيرون يعانقون الرقيب عثمان ... يرددون (مبروك ... مبروك ...) ولاحظت على الأرض... ان الاشتياق بين عثمان وأحد الجنود كان شديداً ... فسمعت عثمان يقول للمقاتل (مبروك ... مبروك ياعريف صلاح) ثم ما لبثت ، أن عرفت ان صلاح أيضاً رقى ...وان اسمه صلاح السعيد حسنين ... إنه بطل سميل ...وبدأت انتهز فرصة تفريغ حمولة الطائرة لأستمع إلى بطل سميل ، يتكلم... قال لى العريف صلاح السعيد :إنه من بلدة ميت غمر دقهلية وإنه لايعلم من الحرب إلا أنها حرب... قلت له احك لى قصة بطولتك فى سميل... قال لى أن العملية كانت كبيرة ... وأنا لا أعرف منها إلا واجبى الذى كان محدداً

بالسيطرة على أحد الجبال وطرد العدو منه، وكان جبلا أملس ... وكنت احمل على ظهرى جهاز اللاسلكى ... والجبل كان منتصباً وناعماً مثل الرخام، وبعد أن اجتزت ثلثى المسافة إلى قمته — وتستطيع أن تتصور المصاعب التى واجهتها والمجهود الذى بذلته حتى وصلت إلى هناك — وجدت نفسى مرة ثانية فى أول نقطة فى الجبل ... نفس النقطة التى بدأت منها ... لقد انزلقت إلى الأرض ... وحاولت أن التف حول الجبل من اتجاه آخر ... وبعد أن صعدت إلى منتصفه وجدت جرفا ارتفاعه أكثر من عشرة أمتار ... فحاولت تسلق الجرف دون جدوى . ومرة ثانية عدت إلى منطقة أخرى لأبدأ من جديد ... وفى هذه المرة وفقنى الله وصعدت الجبل ... وأثناء صعودى ... فوجئت بثلاثة من جنود العدو ... وجها لوجه ... ولم تكن هناك فرصة للتصرف ... فألقيت قنبلة يدوية ، وارتميت على الأرض ... فى الوقت الذى كان رصاصهم فى اتجاه صدرى... ولكن الله سلم ... وحينما تلمست أجزاء جسمى، لم تكن هناك قطرة دم ... إنى لازلت حيا ، وبدأت أتوجه لإكمال واجبى ...

وفى هذه اللحظة ... بدأت محركات الطائرة تدور، ولابد أن أعود معها ... إنى على موعد مع أبطال آخرين ... أنى على موعد مع الوحش ...

* * *

الوحش ليس اسمه، ولكنه اسم الشهرة... اسمه الحقيقى ...شوقى أحمد حسن وهو صعيدى ، من بلدة الشامية ، مركز البدارى ، أسيوط ... وكنت دائما أسعى إلى رؤية (الوحش) وقد سمعت عنه كثيراً قبل أن أراه ... كل ضباطه قالوا لى أنه بطل عظيم ... إن الذى يميز الوحش عن باقى الجنود ... أنه يكتب على خوذته بالخط العريض، كلمة الوحش ... وهكذا يسير اثناء العمليات ... والتقيت بالوحش وعلمت أنه حصل على جائزة أكفأ ضباط الصف فى التـــدريب خلال مناورات عام ١٩٦١ ... ورقاه المشير عامر إلى رتبة الرقيب ... وهو حائز على بطولات فى إطلاق النار . . وكان تدريبه لرجاله قاسياً ... غاية القسوة ... وكان دائماً يقول لهم: أن العرق فى التدريب، يوفر الدم فى الحرب، وكمثال بسيط فإنه على كل فرد من رجاله أن يكون قادرا على التجديف ٦٠ كيلو مـــترا متواصلة ... وإذا لم يتم المسافة...

تلغى له الدورة التدريبية كلها، ويبدأ من جديد ... بالإضافة إلى تدريبه، تحت أقسى أنواع ظروف العمليات ... مع الرجال الذين اشترك فى تدريبهم ذهب إلى اليمن ... وهناك ساهموا جميعاً فى عمليات عديدة ... لقد اشترك فى ٢٦ عملية حربية ... من الدوريات المسلحة إلى العمليات الكبرى... واشترك مع الشهيد سند ، فى عمليات كثيرة وساعتها تذكرت ان الشهيد سند ، كلمنى عنه فقد قال لى، إنه هاجم جموع العدو مرة... هو ومجموعة صغيرة فى قرية بنى صليح... ويومها أصيب برصـــاصة فى ذراعه... ولكنه استمر فى القتال إلى أن انتهت العملية ... وأمر سند بإرساله إلى المستشفى وهناك أعاد له الطبيب تضميد جراحه... وفى اليوم التالى ... فوجىء سند ... بأن (الوحش) ... فى أرض العمليات وذراعه مربوطة ، وأنه مشترك فى العملية التالية، لقد رفض الوحش الذهاب إلى المستشفى والبقاء فيها ... لأنه لا يريد أن يترك رجاله

وقلت للوحش ... إنى أعرف تفاصيل العمليات التى اشتركت فيها مع سند فى المحور الشرقى ... وقد كتبت عنها حينما كتبت بطولة سند... ولكنى أريد عملية واحدة أخرى ... تكون أنت قائدها ...قال لى الوحش ... عمليات كثيرة قدتها... وسأحكى لك إحداها ... وبدأت عيون الوحش تلمع ... إنه يستعيد تفاصيل عملية من بين عشرات العمليات التى اشترك فيها ... انها فى منطقة القفلة ... وكانت قواتنا تحتل جبلا منخفضاً عن الجبل الذى يحتله العدو ولا يفصل بيننا وبين العدو إلا واد صغير... وخلال الليل قمنا بزرع الوادى بالألغام، كذلك مداخل الكهوف، حتى إذا هاجمنا العدو ارتطم بالألغام ، وكان العدو يصلى قواتنا نارا مركزة ... والذى زاد الموقف سوءا ... أن العدو كان مسلحاً بعدة هاونات امريكيه ... عيار ٨١ ميللى وهو سلاح قوى، وتأثيره كبير ... ولم يكتف العدو بإطلاق قذائف الهاونات علينا ، إنما التى على القرى الموالية للجمهورية حتى يرغم الناس هناك على الانقلاب ضد الجمهورية ... وحتى يشعرهم ، بأن قوات الجمهورية، غير قادرة على حمايتهم ... وخرجنا فى دورية من ١٣ فرداً للحصول على الهاون ... ولم نكن يومها نعرف موقعه على وجه التحديد...كان علينا تفتيش مناطق العدو والحصول عليه ... وانقسمنا إلى مجموعتين

كانت إحدى المجموعتين تحت قيادتى ... وكانت مجموعتى مشتركة، مع قوات عربية يمنية، ونزلنا إلى الوادى ، وتفادينا ألغامنا ، التى زرعناها خلال الليل ...

وقبل وصولنا إلى الجبل الذى يحتله العدو ، أطلق على مجموعة المقاتل جمال فهمى نيرانه ... ولكنه لم يكتشف مجموعته ... فبدأت أقترب إلى الحد ... الذى فاجأت العدو فيه بالقنابل اليدوية ... فراحوا يتخلون عن الجبل ،وهم فى ذعر ... من المفاجأة ... وكانت خسائرهم كبيرة ... وقد أمكن إحصاء ٦٠ فردا منهم قد قتلوا ... تركوا جثثهم ... وبدأنا تنظيف الجبل ... ولكن العدو لم يتخل إلا عن الجزء الذى هاجمناه ، وعاد يطلق نيرانه علينا ... وكنا نعلم أن الهاون، لابد موضوع فى إحدى المغارات ، لإخفائه عن عيوننا ... فبدأت ، ومعى مجموعتى فى تفتيش المغارات ... واحدة ... واحدة ... المغارة الأولى وجدنا فيها كميات هائلة من الذخيرة ... ومعها ذخيرة الهاون ،ولكن الهاون لم يكن موجودا ... وفهمنا أن الهاون لابد أنه قريب جدا ... ودخلنا المغارة الثانية ... ووجدنا بها صفيحة ماء ... والحقيقة كنا عطشانين وشربنا من الماء ... وقد دخلنا إلى الكهف الثالث ، شعرنا بحركة غير عادية فيه ... وألقى المقاتل أبو الحسن قنبلة يدوية فى باب الكهف ودخلنا ... ووجدنا أن القنبلة قتلت فردين من العدو ، وعثرنا أيضا على قاعدة الهاون تحت كمية من القش ... ولكننا لم نجد الماسورة ... وهى الشئ الهام ... وفى الكهف الرابع كانت تنتظرنا مفاجأة ... إن الكهف مملوء بجثث القتلى من العدو ... لقد كانوا يعتبرون هذا الكهف مقبرة ... وكل فرد يقتل ، يحضرونه إلى هنا ...

وأخذنا نبحث عن الهاون بين القتلى ... حتى وجدناه ... وكان مع القتلى أموال الأعداء ... ويومها رأيت الجنيهات الذهبية لأول مرة فى حياتى ... ومن ثم عدنا إلى مواقعنا ... كما ذهبنا ... لم يصب رجل واحد ... وكان معنا هاون العدو والذخيرة ... والأموال ... والأوراق التى وجدناها ، وفى الموقع احتفلوا بنا ... وعملوا للهاون « زفة العروسة ».

الفنجري
بطـــل
المدرعات

كان عليهم ان يقهـــروا

الجبال المتحدية اولا ..



سمعت اسمه لأول مرة وأنا فى اليمن ... مقاتلون كثيرون تكلموا عنه ... سمعت اسمه فوق الجبال وفى السهول ، سمعت اسمه ، وأنا فى قلب دبابة تتحرك فى خلال العمليات ، وسمعت قصصاً كثيرة عنه وأنا فى رئاسة القوات فى صنعاء... وكان واحداً من ثلاثة ،تكلم عنهم المشير عبد الحكيم عامر فى خطابه يوم استقبال القوات المنتصرة ...إنه المقاتل اسماعيل الفنجرى ... قصة بطولته رددها عشرات الرجال الذين قاتل معهم... وقاتلوا معه ... إنها قصة بطولة رائعة... ليست بطولته وحده ... ولكنها بطولة المدرعات ورجال المدرعات ، فى أرض البطولات والأمجاد .

* * *

لكى أتكلم عن بطولة المدرعات ،لايكفى أن أحكى قصة المدرعات فى مواجهة العدو ... فالعدو الحقيقى الذى كان على رجال المدرعات قهره أولا ... لم يكن العدو الرابض خلف الصخور ... ولم تكن المدافع الصاروخية المضادة للدبابات ... ولم تكن التشكيلة الغريبة ، من القوى الرجعية والاستعمارية، التى كانت تواجه قواتنا...

هذا كله لم يكن له قيمة تذكر ، إزاء الطبيعة القاسية... إزاء الجبال المتحدية ...

كان على رجال المدرعات ، أن يقهروا الجبال أولا ... أن يخوضوا مع الطبيعة معركة عنيفة ... أن يخضعوها ... أن ينتصروا عليها ... وهذا فى حد ذاته يعتبر بطولة رائعة... إن الأسطورة التى كان يتناقلها العسكريون ، فى مختلف أنحاء العالم ...

هى أن المدرعات لاتعمل إطلاقا فى الأراضى الجبلية ، وأن استخدام المدرعات فى الأراضى الجبلية، أمر بالغ الخطورة ... وبالغ التكاليف... بل الأكثر من ذلك أهمية... أن استخدام المدرعات فى الأراضى الجبلية ،يعتبر عملا غير مضمون النتيجة، لعدة أسباب، أهمها من وجهة نظر العسكريين، أن الجبال تعتبر عائقاً كبيراً أمام أسلحة الدبابة البعيدة المدى، وأمام مدافعها، وبذلك يحدد المجهود الفعلى للدبابة ... أو بمعنى أصح، يحدد استخدام أسلحتها... ولا تستطيع أسلحتها تقديم المعاونة العاجلة إلا على مسافات قصيرة جداً ... والأمر الثانى هو أن طبيعة الأرض الجبلية تسمح للعدو، بالانقضاض على الدبابة واصطيادها ... بالشكل الذى يمكن أن يتم بواسطة عمل فردى ... وبذلك يمكن أن تكون الخسائر فى المدرعات مرتفعة، وكما هو معلوم فإن المدرعات مرتفعة الأسعار ... الأمر الثالث والذى قد يكون أكثرها صعوبة ... هو أن الجبال تعتبر مانعاً طبيعياً ضد الدبابات ... فلا تستطيع الحركة ، خلال الجروف الخطيرة للجبال... ولو أمكن تصور أن هذه المشاكل كلها، أمكن مواجهتها فهناك مشكلة أخرى هى الأعطال التى تواجه الدبابة خلال العمليات على هذا النوع من الأراضى ... فمجرد تدمير جنزير ، دبابة يحولها إلى قطعة من الحديد عديمة الحركة ... عديمة الفائدة ...

وهكذا لم يكن مسرح العمليات فى اليمن، هو مجال العمل الطبيعى للمدرعات .... وإذا وصفنا مسرح العمليات وجدناه عبارة عن أرض جبلية خالية من الطرق .. ومدى العمل فى الدورية والاشتباك محدود ... خصوصاً فى الممرات الجبلية والمضايق... بالإضافة إلى عدم وجود موارد اقتصادية محلية تسهل عملية العبء الإدارى الهائل على المدرعات ... مثل مراكز الصيانة والإصلاح والنجدة ...

ولنضف إلى هذا المنظر الطبيعى ... منظراً آخر ... هو وجود قوات استعمارية نظامية ... وقوات رجعية ، نظامية أيضاً ... والحقيقة أقول : إنهم جميعاً كانوا يختفون خلف ملابس رجال القبائل... وهم جميعاً مدربون، على مختلف أنواع الأسلحة... وخاصة الأسلحة المضادة للدبابات ، وحينما حضروا كانت معهم كميات هائلة من المدافع المضادة للدبابات، ومدافع صاروخية من البازوكا، حتى المدفع ٥٧مم و٧٥مم ...

وكل هذه الأسلحة يسمها الخبراء بالتعبير العسكرى ، عبوة مفرغة ، أى أن لها قوة اختراق كبير بالنسبة للدروع ... هذا بالإضافة إلى الألغام المضادة للدبابات التى زرعت فى أماكن متعددة بدون حصر ولا عد ... وزيادة فى التأكيد ... كانوا يحفرون حفرة فى الأرض ... ليضعوا فيها ثلاثة ألغام، فوق بعضها ، بدلا من لغم واحد ... لتنفجر كلها ... فى لحظة واحدة ...

كانت هذه هى بعض العقبات ، التى كان على رجال المدرعات أن يواجهوها منذ اللحظة الأولى للعمليات ... إنه التحدى الكبير فى حرب اليمن ..

ولكن رجالنا لم يرضخوا للتحدى ... وقد قال لى المقاتل عرابى ... فى نهاية العمليات العسكرية . إذا كان يحق للمدرعات أن تفخر ... فإنى أقول : إن رجال المدرعات، لم يتركوا للعدو دبابة واحدة ... وأن العدو لم يستطع الاستيلاء على دبابة واحدة ، سواء كانت سليمة ... أو معطلة ...

ومجرد عدم إمكان العدو الحصول على مدرعة واحدة فى حرب طويلة ، امتدت عدة شهور ... على هذا النوع من الأراضى ... أمر بالغ الأهمية ... تختفى خلفه فى الواقع ، المئات من قصص البطولة الكبيرة ... لقد كان القسم الذى قسمه رجال المدرعات — ونفذوه — هو ألا يترك المقاتل، مدرعته تحت أى ضغط أو تهديد ... وفى مواجهة أى موقف مهما كانت خطورته ... وأذكر أن إحدى وحدات الدبابات الصغيرة، كانت تتحرك على أحد محاور العمليات، لاستطلاع طريق لتتقدم عليه القوات بعد ذلك، وحدث أن سارت الدبابة فوق لغم ... فانفجر ودمر جنزير الدبابة ... وهكذا تحولت الدبابة إلى قطعة من الحديد ، غير قادرة على الحركة ... وبالتبعية، تحولت الدبابة إلى مقبرة لأفرادها ... والشيء الذى يتبادر إلى الاذهان... هو أن يترك طاقم الدبابة مدرعته ، ويحاول الخروج منها والهروب ... لأن الذى حدث كله ، كان تحت ضغط نيران العدو ...وكان العدو يطلق النار على كل من يحاول الخروج من الدبابة المعطلة ... وكانت نيران الاسلحة الصغيرة وحدها ، كافية لقتل طاقم الدبابة ، حينما يتخلى عن درعه، فلا يحميه إلا قميصه ... أضف إلى هذا أسلحة

العدو المضادة للدبابات ... كان هذا فى الساعة الثالثة بعد الظهر ... ورسم قائد الدبابة خطته ، فقرر توفير ذخيرته إلى أقصى حد، وعدم إطلاق رصاصة واحدة... إلا إذا كان متأكداً من أنها ستصيب أحد أفراد العدو ... حتى يدخل الظلام ... وخلال الليل ،يحاول إصلاح الجنزير... وكانت خطة العدو فى الجانب الآخر... تبادل إطلاق النيران مع المدرعة حتى تنتهى ذخيرتها ، وبذلك يضطر أفرادها للاستسلام . وبدأ العدو يتقدم نحو الدبابة معتقداً أن ذخيرتها قد انتهت ، وأن المعركة ستكون من جانب واحد ... وزحف إلى مسافة قريبة... وفى هذه اللحظة،ظهرت إحدى طائراتنا المقاتلة ... وكانت فرصة ليتصل قائد الدبابة بقائد الطائرة ... ويطلب منه ضرب قوات العدو المهاجمة ... وبذلك يحتفظ بذخيرة الدبابة، أطول مدة ممكنة... وهكذا كبت رجال الدبابة غيظهم ... وتركوا قائد الطائرة الذى لايزالون جميعاً يذكرون اسمه وهو منير ... يقاتل العدو ... واكتشفوا أنه قتل برشاشاته ١٧فرداً، ودمر مدفع بازوكا ... وأسكت مدفعاً صاروخياً ٧٥ مم ...

ودخل الليل ... ونزل جزء من طاقم الدبابة لإصلاح الجنزير ... وفى نفس الوقت،استمر الجزء الباقى خلف أسلحته ،حتى لايفاجئهم العدو ...وفى منتصف الليل ... بدأت الدبابة تتحرك ... لتتم المهمة... تسع ساعات كاملة تحت النيران ، والعدو غير قادر على الاستيلاء على دبابة معطلة ... انفجر فيها لغم مضاد للدبابات ...

ولم تكن هذه هى أطول مدة استطاعت فيها دبابة أن تواجه العدو وهى معطلة... ويقاتل أفرادها دفاعاً عنها ... لقد ظلت دبابة أخرى ،معطلة لمدة ١٨ يوماً كاملة، تحت نيران... العدو لاالعدو فقد الأمل فى الاستيلاء عليها...ولا اليأس دب فى نفوس رجالها فتركوها ... بل دافعوا عن دبابتهم هذه المدة الطويلة دفاعاً مجيداً رائعاً . والحكاية كلها تستحق أن تروى ... كانت الدبابة فى مهمة عبر طريق وعر ... يمر فى قلب مواقع العـــدو ... وحدث أن أصيبت بخلل من النوع الذى لا يمكن إصلاحه ، إلا فى ورش القاعدة ... والمفروض فى هذه الحالة، أن تترك الدبابة وأن تدمر . ولكن عز على رجالها أن يدمروها ... كان قائدها رقيباً

(شاويش) فقال لرجاله ... فى اللحظة التى يتخلى فيها الجندى عن سلاحه ، يكون قد تخلى عن شرفه ... وأنا لا أتخلى عن شرفى ... وفى كل يوم يمر ... كانوا يصلحون - بأنفسهم - جزءاً صغيراً ... ويطلبون المعدات اللازمة للإصلاح ... وكانت تصلهم ... مع الطعام ، ومع الذخيرة ، التى كانوا يواجهون بها العدو فى حالة هجومه عليهم ... ومحاولته الاستيلاء على الدبابة ... وهكذا استمر طاقم الدبابة يقاتل ثمانية عشر يوماً متواصلة ... دفاعاً عن الدبابة ... حتى لاتسقط ، وفى اليوم الثامن عشر تم إصلاح الدبابة ، وأصبحت قادرة على الحركة ، وقادرة على الالتحاق بموقعها الأصلى ... لكن قائد الدبابة ، قرر أن يقاتل العدو الذى ظل يطلق عليه النار ١٨ يوماً ... وكانت خطته بسيطة ... وهى إلقاء بعض قنابل الدخان حول الدبابة ... وهكذا يتصور العدو ، أن الدبابة قد بدأت تحترق ... وبالفعل حدث ماتصور قائد الدبابة ... وبدأ العدو يتجمع ... للحصول على الغنيمة ... وتركهم قائد الدبابة هذه المرة ، يقتربون دون أن يطلق عليهم النار حتى يتصوروا أن ذخيرته قد نفدت ، وبدأت جموعهم تزداد وصراخهم وزغاريدهم تعلو ... واقتربت جموعهم إلى الحد الذى لايسمح لهم بالانسحاب ، وفى نفس الوقت ... باتت إبادتهم مضمونة . وفى هذه اللحظة ، أطلق قائد الدبابة نيران أسلحته كلها ... فكانت النتيجة ، أن الذين نجوا من النيران ، لم يستطيعوا النجاة من عجلات الدبابة ... لقد سوتهم العجلات بالأرض ونثر الجنزير أشلاءهم ... الجنزير الذى كان معطوباً منذ بضعة أيام ...

على أن الشىء الذى يدعو للإعجاب ، أن بعض المقاتلين من ضباط الصف قادوا وحدات منفصلة للمدرعات مثل الرقيب طومان ... وقد أثبتوا كفاءة غريبة ... وكمثال بسيط بالأرقام ، إن الجيش الانجليزى ينشر فى كتب التدريب ، أن قدرة طاقم الدبابة على القتال محددة بفترة زمنية ، هى من ٤ إلى ٦ ساعات يومياً ... نظراً للمجهود الكبير الذى يبذله رجال المدرعات أثناء القتال ، ولكن حدث فى عمليات اليمن أن أطقم الدبابات قاتلت ضعف هذا ، ولعدة أيام متوالية ... وبعد أيام من قتال المدرعات على الأرض الجبلية ... ظهر اسم جديد للمدرعات ... إنهم يسمون الدبابة ... الهدامة أو الخرابة ... لأنها تهدم وتخرب كل مايقابلها ... وهذه شهادة من الذين واجهوا المدرعات ...

ومن الأشياء التي لا أنساها ، أنني جلست مع طاقم إحدى المدرعات ، بعد انتهاء عملية الحيدات ... وهي إحدى العمليات المهمة في مدخل وادي الجوف ... وكان كل شيء هادئا حولنا ... ولا يمكن طبعا أن نجلس ساكتين ... سألتهم ، ما الذي استفدتموه كمقاتلين خلال عمليات اليمن ... وعلى الأخص ... كأفراد من المدرعات وبدأت أسمع ... قال لي أول واحد وهو جندي من دروط : « والله الدبابة زي ماتكون فيه صداقة بيني وبينها ... وبأفهمها ، وهي بتفهمني...وأصبح الواحد عنده ثقة كبيرة في نفسه ... وأنا شخصيا ضربت قنابل من دبابتي أكثر من عدد القنابل التي ضربتها طولى خدمتي في الجيش ... والآن أنا متأكد أن القنبلة ممكن تصيب الغرض مباشرة »... وقال لي جندي آخر : « اكتسبنا خبرة فنية ، وتدريبا على المشاكل التي تقابلنا في الأعطال والإصلاح ... »

وأجاب ثالث :

« أهم من كل هذا ،خبرة المدرعات في حرب الجبال »وفي لحظة أضاف العسكري سؤالا من عنده « هي إسرائيل فيها جبال زي كده ؟ ياريت يكون فيها ... لقد أصبحنا «حريفة » في حرب الجبال...

وقال جندي من المشاة كان يجلس معنا ساعتها :«الحقيقة أن المعاونة بين الدبابات والمشاة كانت ناجحة ، ورجال المشاة الآن متأكدون عمليا من نجاح ، وأهمية معاونة المدرعات ... وفي أحيان كثيرة ،كان رجال المدرعات يشاهدون العدو ، ويسقطونه لنا ... قبل أن نكتشفه » ، وبدأ جندي آخر يتكلم ويقول « والله... كفاية العمليات الليلية ... لقد كان حلما أن نركب دباباتنا بالليل خلال العمليات الفعلية ... وقد تحقق الحلم ، وقمنا فعلا بعمليات ليلية بالمدرعات ...وخلال المناقشة حضر أحد ضباط المدرعات وقال : إن أهم مكاسب المدرعات ...هو أننا كسبنا الثقة في نفوسنا ... وفي رجالنا ... إنهم قادرون حقا على صنع المعجزات ... وما حققوه فعلا في اليمن... كان معجزة ... وأضاف قائلا : لقد حضرت إلى اليمن في أول أيام الثورة ... وكان الإمام قد أبدى حذرا خاصا من الدبابات اليمنية ... لأنه

كان يخاف من رجال المدرعات ، فكانت « الترابيس » فى تعز ... والتلسكوبات فى باجل ... وباقى أجهزة الأبصار فى بلد ثانية ... واللاسلكى فى مكان آخر ... والذخيرة فى قصر الذخيرة فى صنعاء ... لكن الطابات فى الحديدة ... وكانت عملية تجهيز مدرعة كاملة للقتال عملية شاقة ... وعملية استكشاف هذه الأجزاء المختلفة ... كانت أكثر مشقة ... وبالرغم من ذلك أمكن تجهيز جزء كبير من هذه المدرعات للعمل ...

وقال لى أحد الجنود المصريين ... إنه سمع البطل اليمنى الشهيد على عبد المغنى... وهو الذى أطلق نيران دبابته على قصر البدر ... يقول إنه أطلق قنابله على القصر بدون أى أجهزة للتصويب ، لأن جميع الأجهزة كانت منزوعة من الدبابة ... وأنه وقف بالدبابة أمام القصر ... ثم نظر من داخل ماسورة مدفع الدبابة ... وحركها إلى أن جاء القصر أمامها ، فوضع أول قنبلة ... وأطلقها ... وهكذا كانت أول قنبلة تهز الرجعية فى أعتى قلاعها ، من المدرعات ... وبعد أيام من انطلاق قنابل دبابة على عبد المغنى على قصر البدر ... كان البطل إسماعيل الفنجرى ، يقوم بعمليه فى المعسكر بعد الظهر كضابط « نوبتجى » ، ووصلت إشارة إلى المعسكر ... تحدد اسم أحد الضباط ... الذى عين فى مهمة للسفر حالا إلى اليمن ، وبدأ البحث عن الضابط لتبليغه الإشارة ... وفى هذا الوقت كان إسماعيل الفنجرى يرفع سماعة التليفون ، ليقول إنه قد أرسل سيارة إلى منزل الضابط المطلوب ... ولكن هذا قد يستغرق وقتا ... وهو مستعد شخصياً للسفر فورا إلى اليمن ... وصدرت التعليمات بسفره إلى اليمن ، فى نفس الساعة ... ولم يكن أمامه إلا أن ينطلق الى المطار ، ويلقى بنفسه فى الطائرة المتجهة إلى صنعاء ... وفى اللحظة التى جلس على مقعد الطائرة ... كانت محركات الطائرة تدور إلى صنعاء ... إلى أرض البطولات ...

وبدأت أول عمليات المدرعات فى اليمن ... وكانت أولى عمليات المدرعات فى المحور الشرقى ، وكان المحور الشرقى ، هو مسرح بطولات الفنجرى ، ومسرح عملياته ، وقاد المدرعات فى عمليات مسور ، والحيفة ، ورأس العرقوب والجبل الأسود ...

ولا أريد أن أدخل فى تفاصيل عمليات متعددة ، بل سأكتفى من هذا المحور بعملية واحدة ... هى عملية الجبل الأسود ... وكانت قواتنا عبارة عن قوات عربية يمنية مشتركة ،بغرض الاستيلاء على مصادر المياه فى المنطقة ، وطرد العدو منها ... فلم يكن معقولا أن توجد قوات فى منطقة ، ولا تسيطر على مصادر المياه المجاورة لها والموقف فى هذه اللحظة ... كان يلزم هذه القوات باتخاذ قرار... فآبار المياه كانت فى يد العدو ... والعدو يسيطر تماما على منطقة الجبال المجاورة لهذه الآبار ... ومحاولة الوصول إلى الآبار تعنى ضرورة المرور فى مناطق محددة بين الجبال ... وكانت هذه المناطق عبارة عن مدقات ضيقة ... قام العدو بزرع كميات هائلة من الألغام فيها ... وبدأت القوات المشتركة تعمل ... وقام الفنجرى بتوزيع مدرعاته على ثلاث مجموعات رئيسية .. وكان عليه أن يقود المجموعة الثالثة ... ومع خيوط الصباح الأولى كانت المجموعة الثالثة قد احتلت جبل شمسان ، والجبل الأصفر ، وبيت الطلوع ومن هذا المكان بدأ الفنجرى ينظر إلى أرض العمليات عن قرب ... الطريق الرئيسى إلى مصادر المياه عبارة عن طريق ضيق على يمينه جبل عال كبير يمتد طوله إلى مسافة تبلغ ٧ كيلومترات ... وإلى اليسار تبة حاكمة عالية ... والعدو يحتل هذا الجبل العالى بقواته ... وأيضا يحتل التبة الحاكمة ، ومجرد المرور فى هذا الطريق يجعل قواتنا تحت سيطرة نيران العدو ... والعدو مختف فى الكهوف ، وخلف الصخور ... ينتظر اللحظة الحاسمة ... لحظة تقدم المدرعات فى الطريق ... وبدأت عمليه التفكير ... إن أساس العمل بالمدرعات ، هو الاندفاع بعمق ...

ولكن الفنجرى كان مدرسا فى مدرسة المدرعات ... وهو يعلم تماما ... ان الاندفاع بعمق ... يجب ألا يكون اندفاعا الى مقبرة ... وإنما لتحقيق غرض ... وأخذ ينظر الى الجبل العالى البالغ طوله سبعة كيلومترات ... ويدقق النظر ... ان هناك شيئا غريبا ... إنه عبارة عن شق فى الجبل ... تماما ... نفس المنظر الذى تراه حينما تمر بسكينة فى قطعة من العجين ... شق عميق ورفيع ... ولكن ما قيمة هذا الشق... وقال لنفسه،إن له قيمة عظمى... لو سمح هذا الشق للمدرعة بالمرور ... فإن هذا يعنى إمكان تطويق العدو ... وأصدر تعليماته لقائد المجموعة الثانية ...

استكشف هذا الشق فى وسط الجبل ، وأفادت المعلومات أن الشق يسمح بمرور المدرعات بصعوبة ... ولكن المرور ممكن ، ويوجد للعدو مقاومات عليه ... من الممكن إزالتها ... وبدأت منطقة الشق الضيق تتحول الى نار ... النيران كلها مركزة هناك كل المجموعات المدرعة تطلق نيرانها على جوانب الشق الضيق ... العدو لم يكن فى احتماله ان يكون هذا هو طريق الهجوم بأى شكل ... الأرض وعرة ... ولكن المقاتل على بكرى قائد المجموعة الثانية استطاع ان يمر بمدرعاته خلال الصخور ... ووجد نفسه قادرا على تطويق الجبل الكبير ، وبدأت عملية تطويق هائلة ... ومعها فى نفس اللحظة ، عملية ابادة كاملة لقوات العدو من الجهتين ... ومن ينجو من نيران على بكرى ... يتسلمه الفنجرى ... لكن العـــدو لم يكن مستعدا لتسليم الجبل الكبير ... ان معنى تسليم الجبل هو تسليم مصادر المياه ... إنها المعركة الاخيرة ... وبدأت جموع أخرى كثيرة للعدو تندفع الى الجبل من اتجاه البئر ... حتى يزداد الجبل قوة ومناعة ... ووجه العدو كل همه وقدرة نيرانه الى القوة التى نجحت فى التطويق غير المنتظر ... وكانت الفرصة المناسبة ... للفنجرى ... الاندفاع بعمق عبر الطريق الأصلى والوصول الى مصادر المياه ... وكان الليل قد بدأ يعلن وجوده لقد تحـول النهار الى ظلام ... ولكن يجب ان تتم المهمة حتى لا يعطى العدو فرصة لإعادة تنظيم قواته وجلب قـوات اضافية ... وبدأت السماء تتحول الى نهار ... والقنابل المضيئة ، تنير أرض المعركة ... لتستمر العملية خـــلال الظلام ... ووصلت القوات الى حافة بئر المياه ... ولم يكن هذا هو الغرض ... فالغرض الأصلى هـو تأمين بئر المياه ... وهكذا كان من الضرورى تدمير جميع جيوب المقاومة التى لازالت قائمة وسط الجبال وفوق التباب ... وطوال الليل ... كانت هناك صرخات تعلو وأسنة الحراب تلمع فى الظلام ... وضـــوء القمر والقنابل المضيئة يعطيان لمسرح العمليات لونا مثيرا من الوان القتال ..

وفى لحظة ظهور خيوط الشمس الأولى كانت آخر انفاس العدو قد خمـدت ... وتحولت العلمية كلها الى إشارة صغيرة ، الى رئاسة القوات « تمت السيطرة نهائيا على جبال السمحـان وعلى مصادر المياه » وكان الفنجرى يعطى تعليماته لرجاله بالتجمع والعودة الى معسكر المدرعات ... فى انتظار مهمة اخرى ...

وبدأت الحركة الى معسكر المدرعات ... وعلى باب المعسكر ... رأى الفنجرى حركة غير عادية ...

مدرعات أخرى تستعد للخروج فى مهمة ،ووجد المقاتل عادل على رأس القوة... يسأله « ماالخبر ؟ » ... قال عادل « لقد قطع الطريق على عرابى » ووجد الفنجرى نفسه يصرخ « لا يمكن ... لن نترك عرابى وحده ... انا ذاهب معك » وذهب عادل والفنجرى ومعهم تدعيم مدرع الى حيث يوجد عرابى وقواته ...ولنترك الفنجرى وعادل ... ورجال المدرعات يعطون لمدرعاتهم أقصى سرعة ايختصروا الزمن ... وليأكلوا الطريق ... انتركهم فى محاولتهم الآن ولنذهب الى عرابى ... ماهو موقفه ؟ ! ! .

كانت العملية التى خرج من أجلها أصلا ، هى القيام باستطلاع مسلح فى أرض العدو ،على أساس أن تبنى الخطة بناء على المعلومات الواردة من هذا الاستطلاع المسلح ... وقاد المقاتل عرابى مجموعة الاستطلاع ... فى منطقة الحيفة ... وقرب آخر ضوء وصل إلى منطقة جبل ريام ... ولم يكن الاستطلاع مجدياً خلال الظلام ... واتخذ عرابى قراره بالعودة إلى منطقة الحيفة والمبيت فيها ... ثم مواصلة العملية فى اليوم التالى ... وهناك تم توزيع المنازل المهمة فى بلدة الحيفة على الأفراد ... حتى يكون هناك دفاع خلال الظلام ووضعت المدفعية الصاروخية فى منطقة تكون قادرة فيها على العمل إذا ما تطلب الموقف ذلك ...

وكان المنظر فى منطقة الحيفة ... عبارة عن جبل الحيفة وهو يرسم فى هذه المنطقة خطاً يكاد يكون معتدلا ... وهو جبل عال كثير المنحنيات والصخور ... وفى الجانب الآخر جبل شكله مثل شكل حدوة الحصان ... وبذلك كانت الحيفة منطقة متسعة جداً يحدها جبل الحيفة من جانب وتطوقها حدوة الحصان من جميع الجوانب وليس بها إلا مدخلان... مدخل ضيق من اليمين، ومدخل ضيق من اليسار... وفى الساعة السادسة مساء ظهر أن العدو يحاول ركوب قمم الجبال... فبدأت الصواريخ تشتبك مع تجمعات العدو ... وبدأت المدرعات فى نفس الوقت تعمل ... لمنع العدو من تجميع قواته ... وبعد مرور ثلاث ساعات ، أى فى الساعة التاسعة ، بدأ العدو هجومه المركز ... وبدأت الصيحات التقليدية التى تشابه صيحات الهنود الحمر، تعلو

واستخدم العدو أبواق النفير ... كإشارة لبدء الهجوم ... ولكن كان لقواتنا من التجربة والخبرة ، ما يكفى لكى تتصرف التصرف المناسب...ولم يستطع العدو لمس منزل واحد فى الحيفة كما لم يستطع إصابة مدرعة واحدة ، بل أرغم على الفرار ... فى الظلام ... تحت نيران شديدة من قواتنا ... وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل... قام العدو بهجومه الثانى... ولكن النتيجة لم تكن مختلفة هذه المرة أيضاً ... وهناك عاد ، ليعدحشوداً جديدة ، يقضى بها على الموقع المستميت فى الدفاع ... وأتم العدو محاصرة الحيفة من جميع الجهات حتى تكون العملية القادمة أكثر ضماناً ... وفى الساعة الرابعة... ومع ظهور أول ضوء... كان العدو قد بدأ فى التمهيد بالنيران لهجومه الثالث...وفى هذه اللحظة ،كان عرابى يتصل باللاسلكى بأحد قادة مدرعاته وسمع الجندى يصرخ « العدو زى الرز ... عن إذنك يا افندم » ودارت معركة عنيفة ... لم يستطع العدو فيها أن يتقدم شبراً واحداً ، وتكبد خسائر جسيمة ... وظهر أن العدو قد أغلق المضيق فى أول ضوء ... وموقفنا فى الحيفة لايسمح بالدفاع ، لانخفاضها فى قاع ، بين مجموعة جبال وتباب ... وصدرت الأوامر للقوات بالعودة إلى القاعدة التى خرجت منها للاستطلاع ... وبدأت القوات تشق طريقها عبر الكماشة ... وأثبتت أن العدو غير قادر على صنع كماشه حول المدرعات ... ولم تستغرق عملية الخروج، مما تصور العدو أنه مقبرة ، أكثر من دقائق...

ولكن العدو لم يكن قد فقد الأمل فى اصطياد المدرعات ، وكان يعلم أنه غيرقادر على مواجهة أبطالها ، فلم يكن أمامه إلا أن يواجههم بالجبال ... بالصخور ... بالمضايق ... بالطبيعة... الطبيعة التى هزمت نابليون... فى هذا الوقت كان الفنجرى وقواته، يتحركون للوصول إلى عرابى ... وكان عرابى قد نجح فى تخليص نفسه وبدأ يتحرك فى الطريق إلى قاعدته ... ولكن العدو كان قد اختار منطقة غريبة، لتتم فيها المعركة القادمة ...

المنطقة عبارة عن مضيق يحده من جانبيه جبال ... واختاروا أضيق منطقة فى المضيق، ووضعوا فيها ستة صفوف من الأحجار الكبيرة... وهكذا أغلق المضيق، وبدأت قوات كبرى للعدو تندفع فوق الجبال، لاصطياد القافلة المتعطلة والعاجزة عن الحركة ... لقد كانت قوات العدو أكثر من ٣ آلاف فرد ... واستخدم العدو أحد

الخيران كوسيلة للوصول إلى الجبل الأيمن ... واكتشف أحد الجنود هذا الخور فما كان منه إلا أن وجه فوهة رشاشه إلى نهايته، وأخذ يطلق النيران ... وهكذا تحولت نهاية الخور والمنطقة حوله، إلى مقبرة مملوءة بالجثث ... وفى هذا الوقت وصل الفنجرى وعادل، إلى الجانب الآخر من المضيق ... وبدأ الفنجرى يحاول إزاحة الصخور بالأيدى تحت نيران العدو حتى يفتح طريقا لمدرعاته ... وبعد ٣٠ دقيقة كانت قوات عرابى قد وصلت إلى الصف الأول من الصخور، واستطاعت أن تزيحه... فلم يعد يفصل بينهما، إلا هذه الصفوف من الصخور ... وبدأ العدو يكشف قواته على الجانبين ... وكانت عملية إزاحة الصخور بالأيدى مخاطرة كبيرة لأن العدو كان يطلق النيران على الذين يحاولون إزاحة الصخور افتح الطريق ... واتخذ الفنجرى قراره ... قرار بطولته ... قرار مجده ... قرار خلوده ... سأصعد الجبل ... بالدبابة ... وبدأت المحاولة الخطيرة ... إنه من المحتمل أن تنقلب الدبابة كلها من فوق الجبل ... ومن المحتمل أن يسلم نفسه بهذه الطريقة لقمة سائغة إلى العدو ... ولكن مجرد صعوده بالدبابة من هذا المضيق ... هذا الشيء وحده، يجعل العدو تحت رحمته ... وبدأ الصعود، وعيون كثيرة مركزة على محاولته ... وكان أمامه جرف كبير ... مثل الحائط فبدأ يصارعه بضربات عنيفة من جسم الدبابة ... وكان الله معه ... بدأ الجرف ينهار ... شيئاً فشيئاً ... وتحول إلى مطلع عنيف...وهكذا نجح فى الصعود...إنه الآن قد قطع أكثر من ثلثى الجبل... إنه قادر على إبادة العدو ... ومن هذا الارتفاع، رأى الفنجرى دبابة عرابى ... صديق عمره ... كانت قوات المشاة ... قد بدأت تجوس الجبال ... لتطهرها من العدو ... والمدرعات فى الأرض تحاول ضرب جوانب الجبال لإسكات نيران العدو ... وبدأ المشاة يركبون الجبال ويحققون المثل ... « اركب الجبال تسد الأرض » ... وركبوا الجبال ... وفى هذه اللحظة كانت المعركة، قد قاربت النهاية ... وجد الفنجرى أحد الجنود مصاباً فى ساقه ... ويسير بصعوبة بالغة ... ففتح برج الدبابة ومد يده لينقذ الجندى الجريح ... وانطلقت رصاصة ... لتأخذ معها حياة الفنجرى ... إنها الرصاصة الأخيرة فى المعركة ... ومات الفنجرى وهو فى برج دبابته ... مات واقفاً ... وظل واقفاً، إلى أن اكتشف جنوده أنه قد استشهد ... لقد كانت خسائر العدو فى هذه المعركة أكثر من ٥٠٠ قتيل تبعاً لما قالوه، بعد انتهاء العمليات .. وخسرنا نحن بطلا عظيما ... « الفنجرى » ...



كانت مهمة القوات فى هذه العمليات محفوفة بالمخاطر .. انهـــا عملية غير عادية وخطيرة ولذلك كان يلزمها خطة غير عادية ومدروسة.

الكماشــة

مر زمان طويل ...

... ...

... ...

والعمليات الكبرى التى دارت على أرض اليمن ... دخلت إلى سجلات التاريخ... والمناضلون الأوائل ، الذين حملوا عبء القتال فى الأيام الصعبة ، عادوا إلى أرض الوطن ... واتخذوا أماكن جديدة لهم فى مواجهة العدو الأصلى ... إسرائيل ... وهم أكثر قدرة على القتال . بعد أن استفادوا من تجربة القتال الفعلى ... وحققوا النصر الحاسم ...

وتكشفت أسرار جديدة ، عن التشكيلة الغريبة التى كانت تقاتل ضد القوات الجمهورية ، منذ الأيام الأولى للثورة ... وظهر أن القوات العربية ، لم تكن تقاتل المتسللين والإنجليز ... والرجعيين وحدهم ... إنما كان هناك جيش كبير من المرتزقة الذين خاضوا العديد من المعارك ، فى أماكن مختلفة على سطح الأرض ... بعضهم حارب فى صفوف منظمة الجيش السرى الفرنسية فى الجزائر ، وفى فرنسا ... وبعضهم حارب مع تشومبى فى الكنغو ضد قوات الأمم المتحدة ، ومنهم من حارب فى الملايو ... بل إنه ظهر هناك بينهم ضباط قاتلوا ، فى معظم الحروب ، التى دارت على سطح الأرض ، خلال الخمسة وعشرين عاما الماضية ...

وعلى سبيل المثال ، هناك مثلا الكولونيل بوب الفرنسى الجنسية ، الذى أنضم إلى صفوف الرجعية فى اليمن ، هو ومجموعته المكونة من خمسة عشر شخصا ، حاربوا فى كاتنجا خلال سنوات ١٩٦١ ، ١٩٦٢ وكانت مهمتهم قطع الطريق من اليزابث إلى

جادوت ڤيل ، وهناك الكولونيل فرانسوا ، الذى انضم إلى منظمة الجيش السرى الفرنسية ، بعد محاولة انقلاب الجنرالات الفاشل سنة ١٩٦١ ...

وهناك أيضا الماجور جون كوبر الشهير ، وهو واحد من أعضاء القوة الجوية البريطانية الخاصة ، وهى وحدة بريطانية تم تشكيلها خلال الحرب العالمية الأولى، لتقاتل خلف خطوط العدو فى الصحراء ... وله تاريخ طويل فى حرب العصابات فقد حارب لمدة ثمانى سنوات فى الملايو ... وبعدها حارب فى مسقط وعمان ... وبعدها كان أول من وصل إلى اليمن ، ومن هناك اتصل بالكولونيل روجر فولك عن طريق رئاسة المرتزقة فى باريس ، وأحضره إلى اليمن ليقود مجموعات الضباط الفرنسيين ...

هذا بالإضافة ، إلى الضباط الإنجليز ، والذين لا زالوا ضباطا نظاميين فى الجيش الإنجليزى ، ويتلقون تعليماتهم من حكومة بريطانيا ... وعلى سبيل المثال لا الحصر ... الطيار أنتونى الكسندر بويل ، من ضباط السلاح الجوى الملكى البريطانى ... الذى كان حتى اليوم السابق لانضمامه إلى قوات الرجعية فى اليمن ، يشغل مركز ضابط المخابرات فى الخدمة السرية ، فى القيادة العامة البريطانية فى عدن . وليس هذا هو كل شىء ، فهذا الضابط بالذات هو ابن مارشال الجو البريطانى ، سير ديرمت بويل ... ولا أحد يستطيع أن يتصور ، أن هذا الضابط على وجه التحديد يمكن أن يعمل بدون تعليمات صريحة من حكومته ... وخاصة إذا نظرت إلى طبيعة عمله السابق ، وإلى وظيفة والده ...

وقد أصبح سرا مكشوفا ، أو سرا مذاعا ... تلك المعونات المادية ، والعسكرية والبشرية ، والفنية التى تقدمها بريطانيا إلى الإمام المخلوع ، والممثلة فى الأموال ، والأسلحة ، والذخيرة ، ومعدات القتال ، والأفراد الفنيين فى أعمال النسف، والتدمير وكذلك رسم خطط العمليات ... كل هذا أصبح معلوما فى نطاق أوسع من أجهزة المخابرات ... حتى إنه وصل إلى علم الصحف الغربية ... وأشارت إليه صراحة ؛ بعد أن شهدوا بأنفسهم ، كيف تم عمليات تهريب الأموال ، والسلاح من عدن إلى

الإمام المخلوع ... وبينهم الصحفى الأمريكى ، سانش دى جرامونت الذى يعمل فى جريدة نيويورك هرالدتربيون ...

وقد يكون مفهوما .. لماذا تقف بريطانيا هذا الموقف ... فهى تعلم تماماً أن المد الثورى فى اليمن ، لابد أن يؤثر على الجنوب اليمنى المحتل ... ولابد أن يؤثر أيضا على آبار المال المتدفقة من المنطقة العربية ، إلى الخزانة البريطانية ... ثم إن المحميات ، هى آخر قلاع بريطانيا الاستعمارية ، وبريطانيا تقاتل هناك آخر معاركها فتحرير المحميات يعنى أفول شمس الأمبراطورية ... وانتهاء نفوذها فى قطعة من الأرض ، كانت تعتبرها قلعة من قلاعها الهامة فى المحيط الهندى ... ونقطة ارتكاز على طريق البترول ، القادم من الخليج إلى أوربا . .

وهذه المعركة أيضاً هى المعركة الأخيرة ، ولذلك فإن بريطانيا تقاتل فيها بضراوة وشراسة ... شأن أى معركة أخيرة ، لأن المعركة الأخيرة تكون دائماً أشد المعارك شراسة .

وبريطانيا التى حاربت مصر سنة ٥٦ ، بهدف تدمير قواتها العسكرية ، فى قاعدتها ... يعز عليها أن تستطيع هذه القوات نفسها ، أن تطل على محميات بريطانيا ، بعد ست سنوات فقط ... بل وأن تحقق نصراً حاسماً ، عبر هذه المسافة البعيدة ... إن عقلية بريطانيا التى حاربت سنة ٥٦ ، لازالت هى نفسها ، التى تحكم هناك فى لندن ، ولازالت مرارة الهزيمة ، تسيطر على أفكار شارع «داونتج ستريت»...

وبالرغم من كل المعونات من الأطراف العديدة ، التى قدمت للإمام المخلوع ، كان الموقف على أرض العمليات ، هو أن قوات الجمهورية ، تسيطر سيطرة كاملة على أرض اليمن ... والبدر الإمام المخلوع ، وبعض أمراء أسرة حميد الدين قد اختفوا فى الكهوف ... ولجأوا إلى بعض القبائل ، وتحت إغراء المال المتدفق إلى البدر والسلاح ، استطاعوا أن يجمعوا حولهم ، بعض المرتزقة ليقاتلوا الجمهورية ، وبالطبع ليس هناك وزن كبير لقوتهم العسكرية ... ولكنهم استطاعوا الاحتماء ببعض الجبال المنيعة ، مشكلين بذلك بعض جيوب المقاومة داخل اليمن ... وكان أهم هذه الجيوب

وأكبرها ، هو الجيب الذى يختنى فيه البدر ـ الإمام المخلوع ـ وهذا الجيب له وضع خاص ، فهو سلسلة جبلية ممتدة من حدود اليمن الشمالية الغربية إلى الجنوب ، وكان هذا الجيب مثل اللسان ، داخل الجمهورية اليمنية ، فإلى الشرق توجد قواتنا فى صعده ومجز ، وقلعة سنارة والصفراء ... والقفلة ... وإلى الغرب ، توجد قواتنا فى حرض وحابل ، وعلى طول ساحل اليمن كله ...

وقد رفعت القبائل فى هذه الأماكن أعلام الجمهورية منذ زمن بعيد ... والموقف فى هذا اللسان، موقف غريب ، إذ يوجد به طريق قادم من الحدود الشمالية ، ويصل حتى بلدة وشحة، التى كان يختفى فيها البدر ... وهو يعتبر من طرق الدرجة الأولى ، بالنسبة لطرق اليمن ، ويسمح بسير العربات ومختلف أنواع الأسلحة ، وبذلك كان البدر يضمن إمكان وصول جميع الإمدادات والأسلحة والذخيرة والأموال اليه ، عبر هذا الطريق ... ومن هناك يقوم بتوزيعها ، محاولا اجتذاب القبائل إلى جانبه سواء بالإغراء ... أو التهديد بالسلاح ، وكانت المشكلة الرئيسية الموجودة فى هذا اللسان ، هى أنه لايوجد به طريق عرض واحد ، يقطع هذه السلسلة ، من الشرق إلى الغرب ، وبذلك يمكن قطع الطريق ، الذى تسير فيه الإمدادات ...

صعوبة المنطقه

وهذه المنطقة الجبلية إذا حاولت عبورها من الشرق إلى الغرب ، فإن ذلك أمر صعب ، ومجرد التفكير فى استخدام سيارة فى عملية التحركات عبر هذه المنطقة ، يعتبر خرافة كبيرة ... وعلى سبيل المثال ، فقد تم إنشاء طريق فى منطقة مشابهة ، وكان طول الطريق ، سبعة كيلو مترات ، وعبرته سيارة فى مدة أربع ساعات كاملة ...

والعمليات العسكرية، تحت هذه الظروف ، تعتبر عمليات بالغة الصعوبة ، أولا... لأن الرجال لابد أن يتركوا جميع وسائل النقل خلفهم ، ويسيروا على الأقدام ... أو يستعملوا حملة البغال ... الشيء الذى يصعب توفيره ، وتبعاً لذلك فإنه يكون من

الصعب استخدام المدافع الثقيلة ... ولا يمكن للمقاتلين حملها فى مثل هذا الطريق ... ثم هناك مشكلة ،الإمداد بمواد الطعام، وكيف يمكن نقلها للرجال الذين يقاتلون داخل هذه الأراضى ..

وهناك صعوبة أخرى ، هى أن العمليات الحربية فى هذه المناطق - عادة - يكون معدل الخسائر فيها مرتفعا ... لأن العدو يحتمى بالجبال ، وينتظر القوات القادمة ليطلق عليها النيران ... بعد أن تكون قد تخلت عن دروعها الممثلة فى المدرعات ، وتكون أيضا قد تخلت عن جزء - على الأقل - من قدرتها فى النيران ، نتيجة التخلى عن أسلحة المدفعية الثقيلة .. بالإضافة إلى أن تعرض القوات للنيران يكون لمدة طويلة ، لأن هذه القوات - مقدما - تكون قد تخلت عن سرعتها ، نتيجة تركها لعرباتها ، قبل الدخول فى الجبال ..

وعادة مايترك العدو جبلا لينتقل إلى جبل آخر... وهكذا يستمر - النزيف - فى القوات لفترة طويلة ، قد تسبب هزيمتها ...

خطة غير عادية

هذه هى بعض مشاكل الحرب فى الجبال ... ولذلك كانت مهمة القوات فى هذه العمليات محفوفة بالمخاطر .. إنها عملية غير عادية .. وخطيرة... ولذلك كان يلزمها خطة غير عادية ... ومدروسة ... وحول مكتب من مكاتب الميدان بمقر القيادة العربية فى صنعاء ، اجتمع عدد من المقاتلين ، برئاسة اللـــواء فتحى عبدالغنى،قائد القوات العربية باليمن...وحول المكتب كان يجلس بعض قادة القوات العربية فى هذه المنطقة ... وقادة جيوش القبائل، التى أعلنت استعدادها لإنهاء مقاومة العدو فى هذا الجيب...ودرس الموقف العسكرى بعناية بالغة ... وكان المهم، هو إتمام الواجب ، بدون التورط فى القتال، وحدوث خسائر بشرية كبيرة لقواتنا ...

ووضعت الخطة ...

كان أساس الخطة ... المفاجأة ... مفاجأة العدو بالهجوم عليه فى وقت غير

متوقع للهجوم ... هو وقت السيول ... وطالما أن المقاتلين سيسيرون على أقدامهم فيمكنهم اختراق مياه السيول المتدفقة ... وكذلك تتم العملية من مكان غير متوقع ، وذلك يعنى اختيار منطقة من أشد المناطق الجبلية مشقة ووعورة ... حتى إن العدو يكون مستبعدا إمكان الهجوم من هذا المكان ، فلا يركز عليه قواته وكان الهدف الهام ، هو أن تكون الصدمة الأولى قوية ، بحيث تفقد العدو السيطرة على قواته ، وعلى أعصابه ...

ثم شيء هام آخر

هو أنه يجب أن يتم هذا العمل ، بسرعة بالغة ، حتى لا تعطى فرصة للعدو ليجمع قواته ، ويقوم بالهجوم المفاجئ ... ثم إن السرعة تعطينا فرصة أخرى ، هى أن قواتنا لن تكون معرضة لنيران العدو لفترة طويلة ، فكلما كان الوقت الذى تتم فيه العملية قصيرا ، كلما كان تعرض قواتنا لنيران العدو أقل ... وعلى هذا الأساس .. عندما يفيق العدو من الصدمة ، يكون كل شيء قد تم ...

والخطة باختصار ، هى أن يتم العمل على محورين ... أى أن قواتنا تقوم بعمل « كماشة » حول العدو ...

المحور الأول : ويمثل الجانب الأيمن من « الكماشة » ... وتندفع فيه القوات من مجز « وهى بلدة فى شمال غرب صعدة » إلى الغرب مباشرة عبر سلسلة الجبال كلها حتى تصل إلى جبل رازح الذى يطل مباشرة على الحدود السعودية ... وتقوم بهذا الواجب جيوش قبائل جماعة والحدا ، وتشترك معهما وحدات من الجيش اليمنى الحديث الذى درب فى القاهرة ... وعناصر من القوات العربية ..

المحور الثانى : وهو الجانب الآخر من « الكماشة » ، وتندفع فيه القوات من مدينة حرض « التى تبعد عن ساحل البحر الأحمر بحوالى خمسة كيلومترات ، وفى أقصى شمال اليمن » إلى اتجاه الشمال الشرقى ، حتى تصل إلى جبال شعار المواجه للحدود السعودية ، ويقوم بهذا الواجب قبائل الدهب ، والحيقانى ، والرصاص ، وشعاب مع القوات العربيه ... وقوات الجيش اليمنى الحديث ...

ثم بعد ذلك ، يتم اتصال قوات المحور الأول ، بقوات المحور الثانى ، حيث أن المسافة بين جبل رازح « هدف المحور الأول » ، وجبل شعار «هدف المحور الثانى» لا تزيد عن أربعة كيلومترات ، من الأرض المستوية الخالية من الجبال ... وهكذا يتم اختراق السلسلة الجبلية ، ويقطع الطريق الرئيسى القادم من الحدود الشمالية ، والذى يصل إلى منطقة وشحة التى كان يختفى البدر فى أحد كهوفها ...

والواقع أن البدر كان يختفى فى هذا الكهف لمدة شهور ، ولا يخرج منه ليرى النور ... ثم انتقل منه إلى كهف آخر فى منطقة قارة ، ولذلك أطلقوا عليه هناك ... اسم « ملك الكهف » ... فلم يكن قادرا فى أى وقت من الأوقات ، على أن يرفع رأسه ليقول ... أنا ... هنا ...

نعود إلى الخطة ، وكيف تم تنفيذها ...

وضمانا للسرية ، ولعنصر المفاجأة ... تم الاتفاق على الخطة ، وإعلانها فى أضيق نطاق ، حتى إن عدد الذين علموا بالخطة قبل تنفيذها ... كان أقل من عدد أصابع اليد الواحدة ... كما أنه منعت التحركات العسكرية بالقرب من منطقة العمليات المقبلة ، كما أن تجميع المقاتلين ، وتكديس الأسلحة ، والذخائر ، لم يسمح به إلا قبل البدء الفعلى فى تنفيذ العملية ، بوقت قصير للغاية...

وفى وقت واحد ، تحركت قوات المحور الأول إلى الغرب ... وقوات المحور الثانى فى اتجاه الشمال الشرقى ، بهدف إتمام عملية حصار العدو ... وكانت الخطة موضوعة على أساس ، أن تنجح قوات المحور الأول ، فى الوصول إلى جبل رازح الهام ، بعد أسبوع من بدء تحركها ، ولكن هذه القوات ، تنفيذا لروح الخطة ، التى تضع الأهمية الأولى ، والحاسمة لعنصر المفاجأة ، استطاعت أن تحقق غرضها فى زمن مثالى ... وتم الوصول إلى جبل رازح ، فى ثلاثة أيام فقط ... ولم تكن ثلاثة أيام سهلة ... ولكنها كانت ثلاثة أيام من القتال الجاد ... القتال ضد الطبيعة القاسية ... وضد العدو المحتمى فى الكهوف ، وخلف الصخور ...

والواقع أن وراء هذه الثلاثة أيام المجيدة ، مجهود كبير ... فقد كانت خطة قائدهذا المحور أن يتحرك رجاله ، ومعهم السلاح الشخصى ،والذخيرة حول وسطهم، وفى جيوب كل منهم طعام عدة أيام ... والهاونات ، وكميات محدودة من ذخيرتها ، وبهذا أمكنه التخلص من أكبر عبء فى حرب الجبال ، وهو الأسلحة ، والمهمات ومواد الطعام الثقيلة الوزن ... البالغة الصعوبة فى الحركة ... وفى نفس الوقت ، ضمن لقواته قدرة معقولة ، فى النيران ، بالإضافة إلى إمكانها الحركة السريعة على الأرجل، بدون أن يحمل الرجال أثقالا تذكر ... وكان على القوات الجوية ،أن تقوم باستعراض النقص الناشىء فى الذخيرة ، نتيجة العمليات الحربية يوميا ، فى صورة إسقاط جوى ، لمواد الذخيرة ، ولقنابل الهاونات ... كما كان على القوات الجوية أن تسقط للمقاتلين كل يوم ، الطعام الذى يستهلكونه ... حتى يبقى مع الرجال احتياط لاحتمال الطوارىء ... إذ لابد لكل قائد ، أن يضع فى احتماله أصعب الظروف فى القتال ... حتى لاتموت قواته جوعا أو عطشا ... فهناك احتمال على سبيل المثال ... ألا تستطيع القوات الجوية ، أن تقوم بعملية الإسقاطهذه ، لمدة يوم أو أكثر ، نتيجة لسوء الأحوال الجوية ، أو للسحب الكثيفة المنخفضة ، التى تعمل كحاجز للرؤية بين الطيارين والقوات...وفى هذه الحاله...قد يتم اسقاط مواد الذخيرة والطعام للعدو وليس لقواتنا ... كانت هذه الأمورهى بعض مايشغل قائد العملية ... ولكن أمكن للقوات الجوية ، أن تحقق هذا الهدف خلال العمليات وقدمت كل مساعدة طلبت منها ...

المهم أن القوات وصلت إلى جبل رازح الحيوى ... ومن فوق قمة هذا الجبل، ظهر واضحا خط التقاء الحدود اليمنية الشمالية ، بالحدود السعودية ... وظهرت نقطة الجمرك التى كانت قائمة بين السعودية ، واليمن ... ورفع عليها لأول مرة علم الجمهورية اليمنية بألوانه الثلاثة...الأحمر ، والأبيض ، والأسود ، ونجمته الوحيدةالتى تتوسطه ورفع الأعلام فى حدذاته ، ليس هدفا عسكريا ، ولكنه هدف معنوى ...

وحاول العدو استعادة جبل رازح ، ولكنه فشل ... والآن ، ما هى خسائر جيوش القبائل فى هذه العملية ؟ ...

الواقع أن خسائر جيوش القبائل كانت بسيطة للغاية ... وأكثر الناس تفاؤلا كان يضع فى تقديره أضعاف هذه الخسائر ... أما العدو فقد ترك خلفه جثث قتلاه ، تحكى ضراوة القتال ، الذى دار على الجبال ، وبين الصخور ...

واستمع البدر إلى خبر هزيمة قواته ، وهو فى كهفه ... وأرسل البدر برقية قال فيها « أغيثونا بنجدة سريعة ... أغيثونا بالمال ، والسلاح ... قوات القبائل والقوات المشتركة تهاجمنا ، وتحاصرنا شرقا وغربا » ...

ولم يكد البدر يرسل برقيته حتى كانت أخبار المحور الثانى تصل إليه ...،

ولنذهب الآن إلى المحور الثانى ...

وإذا تصورت أنك ارتفعت بطائرة فى السماء ثم نظرت تحتك، لكان المنظر كالآتى ...

ساحل البحر الأحمر فى الغرب ، وعلى بعد حوالى خمسة كيلومترات منه ، مدينة حرض ، ويحكمها جبل اسمه قفل حرض ، وتسيطر عليه قواتنا ، والى الشرق ثلاثة جبال عرضية ، وعلى خط واحد تقريبا ، وهى من اليمين إلى اليسار ، جبل فهمى ، والعصيدة ، والخباب ، وإلى الشمال من هذه الجبال ، جبلا المسوة ، وشعار ، وهما عرضيان أيضا ... وجبل شعار هذا (هدف المحور الثانى) يبلغ ارتفاعه أكثر من ألفى متر ... وهناك إلى الشرق جبل طولى كبير ومخيف ، اسمه جبل عثم ، حيث مركز تشوين وتخزين أسحة العدو ومعداته ...

وجميع هذه الجبال ، يسيطر عليها العدو ...

نفس هذا المنظر ، رآه المقاتل تيسير العقاد قائد هذا المحور ، من الطائرة... فكر ساعتها ... إنه لو قام بالاستيلاء مباشرة على جبل شعار ، الحيوى الحاكم — وهذا ممكن — فانه سيعرض الجانب الأيمن لقواته لهجوم العدو ، وجميع قوات العدو مركزة فى جبال فهمى والعصيدة والخباب وعثم ... بل إنه إذا فعل ذلك، يكون

قد أدخل قواته فى مصيدة ، وأصبح فريسة سهلة المنال للعدو ... لأن العدو فى هذه الحالة سيكون قادراً على إطلاق النيران على قواته ، من أماكن عديدة ... ولهذا استقر قراره ، على التقدم مباشرة ، والسيطرة على جبل عنم الحاكم ، ثم اتخاذه كقاعدة والوثوب منها غربا ، إلى جبال فهمى والمصيدة والمخباب ثم تجميع قواته ، مرة أخرى ، والاتجاه شمالا ، إلى جبل المسوة ، ومنه يندفع إلى جبل شعار الحيوى ...

وبالفعل بدأ اندفاعه إلى جبل عنم ... وفى اللحظة التى كان فيها على وشك الوصول مع قوات القبائل القادمة من أقصى جنوب اليمن ... من البيضا ورداع ... بدأ المطر ينهمر ... والسيول تغمر الوديان ... لتزيد العملية الصعبة صعوبة ... واتخذ الرجل قراره الحاسم ، بضرورة الاستمرار فى العملية ، وإتمامها تحت الأمطار والسيول ... فكما أن الأمطار تسبب مشاكل لنا ... فهى تسبب مشاكل للعدو... أما السيول فهى فى الوديان ... وعلى الرجال أن يعبروا الوديان ، حيث مجارى السيول سيرا على الأقدام ... وبدأ العدو يطلق نيرانه على الرجال ، وهم يعبرون مناطق السيول ... وكان رجال قبيلة الحيقانى ، كانواهم الذين يعبرون ساعتها ... وكانوا يطلقون الأغانى ...

يادى الحيـــود الليلة السودا

لابـــد من حـكم جمهورى

قال الحيقانى توكلنا ... لا يقتل إلا من كمل يومه ...

وراحوا يرددون هذه الكلمات ، مع صوت انفجار القنابل ، وطلقات الرصاص ، ... ومع كل لحظة تمر ، كان رجال القبائل يكسبون أرضاً ... حتى تمت السيطرة الكاملة ، على جبل عنم الهام ... وهناك كانت المفاجأة ... لقد ترك العدو خلفه ، أكثر من ألف لغم مضاد للدبابات والأفراد ... واكتشف فى جوف الجبل ، مستودعات للأسلحة ، تكفى لأكثر من ٥٠٠ شخص ، وتكفى للقتال طوال شهرين كاملين ، ... وبلغت خسائر العدو ٤٠ قتيلا ...

وبذلك أيضاً وضعت قواتنا أقدامها على الطريق الحيوى، القادم من الخوبة السعودية ... وفى نفس الوقت وضعت أقدامها على عنق العدو ...

وفى الليلة السابقة لهذه العملية ... كان البدر قد اتخذ قرار فراره ، ... خوفاً من أن يقع فى أيدى رجال القبائل ، وغطى البدر مشروع هروبه ، على أساس أنه سيطلب من أتباعه الثبات ،ويقول لهم أعطيناكم السلاح والذهب والذخيرة، ولم يبق لكم شيء ... إلا القتال ... ولكنه كان متأكداً أنه لم يبق له شخصياً شيء إلا الفرار ...

مرة ثانية ، نعود إلى قواتنا فى جبل عنم ... لقد أعادت تنظيم نفسها لمهاجمة ... جبل فهمى والعصيدة والخباب ... وبالفعل اندفعت القوات إلى هذه الجبال لمهاجمتها ، من الشرق إلى الغرب ... واستطاعت الاستيلاء عليها ...

وكان على قائد هذا المحور ،أن يقوم مرة ثانية ، بتجميع قواته ، بعدهذه العملية، وإعادة تنظيمها ، لتستطيع الوصول إلى الجبل الحيوى — جبل شعار — وفى هذا الوقت كانت الدنيا هادئة ... وتصور العدو ... أن كل قواتنا مشغولة ، وموزعة فى الجبال التى دار عليها القتال ... وأخذ العدو فى مهاجمة قواتنا من جبل العصيدة ... قبل أن تحصل على فرصة الراحة ... وبسرعة كان المقاتل محمد أمين الكنزى يقوم بعملية التفاف صغيرة ، لاصطياد العدد المهاجم من الجنب ... ولم يستطع العدو إتمام عملية الهجوم، وخسر ١٨ قتيلا ... على أجناب العصيدة ...

واتجهت قواتنا إلى المسوه وشعار ... وقاتل العدو بعنف ... واستخدم مدافع ٢ بوصة ، كما استخدم قنابل انفجار جوى ، وهى نوع من الذخيرة ينفجر فى الجو فوق رؤوس المقاتلين ، وهو تسليح انجليزى ... كما استخدم المدفعية الصاروخية عيار ٧٥ مم والهاونات والرشاشات ...

ولكن رجال القبائل ، وجنود كتيبة من لواء الثورة اليمنى ، والقوات العربية، استمرت فى التقدم لتضع أقدامها على جبل شعار ، ودارت معركة بالسلاح الأبيض، فوق قمة الجبل ، ووضع رجال القبائل أيديهم على ثلاثة مستودعات للذخيرة ، فى

جانب الجبل ، وثلاثة مخازن أخرى تكفى لتسليح كتيبة كاملة ... ووصل المشير عامر إلى أرض العمليات ، وقال للرجال « ثبتوا أقدامكم على عنق العدو ... »

وفى نفس الليلة ، كان العدو يحاول إعادة تجميع فلوله المهزومة ، ليهاجم جبل شعار من داخل الأراضى السعودية ... لأن جبل شعار هو أقصى الحدود ... ولكن العدو لم يستطع أن يزحزح أقدام الرجال ...

لقد ثبتوا أقدامهم على عنق العدو ...



رسالة
من مواطن
يمنى

وقبـل ان يموت قالت له :
حرام أن يضيع دمك هنا..
كنت ارجو أن تستشـهد فى
فلسطين .. قال لى : ان
فلسطين لها ١٠٠ مليون..

من بين مئات الرسائل استوقفتنى رسالة من مواطن يمنى ... المواطن اسمه صالح بن حسين الحاذق وهو من بلدة عمران ... وفى الرسالة يحكى قصة بطولة ... قام بها رقيب من الجمهورية العربية المتحدة ... قاتل معه صالح جنباً إلى جنب ... ويحكى صالح فى خطابه قصة الرحلة كاملة ... الخطاب مكتوب بأسلوب إنسان يحكى ما رآه ... وهذا هو مصدر القوة فى الخطاب .

* * *

فى يوم ٢٢ من رمضان كنت موجوداً فى صنعاء، وحوالى الساعة الرابعة صباحاً ، كنت أتوجه إلى المكان الذى أسكن فيه لأنام كما هى الحال فى هذا الشهر حيث ينام الصائمون حتى وقت صلاة الظهر واقتربنا من باب اليمن ... ورأينا دبابات وعربات مدرعة ، وعربات نقل فيها جنود عرب ... فسألتهم : إلى أين ؟ قال لى أحد الجنود (حنروح نضرب المتسللين) .

وكان معى ساعتها ، ابن شيخ قبيلة عمران ... وقلت له « هذا عار علينا أن نذهب إلى بيوتنا ننام ... والأخوة العرب يقاتلون هنا » ... ووجدته يقول (والله لن نكون عرباً إذا ذهبنا الآن لننام، ولم نذهب فوراً لندافع عن شرفنا ... وبلادنا ...)

وذهبنا إلى إحدى الدبابات، وطلبنا من الجندى أن يأخذنا معه لنقاتل ... فقال لى (اتصلوا بالقيادة) فقابلت ضابطاً برتبة نقيب ، لا أعرف اسمه ، وطلبت منه الذهاب للقتال ...

فأشار إلى أحد الجنود، وطلب منه أن يوصلنا إلى معسكر الدبابات ... وهناك قابلنا شاباً أسمر ... لاتفارق البسمة شفتيه ... وكان متوجهاً يومها للقتال ... وبالفعل ركبنا عربة، عليها مدفع رشاش وفيها ثلاثة أشخاص، منهم الرقيب حسن رمضان، وهو من القاهرة نفسها ... وكانت يده على الرشاش والسيارة تسير ... وتكلم عن الجمهورية ... وقصة الثورة المصرية ... وكانت الشمس يومها شديدة الوطأة، ولكن الرقيب حسن ظل صائماً حتى حان موعد الإفطار، فأخذ قطعة بسكوت وأفطر، وصلى بجوار الرشاش، ووصلنا فى اليوم التالى إلى قرية الجابنى ... وأفهمنا الموقف ساعتها ... كان العدو يحتل تبة حمراء شديدة الارتفاع، وقد ركز معظم قواته فيها ... وكانت هناك تبة أخرى فى الشرق، وثالثة فى الغرب ... نزل المشاة وقاموا بطرد العدو منهما خلال الليل ... وعند مطلع الفجر ... بدأنا نبلغ القمة العالية ... فى مناطق صعبة الصعود على أهلها أنفسهم ... ولكن التصميم كان واضحاً على الجنود المصريين ... وكانت الدبابات قد قامت بتطويق العدو من الخلف ... وأصبح محاصراً من جميع الجهات ... وليس أمامه إلا منفذ واحد جهة الشرق، يستطيع الفرار منه ... وإذا بالرقيب حسن يصيح للسائق، أن يعود بالسيارة إلى جهة الشرق، حتى يمنع العدو من الفرار من خلال هذه الثغرة ... «وقلت له ... إنك ستعرضنا جميعاً الموت ... قال: العمر واحد . والرب واحد»... وفى اللحظة التى بدأ فيها ظهور قوات العدو المنسحبة، كان رشاش الشاويش حسن يحصد فيهم، وسمعنا صراخهم، واختفى بعضهم تحت صخرة كبيرة ... ورأيت حسن وهو يقفز من العربة وفى يده الرشاش... وتقدم فى إتجاه العدو ... ولم يكن العدو قريبا جداً ... بل كان واضحاً أن الموقف عصيب ... إذ أن أى فرد من العدو المختفى خلف الصخور قد يطلق عليه الرصاص دون أن يراه... ونزلنا... كل واحد خلف صخرة، نحاول أن نغطيه بالنيران... حتى اختفى عن أبصارنا ... ومر زمن طويل ... وأيقنا أنه مات ... فلو كان حياً لسمعنا صوت رشاشه ...

ثم فجأة انطلق المدفع الرشاش ... وكان صوت الطلقات ... هو أجمل صوت سمعته فى حياتى ... وانفجرت قنابله اليدوية، وسمعنا صوتها أيضاً ... وفى نفس اللحظة... وضح أن رصاص العدو الشديد قد تلاشى... كذلك اختفى صوت طلقات

الرقيب حسن ،فتأكدنا ساعتها أنه لابد قد مات ... وترحمنا عليه ... ومر زمن طويل ... أطول بكثير من الزمن اللازم لعودته ... فقررنا العودة ... وفى نفس اللحظة ، كان الرقيب يقول (يا لله يا رجاله أنتهينا من العدو والحمد لله).

وحكى لنا قصته : لقد خاض معركة يعتبرها من أجمل المعارك . وترك المقاتلين من أفراد العدو إما قتلى أو جرحى ... ثم أضاف : لقــــد تركت الجرحى لأننى لا أستطيع أن أفعل لهم شيئاً ... لكننى سأعود إليهم ومعى الإسعافات اللازمة لعلاجهم .

وركبنا جميعاً العربة لنعود إلى مواقعنا الأساسية، وإذا برصاصة تطلق علينا من بين الصخور ، فأصابت الرقيب ،وعندما رأيت الدم يتفجر منه قفزت من العربة... ومشيت بين الصخور فى اتجاه صوت الرصاصة، فوجدت واحداً من المتسللين مصاباً بالجراح ... وسألته عن الذى أطلق الرصاصه فقال أنه لايعرف ... وأصر على الإنكار ... وأخيراً اعترف .

وعرفت أنه من المرتزقة ، وقد قبض الأموال من السعودية ، حيث كان يعيش ، وأنه حضر من السعودية منذ أسبوع .

لقد تركه الرقيب، وكان قادراً على قتله ... فى انتظار أن يعود إليه لعلاجه، فأبى إلا أن يغدر به .

وبعدها ... غامت الدنيا فى عينى ، وغلا رأسى بالغضب ، وفقدت السيطرة على أعصابى ...

ولما استعدت هدوئى ... وجدت القاتل الغادر أمامى جثة هامدة، وقد انغرس خنجرى فى صدره .

وعدت بسرعة ،لكى أطمئن على الرقيب حسن ... وحينما رآنى ... قال لى ... هل وجدت أحداً ... قلت له نعم ... قال أين راح ... فقلت له قتلته ... وحكيت له القصة... فقال لى: أخطأت فى قتله ... وظهر على وجهى العجب ، وقلت له لقد

اعتدى عليك فانتقمت منه... قال... كان يجب أن تتركه، لأنه سيعلم بعد أيام، أنهم غرروا به ... وسيترحم علينا وعلى شهدائنا ... كل هـذا والدم ينزف من صدر البطل... وكان واضحاً أنه سيموت بعد لحظات، وبكيت فقال لى: لماذا تبكى ياصالح..؟ قلت له حرام أن يضيع دمك هنا ... وكنت أرجو أن تستشهد فى فلسطين ... قال لى ... إن فلسطين لها ١٠٠ مليون...وأنا الآن حينما أموت هنا، فإن موتى يبشر بقرب نهاية إسرائيل... ثم قال : وجهنى إلى القبلة ... فوجهته ، وقبلته وهو يتمتم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله...وبعدها أغمض عينيه إلى الأبد .

وحينما ذهب السائق حسن ، وأبلغ قائد الوحدة ماحدث ، وأن الرقيب حسن قد مات ... أجاب القائد على الفور «لا مامتش ... إنه سيبقى حياً فى نفوسنا جميعاً»

* * *

كانت هذه هى الرسالة التى أرسلها المواطن صالح بن حسين الحاذق ... وفى نهايتها يطلب أن أبلغ تحياته وتقديره، إلى أولاد وأسرة الشهيد حسن رمضان...وبدورى أنقل لهم هذه التحية ... من إنسان لا يعرفهم ... ولـكنه يقدر الأبطال .

إن التحية موجهة أيضاً، لشعب مصر كله، الذى قدم الشهداء عن طيب خاطر .

مـــع
الاسطول

واتخذ الرجال مراكز القتال
.. وأصبحوا على استعداد
للاشتبـاك مع الاســـطول
البريطاني اذا بدرت منه بادرة



عشت ١٦ ساعة مع أحدث القطع البحرية العربية، التى تربض فى قوة وإصرار تجاه ساحل اليمن ... استمعت من الرجال السمر العمالقة،إلى تفاصيل معركة(ميدى)، المعركة التى خاضها أسطولنا ،ضد قوى الرجعية والتسلل ... استمعت إلى تفاصيل اللقاء الغريب ... لقاء اسطولنـا ،العربى ... والأسطول البريطانى وجهاً لوجه ... وحصلت على الإشارات المتبادلة فى هذا اللقاء ... وفى هذه المعركة التى خاضها رجالنا السمر العمالقة فى مياه البحر الأحمر،بعد أن سجل اسطولنا، أنه أول أسطول (يمسح) سواحل اليمن ، عبر قرون التاريخ الطويلة ...

* * *

الأسطول العربى الذى تحرك فى فجر أحـد أيام شهر اكتوبر عام ١٩٦٢، التقى وجهاً لوجه فى عرض البحر أمام ساحل اليمن، بالأسطول الانجلـــيزى ... وحاول الاحتكاك به ... نادته المدمرة الانجليزية تانزيلى ...

ماجنسيتك ـــ ؟

ولكن أسطولنا العربى سار فى طريقه، بعد أن حول مدافعه ناحية الأسطول الإنجليزى ولم يهتم لنداء المدمرة تانزيلى، حتى دخـــل ساحل اليمن واقترب من الحديدة ... بعد ثورة اليمن بأيام ... كانت خطة الأعداء تقضى بأنزال بعض قواتهم على طول ساحل اليمن فى الشمال ... وفى الجنوب ، لضرب الثورة اليمنية ... وخنقها ...

وكان الساحل اليمنى فى هذا الوقت متروكا بلا مراقبة،ومفتوحـــاً أمام القوات المرتزقة ... ولم تكن هناك أية قوة من القوات العربية تحمى شاطىء اليمن ...
وكان الشعب اليمنى، بعد قيام ثورته مباشرة ،يطل برأسه على هــذا الساحل فى خوف ... وفزع ... كان يخشى على الثورة من أى عدوان قد يقع عليهـــا فى أى وقت ... فالأسطول البريطانى بعد ثورة اليمن أعلن حالة الطوارىء ...

وكما تحرك الجيش... والطيران ... ليدافع عن الثورة اليمنية ،كان لا بد أيضاً من أن يتحرك الاسطول العربى ليحمى ساحل اليمن،من أى عدوان خارجى ... ويمنع نزول أية قوات على طول الساحل، إبتداء من (ميدى) فى الشمال حتى (المخا) فى الجنوب ...

وعندما بدأ الاسطول العربى يتحرك من القاعدة البحرية ويخرج من السويس متجهاً ناحية الجزيرة العربيـة،تلقت القيادة البحرية البريطانية تقريراً من مخابراتهم تكشف فيه سر تحرك الأسطول العربى ... واحتمال وصوله إلى اليمن ...

ولـكن القيادة البحرية،ردت على هذا التقرير بقولها ... هذا مستحيل ... إن ساحل اليمن،غير مطروق ولا يصلح لمرور السفن الحربية لأنه غير ممسوح ... ومعنى ممسوح فى الإصطلاح العسكرى يعنى،أنه لم يعمل لساحل اليمن ،خرائط تحدد المناطق التى يجب أن تتحاشاها السفن، وتبتعد عنها،وهى الاماكن الخطرة التى تـكثر فيهـــا الشعب المرجانية،والجزر الصخرية، والخلجان الضيقة التى تهدد السفن والمراكب بالغرق والضياع ...

ومر يومان ... على تحرك قطع الأسطول العربى...وكانت المخابرات البريطانية تجرى وراء هذا التحرك، لتعرف الحقيقة ... وتتأكد منها... وحدث ،والأسطول العربى يتقدم،أن شاهدت قيادة الأسطول طائرة إنجليزية،تحلق فوقها ،وكأنها تحرسها منذ تحرك الأسطول من السويس ... فاستعدت مدفعية دمياط لضربها إذا بدر منها أى شىء ، ينبىء عن العدوان... وانتصبت مدفعية الطيران ، وراحت تتحرك مع الطائرة،وهى على أهبة الاستعداد ...

واستمرت الطائرة تحلق فوق الأسطول العربى، حوالى ٢٠ دقيقة، وبعدها اختفت عن الأنظار .

وفى اليوم التالى ... وقبل أن تصل القطع البحرية إلى الحديدة ظهرت فى السماء طائرتان جديدتان ... وأخذتا تدوران وتلفان حول الأسطول ... كان غرض الطائرتين هو معرفة قوة التشكيل ... وخط سيره ... وعندما اختفت الطائرتان وابتعدتا عن الأسطول، سمع قائد تشكيل الأسطول نداء من المدمرة دمياط يقول ...

هدف اتجاه أخضر ٢٠ سفينة حربية ...

ورد قائد الأسطول على هذا النداء بقوله ... مراكز قتال... واستعد الأسطول ليخوض أية معركة ،قد تنشب بين وقت وآخر ...

وبعد لحظات ظهرت عند الأفق ثلاث مدمرات إنجليزية ...

هى إيست بورن ... وكريس فورت ... وتانزيلى ... قادمة من الجنوب ، والمدمرة الاولى كانت مزودة بأنابيب الطوربيد ومزودة بقنابل ضد الغواصات وفيها مدفعان ٥ ر٤ بوصة ومدافع مضادة للطائرات ... أما المدمرتان الاخريان فكانتا أقل من المدمرة الأولى فى التسليح ...

واقتربت المدمرات الثلاث ... من الأسطول العربى، حتى أصبح الأسطولان وجهاً لوجـــه ... وفجأة ... تخلصت المدمرة تانزيلى من التشكيل وتركت كريس فورت ... وايست بورن تسيران فى طريقهما ، بينما غيرت هى اتجاهها ، وسارت وراء التشكيل العربى فى نفس الاتجاه ، وهى على بعد ميلين تقريباً ...

واتخذ الأسطول العربى الترتيبات ، وهى الدرجة الأولى من الاستعداد ،وأصبح على اتم الاستعداد ليشتبك مع الأسطول الإنجليزى، إذا بدرت منه أية بادرة...

وقبل أن تدخل المدمرات العربية المياه الإقليمية لليمن ... تكلمت المدمرة تانزيلى ...

من أنت ... وما جنسيتك ؟؟ ولم ترد المدمرات العربية ... بل سارت فى طريقها حتى دخلت الحديدة ... وبعدها اختفت المدمرة الإنجليزية عن الأنظار ...

وكان الأسطول البريطانى، يهدف من وراء هـذا الاستطلاع،إلى معرفة التشكيل العربى ومدى قوته . ومن ناحية أخرى ... وهى الأهم ... لم يكن يصدق أن المدمرات العربية، ستنجح فى حمـــاية ساحل اليمن جنوبه .وشماله ... وهو مملوء بالمخاطر ... والصعاب،لأنه ساحل مهجور،لم تمر منه سفينة ، حربية أو غير حربية من قبل، ومن الصعب على أية سفينة مهما كانت كفاءتها، أن تمر فى هـذا الطريق الوعر المجهـــول ؟؟ ولكن أسطولنا استطاع أن يكتشف الطريق لنفسه، وأن يعمل بنجاح منقطع النظير على طول الساحل اليمنى .

وبعد وصول الأسطول العربى،صدرت إليه التعليمات بحماية ساحل اليمن كله من الجنوب ... حتى الشمال ... ومنع أية تحركات للتسلل أو إنزال قوات معادية على شاطىء اليمن ...

وبدأ الأسطول يؤدى واجبه ... وعرف أن المنطقة الشمالية وهى منطقة ميدى هى أكثر المناطق التى تعتمد عليها قوات البدر للتسلل منها إلى داخل اليمن ... واهتم الأسطول بهذه المنطقة،وشدد الرقابة عليها ...

وفى أحد أيام أكتوبر سنة ١٩٦٢ وصلت معلومات إلى القيادة العربية فى اليمن تفيد بأن هناك حشوداً ضخمة فى جيزان ... وأن هناك خطة .

وهى أن يتحرك البدر بقواته من جيزان فى الشمال ويدخل الأراضى اليمنية عند الفجر تماماً ، وصدرت التعليمات إلى المدمرات بإحباط هذه المؤامرة والقضاء عليها فوراً ...

وتحرك الأسطول إلى منطقة ميدى تحت جناح الظلام، واقترب من الساحل فى هدوء ... وراح يراقب تحركات المتسللين واكتشف الأسطول فعلا حركات التسلل ، كانت هناك سيارات محمله بالجنود والذخائر وبعض المصفحات،قادمة من السعودية...

وكان غرض هذه القوات،هو القيام بعمليات برية ضد قواتنا الموجودة فى الشمال ...

وتركهم الأسطول يتجمعون ... وكان كل محارب من طاقم المدمرات الثلاث، يضع يده على السلاح الذى سيستخدمه فى المعركة ضد القوات المرتزقة ... طاقم المدفعية كان يرهف السمع ، وعيونه تخترق ظلام الليل فى انتظار كلمة ...إضرب... كانت هذه الكلمة،هى كل مايشغله فى هذه اللحظات الحاسمة ... كان متلهفا لسماعها، وكأنه ينتظر أغنية يحبها ويعشقها ، ويميل إلى سماعها دائما ... كان كل مقاتل يشعر وقتها ، أن قنابله لن تقتل المرتزقة ، وتنسف معداتهم فقط ... ولكنها أيضا ستدك عروش الرجعية ... وتحطمها ، وانطلقت مدفعية الأسطول تحصد كل المتسللين ... وانفجرت السيارات ، والمصفحات التى كانت محملة بالجنود ، والذخيرة ، وطار حديد المصفحات ، والسيارات المنصهر ، وتحولت منطقة الحشود إلى جحيم لا يطاق، وحاول بعض المتسللين الإنسحاب إلى الوراء ، ولكن الأضواء التى كانت تسلط عليهم من كشافات الأسطول، منعتهم من الحركة والتفكير ... كان كل متسلل من الذين بقوا على قيد الحياة،يجد نفسه يسبح فى ضوء شديد، فيحجب عينيه بيديه متوهما بأنه بهذه الطريقة، يخفى نفسه من الضوء حتى لا يصيبه الرصاص الذى انهمر عليهم كالمطر من كل جانب ...

وخلال هذه المعركة استطاعت القوات البحرية التقاط بعض الإشـــارات اللاسلكية ،التى كانت ترسلها قيادة الأعداء... كانت بعض هذه الإشارات تقول... فى ذعر ... وجزع ... غيروا أماكنكم ...

ابتعدوا عن المناطق القريبة من الساحل ...

تجنبوا الأسطول المصرى ...

وبعـــد ...

إن أسطول الجمهورية العـــربية المتحدة الذى تحدى الأسطول البريطانى ، واكتشف ساحل اليمن، لأول مرة من الجنوب إلى الشمال ، وسار فيه ،والذى لم

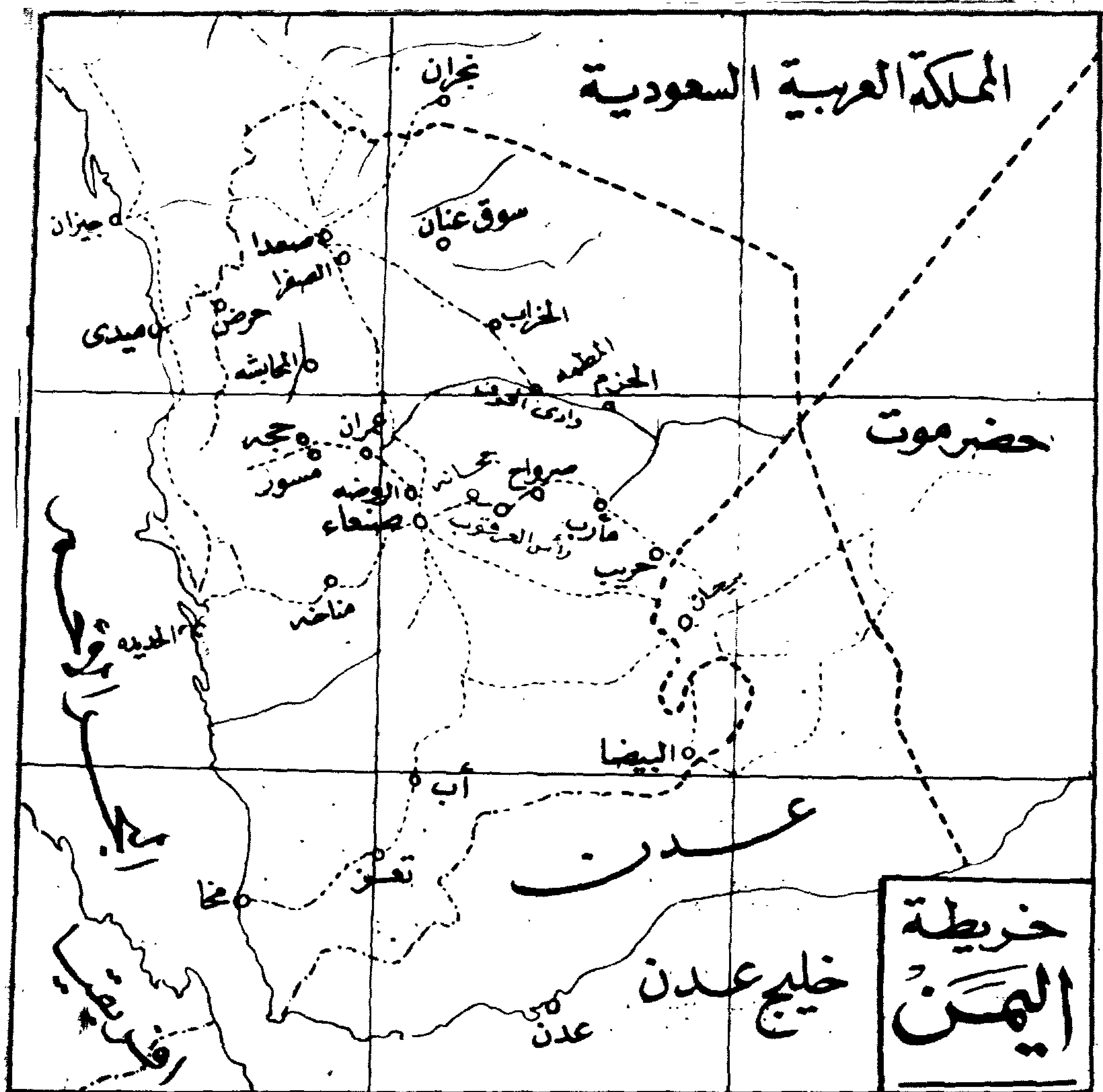
يسبق لأية سفينة حربية أن اقتربت من هذا الساحل لوعورته وخطورته ... نجح هو في اجتيازه، دون أن يصاب بأى خدش ... واستطاع أن يشق طريقه بمهارة فائقة، ليقضى على حركات التسلل ، ولم تكن هذه هى عملية الأسطول الأخيرة ... لقد قام أيضا بضرب العدوان فى مقره ...



محتويات الكتاب

الموضـــوع	رقم الصفحة


مطبعة التحرير


المملكة العربية السعودية
نجران
سوق عنان
صعدا
الصفرا
جيزان
حوض
ميدى
المحابشه
الخزاب
الحزم
وادى الجوف
حضرموت
حجه
عمران
مسور
الروضه
صنعاء
صرواح
مأرب
حريب
بيحان
مناخه
الحديده
البيضا
أب
تعز
مخا
عدن
خليج عدن
عدن
خريطة
اليمن

